المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية أصول الدين
قسم الكتاب والسنة

المقابلة بين الأضداد في القرآن الكريم

دراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب
عبدالرحمن سالم محمد علي

الرقم الجامعي : ٤٣٢٧٠٠٨٦

إشراف
أ.د. ياسين جاسم المحيمد
الأستاذ بقسم القراءات

١٤٣٦هـ - ١٤٣٧هـ

المجلد الأول

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمدًا عبده وسوله الذي بلغ أمته البلاغ المبين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته الأكرمين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب هداية ورشاد، يهدي الخلق لما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويرشدهم إلى الطريق القويم، ويفرّق بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

أمرنا الله بالتفكر في آياته، وتدبرها، فهو السبيل للاهتداء به، والانتفاع بمواعظه، وامتثالاً لهذا الأمر عكف العلماء على دراسة كتاب الله عز وجل، وتفسيره، وشرح معانيه، واستنباط أحكامه، وبيان هدايات للناس.

ولم تزل الدراسات المتعلقة بكتاب الله عز وجل في توسع وازدهار، وتفنن وتنوع، حتى غدت أنواعها كثيرة، وأشكالها عديدة، فمنها ما يفسر القرآن آية آية،

بل كلمة كلمة، ومنها ما يختص بآيات الأحكام، ومنها ما أفرد لأسباب النزول، ومنها لدراسة علوم القرآن وما يتعلق به، وغير ذلك.

ومن الدراسات الحديثة المتعلقة بالقرآن الكريم، دراسة أساليب القرآن الكريم المختلفة، سواء كانت نحوية أو بلاغية.

ومن تلك الأساليب التي أكثر القرآن الكريم من استعمالها: **أسلوب المقابلة**.

فأحببت أن أشارك في دراسة هذا الأسلوب القرآني، آخذًا صورةً من صوره، وهي (المقابلة بين الأضداد)، وأجعله موضوع بحث الدكتوراه، في تخصص التفسير وعلوم القرآن الكريم.

أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، إنه جواد كريم.

أهمية الموضوع:

لقد تعددت الأساليب العربية التي استخدمها القرآن الكريم وتنوعت، واستخدم كل منها في المكان المناسب له بدقة عالية، وأسلوب فذّ، ولكل منها أدواته وطريقته وأغراضه.

وقد عني العلماء قديمًا وحديثًا بدراسة الأساليب القرآنية، وبيان أسرارها، وفائدتها، وأغراضها.

ومن الأساليب القرآنية التي أكثر القرآن من استخدامها أسلوب المقابلة.

وإن فهم هذا الأسلوب يعين على فهم كلام الله عز وجل، ويظهر عظمة القرآن في تقرير قضاياه، ومناقشاته العقلية والعاطفية.

وهذا يعطى الموضوع أهمية بالغة، خاصة مع قلة الدراسات التي عنيت بهذا الموضوع.

وإن دراسة المواضع التي استخدم فيها القرآن هذا الأسلوب يعين على معرفة أسرار هذا الأسلوب، ومعرفة أغراضه وصوره.

قال ابن الأثير: «وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر منه نفعًا ولا أعظم فائدة، وهو مع ذلك دقيق المسلك، ضيق المذهب، فعليكم ـ معشر المنتصبين لهذه الصناعة ـ بتدبير مطاويه، وإمعان النظر في مشكلاته»[(١)].

بل إن التقابل يتجاوز كونه أسلوبًا من أساليب البلاغة، إلى أن يكون آلية بناء للمعاني، فهناك أساليب بلاغية ـ كالتقسيم والترادف والمقارنة وغيرها ـ مبناها على التقابل[(٢)].

سبب اختيار الموضوع:

لقد اخترت هذا الموضوع للدراسة للأسباب الآتية:

١. كثرة استخدام القرآن لهذا الأسلوب، مما يجعله جديرًا بالدراسة، مع قلة الدراسات التفسيرية حوله.

٢. تأثير المقابلة على فهم معنى الآية، والاستدلال بها، والترجيح بين الأقوال، ولم أقف على دراسة علمية عن ذلك.

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور (ص ٢١٦).

(٢) انظر: التأويل التقابلي، محمد بازي (ص ١٦٧).

٣. إظهار عظمة القرآن بتنوعه أساليبه ودقتها، ومدى علو نظمه وإعجازه.

٤. في دراسة المواضيع القرآنية التي استُخدم فيها هذا الأسلوب تفعيلٌ لجانب التدبر لآيات القرآن الكريم الذي حضّنا القرآن عليه بقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [سورة النساء:٨٢].

الدراسات السابقة:

بعد البحث في كتب الأدلة والفهارس، والاستفسار من مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث، والبحث في قواعد البيانات لمكتبة الملك عبدالله المركزية، وسؤال المختصين في ذلك، وجدت أن الدراسات التي تحدثت عن موضوع المقابلة على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: دراسات بلاغية، تعنى بدراسة أسلوب المقابلة من ناحية فنية بلاغية، دون النظر إلى الآثار الموضوعية لاستخدام هذا الأسلوب، من تقرير المسألة، وبيان الحجة، وإظهار الفرق بين أمرين، أو نفي الفرق بين شيئين، وغير ذلك من المعاني التي يؤثر فيها الأسلوب المستخدم، وهي:

١. **أسلوب المقابلة في القرآن الكريم، دراسة فنية بلاغية مقارنة، للباحث كمال عبدالعزيز إبراهيم، ماجستير، جامعة الزقازيق، كلية الآداب، مصر، ١٩٨٥م.**

وقد طبعت الدار الثقافية للنشر هذه الرسالة سنة ٢٠١١م، في ٣٨٥ صفحة.

وهي دراسة بلاغية لأسلوب المقابلة في القرآن الكريم، عنيت بتحرير مصطلح المقابلة في شقه النظري، وأما الجانب التطبيقي فدرست أسلوب المقابلة

في القرآن المكي والمدني، وعقدت موازنة بينهما، وتحدثت عن أسلوب المقابلة في القصص والأمثال القرآنية مع التركيز على الجانب البلاغي.

٢. المقابلة في آيات الجزاء، دراسة وتحليل وموازنة، للباحثة رباب صالح جمال، دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، كلية اللغة العربية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

وهذا البحث يتضمن دراسة وتحليل آيات المقابلة في الجزاء ويوازن بينها مبينًا نقاط الاختلاف والاتفاق، وقد اهتم البحث بدراسة بنائها البلاغي، من حيث نسق المعاني، وتركيب جُمَل المقابلة وروابطها.

وأما النوع الثاني: فهي دراسات دلالية وأسلوبية، درست أسلوب المقابلة في القرآن الكريم من حيث الألفاظ والصيغ والتراكيب، وهي:

١. التقابل الدلالي في القرآن الكريم، للباحثة منال صلاح الدين الصفار، ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، العراق، ١٩٩٤م.

وقد طبعت وزارة الثقافة العراقية هذه الرسالة سنة ٢٠١٣م، في ٢٩٦ صفحة، ضمن إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية.

وقد عني هذا البحث بدراسة المقابلة من حيث صيغها، فدرست التقابل الاسمي، والتقابل الوصفي والفعلي، والتقابل التركيبي والأسلوبي.

٢. التقابل والتماثل في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، للباحث فايز عارف القرعان، بحث مستقل، الأردن.

وقد طبعت هذا الكتاب سنة ٢٠٠٦، في ٥٠٦ صفحات، وقد اشتركت في طبعه عالم الكتب الحديث وجدار للكتاب العالمي، وكلاهما في الأردن.

وقد اعتنى هذا البحث بدراسة أنماط التقابل والتماثل في القرآن الكريم، وقسّمها إلى: نمط بسيط، ونمط مركب، ونمط معقد، ثم تحدث عن التقابل والتماثل في محاور القرآن الكريم، والتي قسّمها إلى ثلاثة محاور: محور الإيمان، ومحور الكفر، ومحور النفاق، وختم البحث بالحديث عن دور التقابل والتماثل في إنتاج الدلالة.

وأما النوع الثالث: فهي دراسات موضوعية، درست المقابلة في القرآن الكريم من ناحية موضوعية، وهي:

١. المقابلة في القرآن الكريم، للباحث بن عيسى عبدالقادر بطاهر، دكتوراه، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٩٤م.

وقد طبعت دار عمار هذه الرسالة سنة ٢٠٠٠م، في ٢٤٨ صفحة.

وقد بيّن الباحث في مقدمة البحث أن موضوع المقابلة في القرآن الكريم واسع، لا يستطيع أحد استيعابه، ويتعذر دراسة صوره على اختلاف أنواعها؛ لكثرتها وتنوّعها. واكتفى بدراسة عشر مقابلات في سورة التوبة.

ولا يدرس هذه المقابلات إلا من خلال سورة التوبة فقط، وتحت عناوين عامة؛ كالمقابلة والقضية الكبرى، والمقابلة وقضايا الدين والأخلاق، والمقابلة وقضايا السياسة والاقتصاد، والمقابلة وقضايا العلم والفكر، وكل ذلك بإيجاز

واختصار، وبلغ عدد الآيات التي درسها من سورة التوبة ـ مع المكرر ـ تسعة وعشرون آية، في مائة وثمانٍ وعشرين صفحة ١٢٨ (ص: ٧٩ – ٢٠٦).

٢. المقابلة بين أعمال أهل الإيمان وأهل الكفر في سورة النساء، للباحث بكري محمد بخيت، دكتوراه، جامعة القرآن والعلوم الإسلامية، السودان، ٢٠٠٢م.

ولم تطبع هذه الرسالة حسب علمي.

وواضحٌ من عنوان الرسالة أنها تختص بموضوعٍ واحدٍ من الموضوعات الكثيرة التي قابل القرآن بينها، بل قصره الباحث على دراسة هذ الموضوع من خلال سورة النساء.

٣. معارض المقابلة العقدية في القرآن الكريم، دراسة بيانية وعقدية، للباحث مبارك العلمي، دكتوراه، كلية الآداب، المغرب، ١٩٨٨م.

ويظهر من عنوان الدراسة أنها معنية بالجانب العقدي في المقام الأول، إضافة إلى عنايتها بالجانب البلاغي.

والذي أرجو أن يضيفه هذا البحث ما يأتي:

١. بيان اهتمام القرآن الكريم بالمتضادات، وكثرة مقابلته لها، وبيان أوجه العلاقة بينها.

٢. بيان ثمرة أسلوب المقابلة في تقرير القضايا وإيضاحها، وإقامة الحجة على المخالف، فالشيء بضده يعرف، وبضدها تتميز الأشياء.

٣. إبراز تنوع الموضوعات القرآنية التي استخدم فيها هذا الأسلوب

البلاغي، وكيف استخدمه القرآن في تقريرها.

٤ . لم يقف هذا البحث عند المقابلة اللفظية التي تعد نوعًا من أنواع علم البديع، بل تجاوزها إلى المقابلة المعنوية، وهي أكثر حضورًا في القرآن، وأصعب استخراجًا، تحتاج إلى تدبر وإعادة نظر، وقد صدق ابن الأثير حين قال: « واعلم أن في تقابل المعاني بابًا عظيمًا يحتاج إلى فضل تأمل » (١).

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة، وفصلين، وخاتمة، ثم فهارس علمية على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها ذكر أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، ثم خطته ومنهجه.

التمهيد : وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم المقابلة.

المبحث الثاني: مفهوم الأضداد.

المبحث الثالث: مفهوم المقابلة بين الأضداد.

المبحث الرابع : أنواع المقابلة.

المبحث الخامس : فوائد المقابلة.

---

(١) انظر: المثل السائر، ابن الأثير (٣/ ١٦٣).

الفصل الأول: المقابلة بين الأضداد المعنوية.

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: المقابلة بين الهدى والضلال.

المبحث الثاني: المقابلة بين الحق والباطل.

المبحث الثالث: المقابلة بين الصدق والكذب.

المبحث الرابع: المقابلة بين الحلّ والحرمة.

المبحث الخامس: المقابلة بين الخير والشر.

المبحث السادس: المقابلة بين النفع والضرّ.

المبحث السابع: المقابلة بين النعمة والمصيبة.

المبحث الثامن: المقابلة بين الإصلاح والإفساد.

المبحث التاسع: المقابلة بين السر والعلن.

الفصل الثاني: المقابلة بين الأضداد الحسيّة.

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: المقابلة بين الحياة والموت.

المبحث الثاني: المقابلة بين النور والظلمة.

المبحث الثالث: المقابلة بين الليل والنهار.

المبحث الرابع: المقابلة بين العمى والبصر.

المبحث الخامس: المقابلة بين الذكر والأنثى.

المبحث السادس: المقابلة بين الطيب والخبيث.

المبحث السابع : المقابلة بين الكبر والصغر .

المبحث الثامن : المقابلة بين المشرق والمغرب .

المبحث التاسع : المقابلة بين اليمين والشمال .

المبحث العاشر : المقابلة بين البر والبحر .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

الفهارس : وتشتمل الفهارس الآتية :

- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الأبيات الشعرية .
- فهرس المراجع والمصادر .
- فهرس الموضوعات .

منهج البحث:

يمكن تحديد منهج البحث وطريقته في النقاط الآتية :

١ . يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي لجمع الآيات التي قابل فيها القرآن بين ضدين في موضع واحد، سواء كان في آية واحدة أو أكثر، ممزوجًا بالمنهج الاستنباطي في تحليل هذه المقابلات ودراستها .

٢ . أجمع جميع الآيات التي وردت فيها المقابلة بين الضدين، ثم أصنفها

حسب نوع العلاقة بينهما، سواء كانت علاقة اتفاق، أو اختلاف، أو علاقة أخرى دلت عليها الآيات.

٣. أذكر عدد المقابلات في كل مبحث، موضحًا صور المقابلة بين الضدين.

٤. أعرف الأضداد المتقابلة في مطلع كل مبحث.

٥. الأضداد كثيرة جدًّا يصعب حصرها، لذا تم اختيار نماذج منها في كل فصل.

٦. قد أستشهد بآيات ذكر فيها أحد الضدين دون مقابلته بضده؛ لتأكيد معنى، أو شرح غامض، وما شابه ذلك.

٧. أشير في نهاية كل مطلب إلى ثمرة المقابلة وفائدتها.

٨. المعتمد في دراسة هذه المقابلات هو الرجوع إلى كتب التفسير، ومعاني القرآن، وكتب اللطائف القرآنية، وغيرها مما له صلة بالموضوع.

٩. أعزو الآيات القرآنية بأرقامها وسورها في المتن، برواية حفص عن عاصم، على ما في مصحف مجمع الملك فهد رحمه الله تعالى.

١٠. أضع الأحاديث النبوية بين قوسين هكذا ((. . .)) تمييزًا لها.

١١. أخرّج الأحاديث والآثار الواردة في البحث تخريجًا مختصرًا يفي بالغرض، مع الحكم على الأحاديث إن كانت خارج الصحيحين.

١٢. أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في صلب البحث في أول موضع، غير

الأنبياء عليهم السلام.

١٣. أعزو النقول إلى مصادرها الأصلية، متحريًّا الدقة في ذلك ما استطعت، مكتفيًا بالاسم المشهور أو المختصر للمصدر، وإرجاء التعريف بالمصادر إلى فهرس المصادر والمراجع.

١٤. أعزو الأبيات الشعرية إلى قائليها، ومصاردها، من دواوين شعرية، أو كتب الأدب العربي.

وفي الختام أحمد الله عز وجل وأشكره، فهو أهل الحمد ومستحقه، منَّ عليه بإتمام هذا البحث، واستعملني فيه زمنًا من عمري، هي من أحلى سني عمري.

ثم الشكر لوالديَّ الكريمين، فهما أصحاب الفضل الأول والأخير، وما أنا إلا غَرْسٌ من غرسهما، وثمرة من أغصانهما، مدّا الله في أعمارهما، وثقّل موازينهما.

ثم أتوجه بشكري لفضيلة أستاذي وشيخي الأستاذ الدكتور ياسين جاسم المحيمد، الذي تكرّم عليَّ بالإشراف على هذه الرسالة، وأولاني من علمه وحلمه وتوجيهه ونصحه ما لا سبيل لي إلى مجازاته، فأسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر لجامعة أم القرى، ممثلةً في كلية أصول الدين، قسم الكتاب والسنة، على ما قدّموه لي من تسهيلات طيلة سنوات دراستي.

والشكر موصول لكل من قدّم لي نصحًا أو توجيهًا من المشايخ والزملاء،

على ما تفضلوا به علي من نصح وتسديد، فلهم مني أجزل الشكر وأوفاه.

ولا أنسَ أن أشكر زوجتي الغالية (أم عبدالله)، التي كانت لي عونًا على كتابة البحث وإنجازه، فلها مني كل الشكر والعرفان.

وأدعو الله عز وجل أن يتقبل عملي هذا، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁

التمهيد

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم المقابلة .

المبحث الثاني: مفهوم الأضداد .

المبحث الثالث: مفهوم المقابلة بين الأضداد .

المبحث الرابع : أنواع المقابلة .

المبحث الخامس : فوائد المقابلة .

❁ ❁ ❁

المبحث الأول
مفهوم المقابلة

أولًا: مفهوم المقابلة لغة:

أصل مادة (ق ب ل) تدل على مواجهة الشيء بالشيء، وكل الاشتقاقات متفرعة عن هذا الأصل [١].

فالقُبُلُ من كل شيء: مُقَدَّمُهُ الذي يُقبل على الشيء [٢].

والقُبْلُ: من إقبالك على الشيء، وتقول: لقيته قِبَلاً، أي: مواجهة [٣].

واستقبل الشَّيْءَ، وقابله: إذا حاذاه بوجهه [٤].

وإذا ضممت شيئًا إلى شيءٍ قلتَ: قابلتُه به [٥].

ومن ذلك قيل للمرأة التي تستقبل المولود عند خروجه: قابلة [٦].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٥١).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: العين، الفراهيدي (٥/ ١٦٦).

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٥/ ٣٥١٧).

(٥) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٩/ ١٤٠).

(٦) انظر: مجمل اللغة، ابن فارس (ص٧٤١)، مختار الصحاح، الرازي (ص٢٤٧).

وسميت الجهة التي يصلي إليها المسلم: قِبْلة؛ لأنه يستقبلها بوجهه [1].

وقابل الشيء بالشيء مُقابلةً وقِبَالًا: عَارضه به، ومن ذلك مقابلة الكتاب بالكتاب [2].

فالمقابلة إذًا: هي المواجهة بين شيئين، والتقابل مثله [3].

ولم يخرج الاستعمال القرآني عن هذا المفهوم، فقد وصف الله عز وجل حال أصحاب الجنة بأنهم متقابلون، يقبل بعضهم على بعض، كلٌّ ينظر إلى وجه أخيه، ولا ينظر إلى قفاه [4]، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الحجر: ٤٧]، وقوله جل وعلا: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الصافات: ٤٣-٤٤]، وقوله عز وجل: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الدخان: ٥٣]، وقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الواقعة: ١٥-١٦].

ثانيًا: مفهوم المقابلة اصطلاحًا:

إن مصطلح (المقابلة) له تعلق بعلمي: البلاغة، وعلوم القرآن. وعند دراسة هذا المصطلح ينبغي النظر في كتب كلا العِلْمَين، ومعرفة مفهوم المقابلة عند كلٍّ منهما.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٥٢).

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص١٠٤٦).

(٣) انظر: مختار الصحاح، الرازي (ص٢٤٧).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري (١٤/ ٨٠)، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ١٨٠).

١ – المقابلة في كتب البلاغة:

أقدم وأكثر من تكلم عن مصطلح (المقابلة) هم علماء البلاغة، فحريٌّ بنا إذا أردنا تحرير مفهوم المقابلة، أن ندرس تاريخ هذا المصطلح عند علماء البلاغة، وكيف تطور مفهومه، وما هي العناصر الرئيسية التي يتكون منها هذا المفهوم.

وأول من تكلم عن مصطلح (المقابلة) من علماء البلاغة ـ فيما وقفت عليه ـ هو أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) [١]، في كتابه: نقد الشعر.

فقد عرّف صحة المقابلات بقوله: « وهي أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض، أو المخالفة، فيأتي في المُوافق بما يُوافق، وفي المُخالف بما يُخالف على الصحة، أو يشرط شروطًا، ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفيما يخالف بأضداد ذلك » [٢].

ويمكن أن نقف عند هذا التعريف عدة وقفات:

أولاً: عبّر التعريف عن العناصر المتقابلة بـ(معاني)، ولعله يشير بذلك إلى أن المقابلة نوعان: المقابلة بين الألفاظ (التي يلزم منها المقابلة بين معانيها)، والمقابلة بين المعاني وإن اختلفت ألفاظها.

---

(١) قدامة بن جعفر بن قدامة، أبو الفرج البغدادي الكاتب، كان فيلسوفًا نصرانيًّا فأسلم، وكان أحد الفصحاء والبلغاء، توفي سنة (٣٣٧هـ).

انظر: المنتظم، أبو الفرج ابن الجوزي (٦/ ٣٦٣)، معجم الأدباء، ياقوت الحموي (٥/ ٢٢٣٥).

(٢) نقد الشعر (ص ١٤١).

ثانيًا: جعل قدامة بن جعفر من شروط المقابلة: أن تكون بين المعاني المتوافقة، أو المتخالفة.

وفي موضع آخر عدّ من عيوب المقابلة: أن تكون بين معنيين ليس بينهما موافقة أو مخالفة (١).

ومراده بالمخالفة هنا: ما يشمل التضاد والمخالفة بدون تضاد، وقد مثّل قدامة لكلا النوعين.

فمثّل للتضاد بقول الشاعر (٢):

تَقَاصَرْنَ وَاحْلَوْلَيْنَ لي ثُمَّ إِنَّهُ ... أَتَتْ بَعْدُ أَيَّامٌ طِوَالٌ أَمَرَّتِ

فقابل الشاعر هنا: بين القِصَر والطول، وبين الحلاوة والمرارة.

ومثّل للمخالفة من غير تضاد بقول الشاعر (٣):

أَسَرْنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ ... وَأَسْقَيْنَا دِمَاءَهُمُ التُرَابَا

فَمَا صَبَرُوا لِبَأْسٍ عِنْدَ حَرْبٍ ... وَلَا أَدَّوْا لِحُسْنِ يَدٍ ثَوَابَا

فقابل الشاعر بين قتلهم بسقي دمائهم للتراب من جهة، وعدم صبرهم في الحرب من جهة أخرى. وقابل بين أسرهم والإنعام عليهم من جهة، والإثابة على الإحسان من جهة أخرى.

وهذه عناصر مختلفة، وليست متقابلة.

---

(١) انظر: نقد الشعر (ص١٩٣).

(٢) المصدر السابق (ص١٤١)، ولم يسمِ قائل هذا البيت.

وانظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري (٧/ ٨٦).

(٣) نقد الشعر (ص١٤٢)، وعزاه للطرماح بن حكيم.

وقد مثّل قدامة بن جعفر للمعاني المتوافقة بقول الشاعر [1]:

جَزَى اللهُ عَنَّا ذَاتَ بَعْلٍ تَصَدَّقَتْ   عَلَى عَزَبٍ حَتَّى يَكُوْنَ لَهُ أَهْلُ
فَإِنَّا سَنَجْزِيهَا بِمِثْلِ فِعَالِهَا   إِذَا مَا تَزَوَّجْنَا وَلَيْسَ لَهَا بَعْلُ

فقابل الشاعر حالَه وهو عزبٌ بحال المرأة وهي عزباء، وقابل حالَه وهو متزوجٌ بحالها وهي ذات بعل (أي متزوجة).

ثالثًا: اشترط قدامة بن جعفر أن تتحد جهة التقابل في العناصر المتقابلة؛ فالوصف يقابل بوصف، والشرط يقابل بشرط، والعدد بعدد.

رابعًا: لم يتطرق قدامة بن جعفر في هذا التعريف إلى ترتيب العناصر المتقابلة، ولم يشترطها، بل من الأمثلة التي ذكرها قدامة ما لم يُلْتَزَمْ فيها الترتيب؛ كقول الشاعر [2]:

أَسَرْنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ   وَأَسْقَيْنَا دِمَاءَهُمُ التُرَابَا
فَمَا صَبَرُوا لِبَأْسٍ عِنْدَ حَرْبٍ   وَلَا أَدُّوْا لِحُسْنٍ يَدٍ ثَوَابَا

(١) المصدر السابق (ص١٤٢).

قال التبريزي في شرح الحماسة (٤/ ١٦٥): « ذكروا أن بعض الأعراب ورد إلى البصرة فحضر الجامع وسمع المؤذنين يؤذنون، فقال: ما لهؤلاء يصيحون؟ ولم يكن له بالأذان عهد، فقال له بعض ذوي المجون: كل من كان في قلبه شيء وصعد إلى هذه المنارة وباح بما في قلبه، أُعطي مناه. فقال الأعرابي: إني إذن والله لصاعد. فقال الماجن لنقيب المؤذنين: هذا أعرابي جيّد الأذان يريد أن يؤذن. فقال: ليصعد. فصعد الأعرابي وكان جهير الصوت ورفع صوته بهذه الأبيات، فعدا الناس إليه وطرحوه من المنارة فهلك، فسُمِعَ بعض نساء البصرة تقول: رحم الله ذلك المؤذن، ما كان أطيب أذانه » .

(٢) نقد الشعر (ص١٤٢)، وعزاه للطرماح بن حكيم.

فقابل الشاعر بين قتلهم بسقي دمائهم للتراب (المذكور في آخر البيت الأول) وبين عدم صبرهم في الحرب (المذكور في أول البيت الثاني).

وكذلك قابل بين أسرهم والإنعام عليهم (المذكور في أول البيت الأول)، وبين الإثابة على الإحسان (المذكور في آخر البيت الثاني).

فالشاعر هنا لم يلتزم الترتيب، ولم يعب عليه قدامة بن جعفر ذلك (١).

ثم جاء بعد قدامة بن جعفر: أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥) (٢)، فعرَّف المقابلة بقوله: « المقابلة: إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة » (٣).

وهذا التعريف يشبه كثيرًا تعريف قدامة بن جعفر؛ فهو جعل المقابلة تارة بين ألفاظ، وتارة بين معانٍ، وبَيَّنَ أن العناصر المتقابلة قد تكون متخالفة وقد تكون متوافقة، والمتخالفة قد تكون متضادّة، وقد لا تتضادّ، واشترط المثلية في جهة المقابلة، وأغفل الحديث عن الترتيب.

ومثَّل للمعاني المتوافقة: ما يسمى بـ(المشاكلة)، نحو قوله تعالى: ﴿نَسُوا

---

(١) وقد تنبه ابن رشيق القيرواني إلى عدم اشتراط قدامة الترتيب فقال: "لكن قدامة لم يبال بالتقديم والتأخير".

انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه (٢/ ١٥).

(٢) الحسن بن عبدالله بن سهل، أبو هلال العسكري اللغوي، كان الغالب عليه الأدب والشعر، توفي سنة (٣٩٥هـ)، وقيل: بعد الأربعمائة.

انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي (٢/ ٩١٨)، طبقات المفسرين، السيوطي (ص ٤٤).

(٣) الصناعتين: الكتابة والشعر (٣٣٧).

ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [سورة التوبة: ٦٧]، وقوله: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران: ٥٤] (١).

ثم جاء ابن رَشِيق القيرواني (ت ٤٥٦) (٢)، فعرّف المقابلة بتعريفٍ مختصر بقوله: «المقابلة: مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم، هذا حد ما اتضح عندي» (٣).

ثم توسع موضحًا فقال: «وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخرًا، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه» (٤).

فابن رشيق وافق قدامة بن جعفر في أن المقابلة تكون في الموافق والمخالف، وأن المخالف منه المضادّ وغير المضادّ، إلا أنه اشترط الترتيب في المقابلة، خلافًا لقدامة بن جعفر، بل عاب عدم اشتراط الترتيب.

ومما خالف فيه ابن رشيق من قبله، عدم اشتراطه المساواة في العدد، واستشهد على ذلك بقول أبي نواس (٥):

---

(١) انظر: الصناعتين لأبي هلال العسكري (ص٣٣٦).

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، والده رومي، شاعر أهل المغرب، كان أديبًا نحويًّا، كثير التصنيف، توفي بالقيروان سنة (٤٥٦هـ).

انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي (٢/ ٨٦١)، تاريخ الإسلام، الذهبي (١٠/ ١٩٢).

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه (٢/ ١٥).

(٤) المصدر السابق.

(٥) أبو نواس الحسن بن هانئ بن جناح، أبو علي الحكمي، الشاعر المعروف، كان ظريفًا كثير الملح، ولد بالأهواز، وتوفي ببغداد سنة (١٩٥هـ).

=

أَرَى الْفَضْلَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ جَامِعًا كَمَا السَّهْمُ فِيهِ فَوْقَ وَالرِّيشُ وَالنَّصْلُ

فقابل أبو نواس في هذا البيت اثنين (الدين والدنيا) بثلاثة (السهم والريش والنصل).

واستشهد أيضًا بقول أبي قيس بن الأسلت[1]:

الحَزْمُ وَالْقُوَّةُ خَيْرٌ مِنْ الْـ إِدْهَانِ وَالْفَكَّةِ وَالهَاع

فقابل أبو قيس الحزم بالإدهان، والقوة بالفَكَّة وهي الضعف، وزاد الهاع، وهو الجُبْن والخِفَّة[2].

وأما ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)[3]، فركز على المناسبة بين العناصر المتقابلة فقال: « ومن الصحة: صحة المقابلة في المعاني وهو أن يضع مؤلف

=

انظر: طبقات الشعراء، عبدالله ابن المعتز (ص١٩٣)، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (٧/ ٤٤٩).

والبيت عزاه له أبو الحسن الجرجاني في الوساطة بين المتنبي وخصومه (ص ٥٥).

(١) صَيْفِيّ بن عامر بن جُشَم بن وائل، من الأوس، كان على الحنيفية قبل البعث، ولقي النبي صلى الله عليه وسلم وكاد أن يسلم، إلا أنه توفي في السنة الأولى من الهجرة قبل أن يسلم.

انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤/ ٣٨٣)، طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام (١/ ٢٢٦).

والبيت في المفضليات للمفضل الضبي (ص ٢٨٥) معزوًا له.

(٢) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه (٢/ ١٨ - ١٩).

(٣) أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، الشاعر الأديب، توفي سنة (٤٦٦هـ).

انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي (١٠/ ٢٣٣)، فوات الوفيات، محمد بن شاكر (٢/ ٢٢٠).

الكلام معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، والأصل في هذه المناسبة، فإن لها تأثيرًا قويًّا في الحسن »[١].

وشرح المناسبة في موضعٍ آخر فقال: « فأما تناسب الألفاظ من طريق المعنى فإنها تتناسب على وجهين:

أحدهما: أن يكون معنى اللفظتين متقاربًا.

والثاني: أن يكون أحد المعنيين مضادًا للآخر، أو قريبًا من المضاد.

فأما إذا خرجت الألفاظ عن هذين القسمين، فليست بمناسبة »[٢].

ومثّل للمقابلة الفاسدة بقول أبي عدي القرشي[٣]:

يَا ابْنَ خَيْرِ الأَخْيَارِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ   أَنْتَ زَيْنُ الدُّنَا وَغَيْثُ الجُنُودِ

وعلّق عليه بقوله: «فليس (غيث الجنود) مقابلاً لـ(زين الدنيا)، ولا موافقًا»[٤].

فانصب اهتمام ابن سنان الخفاجي على وجود المناسبة بين العناصر المتقابلة،

---

(١) سر الفصاحة (ص٢٦٧).

(٢) المصدر السابق (ص ١٩٩).

(٣) عبدالله بن عمر بن عبدالله بن علي بن عدي بن ربيعة، بن عبدالعزى بن عبد شمس، أبو عدي الأموي القرشي، من شعراء قريش.

انظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (١١/ ٢٩٤)، تاريخ دمشق، ابن عساكر (٣١/ ٢٠٧).

والبيت نسبه له أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (١١/٣٠٧)، والنويري في نهاية الأرب (٧/ ١٠٢).

(٤) سر الفصاحة (ص ٢٦٨).

حتى تكون المقابلة صحيحة، فالمناسبة عنده لها تأثيرٌ قويٌّ في حسن الكلام.

ثم جاء أبو يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦)[1]، فعرّف المقابلة بقوله: «هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما. ثم إذا شرطت هنا شرطًا شرطت هناك ضده»[2].

ومثّل لذلك بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الليل: ٥-١٠].

حيث جعل الله عز وجل التيسير جزاءً للإعطاء والاتقاء والتصديق، وجعل ضده - الذي هو التعسير - جزاءً للمنع والاستغناء والتكذيب.

ثم جاء ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧)[3]، فقسم المقابلة إلى قسمين:

١. مقابلة الشيء بضده.

٢. مقابلة الشيء بما ليس بضده[4].

---

(١) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، أبو يعقوب السكاكي الخوازمي، إمام في النحو والصرف، والعروض والشعر، والمعاني والبيان، توفي سنة (٦٢٦هـ).
انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي (٦/٢٨٤٦)، شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي (٧/ ٢١٥).

(٢) مفتاح العلوم (ص ٤٢٣).

(٣) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الجزري، ضياء الدين ابن الأثير، كان وزير الملك الناصر صلاح الدين، ثم ولده الأفضل، توفي سنة (٦٣٧هـ).
انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي (١٤/ ٢٨٥)، الوافي بالوفيات، الصفدي (٢٧/ ٢٤).

(٤) انظر: المثل السائر، ابن الأثير (٣/ ١٤٤).

=

ثم قسّم مقابلة الشيء بضده إلى قسمين :

- مقابلة في اللفظ والمعنى .
- مقابلة في المعنى دون اللفظ .

وقال عن مقابلة المعاني : « واعلم أن في تقابل المعاني بابا عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل، وزيادة نظر، وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور، وبالأعجاز من الأبيات الشعرية » [١].

وقسّم مقابلة الشيء بما ليس بضده إلى قسمين [٢] :

- مقابلة الشيء بمثله .
- مقابلة الشيء بما ليس بمثله .

ثم قسّم مقابلة الشيء بما ليس بمثله إلى قسمين :

- مقابلة الشيء بما بينه وبينه مناسبة .
- مقابلة الشيء بما بينه وبينه بعد ولا مناسبة .

ثم عدّ القسم الثاني مما لا يحسن استعماله في التأليف [٣] .

=

وفي كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، له (ص ٢١٢) جعل القسمة ثلاثية : مقابلة الشيء بضده، أو بغيره، أو بمثله .

(١) المثل السائر (٣/ ١٦٣).

(٢) انظر : المصدر السابق (٣/ ١٥١).

(٣) انظر : المثل السائر (٣/ ١٥٢)، الجامع الكبير (ص ٢١٣).

وقد عاب على المتنبي قوله [1]:

لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِم

فقال: « إن المقابلة الصحيحة بين المحب والمبغض، لا بين المحب والمجرم، وليست متوسطة أيضًا حتى يقرب الحال فيها، وإنما هي بعيدة، فإنه ليس كل من أجرم إليك كان مبغضًا لك » [2].

ثم قسَّم مقابلة الشيء بمثله إلى قسمين [3]:

١ . أن يكون التقابل في اللفظ والمعنى، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٦٧]، وقوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ٥٤].

٢ . أن يكون التقابل في المعنى دون اللفظ، ومثّل له بالجُمَل؛ فإنه ربما قوبل الماضي بالمستقبل، والمستقبل بالماضي.

ويرى ابن الأثير أن الترتيب في عناصر المقابلة أولى وأليق، وأن الإخلال

(١) أحمد بن الحسين الجعفي الكندي، أبو الطيب المتنبي، الشاعر المشهور، فاق أهل عصره في الشعر، قتله قطاع الطريق بين شيراز والعراق سنة (٣٥٤هـ).
انظر: المنتظم، ابن الجوزي (٧/ ٢٤)، وفيات الأعيان، ابن خلكان (١/ ١٢٠).
وانظر: شرح ديوان المتنبي، العكبري (٤/ ١٤١).

(٢) المثل السائر (٣/ ١٥٣).

(٣) انظر: المثل السائر (٣/ ١٥٩)، الجامع الكبير (ص ٢١٤).

بذلك لا يُعَدُّ عيبًا كبيرًا [١].

وفي لفتةٍ جميلة: أشار ابن الأثير إلى أن المقابلة ليست مختصة باللغة العربية، وإنما هي موجودة في اللغات الأخرى [٢].

ثم جاء ابن أبي الإصبع (ت ٦٥٤) [٣]، فانصب تركيزه على الترتيب، حيث عرّف المقابلة بقوله: « صحة المقابلات عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني لا يخرم من ذلك شيئًا في المخالف والموافق، ومتى أخلّ بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة » [٤].

ونصّ ابن أبي الإصبع على أن المقابلة قد تكون بغير الأضداد، إلا أنها بين الأضداد أفضل، مراعاةً للاشتقاق؛ لأن التقابل: التضاد والتناقض [٥].

ثم جاء بعدهم الخطيب القزويني (ت ٧٣٩) [٦]، فجعل المقابلة جزءًا من

---

(١) انظر: المثل السائر (٣/ ١٤٤)، الجامع الكبير (ص ٢١٣).

(٢) انظر: المثل السائر (٣/ ١٤٥).

(٣) عبدالعظيم بن عبدالواحد، زكي الدين، أبو محمد المصري، المعروف بابن أبي الإصبع، شاعر مشهور، وإمام في الأدب، توفي سنة (٦٥٤هـ).

انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي (١٤/ ٧٥٩)، النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي (٧/ ٣٧).

(٤) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص ١٧٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٧٩، ١٨٢).

(٦) جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني الشافعي، خطيب دمشق وقاضيها، توفي سنة (٧٣٩هـ).

=

المطابقة، وعرفها بقوله: « أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل »(١).

وتعريفه لا يختلف كثيرًا عن تعريف السكاكي، فهو متأثر به، وقد ذكر تعريف السكاكي في آخر حديثه عن المقابلة، إلا أنه نصّ على اشتراط الترتيب(٢).

ومن خلال ما سبق يمكن أن يقال: إن البلاغيين اتفقوا على بعض المعايير، واختلفوا في البعض الآخر.

والنقاط التي اتفق عليها البلاغيون هي:

١. المقابلة: هي مواجهة بين معنيين أو أكثر؛ لمناسبةٍ بينها.

٢. المقابلة تكون بين الألفاظ والمعاني، أو المعاني دون الألفاظ.

٣. عناصر المقابلة إما أن تكون متماثلة، أو مختلفة، أو متضادة، وتكون المقابلة أظهر في العناصر المتضادة.

٤. لا بد من وجود مناسبة بين العناصر المتقابلة، فانعدام المناسبة يفسد المقابلة، ومن ذلك اتحاد جهة التقابل؛ فالوصف يقابل بالوصف، والشرط يقابل بالشرط.

واختلف البلاغيون في ثلاثة أمور:

=

انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (١٨/ ٤١٢)، أعيان العصر، الصفدي (٤/ ٤٩٢).

(١) الإيضاح في علوم البلاغة (ص ٣٢٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٣٢٣).

١ . عدد العناصر المتقابلة؛ فقد اشترط ابن رشيق والسكاكي في المقابلة أن تكون العناصر المتقابلة عنصرين مقابل عنصرين، فأكثر. وأما إذا كان التقابل بين عنصر وآخر فقط، فهو مطابقة. في حين مثّل أبو هلال العسكري وابن الأثير بأمثلةٍ قوبل فيها عنصر بعنصر فقط.

٢ . تساوي عدد العناصر المتقابلة؛ اثنان مقابل اثنان، وثلاثة مقابل ثلاثة، وهكذا...، فاشترط تماثل العدد قدامة بن جعفر، وذهب ابن رشيق القيرواني إلى عدم اشتراط تماثل العدد.

٣. ترتيب العناصر المتقابلة، فاشترطه ابن رشيق، وابن أبي الإصبع، والخطيب القزويني، ولم يشترطه قدامة بن جعفر، وأبو هلال العسكري، وابن الأثير.

أما عدد العناصر المتقابلة، فمن اشترط الزيادة على اثنين، فللتفريق بين مصطلحي: المقابلة والمطابقة، وليس لأن نقصان العدد عن عنصرين مقابل عنصرين يخلّ بالمقابلة أساسًا.

وأما اشتراط تساوي عدد العناصر المتقابلة؛ ففي القرآن شواهد تدل على عدم الاشتراط.

منها: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ [سورة المجادلة: ٩].

فالآية الكريمة قابلت بين ثلاث صور من التناجي منهيٍّ عنها ﴿ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾، وبين صورتين من التناجي مأمورٍ بها ﴿ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ

وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾.

ومثله قوله سبحانه: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة الواقعة: ٢٥-٢٦].

فقابلت الآية الكريمة بين اللغو والتأثيم من جهة، وبين السلام من جهة أخرى، اثنان مقابل واحد.

وأما اشتراط الترتيب بين العناصر المتقابلة، ففي القرآن ما يدل على عدم الاشتراط.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [سورة الكهف: ٢٩].

فقابل بين قوله: ﴿ نَارًا ﴾ وقوله: ﴿ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾، وقابل بين قوله: ﴿ بِمَآءٍ ﴾ وقوله: ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ ﴾، مع عكس الترتيب، فختم بما بدأ به.

❁ ❁ ❁

٢- المقابلة في كتب علوم القرآن:

أقدم كتب علوم القرآن التي وقفت عليها ممن عرّف مصطلح (المقابلة) هو: كتاب إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)[١].

وقد عرّف الباقلاني (المقابلة) بقوله: « وهي أن يُوَفَّقَ بين معانٍ ونظائرها، والمضاد بضده »[٢].

فعرّفها الباقلاني بأساسها المتفق عليه بين البلاغيين الذي هو: المواجهة بين المعاني المتوافقة أو المتضادة.

وعرّف الراغب الأصبهاني[٣] (ت ٥٠٢هـ) المتقابلَيْن بقوله: « إنّ المتقابلين هما الشيئان المختلفان، اللّذان كلّ واحد قبالة الآخر، ولا يجتمعان في شيءٍ واحدٍ، في وقتٍ واحد »[٤].

وهذا التعريف هو تعريف أهل المنطق، الذي ينظر إلى التقابل من جهةٍ منطقيَّةٍ بحتة.

---

(١) محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر الباقلاني، القاضي البصري المالكي الأصولي المتكلم، سكن بغداد وتوفي بها سنة (٤٠٣هـ).

انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (٣/ ٣٦٤)، العبر في خبر من غبر، الذهبي (٢/ ٢٠٧).

(٢) إعجاز القرآن (ص ٨٧).

(٣) الحسين بن محمد بن المفضل، الراغب الأصبهاني، أبو القاسم، أديب من الحكماء العلماء العارفين باللّغة والتفسير، توفي سنة (٥٠٢هـ).

انظر: بغية الوعاة (٢/ ٢٩٧)، الأعلام (٢/ ٢٥٥).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص ٥٠٣).

ومن كتب علوم القرآن التي تحدثت عن المقابلة بشكل موسع، كتاب: البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)[١].

وقد عرّف الزركشي المقابلة بأنها « ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها »[٢].

وهذا تعريفٌ واسع، لا يوضح المقابلة بصورة واضحة، بخلاف التعريفات السابقة.

ولعل الزركشي اعتمد على ما سيذكره بعد ذلك من الأنواع والأمثلة، في إيضاح المراد بالمقابلة.

ثم جاء السيوطي (ت ٩١١)[٣] بعده، فعرّف المقابلة بتعريفٍ أدقّ وأوضح، فقال: « هي أن يذكر لفظان فأكثر، ثم أضدادها على الترتيب »[٤].

وتعريفه موافقٌ لتعريف البلاغيين، واشتراط فيه الزيادة على اثنين في

---

(١) محمد بن بهادر بن عبد الله، التركي الأصل، المصري الدار، الشيخ بدر الدين الزركشي، توفي سنة (٧٩٤هـ).

انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني (٣/ ٢٤١)، شذرات الذهب، ابن العماد (٦/ ٣٣٥).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٣/ ٤٥٨).

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الخضيري السيوطي، جلال الدين، أبو الفضل، محدث، مؤرخ، أديب، مصنف متقن، توفي سنة (٩١١هـ).

انظر: حسن المحاضرة، السيوطي (١/ ٢٨٨)، طبقات المفسرين، الداودي (٢/ ٨٠).

(٤) الاتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٢٧).

العناصر المتقابلة، والترتيب بينها.

وجملة القول: إذا أردنا أن نحرر مفهوم التقابل أو المقابلة، بعيدًا عن شروط البلاغيين المختلف فيها، فيمكن أن يقال: إن مفهوم المقابلة يدور حول حضور أحد العناصر مقابل عنصر آخر، قد يكونا شخصين، أو شيئين، أو حالين، أو غير ذلك، لمناسبة بينهما، وهذان العنصران قد يكونان متماثلين، أو مختلفين، أو متضادين، وقد يكونان ألفاظًا، أو معانٍ، أو مشاهد (1).

فالقضية الأساسية في المقابلة: هي المواجهة بين العناصر المتقابلة، وأظهر صور المواجهة وأوضحها وأنفعها ما كان بين الأضداد.

والأصل في التقابل أن يكون في الأجرام، فيقابل شخص شخصًا، ثم حصل اتساع، فاستعمل في المعاني، فجعل الكلمة مقابل الكلمة، والمعنى مقابل المعنى (2).

ولذلك كان تقابل المعاني في القرآن الكريم أكثر وأوسع من تقابل الألفاظ، وهو بابٌ واسعٌ عجيب، يحتاج إلى فضل تأمل، وزيادة نظر وتدبر (3).

وقد أحسن ابن الأثير عندما ختم حديثه عن المقابلة بقوله: « وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر نفعًا منه، ولا أعظم فائدة، وهو مع ذلك دقيق المسلك،

---

(1) انظر: نظرية التأويل التقابلي، محمد بازي (ص ٦٤).

(2) انظر: نظرية التأويل التقابلي، محمد بازي (ص ١٦٩).

(3) انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين ابن الأثير (ص ٢١٥)، البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٤٦٢).

ضيق المذهب، فعليكم ـ معشر المنتصبين لهذه الصناعة ـ بتدبر مطاويه، وإمعان النظر في مشكلاته»[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور (ص ٢١٦).

المبحث الثاني
مفهوم الأضداد

أولًا: مفهوم الأضداد لغة:

ذكر أهل اللغة أن أصل مادة (ضدد) تدل على معنيين مختلفين:

الأول: بكسر الضاد، ويدل على ضِدُّ الشيء، فيقال: الليل ضِدُّ النهار [١].

يقال: هذا ضِدُّه وضَدِيدُه، ويجمع على أضداد [٢]، وقد ضادّه مُضادَّةً، وهما متضادَّان [٣].

والثاني: بفتح الضاد، ويدل على مَلْءِ الشيء، يقال: ضّدَّ القِرْبَة ضَدًّا، أي: ملأها [٤].

ويُقَال: ضَادَد وضَدَد. والضُّدُدُ: الذين يملئون للناس الآنية إذا طلبوا الماء،

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٣٦٠).

(٢) انظر: العين، الفراهيدي (٧/ ٦)، تهذيب اللغة، الأزهري (١١/ ٣١٣).

(٣) انظر: مختار الصحاح، الرازي (ص١٨٣).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٣٦٠).

واحدهم ضَادّ [1].

والمعنى الأول هو الأكثر استخدامًا، وهو المقصود في هذا البحث.

وقد رأى أهل اللغة فيه معنى المغالبة، فالضِّدُّ عندهم: كلُّ شيءٍ ضَادَّ شَيْئًا ليغْلِبَه [2].

ويقال: ضَدَّه في الخُصومَةِ، أي: غَلَبَه [3].

والقومُ على ضِدٍّ واحدٍ، إذا اجْتمعُوا عليه في الخُصومةِ [4]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [سورة مريم: ٨٢]، أي: أعداء [5].

والضِّدَّان أو المُتَضَادَّان: الشيئان لا يجتمعان في وقتٍ واحد؛ كالليل والنهار إذا جاء أحدهما ذهب الآخر [6].

ثانيًا: مفهوم الأضداد اصطلاحًا:

إن مصطلح (الأضداد) له تعلق بعلم المنطق، وعلم البلاغة، وقبل الخوض في مفهوم الأضداد عند البلاغيين، حريٌّ بنا معرفة مفهوم الأضداد عن المتكلمين وأهل المنطق.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١١/ ٣١٣)، لسان العرب، ابن منظور (٤/ ٢٥٦٥).

(٢) انظر: العين، الفراهيدي (٧/ ٦)، تهذيب اللغة، الأزهري (١١/ ٣١٣).

(٣) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص٢٩٥).

(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٨/ ١٤٧).

(٥) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١١/ ٣١٣).

(٦) انظر: العين، الفراهيدي (٧/ ٦)، مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٣٦٠).

١ - الأضداد في كتب المنطق:

عرَّف ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) [١] الأضداد بأنها: « كل لفظتين اقتسم مَعْنَيَاهما طَرَفي البُعْد، وكانا واقعين تحت مقولة واحدة، وكان بينهما وسائط »[٢].

ثم بَيَّنَ أن الضدين قد يكونان نوعين مختلفين تحت جنس واحد؛ كالسواد والبياض، أو جنسان تجمعهما الكيفية؛ كالفضيلة والرذيلة. ولا بد في الضدين أن يُدْركا بحاسةٍ واحدة؛ كالعقل أو البصر. والضدان إذا وقع أحدهما ارتفع الآخر، وبينهما وسائط [٣].

وعرّف نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) [٤] الأضداد بقوله: « والمشهور أن الضدين: أمران ينسبان إلى موضوع ولا يمكن أن يجتمعا فيه، كالذكورة والأنوثة، والتحقيق يقتضي كونهما موجودين - في غاية التخالف - تحت جنس قريب،

---

(١) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو محمد الأندلسي، أصله من الفرس، وجده الأعلى كان مولى ليزيد بن أبي سفيان، إمام الظاهرية، توفي سنة (٤٥٦هـ).
انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أبو جعفر الضبي (ص٤١٥)، المغرب في حلى المغرب، أبو الحسن المغربي (١/ ٣٥٤).

(٢) التقريب لحدّ المنطق (ص ٦٩).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ٧٠).

(٤) محمد بن محمد بن الحسن، نصير الدين الطوسي، أبو عبدالله، الفيلسوف، توفي في بغداد سنة (٦٧٢هـ).
انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي (١٥/ ٢٥٢)، الوافي بالوفيات، الصفدي (١/ ١٤٧).

يصحّ منهما أن يتعاقبا على موضوعٍ، أو يرتفعا عنه، كالسواد والبياض »[١].

واختلف المتكلمون فيما يقع فيه التضاد، فقال بعضهم: التضاد يقع بين المحالّ كما يقع بين الأعراض.

وعند الجمهور: لا يقع التضاد إِلا بين الأعراض، وشبه التضاد: هو أن يتصف أحد الأمرين بأحد الضدين، والآخر بالآخر؛ كالأسود والأبيض، والسماء والأرض، والأعمى والبصير[٢].

وذكر التفتازاني[٣] أن التضاد يكون في المحسوسات؛ كالسواد والبياض، ويكون في المعقولات؛ كالإيمان والكفر[٤].

والملاحظ أن مفهوم الأضداد عند أهل المنطق يدور حول النقاط الآتية:

أولاً: الضدان شيئان بينهما غاية الاختلاف، ويقع كلٌّ منهما في طرفي الموضوع.

ثانيًا: بين الضدين ـ على اختلافهما الشديد ـ قدرٌ مشتركٌ، فهما نوعان تحت جنس واحد، أو جنسان بينهما رابطٌ مشترك، وعبّر ابن حزم عن القدر المشترك بـ:

---

(١) تجريد المنطق (ص ١٥).

(٢) انظر: شمس العلوم، نشوان الحميري (٦/ ٣٨٨٨)، الكليات، الكفوي (ص ٣١١).

(٣) مسعود بن عمر بن عبدالله، سعد الدين التفتازاني، عالم بالنحو والتصريف، والبيان والمعاني، أصولي شافعي، توفي في سمرقندي سنة (٧٩١هـ).
انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني (٦/ ١١٢)، بغية الوعاة، السيوطي (٢/ ٢٨٥).

(٤) انظر: مختصر المعاني، التفتازاني (ص ١٥٨).

أن يدركا بحاسةٍ واحدة؛ كالعقل مثلاً، وأن يتحدا في المحلّ؛ كالنفس مثلاً، والضد أقرب خطورًا بالبال عند ذكر ضدّه [1].

ثالثًا: بين الضدين تدافع عظيم، يدفع كلٌّ منهما الآخر، فوجود أحدهما يبطل الآخر، وقد يتعاقبان على المحل، وقد يرتفعان جميعًا.

رابعًا: بين الضدين وسائط ومراتب، ولا تكون الضدية إلا بين أقصى الطرفين، فأما ما دون ذلك فهو اختلافٌ، يتعاظم بقربه من الضدية.

خامسًا: التضاد يكون بين الأعراض، وأما المحال التي يتصف كل واحد منها بصفة ضدّ الأخرى، فيسمى شبه تضاد.

سادسًا: التضاد يكون في المحسوسات، كما يكون في المعقولات.

٢- الأضداد في كتب البلاغة:

يطلق البلاغيون مصطلح (التضاد) على: الجمع بين المتضادين في الكلام [2].

قال التفتازاني: « يكون بينهما تقابلٌ وتنافٍ، ولو في بعض الصور، سواء كان التقابل حقيقيًّا أو اعتباريًّا، وسواء كان تقابل التضاد، أو تقابل الإيجاب والسلب، أو تقابل العَدَم والمَلَكَة، أو تقابل التضايف، أو ما يشبه شيئًا من ذلك » [3].

فالتضاد ـ كما يصوره التفتازاني ـ: هو المقابلة العقلية باختلاف صورها، سواء

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (ص ١٥٩).

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (ص ٣١٧).

(٣) مختصر المعاني، التفتازاني (ص ٣٦٥).

كان تقابل تضاد، أو تقابل سلب وإيجاب، أو تقابل عَدَمٍ ومَلَكَة، أو تقابل تضايف.

وقد عدّد قدامة بن جعفر أنواع التقابل في كتابه نقد الشعر، في معرض حديثه عن التناقض (١).

وهذا يدلّ على تأثر البلاغيين، بعلم المنطق، بل إن بعضهم كالتفتازاني له كتب في علم الكلام.

وقد سلك الراغب الأصبهاني نفس المسلك فقال: « والضِّدُّ هو أحد المتقابلات، فإنّ المتقابلين هما الشيئان المختلفان، اللّذان كلّ واحد قِبالة الآخر، ولا يجتمعان في شيءٍ واحدٍ، في وقتٍ واحد، وذلك أربعة أشياء:

١. الضِّدَّانِ: كالبياض والسّواد.

٢. والمتناقضان: كالضِّعْف والنِّصْف.

٣. والوجود والعدم: كالبصر والعمى.

٤. والموجبة والسّالبة في الأخبار: نحو: كلّ إنسان هاهنا، وليس كلّ إنسان هاهنا.

وكثيرٌ من المتكلّمين وأهل اللغة يجعلون كلّ ذلك من المتضادّات » (٢).

وأطلق البلاغيون على (التضاد) مصطلحاتٍ أخرى: كالتطبيق، والطباق،

---

(١) انظر: نقد الشعر (ص ٧٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص ٥٠٢).

وانظر: التعريفات، للجرجاني (ص ١٣٧)، والتوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي (ص ٢٢١)، الكليات، للكفوي (ص ٥٧٤)، كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي (٢/ ١١٢٥).

والمطابقة، والتكافؤ [1].

ومصطلحا (المطابقة) و (الطباق) هما الأكثر استخدامًا في كتب البلاغة.

وقد عرّف البلاغيون المطابقة بأنها « أن يذكر الشيء وضده، كالليل والنهار، والسواد والبياض » [2].

وسماها قدامة بن جعفر (التكافؤ) [3].

وقسّم بعضهم المطابقة إلى قسمين: حقيقي ومجازي، وسمّى المجازي (التكافؤ)، وجعل كلاًّ منهما إما لفظي أو معنوي، وإما طباق إيجاب أو سلب [4].

فالملاحظ أن البلاغيين وسَّعُوا مفهوم التضاد، وأدخلوا فيه كل أنواع التقابل العقلي الأربعة، ولم يقصروه على معنى التضادّ في اصطلاح المتكلمين.

وقد أحسنوا في ذلك؛ فإن التضادّ في اللغة يدلّ على التقابل والتنافي في الجملة، وهذا أوسع من اصطلاح المتكلمين.

وقد أشار إلى ذلك الراغب الأصبهاني حيث قال: « وكثيرٌ من المتكلّمين

---

(١) انظر: الطراز لأسرار البلاغة، المؤيد بالله يحيى بن حمزة (٢/ ١٩٧)، كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي (٢/ ١١٢٥).

(٢) إعجاز القرآن، الباقلاني (ص ٨٠)، الصناعتين، أبو هلال العسكري (ص ٣٠٧)، العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق (٢/ ٥).

وانظر: البديع، ابن المعتز (ص ١٢٤).

(٣) انظر: نقد الشعر (ص ٧٩).

(٤) انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الإصبع (ص ١١١)، الكليات، الكفوي (ص ٨٤٥).

وأهل اللغة يجعلون كلّ ذلك من المتضادّات » [1].

وعند تأمل الأضداد من حيث ماهيتها نجد أنها إما أن تدرك بالحواس، أو تدرك بالعقل، فهي إما معنوية، أو حسية [2].

والأضداد المعنوية: منها ما يتعلق بالعقائد؛ كالإيمان والكفر، والحق والباطل، والتوحيد والشرك، والضلال والهدى.

ومنها ما يتعلق بأمور العبادة والطاعة؛ كالطاعة والمعصية، والحسنة والسيئة.

ومنها ما يتعلق بأحوال النفس؛ كالفرح والحزن، والسعادة والشقاوة، والأمن والخوف.

إلى غير ذلك من المعاني التي تدرك بالعقل لا بالحواس؛ كالخير والشر، والعلم والجهل، والنعمة والمصيبة، والسر والعلن.

والأضداد الحسية: متنوعة أيضًا، فمنها أضداد زمانية؛ كالليل والنهار، والشروق والغروب.

ومنها أضداد مكانية؛ كالبر والبحر.

ومنها أضداد في الاتجاه؛ كالمشرق والمغرب، واليمين والشمال، وفوق

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص ٥٠٢).
وانظر: كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي (١/ ٤٦٦).

(٢) وبناء على هذا تم تقسيم البحث إلى فصلين؛ أحدهما يختص بالأضداد المعنوية التي لا تدرك بالحواس الخمس، والثاني يتناول الأضداد الحسية التي تدرك بالحواس الخمس.

وتحت، وأعلى وأسفل.

ومنها أضداد نوعية؛ كالذكر والأنثى، والابن والبنت، والرجل والمرأة.

إلى غير ذلك من المحسوسات المتضادة؛ كالحياة والموت، والكثرة والقلة، والكبر والصغر، والطول والقصر.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث
مفهوم المقابلة بين الأضداد

بعد الوقوف على مفهوم المقابلة لغة واصطلاحًا، ومفهوم الأضداد لغة واصطلاحًا، حريٌّ بنا أن نبيِّن مفهوم (المقابلة بين الأضداد) في هذا البحث.

هل المراد منه: مفهوم المقابلة عند بعض البلاغيّين الذي يشترط فيها الزيادة على أكثر من عنصرين متقابلَيْن، والترتيب؟ أم أن المراد: مطلق المواجهة بين المعاني المتضادة، كما عرفها الباقلاني؟

وهل المراد بالأضداد: الأضداد اللفظية فقط، أم يشمل تضاد المعاني، وإن لم تكن الألفاظ متضادة؟

وهل المراد بالتضاد هنا: التضاد في اصطلاح المتكلمين، أم المفهوم الواسع للتضاد الذي يدلّ على التقابل والتنافي في الجملة؟

وهل يكفي في حصول المواجهة بين الضدين، الجمع بينهما في سياقٍ واحد، أم لا بُدَّ من وجود ألفاظ أخرى تدل على المواجهة؟

سنحاول في هذا المبحث الإجابة عن تلك الأسئلة، مع مزيدٍ من الشرح والإيضاح، وضرب المثل.

أما السؤال الأول: هل سيلتزم هذا البحث، بالشروط التي وضعها بعض

البلاغيين؛ كزيادة العناصر المتقابلة عن اثنين، أو اشتراط الترتيب بين العناصر المتقابلة؟ أم أننا سنكتفي بالقدر المتفق عليه بين البلاغيين.

الجواب: إن المحور الذي يدور حوله هذا البحث هو دراسة طريقة القرآن في استخدام أسلوب المقابلة، وإظهار العناصر المتقابلة، والتنبيه على المناسبة التي من أجلها قابل القرآن بينهما. وليس المراد من هذا البحث الوقوف على النكات البلاغية، والأسرار البديعية في مثل هذه الأساليب القرآنية.

لذلك سوف يُعْتَمَدُ في هذا البحث على المعنى الواسع للمقابلة، وهو: المواجهة بين شيئين لمناسبة بينهما.

ولما كانت المقابلة بين الأضداد هي أكثر صور المقابلة ظهورًا وجلاءً، خُصِّصَ هذا البحث لدراسة هذه المقابلات القرآنية، دراسة موضوعية، تستجلي أهم الفوائد والثمار لاستخدام القرآن لهذا الأسلوب البديع.

وأما السؤال الثاني: هل يقف البحث عند التضاد اللفظي، أم سيوسع الدائرة لتشمل التضاد المعنوي، وإن لم تكن الألفاظ متضادة؟

الجواب: إن هذا البحث سيشمل في دراسته التضادّ بصورتيه: اللفظية والمعنوية؛ للنقاط الآتية:

- المقابلة بين المعاني أكثر حضورًا في القرآن الكريم، ولو تركت لترك قدرٌ كبيرٌ من المقابلات دون دراسة وتأمل.
- المقابلة بين المعاني في القرآن الكريم قد تخفى على كثيرٍ من الدارسين، فضلاً عن عامة الناس، فإنها تحتاج إلى مزيد تفكّرٍ

وتدبر.

- لو اقتصرنا في درستنا هذه على المقابلات اللفظية، لفاتنا كثيرٌ من المعاني المهمة التي دلّت عليها هذه المقابلات، وربما لم تتضح الصورة، أو كان هناك نقص في التصور.

وأما السؤال الثالث: هل المراد بالأضداد: الأضداد اللفظية فقط، أم يشمل تضاد المعاني، وإن لم تكن الألفاظ متضادة؟

الجواب: إن الإجابة عن هذا السؤال فرعٌ عن الإجابة عن السؤال السابق.

فإذا قلنا: إننا سوف ندرس المقابلة بين المعاني، فإننا لن نقتصر على دراسة الألفاظ المتضادة، بل ستشمل الدراسة المعانيَ المتضادة، ولو كانت ألفاظها غير متضادة.

ولنضرب على ذلك مثالاً يوضح المقصود.

لو أردنا أن ندرس المقابلة بين السرّ والعلن في القرآن الكريم، والسرّ والعلن أمران متضادان، فلو اقتصرنا في دراستها على الآيات التي وردت بهذين اللفظين وما تصرف منهما، لفاتنا قدر كبير من الآيات التي قابلت بين معنى السرّ ومعنى العلن بألفاظ أخرى.

فقد عبّر القرآن الكريم عن السرّ بالإخفاء، والكتمان، والإكنان. وعبّر عن العلن بالإبداء والجهر، واستخدم القرآن في التعبير عن المقابلة بين السرّ والعلن ثماني صيغٍ مختلفة:

- فقابل السرّ بالعلن والجهر.

- وقابل الإخفاء بالإعلان والإبداء والجهر.
- وقابل الكتمان بالجهر والإبداء.
- وقابل الإكنان بالإعلان.

فلو اقتصرنا في دراستنا للمقابلة بين السرّ والعلن على المقابلة بين لفظي: السرّ والعلن، لفاتنا شيء كبير من المقابلات بين معنيي: السرّ والعلن.

أما السؤال الرابع: هل المراد بالتضاد هنا: التضاد في اصطلاح المتكلمين، أم المفهوم الواسع للتضاد الذي يدلّ على التقابل والتنافي في الجملة؟

الجواب: جعل المتكلمون التضاد نوعًا من أنواع التقابل، فقد قسموا التقابل إلى أربع أقسام(١):

١. التقابل بين الأضداد، وتشمل في ذلك النقيضين.

٢. التقابل بين المعاني المتضايفة، التي ينبني فهم معنى كل منها على فهم معنى الأخرى؛ كالأب والابن.

٣. التقابل بين العَدَم المَلَكَة؛ كالعمى والبصر.

٤. التقابل بين الإيجاب والنفي؛ كإثبات شيءٍ ونفيه، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [سورة الأنفال: ١٧].

ولكن البلاغيين وسَّعوا مفهوم التضاد، وأدخلوا فيه كل أنواع التقابل

---

(١) انظر: التقريب لحد المنطق، ابن حزم (ص ٧٣)، تجريد المنطق، نصير الدين الطوسي (ص ١٥).

السابقة، ولم يقصروه على معنى التضادّ في اصطلاح المتكلمين.

وقد أشار إلى ذلك الراغب الأصبهاني حيث قال: « وكثيرٌ من المتكلّمين وأهل اللغة يجعلون كلّ ذلك من المتضادّات »[1].

وأما السؤال الخامس: هل يكفي في حصول المواجهة بين الضدين، الجمع بينهما في سياقٍ واحد، أم لا بد من وجود ألفاظ أخرى تدلُّ على المواجهة؟

الجواب: لما عرّف البلاغيون المطابقة ـ التي هي أخص عندهم من المقابلة ـ عرفوها بأنها: الجمع بين الضدين في الكلام[2].

وكان مما مثلوا به من الأمثلة قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة النجم: ٤٣- ٤٤].

وعلّق عليها أبو هلال العسكري بقوله: « وهذا من المطابقة التي لا تجد في كلام الخَلْق مثلها حُسْنًا، ولا شدّة اختصار، على كثرة المطابقة في الكلام »[3].

ولو تأمَّلنا نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [سورة التوبة: ١١٦].

هل جمعه سبحانه وتعالى بين لفظ ﴿ يُحْيِۦ ﴾ ولفظ ﴿ وَيُمِيتُ ﴾، هو مقابلة

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص ٥٠٢).

(٢) إعجاز القرآن، الباقلاني (ص ٨٠)، الصناعتين، أبو هلال العسكري (ص ٣٠٧)، العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق (٢/ ٥).

وانظر: البديع لابن المعتز (ص ١٢٤).

(٣) الصناعتين، أبو هلال العسكري (ص ٢٦٠).

بين الإحياء والإماتة؟ أم أنه عطفٌ لا مقابلة فيه؟

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن هذا الجمع هو مقابلة بين الإحياء والإماتة، فإذا أخبر الله عز وجل أنه قادرٌ على الإحياء، وقادرٌ على ضدّ ذلك وهو الإماتة، فقد أخبر أن قدرته شاملة لطرفي البُعد، وهذا أبلغ وأعظم في الحجّة مما لو ذكر أحدهما دون الآخر، واستخدم في التعبير عن ذلك صيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار.

ولما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة النجم: ٤٥-٤٦].

لم يكن ذِكْر الأنثى مع الذَّكَر مجرد عطفٍ لا معنى له، وإنما ذكر أنه خلقه سبحانه شاملٌ لنوعي الجنس (الذكر والأنثى) مع اختلافهما الجسدي والنفسي، وأن هذا الخلق من مادة واحدة.

فالمتأمل لمثل هذه الآيات التي جمعت بين ضدين في صيغة العطف، يجد أن لهذا الجمع فائدة عظمى في تعميم الأمر، وإظهار شموله، ولفت الأنظار إلى طرفي البُعد في القضية، فذكر الشيء مع ضده أبلغ في البيان.

والله أعلم.

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع
أنواع المقابلة

قسّم العلماء المقابلة إلى عدة تقسيمات، باعتبارات مختلفة، بعضها يركز على الألفاظ والصيغ، والآخر يركز على عدد العناصر المتقابلة، والبعض الآخر يركز على أنواع المتقابلات.

فأما تقسيم المقابلة باعتبار اللفظ والمعنى:

فقد قُسِّمت إلى قسمين [1]:

الأول: مقابلة في اللفظ والمعنى.

مثاله: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[سورة المائدة: ٧٦].

فقابل بين الضر والنفع، وهما لفظان متضادان.

الثاني: مقابلة في المعنى دون اللفظ.

مثاله: قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ

(١) انظر: المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير (٣/ ١٤٤).

لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [سورة البقرة: ٢١٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ١٧].

فقابل بين الإثم والمنافع، وبين الضر والخير، وهي ليست ألفاظًا متضادة، وإن كانت معانيها متضادة.

فالإثم في معنى الضر فإنه يوصل إليه، فذلك قابله بالمنافع، والخير في معنى النفع فقابله بالضر.

وأما تقسيم المقابلة باعتبار عدد العناصر المتقابلة:

فقُسِّمت إلى خمسة أقسام[1]:

الأول: مقابلة اثنين باثنين.

مثاله: قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ [سورة التوبة: ٨٢].

فقابل الضحك بالبكاء، والقليل بالكثير.

الثاني: مقابلة ثلاثة بثلاثة.

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].

فقابل التحليل بالتحريم، والطيبات بالخبائث، و(لهم) بـ(عليهم).

(١) انظر: الإيضاح، القزويني (ص ٣٢٢)، نهاية الأرب، النويري (٧/ ٨٦)، علم البديع، عبدالعزيز عتيق (ص ٨٧-٩٠).

الثالث: مقابلة أربعة بأربعة.

مثاله: قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [سورة النحل: ٩٠].

فقابل الأمر بالنهي، وقابل ثلاث مأمورات، بثلاث منهيات.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ [سورة الليل: ٥-١٠].

فقد قابل الإعطاء والاتقاء والتصديق واليسرى، بالبخل والاستغناء والتكذيب والعسرى.

الرابع: مقابلة خمسة بخمسة.

مثاله: قول الشاعر [١]:

بِوَاطِئٍ فَوْقَ خَدِّ الصُّبْحِ مُشْتَهِرُ   وَطَائِرٍ تَحْتَ ذَيْلِ اللَّيْلِ مُكْتَتِمُ

فكل كلمة في الشطر الأول تقابل نظيرها في الشطر الثاني من البيت.

الخامس: مقابلة ستة بستة.

مثاله: قول الشاعر [٢]:

عَلَى رَأْسِ عَبْدٍ تَاجُ عِزٍّ يَزِينُهُ   وَفِي رِجْلِ حُرٍّ قَيْدُ ذُلٍّ يَشِينُهُ

فالمقابلة بين (على) و(في)، و(رأس) و(رجل)، و(عبد) و(حرّ)، و(تاج) و(قيد)، و(عزّ) و(ذلّ)، و(يزينه) و(يشينه).

---

(١) انظر: علم البديع، عبدالعزيز عتيق (ص ٨٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص ٩٠).

وأما تقسيم المقابلة باعتبار ترتيب العناصر المتقابلة:

فقد قُسِّمت المقابلة إلى أربعة أقسام[1]:

الأول: أن يأتي بكل واحد من العناصر المتقابلة مع صفته.

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [سورة النبأ: ١٠-١١].

فذكر كلًّا من المتقابلات مع صفته ﴿ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ و ﴿ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾.

الثاني: أن يأتي بالعناصر المتقابلة أولًا، ثم يأتي بصفاتها ثانيًا على نفس الترتيب، كما قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [سورة القصص: ٧٣].

فذكر الليل والنهار أولًا، ثم وصف الليل بالسكون، والنهار بابتغاء الفضل.

الثالث: أن يأتي بجميع العناصر المتقابلة أولًا، ثم يأتي بصفاتها على ترتيب معاكس، فيبدأ بالأخير ثم الأول، ويسمى رد العجز على الصدر، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٠٦-١٠٧].

فبدأ بالوجوه المبيضَّة ثم الوجوه المسودَّة، ثم ثنى بالحديث عن الوجوه المسودّة، ثم عاد إلى الحديث عن الوجوه المبيضّة.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٤٦٠-٤٦١).

الرابع: أن يأتي بجميع العناصر المقابلة، ثم يأتي بوصف أو حكم يشملها جميعًا، كقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٥٤].

فذكر إبداء الأشياء وإخفائها، ثم ذكر أن حكمها واحدٌ عند الله، فإن الله عز وجل يعلمها جميعًا.

الخامس: أن يأتي بالأمر المشترك قبل ذكر المتقابلين، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة النجم: ٤٥].

وأما تقسيم المقابلة باعتبار نوع العناصر المتقابلة:

فقد قُسِّمت المقابلة إلى ثلاثة أقسام(١):

الأول: مقابلة بين نظيرين.

مثاله: قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]، فالسِّنَة والنوم من جنسٍ واحد، ويدخل في هذا نحو قوله جل وعلا: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٦٧]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ٥٤].

الثاني: مقابلة بين مختلفين من غير مضادة.

مثاله: قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الجن: ١٠]. فالشر والرشد مختلفين، وليسا متضادين.

---

(١) انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير (ص ٢١٢)، الطراز لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة الحسيني (٢/ ٢٠١)، البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٤٥٩).

الثالث : مقابلة بين ضدين .

والشيء ربما قوبل بضده لفظًا، وربما قوبل بضده من جهة المعنى دون اللفظ .

مثال الأول : قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ [سورة التوبة : ٨٢] .

فقابل الضحك بالبكاء، وقابل القليل بالكثير، وكل منها ضد الآخر لفظًا ومعنى .

ومثله أيضًا : قوله جلت قدرته : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [سورة الكهف : ١٨]، فاليقظة ضد الرقود .

ومثال الثاني : قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة يونس : ٣٢] .

فقابل بين الحق وصورة من صور الباطل وهو الضلال، فالمقابلة بين الحق والباطل من حيث المعنى دون اللفظ .

ومثله أيضًا : قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٧] .

فقابل بين الأمن، وسبب من أسباب الخوف، وهو تخطف الناس من حولهم، فالمقابلة بين الأمن والخوف من حيث المعنى دون اللفظ .

❁ ❁ ❁

المبحث الخامس
فوائد المقابلة

أكثر القرآن الكريم من استخدام: أسلوب المقابلة، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات المصحف إلا تجد فيها مقابلة أو أكثر، بعضها ظاهرٌ بيّن، وبعضها يحتاج إلى تأمل وتدبر.

وكثرة الاستخدام تثير تساؤلًا عن فوائد هذا الأسلوب، فلولا عظيم نفعه، وتعدد فوائده لما أكثر القرآن الكريم من استخدامه.

وفي هذا المبحث نحاول الوقوف على بعض تلك الفوائد، والتي من أهمِّها:

١. تناسق الألفاظ والمعاني.

وذلك يضفي على النص جمالًا وبهاء، تلتذ به الأسماع، وتطرب له النفوس.

وقد عدَّ علماءُ البلاغة المقابلةَ ضمن علم البديع، وهو علمٌ يُعْنَى

بالمحسنات المعنوية واللفظية [1].

والمقابلة أحد الأساليب العربية ذات النمط الفني المثير، يحدث عند المتلقي لذة خاصة لا يدركها إلا فيه، ويضفي على النص حُسناً وبهاءً، وقد استعمله القرآن على أحسن وجه، انعكس على الألفاظ والمعاني، فألبسها ثوب الجمال والحسن، والسمو والكمال [2].

فإذا قرأت ـ على سبيل المثال ـ قول الله جلَّ وعلا: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النجم: ٤٣-٤٨].

وجدته قرر في هذه الآيات الكريمات حقائق باهرة، في إيقاعٍ لفظي جميل، وتناسب معنوي بديع، جمع بين أضداد مختلفة في نسقٍ واحد؛ أضدادٍ تتعلق بالإنسان في حالته النفسية، ومبدئه ومنتهاه، ونوعه الجنسي، ووضعه المالي، وتعلق ذلك كله بالله عز وجل، وتنسبه إلى أفعاله تبارك وتعالى.

وإذا تذكرت قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة يونس: ٢٤].

---

(١) انظر: الصناعتين، أبو هلال العسكري (ص٢٦٦).

(٢) انظر: التقابل الجمالي في النص القرآني، د. حسين جمعة (ص ٩، ٢٥٣).

علمت أن الدنيا بكل ما فيها من زينة معرضةٌ للذهاب والاضمحلال، وأن هذا الزوال يأتي فجأة في أي لحظة.

فالمقابلة بين الليل والنهار هنا تفيد المفاجأة، وأن الزمان بليله ونهاره يمكن أن ينزل فيه أمر الله وقضاؤه (1).

وإذا سمعت قوله جلَّ شأنه وتقدس: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠﴾ [سورة الشورى: ٤٠].

لفت انتباهك وصف السيئة والمعاقبة عليها بنفس اللفظ، فسمى جزاء السيئة سيئة، وإن كانت مباحة، للدلالة على أنه ينبغي الترفع عنها، وأن العفو أفضل من العقوبة، ولذلك قال بعدها: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (2).

٢. توضيح المعنى أو توكيده.

أثر المقابلة لا يقتصر على اللفظ، بل إن لها دورًا جوهريًّا في المعنى، فليست لمجرد الحلية والزينة (3).

والمقابلة تربط بين المعاني، وتجعلها كالسلسلة تكاملًا وتناسقًا، فقد توجد بينها توسيعًا أو تفريعًا، أو توكيدًا أو تقسيمًا أو تفسيرًا، إلى غير ذلك من العلاقات بين المعاني التي يتضمنها النص (4).

---

(١) انظر: التقابل الدلالي في القرآن الكريم، منال صلاح الدين (ص ٥٢).

(٢) انظر: من بلاغة القرآن، أحمد البدوي (ص ١٤٢).

(٣) انظر: أسلوب المقابلة في القرآن الكريم، كمال عبدالعزيز (ص ٦٣).

(٤) انظر: نظرية التأويل التقابلي، محمد بازي (ص ١٧٧).

بل إن المقابلة تزيد المعاني وضوحًا في الفكرة، ورسوخًا في النفس [(١)].

ويظهر ذلك جليًّا في المقابلة بين الأضداد، فإن الضِّد لا يتبيّن إلا بضده، فقد يذكر الضّد في باب ضِدّه؛ لأن معناه لا يتبيّن إلا به [(٢)].

وصدق المتنبي حين قال [(٣)]:

فَالوَجهُ مِثْلُ الصُّبْح مِبْيَضٌ والفَرعُ مِثْلُ الْلَيْل مُسْوَدُّ
ضِدّانِ لمِا اسْتُجْمِعا حَسُنًا وَالضِدُّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِدُّ

ويظهر ذلك جليًّا عندما يكون الغرض من المقابلة إظهار الفرق بين المتقابلين، فإظهار الفرق يعزز الفكرة، ويقوي الحجة.

فإذا تفكّرت في قوله جَلَّتْ قدرته: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة فاطر: ١٩-٢٣].

وجدت أن الله عز وجل وضَّح الفرق بين الإيمان والكفر من خلال تشبيه كل منهما بما يناسبه.

فشبّه الإيمان بالنور والظلّ، وشبّه المؤمن بالحي والبصير، وشبّه الكفر بالظلمات والحرور، والكافر بالميت والأعمى.

---

(١) انظر: من بلاغة القرآن، أحمد البدوي (ص ١٤٣).

(٢) انظر: المخصص، ابن سيده (٤/ ٢٤٩).

(٣) انظر: شرح ديوان المتنبي، أبو البقاء العكبري (١/ ٢٢)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن الجرجاني (ص ٢٢).

والغرض من هذه المقابلة والتشبيه تفظيع حال الكافر، وإظهار حسن حال ضده (المؤمن) (١).

فأنت تراه يعقد الموازنة بين هذين الضدين؛ لِيُبَيِّنَ عدم استوائهما.

وقد كان المشركون يعبدون أحجارًا يصنعونها، أو مخلوقات لله تعالى خَلَقَها، ويعتقدون أن لها تأثيرًا في الإيجاد، أو في منع الشر، أو في جلب الخير، فحجّهم الله عز وجل بقوله تبارك وتعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة النحل: ١٧].

فقابل بين المعبود بحقٍّ وهو الله سبحانه وتعالى الذي من صفته الخلق، وبين الآلهة من الأحجار التي يصنعونها بأيديهم ثم يعبدونها، وهي لم تخلق شيئًا.

فالخالق يحتاج إليه كل ما في الوجود، والمصنوع بأيدي العباد لا ينفع ولا يضر، فالله وحده هو الإله الحق الذي لا يعبد سواه؛ لأنه لا يحتاج لأحد ويحتاج إليه كل أحد (٢).

وقد استعمل إبراهيم عليه السلام هذه الحجة في حواره مع قومه فقال لهم: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٦-٦٧].

فالمعبود لابد أن يكون نافعًا أو ضارًّا، يُعبد رجاء نفعه أو اتقاء ضرره، وهذه

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٢/ ٢٩٢).

(٢) انظر: المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة (ص ٢٥٧).

الآلهة ليس فيها شيءٌ من ذلك، فكيف تعبدونها؟(١).

وكيف يصحّ لعاقلٍ عَلِم حال هذه الأصنام، وعَجْزَها وخلوها من كل قوة، ثم يعود إليها خاضعًا ذليلًا، يتخاضع بين يديها، ويعفّر وجهه بالسجود تحت أقدامها؟ (٢).

وقد يكتفي القرآن بالمقابلة، ويدع المفاضلة إلى القارئ والسامع، وذلك لوضوحها وجلائها (٣)، ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [سورة يوسف: ٣٩]، وقوله جل وعلا: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف: ٣٩]، وقوله سبحانه: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة: ١٤٠]، قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الملك: ٢٢].

وقد استعمل القرآن الكريم المقابلة في الاستدلال على القضايا وتقريرها، ومن أمثلة ذلك: البعث، فقد استعمل القرآن الكريم المقابلة لبيان إمكانية البعث ووقوعه.

فقابل بين البعث والخلق؛ لِيُدَلِّل على أن البعث نظير الخَلْق، فإذا قَدَرَ عز وجل على الخلق، فهو قادرٌ على البعث، قال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الروم: ٢٧].

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (١٠/ ٥٣٦٦).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (٩/ ٩١٧).

(٣) انظر: القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، السعدي (ص ١٣٥).

وقابل بين خلق السماوات والأرض والبعث؛ ليستدل بخلق السماوات والأرض ـ الذي هو أعظم من خلق الناس ـ على قدرته جلَّ وعلا على البعث، فإذا كان الله عز وجل خلق السماوات والأرض بدون إعياء ولا تعب، فكيف يعجز عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم. قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحقاف: ٣٣].

ومن آثار المقابلة على المعنى: إزالة اللبس ورفع الإشكال الذي قد يتوهم لو لم ترد المقابلة.

فإذا قرأ أحدهم قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾﴾ [سورة الزلزلة: ٧].

ثم سكت، فقد يتوهم متوهمٌ أن المجازاة على العمل اليسير تختص بأعمال الخير، وأن أعمال الشر حكمها مختلف.

فأتبعها الله عز وجل بقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزلزلة: ٨]، نفيًا للفرق بين أعمال الخير وأعمال الشر.

فالعمل مهما كان صغيرًا لا يكاد يُرَى، فإنه يُرَى أَثَرُه وجزاؤه يوم القيامة، سواء كان خيرًا أو شرًّا؛ تحقيقًا للعدل، وإقامةً للقسط.

فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير، يرى ثوابه في الآخرة، ومن عمل في

الدنيا وزن ذرة من شرٍّ يرى جزاءه في الآخرة(١).

ومثل ذلك قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [سورة لقمان: ٣٣].

فلو وقف الكلام عند قوله: ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ لتوهم متوهمٌ أن نفي الإجزاء والنفع يوم القيامة خاصٌ بالوالد عن ولده، وأن الولد يمكن أن ينفع أباه، فأتبعه بقوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾؛ لقطع هذا التوهم، وبيان أن النفي شاملٌ للطرفين.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٤]، إزالة لأي توهم قد يَرِد في التفريق بين الإبداء والإخفاء في علم الله عز وجل.

ومن آثار المقابلة: بيان المعنى المراد.

فإذا قرأت قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة النساء: ٣١].

وجدته قابل بين الكبائر والسيئات، وتدل المقابلة بينهما على أن المراد بالسيئات هنا الصغائر(٢).

فالسيئات التي تُكَفَّرُ باجتناب الكبائر: هي صغائر الذنوب، التي لا يسلم

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٤/ ٥٤٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥/ ٢٦).

منها أحد، وتقع من أهل الصلاح وأهل الفسق، مثل النظرة واللمسة والقبلة، وأمثال ذلك [1].

فغدت المقابلة دليلًا لإثبات الدعوى أو نقضها، وأداة لإزالة اللبس، وفهم المعنى.

٣. استثارة المشاعر، وتحريك العواطف.

أسلوب المقابلة ينقلك من البلاغة اللفظية إلى الانفعال الوجداني، ويحرك عاطفتك [2]، ولذلك أكثر القرآن الكريم من استعماله عند الحديث عن مشاهد يوم القيامة، والوعد والوعيد.

فالوقوف على آيات الوعد، ومشاهد النعيم يوم القيامة، يثير في النفس الأمل، ويحثها على العمل، ويزيد من رجائها فيما عند الله.

والوقوف على آيات الوعيد، ومشاهد العذاب يوم القيامة، يحرك في النفس بواعث الخوف، ويردعها من ارتكاب ما قد يوصلها إلى هذا العذاب الأليم، ويوقظها من سبات الشهوات والملذات.

فعنئذٍ يستقيم حال الإنسان بالرجاء والخوف، والرغبة والرهبة.

فبعد أن ذكر الله عز وجل أحكام الميراث، ونصيب كل قريب من مال الميت، أردف ذلك بقوله عز وجل: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

---

(١) انظر: البسيط، الواحدي (٦/ ٤٧٤).

(٢) انظر: التقابل الجمالي، د. حسين جمعة (ص ٢٥٣).

يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النساء: ١٣-١٤].

فأخبر أن المواريث حدود الله التي يجب الوقوف معها، وعدم مجاوزتها ولا القصور عنها (١).

ثم قابل سبحانه بين فريقين:

الأول: المطيعون:

الذين يخشون الله عز وجل ويخافونه، ويحملهم ذلك على الالتزام بحدود الله، فكان جزاؤهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وذلك هو الفوز العظيم، الذي لا يقاس إليه شيء مما يَعُدُّه أهل الدنيا فوزًا.

الثاني: العاصون:

الذين لا يخشون الله، ولا يخافون عقابه، فلا يمتثلون أوامره، ولا يعملون بما يدعوهم الله ورسوله إليه، فكان جزاؤهم نارٌ أُعِدَت للكافرين، خالدين في عذابها وهوانها، وأي خزي أعظم من هذا الخزي (٢).

والقرآن الكريم مليء بذكر الآخرة ومشاهدها وأحداثها، وفي كثيرٍ من هذه

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ١٧٠).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (٢/ ٧١٥).

المشاهد يقابل سبحانه بين حال المطيعين المؤمنين وحال العاصين الكافرين.

ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الحاقة: ١٨-٣٢].

ففي موقف العرض وتطاير الصحف، أخبر أن الناس على فئتين:

الأولى: تأخذ كتابها بيمينها، ويكون جزاءها النعيم المقيم في الجنة.

والثانية: تأخذ كتابها بشمالها، ويكون جزاءها العذاب الأبدي في النار.

ونتج عن ذلك انقسام الناس إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

وفي سورة الواقعة: قال الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الواقعة: ٧-١٠].

فقسّمت الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف:

١ . **أصحاب الميمنة**: الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة.

٢ . **أصحاب المشأمة**: الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار.

٣ . **السابقون** : الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله (١) .

فاليمين تُفيد العناية والإكرام، والشمال تُشعر بالشؤم وسوء الحال .

وذكر حال الفريقين بإجمال، ومكتفيًا بما يشعر به لفظي : الميمنة والمشأمة، مستعملًا صيغة التعجب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة، لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن من الخير والشر (٢) .

والمقصود تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة؛ كأنه قيل : فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال، وأصحاب المشئمة في نهاية سوء الحال (٣) .

ومن أساليب التأثير في النفس أيضًا : المقابلة بين ضدّين؛ أحدهما حسن والآخر قبيح، فإن ذلك يؤثر في النفس تأثيرًا بليغًا، يجعل النفس تميل إلى الحسن بطبعها، وتنفر من القبيح بفطرتها .

ومن أمثلة ذلك قوله عز وجل : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٦] .

فبيّن سبحانه وتعالى سوء عاقبة الربا في الدنيا بعد أن بيّن عاقبته في الآخرة، وبيّن عاقبة الصدقة في الدنيا أيضًا، فهذا وعد ووعيد دنيويان .

ففي الآية تنفيرٌ للنفس عن الربا، بالإعلام أن الله عز وجل يتلف ما يحصل

---

(١) انظر : جامع البيان، الطبري (٢٣/ ٩٥) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٧/ ٢٨٦) .

(٣) انظر : روح المعاني، الألوسي (١٤/ ١٣١) .

منه في الدنيا، وترغيبٌ للنفس بالصدقات، بالإعلام أن الله عز وجل يضاعف ثوابها في الدنيا.

والمقابلة هنا تشعر بحذف مقابلين آخرين، والمعنى: يمحق الله الربا ويعاقب عليه، ويربي الصدقات ويبارك لصاحبها [1].

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة إبراهيم: ٢٤-٢٧].

تشبيهٌ للإيمان في رسوخه وثباته في قلب المؤمن علمًا واعتقادًا؛ بالشجرة الطيبة في ثباتها.

وتشبيهٌ لفروع الإيمان من العمل الصالح والكلم الطيب، والأخلاق الحميدة، في صعودها إلى السماء، بفروع الشجرة الطيبة العالية، التي تحلق عاليًا في السماء.

وتشبيهٌ لثمرة الإيمان التي يجنيها المؤمن في الدنيا والآخرة، بثمرة الشجرة الطيبة [2].

وشَبَّهَ كلمة الكفر في خوائها وضعفها؛ بالشجرة الخبيثة التي اقتلعت من

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣/ ٩١).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٤٢٥).

فوق الأرض، ليس لها أصل. فكذلك الكفر، ليس له أصل ولا حجة [1].

وكلمة الكفر ثمرتها: اضطراب في الاعتقاد، وضيق في الصدر، وكدر في التفكير، وضر متعاقب.

وهي ضِدّ الكلمة الطيبة (كلمة الإيمان) في جميع صفاتها [2].

فشتان بين الطيب والخبيث، وأنى يستويان.

٤. اختزال المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة.

من خصائص الأسلوب القرآني: قلة اللفظ مع وفاء المعنى واتساعه.

وهذا أمرٌ ظاهر في المقابلات القرآنية، فقد يكون الغَرَضُ من المقابلة بيان استواء الضدين في الحكم، فيعم الحكم الضدين وما بينهما من صور ومراحل.

مثال ذلك قوله عز وجل: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة طه: ٥٥].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٥].

فقد رسمت هذه الآيات علاقة الإنسان بالأرض، وبينت مدى ارتباطه بها حيًّا وميتًا، فهي أصل خِلْقته، ومأواه ومسكنه زمن حياته، وهي مدفنه ومعاده حين موته، ومنها يكون بعثه.

---

(١) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٤٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٣/ ٢٢٤).

فالإنسان ابنٌ لهذه الأرض، فعناصر جسمه كلها من عناصرها، ويطعم من زرعها، ويرتوي من مائها، ويتنفس من هوائها، فإذا مات احتضنته في جوفها، واختلط رفاته بترابها، وذاب فيها كما يذوب الملح في الماء.

وأشارت الآيات إلى تعاقب بني آدم عليها، فالأحياء يموتون ويخلفهم أحياء من بعدهم، وهكذا إلى قيام الساعة، فيموتون جميعًا، ثم يخرجون من قبورهم، فيجازى المحسن بإحسانه، ويؤخذ المسيء بإساءته.

وقد حوت هتان الآيتان هذه المعاني الكثيرة، في ألفاظٍ وجيزة.

ومن أمثلة ذلك أيضًا: ما أخبر الله عز وجل عن نوح عليه السلام أنه قال: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [سورة نوح: ٥-٦].

فنوح عليه السلام يشكي إلى ربه حاله مع قومه، وأنه كان مجتهدًا في دعوتهم، من غير فتور، مستثمرًا جميع الأوقات [١].

فقد بذل عليه السلام وقته للدعوة، فكانت شغله الشاغل، يُنَوِّعُ في الأوقات والأساليب، ويستثمر أي وقت يتوسم أنهم فيه أقرب إلى فهم دعوته، سواءً كان في الليل أو النهار، لكنهم قابلوا ذلك بالإعراض والفرار [٢].

فذكر الليل والنهار للدلالة على استمرار دعوته، وتنوع أوقاتها، وأنه لا يفتر عنها.

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ٦١٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ١٩٤).

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٢].

يفيد أن الليل والنهار كلاهما زمنٌ محتمل لنزول العذاب، فأمر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول لمستعجلي العذاب: من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نمتم، وبالنهار إذا انشغلتم بمعاشكم، من أمر الرحمن إن نزل بكم، ومن عذابه إن حلّ بكم (١).

وإنما ذكر الليل والنهار معًا؛ لأن لكل واحد من الوقتين آفات تختص به، فذكرهما معًا يفيد تعميم المصائب وتنوعها (٢).

وفي قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة القصص: ٧١-٧٣].

قابل الليل بالضياء، والنهار بسكون الليل، وفي ذلك تصريحٌ وإضمار.

فعندما قابل الليل بالضياء: صرّح بضياء النهار، وأضمر ظلمة الليل.

وعندما قابل النهار بسكون الليل: صرح بسكون الليل، وأضمر حركة النهار وضجيجه.

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٨/ ٤٤٦).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٢/ ١٤٧).

وهذا من بديع نظم القرآن وجماله.

وقد تكون المقابلة بين ألفاظ ليست متضادة، فيتضمن اللفظ معانٍ أخرى يدل عليها التضاد.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٧].

فقابل الضُّرَّ (الذي هو صورة من صور الشرّ) بالخير (وهو يشمل النفع)، وفي ذلك إشارة إلى أن المراد من الضر ما هو أعم، فكأنه قيل: إن يمسسك بضر وشر، وإن يمسسك بنفع وخير [(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة النحل: ٧٨].

قابلت الآية الكريمة بين حال الطفل حين الولادة، وأنه لا يعلم شيئًا، وبين جعل الله في الطفل آلات الإدراك وأصول التفكر.

فالله سبحانه وتعالى أوجد فيه أدوات الإدراك: السمع والبصر والعقل، حتى يصل بها إلى علم أشياء كثيرة، ودلَّ على ذلك مقابلة هذه الحواس بنفي العلم، وكأنه قيل: والله خلقهم لا تعلمون شيئًا، فعلَّمكم أشياء كثيرة تدرك بالسمع والبصر والعقل [(٢)].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٧/ ١٦٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٤/ ٢٣٢).

وقال الله عز وجل عن ثمود: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [سورة فصلت: ١٧].

فقابل في هذه الآية بين العمى والهدى، ولم يقابل بين الضلال والهدى؛ للدلالة على أن الضلال في حقيقته عمى، فإن الضال يعمى عن رؤية الحق، ولا يدركه بحواسه (١)، كما قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩].

فعلم مما سبق أن فوائد المقابلة لا تقتصر على جمال اللفظ، وحسن الأسلوب، وإنما تؤثر في المعنى تأثيرًا عميقًا، وتزيده قوة وبهاء.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٣١١٨).

الفصل الأول
المقابلة بين الأضداد المعنوية

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : المقابلة بين الهدى والضلال .

المبحث الثاني : المقابلة بين الحق والباطل .

المبحث الثالث : المقابلة بين الصدق والكذب .

المبحث الرابع : المقابلة بين الحلِّ والحرمة .

المبحث الخامس : المقابلة بين الخير والشر .

المبحث السادس : المقابلة بين النفع والضرّ .

المبحث السابع : المقابلة بين النعمة والمصيبة .

المبحث الثامن : المقابلة بين الإصلاح والإفساد .

المبحث التاسع : المقابلة بين السر والعلن .

❁ ❁ ❁

الفصل الأول
المقابلة بين الأضداد المعنوية

تنقسم الأشياء ـ والتي من جملتها الأضداد ـ إلى أمورٍ تدرك بالعقل، وأخرى بالحواس؛ فالتي تدرك بالعقل تسمى (معنوية)، والتي تدرك بالحواس تسمى (حسية).

والقرآن الكريم ذكر النوعين جميعًا، ففيه أضداد معنوية، وأضداد حسية.

وحيث إن هذا البحث معني بدراسة المقابلة بين الأضداد سواء المعنوية أو الحسية، فقد تم تقسيمه إلى فصلين:

الأول: المقابلة بين الأضداد المعنوية.

والثاني: المقابلة بين الأضداد الحسية.

وقبل الشروع في تناول المقابلة بين الأضداد المعنوية، يجدر بنا تعريف مصطلح (المعنوي).

فأصل مادة (ع ن ي) تدل على ثلاث معانٍ رئيسة [1]:

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ١٤٦).

الأول: قصد الشيء.

الثاني: خضوع وذل.

الثالث: ظهور الشيء وبروزه.

يقال: عَنَوْتُ الشيء، أي: أخرجته وأظهرته. وعَنَيْتُ بالقول كذا، إذا أردت وقصدت (١).

وعَنَيْتُ فُلانًا عَنْيًا، إذا قصدته (٢).

والمعنى: إظهار ما تضمنه اللفظ (٣).

وقيل: المعنى: القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بُحث عنه. فتقول: هذا معنى الكلام ومعنى الشعر، أي: الذي يبرز من مكنون ما تضمنه اللفظ (٤).

ومعنى الكلام ومَعْناتُهُ واحد، تقول: عرفتُ ذلك في مَعنَى كلامه وفي مَعْناةِ كلامه، وفي مَعْنِيِّ كلامه، أي: فحواه (٥).

فالمعنى: يطلق على الصُّور الذهنية من حيث إنها تُقْصد من اللَّفْظ (٦).

فالمعاني: الصور الذهنية الحاصلة في العقل (٧).

---

(١) انظر: الصحاح، الجوهري (٦/ ٢٤٤٠).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٣/ ٣١٤).

(٣) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٥٩١).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ١٤٨).

(٥) انظر: الصحاح، الجوهري (٦/ ٢٤٤٠).

(٦) انظر: الكليات، الكفوي (ص ٨٤١).

(٧) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص ٣٠٩).

ويطلق المعنى أيضًا على أمرين [1]:

الأول: ما يقابل اللَّفْظ، سواء كان عينًا، أو عَرَضًا.

والثاني: ما يقابل العين القائمة بنفسها، فهو القائم بغيره.

والمَعْنَوِيّ: معنى يعرف بالقلب [2].

وقيل: خلاف المادي [3].

وهو منسوب إلى مَعْنًى ما يتّصل بالذّهن والتّفكير؛ كفكرة الحقّ والواجب.

ومنه أطلقت (الرُّوح المعنويَّة) على الحالة النفسيَّة التي تؤثِّر في نوعيَّة الأداء الذي يتمُّ عن طريق جهد [4].

وقد أكثر القرآن الكريم من المقابلة بين المعاني المتضادة، بل هي أكثر من أن تحصر.

ولما كانت المعاني المتقابلة كثيرة جدًّا، وقع الاختيار على تسع نماذج لدراستها في هذا الفصل، وهي: الهدى والضلال، والحق والباطل، والصدق والكذب، والحل والحرمة، والخير والشر، والنفع والضر، والنعمة والمصيبة، والإصلاح والإفساد، والسر والعلن.

۞ ۞ ۞

---

(١) انظر: الكليات، الكفوي (ص ٨٤٢).

(٢) انظر: التعريفات، الجرجاني (ص ٢٢٠).

(٣) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ورفاقه (٢/ ٦٣٣).

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار (٢/ ١٥٦٧).

المبحث الأول
المقابلة بين الهدى والضلال

الهدى والضلال من الأضداد العقدية التي أكثر القرآن الكريم من المقابلة بينهما.

فأما الهدى: فأصل مادة (هـ د ي) تدل على معنيين رئيسيين:

الأول: التقدم للإرشاد، فالهادي هو الذي يتقدم لإرشاد من خلفه.

الثاني: ما أُعْطِي على سبيل التطلف والمودة، ومنه الهَدِيَّة، والهَدْي [1].

والمعنى الأول هو المراد هنا.

والهُدَى: الرشاد والدلالة [2]، وهو ضدّ الضلالة، يقال: هداه الله هُدًى وهَدْيًا وهِدايةً [3].

وقيل: الهُدَى: إخراج شيءٍ إلى شيء [4].

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٦/ ٤٢-٤٣).

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري (٦/ ٢٥٣٣).

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٤/ ٣٧٠).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٦/ ٢٠١- ٢٠٢).

والهادي من كل شيء أوله، ولذلك سمي الدليل هاديًا لتقدمه[1].

والهُدَى والهِدَايَةُ في أصل اللّغة واحد، لكن الله عز وجل خصّ لفظ (الهُدى) في القرآن بما تولاه وأعطاه، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [سورة الأنعام: ٧١]. وجعل لفظ (الاهتداء) يختصّ بما يتحرّاه الإنسان عن طريق الاختيار، نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [سورة الأنعام: ٩٧]، وذلك على سبيل طلب الهداية، وجمع بين الأمرين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٧][2].

وأطلق القرآن الكريم (الهداية) على أربع معانٍ:

الأول: الهداية العامّة لكل مخلوقاته، بما وهبهم من العقل والتدبير، وتصريف أمورهم، وهي المعنية في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [سورة طه: ٥٠].

الثاني: الهداية بمعنى بيان الحق للناس، ودعوتهم إليه، وهي المقصود بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الشورى: ٥٢- ٥٣].

الثالث: التوفيق للهداية، وإدخال الهدى إلى القلوب، وهذه الهداية اختصها الله لنفسه، وهي المقصود في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن

---

(١) انظر: العين، الفراهيدي (٤/ ٧٨).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص ٨٣٦).

يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [سورة القصص: ٥٦].

الرابع: الهداية إلى الجنة في الآخرة، وهي المقصود في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [سورة الأعراف: ٤٣] (١).

وكلّ هداية ذكر الله عزّ وجلّ أنه منع الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة، وهي التّوفيق الذي يختصّ به المهتدون (٢).

والهداية لها طرفان: الهادي والمهتدي، فمتى بذل الهادي إرشاده ونصحه، وقَبِلَ المهتدي ذلك، حصلت الهداية بإذن الله، وإذا لم يقبل لم تحصل الهداية.

وأما الضلال: فأصل مادة (ض ل ل) تدلّ على ضياع الشيء وذهابه في غير حقّه (٣).

تقول: ضَلَلْتُ مكاني، إذا لم تهتَدِ له (٤).

والضلال: العدول عن الطريق المستقيم، وكل مائلٍ عن القصد فهو ضالّ (٥).

---

(١) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٨٣٥- ٨٣٦)، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (١/ ١٠١- ١٠٣).

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٨٣٦).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٣٥٦).

(٤) انظر: العين، الفراهيدي (٧/ ٨).

(٥) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٥٠٩).

ويقال: رجلٌ ضِلِّيل ومُضَلِّل، إذا كان صاحب ضلال وباطل (١).

ويقال: ضَلّ يَضِلّ ويَضَلّ ضَلَالًا وضَلالةً (٢).

والضَّلَالُ والضَّلَالَة: ضِدُّ الرشاد (٣).

والإِضْلَال في كلام العرب: ضِدُّ الهداية والإرشاد. يقال: أَضْلَلْتُ فلانًا، إذا وجهته للضلال عن الطريق (٤).

فالضَّلَالُ: ترك الطريق المستقيم، عمدًا أو سهوًا، قليلاً أو كثيرًا، وهذا الترك والبعد عن الطريق المستقيم هو المعتبر في مفهوم الضلال (٥).

وقد بلغ عدد المقابلات بين الهدى والضلال أكثر من خمسين مقابلة.

وجاءت المقابلة بينهما في ثلاث صور:

الأولى: المقابلة بين لفظي الهدى والضلال بصيغهما المختلفة.

نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٣٥٦).

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٨/ ١٥٣).

(٣) انظر: الصحاح، الجوهري (٥/ ١٧٤٨).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١١/ ٣١٩).

(٥) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٥١٠)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (١/ ١٩١).

وقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الزمر: ٢٣].

فقوله: ﴿مَنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ يقابله ﴿مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾.

وقوله: ﴿يَهۡدِي﴾ يقابله ﴿يُضۡلِلِ﴾.

الثانية: المقابلة بين الهدى وبعض صور الضلال.

فَيُذْكَر في هذه الصورة لفظ الهدى ويُقَابَلُ ببعض صور الضلال؛ كالكفر، والردة، والشرك، ونفي الإيمان.

نحو قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨٦].

وقال جل وعلا: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الأنعام: ٨٨].

فقوله: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ﴾ يُقَابِلُه ﴿كَفَرُواْ﴾.

وقوله: ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ يُقَابِلُه ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾.

الثالثة: المقابلة بين الضلال وبعض صور الهدى.

فيذكر في هذه الصورة لفظ الضلال ويقابل ببعض صور الهدى؛ نحو الحق.

نحو قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة يونس: ٣٢].

فقوله: ﴿ٱلضَّلَٰلُ﴾ يقابله ﴿ٱلۡحَقِّ﴾.

وعند تأمّل آيات المقابلة بين الهدى والضلال، نجدها إما أنها تتعلق بالاختلاف بينهما، أو تشير إلى محل اتفاقٍ بينهما، أو توضح علاقة أخرى بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف الهدى والضلال.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه الهدى والضلال.

المطلب الثالث: علاقات أخرى بين الهدى والضلال.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف الهدى والضلال

أشارت آيات الهدى والضلال إلى جوانبٍ تتعلق باختلاف الهدى والضلال، ومن تلك الجوانب:

١. انقسام الناس إلى مهتدين وضالين.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[سورة النحل: ٣٦].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[سورة الأعراف: ٢٩- ٣٠].

أخبر أن الناس فريقان:

- فريق هداه الله، ووفقهم لصالح الأعمال، فهم مهتدون.
- وفريق حقّ عليهم الضلالة عن الهدى والرشاد، باتخاذهم الشيطان من

دون الله وليًّا [(١)].

والله جلّت قدرته خَلَق عباده وجعل فيهم استعدادًا للهدى والضلال، ثم أرسل لهم رسلاً تبيّن لهم سبل الهداية، وتحذرهم من سبل الضلالة، ثم جعل لهم القدرة على الاختيار، في سلوك طريق الهداية، أو ولوج طريق الضلالة، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [سورة الكهف: ٢٩]. ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٣].

فالمعوّل عليه في الثواب والعقاب هو المشيئة والاختيار، ولا يحاسب العبد إلا على ما اختاره بمحض إرادته ومشيئته، لذلك كانت وظيفة الرسل هي البلاغ، ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [سورة النحل: ٣٥] [(٢)].

وتدل آية سورة الأعراف أن الهداية لا يكفي فيها حسن النية، إذا لم يسلك مبتغيها طريق الهداية، فقال سبحانه: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾. فلا فرق بين الكافر الذي يظنّ أنه على الحق، وبين الجاحد والمعاند الذي يعلم أنه على باطل [(٣)].

٢. اختلاف أسباب الهداية وأسباب الضلالة.

تناولت آيات المقابلة بين الهدى والضلال شيئًا من أسباب الهدى، وأسباب

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٢/ ٣٨٧).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٥/ ١١٢).

(٣) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٣/ ٢٢٥).

الضلال، وغايرت بينها.

فمن أسباب الهدى التي أشارت إليها:

- **الوحي.**

قال الله سبحانه وتعالى آمرًا نبيّه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سورة سبأ: ٥٠].

فالله عز وجل يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقرّ بأن ضرر ضلاله عائدٌ إليه، وأن هدايته بسبب الوحي الذي ينزل عليه.

فقابل هنا بين مآل الضلالة ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾، وسبب الهداية ﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾، ولم يقابل بين سببٍ وسبب، ولا مآلٍ ومآل.

ولمعرفة سرّ هذه المقابلة علينا أن نتأمل السياق الذي جاءت فيه هذه الآية.

يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة سبأ: ٤٩- ٥٤].

فنجد أن الآيتين اللتين قبلها تحدثت عن قوة الحق (الذي هو الوحي في قول

أكثر المفسرين) [1] وأثره في إزهاق الباطل. وجاءت الآيات التي تليها في الحديث عن عاقبة الضالين ومصيرهم.

فالقضية الأساسية في الضلالة هو عاقبتها ومآلها، وإن اختلفت أسبابها وأشكالها. والقضية الأساسية في الهداية أن سببها الوحي، فمن دون الوحي لن يهتدي الإنسان. فذلك جرت بينهما المقابلة.

وقد تنبه الزمخشري [2] لهذا الاختلاف في طرفي المقابلة فقال: «فإن قلت: أين التقابل بين قوله: ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ﴾ وقوله: ﴿فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ﴾، وإنما كان يستقيم أن يقال: (فإنما أضل على نفسي، وإن اهتديت فإنما أهتدى لها)، كقوله تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [سورة فصلت: ٤٦]، ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ﴾ [سورة الزمر: ٤١]. أو يقال: فإنما أضل بنفسي.

قلت: هما متقابلان من جهة المعنى؛ لأن النفس كل ما عليها فهو بها، أعني: أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها؛ لأنها الأمارة بالسوء،

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٠/ ٤٢٠)، الهداية، مكي بن أبي طالب (٩/ ٥٩٣٩)، معالم التنزيل، البغوي (٦/ ٤٠٦).

(٢) محمود بن محمد الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، مفسر، نحوي، لغوي، أديب، معتزلي، توفي سنة ٥٣٨هـ.

انظر: طبقات المفسرين، الداودي (٢/ ٣١٤)، طبقات المفسرين، السيوطي (ص ١٠٤).

وما لها مما ينفعها، فبهداية ربها وتوفيقه »[1].

فمحصَّل كلامه يعني: أن المقابلة هنا بين سببٍ وسبب؛ فقوله: ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ متضمنٌ للسبب من جهة المعنى، فما يقع على النفس من وبال فهو بسببها، فالمقابلة من حيث المعنى بين سبب الضلال وهو النفس، وسبب الهداية وهو الوحي.

وهذا فيه تكلفٌ؛ إذ ليس الغرض منه بيان سبب الضلال، وإنما الغرض بيان أن عاقبة الضلالة مقصورة على صاحبها، لا تتعداه، وما تقدّم من دلالة السياق مرجحٌ قويٌّ لذلك.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الزمر: ٢٣].

سمَّى الله في هذه الآية الكريمة القرآن ـ الذي هو وحي ـ هُدًى[2]، وأخبر أنه يُهتدى به، وقابل بين كونه سببًا للهداية ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾،

---

(١) الكشاف (٣/ ٥٩٢).

(٢) اختلف المفسرون في المشار إليه بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾، هل هو القرآن، أم ما نتج عنه من الخشية والقشعريرة. وعلى القول الثاني: فسمى ما نتج عن الوحي هدى؛ لأنه نتج عنه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢].

انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ١٢٤)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٥٢٨).

وبين عدم هداية من أضله الله ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

فالمقابلة هنا ـ والله أعلم ـ بين تأثير السبب (القرآن) وفاعليته في الهداية، وبين عدم حصول التأثر به، بقرينة قوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾.

ورغم أن الآية جاءت في سياق بيان عظيم أثر القرآن في القلوب، وقوة تأثيره فيها، وأنه سببٌ من أسباب الهداية، إلا أن حصول الهداية مُعَلَّقٌ بمشيئة الله عز وجل، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ يجعل قلبه قاسيًا مظلمًا بليد الفهم، منافيًا لقبول هذه الهداية [1].

وكما هو الشأن في آيات القرآن، كذلك آيات النبوة، وبراهين الرسالة، فبالرغم أنها سببٌ للهداية، إلا أن حصول أثرها ـ الذي هو الهداية ـ معلقٌ بإرادة الله عز وجل ومشيئته.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الرعد: ٢٧].

فقابل هنا بين سبب الضلال (مشيئة الله سبحانه) ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾، وبين سبب للهداية (الإنابة) ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.

فحصول ما يطالب به المشركون من نزول مَلك، أو إلقاء كنز، أو غيرها من دلائل النبوة، لا يلزم منه حصول إيمانهم وهدايتهم؛ إذ إن ضلالهم ليس ناتجًا عن

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٦/٤٤٨).

عدم حصول هذه الآيات، وإنما هو بمشيئة الله وإرادته [1].

ثم أشارت الآية إلى أن وجود الدافع الذاتي في النفس إلى الإنابة والتوبة، سببٌ للهداية، ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ فتاب من الكفر، وآب إلى الإيمان، فيوفقه للهداية.

ومن أسباب الضلال التي أشارت إليها آيات المقابلة بين الهدى والضلال:

- **اتباع الشيطان.**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأعراف: ٢٩-٣٠].

قابل الله عز وجل في هذه الآية بين فريقين: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾.

ثم أتبع ذلك بذكر أن سبب ضلال من ضلّ هو اتخاذ الشياطين أولياء، ولم تَزَلْ بهم الشياطين حتى زيَّنت لهم الضلال حتى حسبوا أنهم مهتدون.

فهم إنما ضلُّوا عن سبيل الله وجارُوا عن قصد المحجة، باتخاذهم الشياطين أولياء من دون الله، جهلًا منهم بأن ما هم عليه خطأٌ، بل فعلوا ذلك وهم يظنون

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٦/ ٤٣١).

أنهم على هدى وحق، وأن الصواب ما فعلوه (1).

وثبوت الضلالة في حقّهم بثبوت أسبابها الكَسْبِيَّة ـ لا أنها جعلت غريزة لهم فكانوا مجبورين عليها ـ يدلّ على هذا تعليلها باتخاذ الشياطين أولياء، يطيعونهم في كل ما يزينون من الفواحش والمنكرات، وما يغيّرون من الحقائق (2).

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٥].

فيخبر الله تبارك وتعالى في هذه الآية أن المرتدين عن الهدى والإيمان، إلى الضلال والكفر ـ رغم وضوح الحجة، وظهور دلائل الهدى، الذي زهدوا فيه ورفضوه ـ إنما ارتدوا بسبب تزيين الشيطان، وتسويله لهم، وإملائه عليهم (3).

ومن أسباب الضلال التي أشارت إليها آيات المقابلة بين الهدى والضلال:

- **اتباع الهوى.**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة القصص: ٤٩ - ٥٠].

فقد قابل الله عز وجل في هاتين الآيتين الكريمتين بين اتباع الوحي ﴿فَأْتُوا۟

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٢/ ٣٨٨).

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٨/ ٣٣٥).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٧٨٩).

بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ ﴾، وبين اتباع الهوى الذي هو ضلال ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾.

فقد أخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم: إن لم يجبه أهل الكتاب، فيأتوه بكتابٍ أهدى من التوارة والإنجيل، فليعلم أنهم يتبعون أهواءهم، ويتركون الحق وهم يعلمون، وإذا كان الأمر كذلك فلا يوجد أبعد عن الهدى وطريق الرشد ممن اتبع هواه بغير بيان عنده من الله (١).

والضلال في الأصل سلوك الطريق الخطأ، وهو يتفاوت بحسب تفاوت بُعْدِه عن الطريق المستقيم، واتباعُ الهوى دون إعمال الأدلة والبراهين، أشدّ أنواع الضلال، وأكثرها مفارقةً لجنس الهدى (٢).

وقريبٌ منه قوله جل وعلا: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [سورة الروم: ٢٩].

فقد وردت هذه المقابلة في معرض الحديث عن ذم اتباع الهوى بغير علم، وأن صاحبه لا يهتدي إلا أن يشاء الله.

« والهوى لا ضابط له ولا مقياس، إنما هو شهوة النفس المتقلّبة، وَنَزْوَتُها المضطربة، ورغباتها ومخاوفها، وآمالها ومطامعها التي لا تستند إلى حق، ولا تقف عند حدّ، ولا تزن بميزان. وهو الضلال الذي لا يرجى معه هدى، والشرود

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٩/ ٥٩٢)، الهداية، لمكي بن أبي طالب (٨/ ٥٥٤٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٠/ ١٣٩).

الذي لا ترجى معه أوبة »[1].

٣. اختلاف عاقبة الهدى والضلال.

من أوجه الاختلاف التي أشارت إليها آيات المقابلة بين الهدى والضلال اختلاف العاقبة بين الهدى والضلال، والمهتدين والضالّين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَـٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [سورة مريم: ٧٥- ٧٦].

لمَّا تساءل الكفار عن أي الفريقين (المؤمنين أو الكافرين) أوسع عيشًا، وأفضل مسكنًا، وأحسن مجلسًا، وأكثر عددًا؟

أجابهم الله عز وجل بمقابلة بين عاقبة الفريقين، عاقبة الضُّلَّال (الكافرين)، وعاقبة المهتدين (المؤمنين).

وكانت المقابلة في أمرين:

الأول: أمرٌ مشترك بينهما؛ وهو الزيادة؛ فمن كان من الضالين زاده الله ضلالًا، ومن كان من المهتدين زاده الله هداية، ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا﴾، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٧٦٧).

الثاني: أمرٌ مختَلَفٌ فيه، وهو العاقبة؛ فعاقبة الضالين العذاب وسوء المكانة، وعاقبة المهتدين النعيم وحسن المكانة، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾، ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾.

وجاءت هذه المقابلة في سورة مريم في معرض الرد على شبة الكافرين التي تقول: لو كنتم على الحقّ وكنَّا على الباطل، لكان حالكم فى الدنيا أحسن وأطيب من حالنا؛ لأن الحكيم لا يجدر به أن يوقع المخلصين من أوليائه في الذلّ والمهانة، وأعداءه في العزّ والراحة، لكنَّا نجد الأمر على العكس من هذا، فإنا نحن الذين يمتعون برفاهية العيش والرخاء والنعيم، وأنتم في ضنك وفقر وخوف وذل، فهذا دليلٌ على أنَّا على الحق وأنتم على الباطل (١).

فأجابهم عن هذه الشبهة: بأن من كان في الضلالة، ورضيها لنفسه، وسعى فيها، فإن الله يمدّه منها، ويزيده فيها حبًّا، عقوبة له على اختيارها على الهدى، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [سورة الصف: ٥]. فالجزاء من جنس العمل.

وذكر أنه يزيد المهتدين هدايةً من فضله عليهم ورحمته بهم، والهدى يشمل العلم النافع، والعمل الصالح، فكل من سلك طريقًا في العلم والإيمان والعمل الصالح زاده الله منه، وسهله عليه ويسره له، كما قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

---

(١) انظر: تفسير المراغي (١٦/ ٧٧).

إِيمَٰنًا ﴾ [سورة المدثر: ٣١] (١).

فإذا وقع ما يعدهم الله به من عذاب الضالين في الدنيا بأيدي المؤمنين، أو عذابهم الأكبر يوم الدين، فعندئذ سيعرفون: أي الفريقين شَرٌّ مكانًا، وأضعف جندًا. ويومئذ يفرح المؤمنون ويعتزّون (٢).

فسنّة الله أن من كان من الضالِّين، يمهله الله وينفّس له في حياته ليزداد في الإثم والغي، ثم يجمع له عذاب الدارين، ومن كان من المهتدين، يزيده الله هدايةً فوق هدايته، ويكتب له خير السعادتين.

والطاعات التي يبقى ثوابها لأهلها خيرٌ عند الله جزاءً، وخيرٌ عاقبة من مقامات هؤلاء المشركين بالله وأنديتهم التي يفخرون بها على أهل الإيمان في الدنيا.

ومعيار التفرقة بين النعمة الناشئة عن رضا الله تعالى على عبده، وبين النعمة التي هي استدراجٌ لمن كفر به، هو النظر إلى حال المُنْعَمِ عليه، هل هو من المهتدين أم من الضالين؟ قال تعالى في شأن الأولين: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل: ٩٧]. وقال في شأن الآخرين: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص ٤٩٩).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٣١٩).

نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة المؤمنون: ٥٥- ٥٦] (١).

وفي مثل هذا المعنى قابل الله سبحانه وتعالى بين عاقبة من اتبع الهدى وعاقبة من كفر وكذب، فقال سبحانه: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٣٨- ٣٩].

فعاقبة من اهتدى: سلامته من الخوف والحزن، وعاقبة من كفر وكذب: نار جهنم خالدًا فيها وبئس المصير.

ومن المقابلات التي قابل فيها القرآن بين جزاء المهتدين، وجزاء الضالين قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥].

وهذه الآية الكريمة التي تصوّر لنا مشهدًا مؤثرًا، يذهب معه الخيال بعيدًا، يتخيل القارئ لها صورتين متقابلتين:

الأولى: صورة شخص واسع الصدر، مرتاح البال، وهو المهتدي.

الثانية: صورة شخص آخر يرتفع في السماء، وكلما زاد ارتفاعه ضاق عليه نفسه، مع قلّة الأكسجين، فهو يكاد أن يختنق، ويضيق عليه صدره، ولا يزال يعلو ويصعد، وذلك هو الضالّ.

وهاتان الصورتان ـ وإن كان ظاهرهما أنهما تبيّنان حال المهتدي والضال ـ

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (١٦/ ١٥٥).

تبيِّنان جزاء المهتدي والضال؛ من اهتدى اطمئنَّ صدره وارتاح، ومن ضلّ ضاق صدره، ولم يهنأ بلذيذ العيش.

وسبب انشراح الصدر واتساعه: اهتداؤه بنور الإيمان، وامتلاؤه ببرد اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، واستجابت نفسه لداعي الإيمان.

وسبب ضيق الصدر وانكماشه: الانغماس في الضلالة، وامتلاء القلب بالشبهات والشهوات، حتى يضيق عن الإيمان واليقين، فلا يصل إليه خير، ولا ينشرح قلبه لفعل خير (١).

فالمقصود من المقابلة بين الهدى والضلال في سياق الاختلاف: بيان اختلافهما في السبب والنتيجة.

وقد أثمرت المقابلة بين الهدى والضلال في هذا السياق الفوائد الآتية:

- الهداية والضلال سُنَّةٌ من سُنَنِ الله في الكون التي أوجدها الله عزَّ وجلَّ في البشرية، على اختلاف الأمم والشعوب.
- لكلٍّ من الهداية والضلالة أسبابٌ، فمن سلك طريق الهداية هداه الله، ومن سلك طريق الضلالة أضلَّه الله، وإن كان حسن النية.
- الوحي سبب رئيسي في الهداية، فبدون الوحي ما كان لنا أن نهتدي إلا أن يشاء الله.
- تولي الشياطين واتباعهم من أعظم أسباب الضلالة، وسبل الغواية.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٢٧٢).

- أشدّ الضلالة ما يُتَوَهَّم معها الهداية، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الكهف: ١٠٣- ١٠٤].
- من أسباب الضلال: اتباع الهوى، وصاحبه لا يعود إلى الهدى إلا أن يشاء الله.
- متبع الهوى متقلب الرأي، ومتعدد المذاهب، لا تستقر له فكرة، ولا تغلبه حجة، ودواؤه الإيمان وإعمال العقل.
- اختلاف الحال بين المهتدين والضالين في الدنيا، ينتج عنه اختلافهم في المآل في الآخرة؛ فالمهتدون موعودون بالأمن والنعيم المقيم في الآخرة، والضالون متوعّدون بالعذاب والخزي والنكال.
- السعادة الحقيقة تكمن في الهداية، والاستنارة بنور الوحي، وإن صَاحَبَها ضيقٌ في العيش، وقلةٌ في المال، والشقاوة والتعاسة الحقيقية تكمن في الضلال والبُعْدِ عن سبيل الهدى، وإن صَاحَبَها سَعَةٌ في الرزق، والتمتع بالملاذ.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
ما يشترك فيه الهدى والضلال

أشارت آيات المقابلة بين الهدى والضلال إلى بعض القضايا التي يشترك فيها الهدى والضلال، منها:

١. الهدى والضلال متعلقان بمشيئة الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٥].

وقال تبارك وتقدس: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [سورة إبراهيم: ٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة النحل: ٩٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [سورة فاطر: ٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [سورة المدثر: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ٣٩].

ففي هذه الآيات قابل الله عز وجل بين الهدى والضلال في المشيئة، فعلَّق حصول الهدى والضلال بمشيئته سبحانه وتعالى. وأضاف ضلالهم وهدايتهم إليه سبحانه؛ إذ كلّ ما يحصل في الكون هو بمشيئته الكونية القدرية، التي يجعل لها أسبابًا منه جلّ ثناؤه [1].

ويُلْحَظ في هذه الآيات أمران:

الأول: إن الآيات جاءت في سياق الحديث عن الفتنة والاختبار ـ سواء بضرب المثل، أو إرسال الرسل، أو تزيين العمل، أو الإخبار بالمغيبات ـ إلا آية سورة النحل التي جاءت في سياق الحديث عن السنة الكونية في اختلاف الناس وعدم إيمانهم جميعًا.

وهذا يؤكد أن المراد بالمشيئة هنا: المشيئة القدرية الكونية؛ لأنها جاءت في سياق الحديث عن الفتنة والاختلاف، وهما سنتان كونيّتان قدريّتان.

الثاني: إن الآيات السِّتّ جميعًا قدّمت الضلالة على الهداية، وسبب التقديم

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٣/ ١٥١).

ـ والله أعلم ـ أنها أولى بالإثبات؛ لما قد يتوهم أن في إثبات مشيئة الله عز وجل للضلال نسبةُ الظلم والحيف في حق الله، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

وهذا الأمر هو الذي حصل فيه النزاع فيما بعد، فأنكرت القدرية نسبة مشيئة الضلال لله عز وجل، وهذه الآيات ردٌّ صريحٌ عليهم .

وفي نفس المعنى: دلّت آياتٌ أخرى على أن إرادة الله عز وجلّ للهداية أو الضلالة لا تَتَخَلَّف، ولا يمكن تغييرها.

فقال سبحانه: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: ٨٨].

وقال جلَّ وعلا: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [سورة الزمر: ٣٧].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة غافر: ٣٣].

وقد نفى الله عز وجل الهداية عن غيره سبحانه، وعلّقها بمشيئته جلَّ وعلا.

فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [سورة القصص: ٥٦].

فالله عز وجل يقوله لنبيه: إنك يا محمد لا تهدي من أحببت هدايته، ولكن الله يهدي من يشاء هدايته من خَلْقِه، فيُوَفِّقَهُ للإيمان. والله أعلم بمن سبق له في

علمه أنه يهتدي للرشاد [1].

والهداية المثبتة في حق النبي صلى الله عليه وسلم، غير الهداية المنفية عنه:

فأما الهداية المثبتة: فهي هداية الدعوة والبيان، وهذه تكون لمن يحبّه الله ومن لا يحب، وهي المقصودة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [سورة فصلت: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [سورة التغابن: ٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرعد: ٧].

فهذه هي هداية الدلالة والإرشاد بكلامه، وبعلمه، وأمره ونهيه، وترغيبه وترهيبه صلى الله عليه وسلم.

وأما الهداية المنفية عنه صلى الله عليه وسلم: فهي حصول الهدى في القلب، فهذا لا يقدر عليه أحدٌ؛ ولا يستطيع أن يهدي القلوب غير الله سبحانه وتعالى، ولكن العبد يقدر على اتباع أسباب الهداية، وهو المطلوب منه.

وقد نفى الله عز وجل هذه الهداية عن نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [سورة النحل: ٣٧]، وقوله عز وجل: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٢] [2].

فهذه ثلاث صورٍ مختلفة من البيان، كلها تُعَلِّق الهداية والضلالة بمشيئة الله عز وجل.

---

(١) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٨/ ٥٥٥٤).

(٢) انظر: الردّ على البكري، ابن تيمية (١/ ٤٣٥- ٤٣٧).

والأمر أمر الله، والحكم له سبحانه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، يضلّ من يشاء، ويهدي من يشاء، ولا هادي لمن أضلّ، ولا مضلّ لمن هدى، فالملك كله له، والحكم كله له، له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين (١).

٢. الأخبار والأحكام اختبار حقيقي للهدى والضلال.

مما يشترك فيه الهدى والضلال: أن ما أخبر به القرآن من قصص وأمورٍ غيبية، وما شرعه من أحكام، اختبار للناس، ليعلم المهتدي من الضال.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٦].

وقد بيّن الله عز وجل في هذه الآية أنه أراد بضرب هذا المثل أن يضلَّ به كثيرًا من الكافرين، وذلك أنَّهم يُنكرونه ويُكذِّبونه، ويهدي به كثيرًا من المؤمنين؛ لأنَّهم يعرفونه ويصدِّقونه (٢).

فمن حِكَم ضرب المثل أنه تمحيصٌ واختبارٌ للناس، فيتبيّن المهتدي من الضالّ.

ومِثْلُه ما حكاه الله عز وجل عن نبيه موسى عليه السلام أنه قال بعد حادثة الرجفة: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/ ٤٨١).

(٢) انظر: الوجيز، الواحدي (ص٩٦).

ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٥].

فموسى عليه السلام أخبر أن الفتنة التي وقع فيها قومه لم تكن إلا اختبارًا وابتلاءً، افْتُتِنَ بها قومٌ فضلّوا، وعصم الله آخرين فثبتوا على دينهم [١].

بل جعل الله جلَّ وعلا العلم فتنةً لبعض الناس، فأضلّه الله بعد حصوله على العلم، كما قال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الجاثية: ٢٣].

أي: على عِلْمٍ من هذا الضال بأنه يترك الحق ويعرض عنه [٢]، فهو لم ينتفع بعلمه، وخُتِمَ على سمعه وقلبه، فلا يبالي بالمواعظ، ولا يتفكّر في الآيات، وعَمِيَتْ بصيرته فلا يرى بعين الاستبصار [٣].

ولما أخبر الله تبارك وتعالى أن عدد الملائكة القائمين على النار تسعة عشر، أتبعه بقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [سورة المدثر: ٣١].

أي: إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختبارًا للناس:

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٣/ ٢٨٧).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٥/ ٨٦).

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (٥/ ١٠٨).

- فيتأكد أهل الكتاب أن هذا الرسول حقٌّ؛ فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله.
- ويزداد إيمان الذين آمنوا بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يدخلهم في ذلك ريبٌ ولا شكّ.
- وأما الذين في قلوبهم مرضٌ من المشركين والكافرين فيتساءلون تساؤل المُشَكِّك: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾؟

فكان الجواب: أن الحكمة من ذكر عدد أصحاب النار من الملائكة: التمحيص والاختبار؛ فيتأكد الإيمان في قلوب أقوام، فيكونون من المهتدين، ويتزلزل عند آخرين، فيكونون من الضالّين [1].

والمقصود من المقابلة بين الهدى والضلال في سياق الأمور المشتركة بينهما: بيان اشتراكهما في أن كلًّا منهما بمشيئة الله وإرادته، وأن الاختبار بالأخبار والأحكام سبب لهداية قوم، وضلال آخرين.

وقد أثمرت آيات المقابلة بين الهدى والضلال في هذا السياق الفوائد الآتية:

- الهداية والضلالة بمشيئة الله عز وجل الكونية القدرية، لا يمنعها مانع.
- من أسباب الهداية أو الضلالة الفتنة والاختبار، سواء بالإخبار عن المغيبات، أو تنزيل الشرائع والأحكام، فمنهم من يهديه الله فيؤمن ويمتثل لأمر الله، ومنهم من يضله الله فيكذّب ويتولى عن امتثال أوامر

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٢٧٠).

الله عز وجل.

- الفتنة والاختبار قد تكون سببًا لهداية العبد، وقد تكون سببًا لضلاله، والأمر في ذلك عائدٌ لمشيئة الله وإرادته، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [سورة فاطر: ٨].
- الخبر والطلب كلاهما محل فتنة، فربما قوبل الخبر بالتكذيب، وقوبل الطلب بالامتناع، فنتج عن ذلك الضلال والغواية.
- أحيانًا لا يكون الضلال ناتجًا عن جهل، بل يكون سببه اتباع الهوى بعد حصول العلم، فلا ينتفع به، فيضل عن سواء السبيل.

❁ ❁ ❁

المطلب الثالث
علاقات أخرى بين الهدى والضلال

أشارت آيات المقابلة بين الهدى والضلال إلى علاقات أخرى غير الاختلاف والاشتراك، ومنها:

١. استبدال الضلال بالهدى.

قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٥].

قابل الله عزَّ وجلَّ ﴿ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾ ﴿ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾، وصوَّر هذه المقابلة كأنها صفقة شراء خاسرة، كان المبيع فيها (الهدى)، والمُشْتَرَى فيها (الضلالة).

وجاءت الآية الأولى من هاتين الآيتين في سياق الحديث عن المنافقين، فقد وُصِف المنافقون بعدة صفات تبيّن كذبهم وخداعهم، ومن جملة تلك الصفات أنهم ﴿ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾.

فهؤلاء المنافقون الذين تقدمت صفاتهم هم الذين باعوا الهدى بالضلالة؛

لأنهم لمَّا مَالُوا إلى الضلالة وتركوا الهدى، كانوا بمنزلة من باع شيئًا بشيء، ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، فكل من ضَلَّ فهو مستبدلٌ خلاف الفطرة [1].

فإن قيل: كيف وصف المنافقون أنهم باعوا الإيمان، وهم لم يؤمنوا أصلاً؟

فالجواب: إن من المنافقين من آمن ثم كفر، كما قال سبحانه وتعالى في سورة المنافقين: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [سورة المنافقون: ٣].

فأثبت لهم إيمانًا أتبعوه بكفر، فكان عاقبتهم الطبع على القلوب.

وأما من لم يؤمن منهم أصلاً، فقد استحبَّ الكفر والضلالة على الإيمان والهداية، وحالهم كحال ثمود الذين قال الله فيهم: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [سورة فصلت: ١٧] [2].

ويمكن أن يقال: إن الناس وُلِدُوا على الفطرة، فمن كفر بالله، فقد خرج عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ويدل على ذلك الحديث القدسي: **((إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فَاجْتَالَتْهُمْ عن دينهم))** [3].

---

(١) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (١/ ١٦٨)، الكشاف، الزمخشري (١/ ٧٠).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ١٨٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٦٥)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

وجاءت الآية الثانية في سياق الحديث عن أهل الكتاب الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [سورة البقرة: ١٧٤ - ١٧٥].

وهذه الآية ـ وإن كان المقصود بها أولاً: أهل الكتاب ـ تعمُّ كلَّ من تنطبق عليه من أهل الملل، ممن يكتمون الحق الذي يعلمونه، والحامل لهم على ذلك حبّ الدنيا، وما يحصّلون منها مقابل الكتمان، وما عَلِمُوا أن الدنيا بكل ما فيها ثمنٌ قليلٌ حين تقاس إلى ما يخسرونه من رضى الله، ومن ثواب الآخرة (١).

وهذا الوصف هو سبب الحكم الذي تقرر عليهم، وهو أنهم اشتروا الضلالة بالهدى، أي: تركوا الهدى ـ الذي هو الإعلام بالحق المبين ـ وباعوه بثمن حقير في ذاته بالنسبة لمقابله، واشتروا الضلالة في مقابل الهداية، فكانوا من أخسر البائعين (٢).

وقد فعلوا ذلك الكتمان عن عمدٍ وعلمٍ بسوء عاقبته، فهم قد رضوا بالعذاب وإضاعة المغفرة، فكأنهم استبدلوا بالمغفرة العذاب (٣).

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (١/ ١٥٧).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (١/ ٥١٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢/ ١٢٥).

وكل كافر بالله مستبدلٌ بالإيمان كفرًا، باكتسابه الكفرَ الذي وُجد منه، بدلًا من الإيمان الذي أُمِرَ به، وقد قال سبحانه فيمن هذا شأن: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة البقرة: ١٠٨]. وذلك هو معنى الشراء؛ لأن كلّ مشترٍ شيئًا فإنما يستبدل مكان ما يدفعه شيئًا بديلًا عنه. فكذلك المنافقُ والكافر، استبدلا بالهدى الضلالةَ والنفاق، فأضلهما الله، وسلبهما نورَ الهدى، فترك جميعَهم في ظلمات لا يبصرون (١).

٢. الحيرة بين الهدى والضلال.

الحائر في مفترق طرق بين الهداية والضلالة، إن لم تشمله رحمة الله وهدايته، تَاهَ في مهاوي الردى، ودروب الضلالة.

قال الله جل وعلا في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وهو يرقب الشمس والقمر والكواكب: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧﴾ [سورة الأنعام: ٧٧].

فقابل في هذه الآية الكريمة بين عدم الهداية ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ وبين حصول الضلالة ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

فالمقابلة هنا بين نفي الهداية وإثبات الضلالة، فهي مقابلة بين سلب أمرٍ وإيجاب مقابِله.

وجاءت هذه المقابلة فيما ظاهره الحيرة، وسواء قيل: إن إبراهيم عليه

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١/ ٣١٥).

السلام كان حائرًا، أو أنه كان في مقام المحاجّة والمناظرة، فظاهر السياق يدلّ على الحيرة، سواءً كانت حيرة حقيقية، أم حيرة على وجه التَّنَزُّل والمحاججة.

وإبراهيم عليه السلام يصور لقومه أن هذه الكواكب التي تعبدونها، لا تستحق أن تكون آلهة تُعبد من دون الله؛ إذ شأن الإله أن يكون دائم المراقبة والتدبير لعباده، فالنجوم والكواكب التي تغيب، وتنحجب عن الناس، لا تستحق أن تُتَّخذ إلهًا (١).

وإذا كانت هذه الكواكب ليست آلهة، فلا بد من التأمل والتفكّر لمعرفة الإله الحق، فإن عدم الاهتداء إلى الإله الحق ضلال، لا ينجي منه إلا رب العالمين.

فالحائر في حاجةٍ ماسةٍ إلى التمعن والنظر في الأدلة والحجج، فمن أَعْمَلَ عقله، وتفكر في الأدلة والبراهين مع صدق النية والإرادة؛ هداه الله عز وجل متى شاء، ومَنْ لم يهدِهِ الله كان من الضالين (٢).

وقريب من هذه الحيرة ما ذكره الله عز وجل قبلها ببضع آيات عن الحيرة التي تصيب المرتد على عقبه بعد الهداية بقوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأنعام: ٧١].

(١) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٧/ ٣٢٠).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٥/ ٢٥٦٢).

« فهذا مشهدٌ يصور حال من يشرك بعد التوحيد، ومن يتوزع قلبه بين الإله الواحد، والآلهة المتعددة من العبيد! ويتفرق إحساسه بين الهدى والضلال، فيذهب في التيه والحيرة، وتتسلط عليه الشياطين بالاستهواء والإغواء »[(١)].

فالقرآن الكريم يضرب المثل لمن كفر بعد إيمانه، برجل كان مع قومٍ على الطريق، فضلَّ الطريق، فحيرته الشياطين، وأضلّته في الأرض، وجعل أصحابه ينادونه: (ائتنا فإنا على الطريق)، فيأبى أن يأتيهم[(٢)].

ومن أسباب وقوع هذا الحائر في الضلالة استجابته لوساوس شياطين الإنس والجن، يُزَيِّنون له الباطل، ويشوهون له الحقّ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [سورة الأنعام: ١١٢].

ولكن في الآخرة يختصمون في نار جهنم في مَنْ يتحمل مسؤولية ضلالهم، هل يتحملها التابعون، أم المتبَوعون؟

قال الله عز وجل: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة إبراهيم: ٢١].

وكان مما احتجّ به المتبَوعون على التابعين قولهم: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ أي: لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى، فلما أضلنا دعوناكم إلى

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٢/ ١١٣١).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/ ٢٧٩).

الضلالة [1]. ففاقد الشيء لا يعطيه غيره؛ لأنه لا يملكه.

اللهم أجرنا من الحيرة، وارزقنا الهداية، واصرف عنَّا الضالّين المضلين.

والغرض من المقابلة بين الهدى والضلال في سياق بيان علاقات أخرى بينهما: إظهار جوانب غير ظاهرة في العلاقة بينهما.

وقد أثمرت المقابلة بين الهدى والضلال في هذا السياق الفوائد الآتية:

- الضلالة ضدّ للهداية، فمن سلك طريق الضلالة (الكفر)، خرج عن طريق الهداية (الإيمان).
- من اختار الكفر أو النفاق، فقد باع الإيمان الذي أُمِرَ به، وكانت تجارته خاسرة.
- استبدال الكفر بالإيمان، هو استبدالٌ للعذاب بالمغفرة، فكيف ينجو من اختار العذاب على المغفرة.
- من أسباب الوقوع في الحيرة اتباع وساوس الشياطين: شياطين الإنس والجن.
- من وسائل الخروج من الحيرة إعمال العقل، والتفكر في الأدلة والبراهين، للوصول إلى سواء السبيل.
- من وسائل الخروج من الحيرة دعاء الله وسؤاله الهداية، وإنارة الطريق.

❁ ❁ ❁

(١) معالم التنزيل، البغوي (٤/ ٣٤٣).

المبحث الثاني
المقابلة بين الحق والباطل

المقابلة بين الحق والباطل من أبرز المقابلات ذات البعد العقدي، التي ركز القرآن الكريم عليها، فهي من القضايا الرئيسة التي اهتم القرآن الكريم بها.

وقبل الحديث عن المقابلة بينهما يجدر بنا تعريف الحق والباطل.

فأما الحق:

فأصل مادة (ح ق ق) تدل على إحكام الشيء وصحته [1].

وقيل: أصل الحق: المطابقة والموافقة [2].

يقال: حَقّ الشيءُ يَحِقّ حَقًّا، أي: وَجَب يَـجِبُ وُجُوبًا [3]. أو: صار حَقًّا وثبت [4].

وأَحْقَقْتُ الشيء، أي: أوجبته. واسْتَحْقَقْتُهُ، أي: استوجبته. وتحَقَّقَ عنده

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ١٥).

(٢) انظر: المفرادت، الراغب الأصفهاني (ص ٢٤٦).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ٢٤١).

(٤) انظر: المحكم، ابن سيده (٢/ ٤٧٢).

الخبر، أي: صحَّ [1].

والحَقّ: من أسماء الله عز وجل؛ لأنه الموجود حقيقة المتحقق وجوده وإلهيته [2].

والحقّ: الأمر الثابت بلا شكّ [3]. وهو نقيض الباطل [4]. وجمعه حُقُوقٌ وحِقَاق [5].

وأطلق الحقّ في القرآن الكريم على عدة أمور، منها: الله تعالى، والكتب المنزلة، والواقع لا محالة، وحقوق العباد، والعلم الصحيح، والعدل، وغير ذلك [6].

وأما الباطل:

فأصل مادة (ب ط ل) تدل على ذهاب الشيء وقلة مكثه ولبثه [7].

والباطل: نقيض الحق، وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه [8]. وجمعه بواطل، وأباطيل على غير قياس [9].

---

(١) انظر: الصحاح، الجوهري (٤/ ١٤٦١).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (١/ ٤١٣).

(٣) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ورفاقه (١/ ١٨٨).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ٢٤١)، مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ١٥).

(٥) انظر: المحكم، ابن سيده (٢/ ٤٧٢).

(٦) انظر: معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل (١/ ٤١٩).

(٧) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ٢٥٨).

(٨) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ١٢٩).

(٩) انظر: الصحاح، الجوهري (٤/ ١٦٣٥)، المحكم، ابن سيده (٩/ ١٧٨).

يقال: بَطَلَ بُطُولًا وبُطْلًا وبُطْلَانًا [1]. وأَبْطَلْتُ الشيء، جعلته باطلًا [2].

والإبطال يقال في إفساد الشيء وإزالته، حقًّا كان ذلك الشيء أو باطلًا، وقد يقال فيمن يقول شيئًا لا حقيقة له [3].

وسمي الشيطان الباطل؛ لأنه لا حقيقة لأفعاله، وكل شيء منه فلا مرجوع له ولا معول عليه [4].

فحقيقة الحق: الصحيح الثابت، وحقيقة الباطل: الزائل الذي لا يثبت، فالمقابلة بين الحق والباطل، تحمل معنى المقابلة بين الثابت والزائل، والصحيح والفاسد.

وقد بلغ عدد المقابلات بين الحق والباطل ثلاثين مقابلة.

وجاءت المقابلة بينهما في ثلاث صور:

الأولى: المقابلة بين الحق والباطل بصيغهما المختلفة.

نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٤٢].

وقوله سبحانه: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة الأعراف: ١١٨].

فقوله: ﴿الْحَقَّ﴾ يقابله ﴿بِالْبَاطِلِ﴾.

---

(١) انظر: الصحاح، الجوهري (٤/ ١٦٣٥)، المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ١٢٩).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٣/ ٢٤٠).

(٣) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ١٣٠).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ٢٥٨).

وقوله: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ يقابله ﴿وَبَطَلَ﴾.

الثانية: المقابلة بين الحق وبعض صور الباطل.

فيذكر في هذه الصورة الحق ويُقَابل ببعض صور الباطل؛ من الضلال والسحر والكذب والظن.

نحو قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة يونس: ٣٢].

وقال جل وعلا: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة يونس: ٣٦].

وقال جل وعلا: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة يونس: ٧٦].

فقوله: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ يقابله ﴿إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ﴾ يقابله ﴿لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾.

وقوله: ﴿جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يقابله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

الثالثة: المقابلة بين الباطل وبعض صور الحق.

فيذكر في هذه الصورة الباطل ويقابل ببعض صور الحق؛ نحو الله عز وجل، أو نعمه الدالة عليه سبحانه وتعالى.

نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٥٢].

وقوله جلت قدرته: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة النحل: ٧٢].

فقوله: ﴿ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ يقابله ﴿ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾.

وقوله: ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴾ يقابله ﴿ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾.

وعند تأمّل آيات المقابلة بين الحق والباطل، نجدها إما أنها تتحدث عن قضايا تتعلق بالاختلاف بينهما، أو توضح علاقة أخرى بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف الحق والباطل.

المطلب الثاني: علاقات أخرى بين الحق والباطل.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف الحق والباطل

من القضايا التي اعتنت بها آيات المقابلة بين الحق والباطل، التأكيد على اختلافهما.

وقد ظهر ذلك في عدة محاور:

١. التمييز بين الإله الحق سبحانه وتعالى والآلهة الباطلة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾ [سورة الحج: ٦١-٦٢].

وقال عز من قائل: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٩ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠﴾ [سورة لقمان: ٢٩-٣٠].

وقال تعالى وتقدس: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ [سورة يونس: ٣١-٣٢].

فهذه الآيات الكريمة تبتدئ بالحديث عن آيات الله المشاهدة، التي تدلّ على كمال قدرته، وسَعَة علمه، وعِظَم مُلْكه وسلطانه، ثم تؤكد أن من اتصف بتلك الصفات، هو الإله الحق، وأن ما سواه مما يعبد من دون الله ما هو إلا باطل وضلال.

فالإله القادر على إدخال ظلمة الليل في ضوء النهار، وإدخال ضوء النهار في ظلمة الليل، بكل سهولة وانسياب، هو الإله الحقّ الذي لا مثيل له ولا شريك ولا ندّ، فهو المستحق لوصف الألوهية، وهو المستحق أن يُعبد، وأن يُسأل ويُشكر، فهو الخالق لكل شيء، وهو على كل شيء قدير.

وأما الآلهة المزعومة التي يدعوها المشركون إلهًا من دونه، فهي الباطل الذي لا يقدر على صنع شيء، بل هو المصنوع، العاجز عن فعل شيء[1].

وآية تسخير الشمس والقمر أعجب وأعظم من إيلاج الليل في النهار، فالله سبحانه وتعالى الذي خلقهما وأجراهما إلى وقت معلوم عنده سبحانه، في نظامٍ كوني بديع ثابت دقيق، ذلك النظام من أعظم الأدلة والبراهين على أن مَن خلقه وأنشأه هو الحق، وأن ما سواه مما يدعون هو الباطل.

فخالق هذا الكون هو الإله الحق سبحانه وتعالى، وهو الذي يقيمه، ويحفظه، ويدبره، وهو الذي يضمن له الثبات والاستقرار والتماسك والتناسق، إلى ما شاء له أن يكون.

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٨/ ٦٧٦).

والحقّ سبحانه وتعالى باقٍ لا يتغير ولا يزول، وكل شيء سواه يتبدل ويزول، وكل شيء غيره تلحقه الزيادة والنقصان، وتتعاوره القوة والضعف، والازدهار والذبول، والإقبال والإدبار. وكل شيء غيره يوجد بعد أن لم يكن، ويزول بعد أن يكون. وهو وحده سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء (١).

فالله الحق سبحانه ثبت له حق الألوهية، فقوله حق، وفعله حق، ودينه حق، وعبادته حق، وكل ما يصدر عنه من أمر ونهي حق، ووعده حق، ووعيده حق، والمؤمنون الذين آمنوا به وصدقوا رسوله هم المحقّون؛ فيستحقون منه النصر (٢).

والآلهة الباطلة التي يعبدونها؛ من الأصنام والأنداد، من الحيوانات والجمادات، هي الباطل في نفسه، وعبادته باطلة؛ لأنها متعلقة بمضمحل فانٍ، فتبطل تبعًا لغايتها ومقصودها (٣).

وإذا ثبت أن الله عز وجل هو الرب الحق، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ﴾، فتعيَّن أن غيره مما نسبت إليه الإلهية باطلٌ وضلال.

فالإله إما حقٌّ أو باطل، ولا توسط بينهما، وليس هناك شفعاء أو وسطاء بين الله وخلقه، فإن ذلك باطلٌ كله (٤).

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٧٩٦).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (١٥/ ٤٨٣).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٥٤٣).

(٤) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٧/ ٣٥٦٢).

والعجب كل العجب من الذين يعرفون قدرة الله عز وجل، ويعرفون أن ما يتمتعون به من النعم إنما هو من عنده سبحانه، ثم هم بعد ذلك يعبدون غيره.

قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٦٧].

فامتن الله عز وجل عليهم بحَرَمِه الآمن، وجعل أهله في أمن وسَعَةِ رزق، والناس من حولهم يتخطفون ويخافون، فكان الأجدر بهم أن يعبدوا الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف. لكنهم لِسَفَهِهِم وضعف عقولهم تعلقوا بالباطل وآمنوا به، وكفروا بالحق الذي أنعم عليهم بهذه النعم (١).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة النحل: ٧٢].

فينسب هؤلاء المبطلون نعم الله تعالى التي أنعم بها عليهم لآلتهم الباطلة التي لا تضر ولا تنفع، وهذا عين الكفر بالله وبنعمه (٢).

وهؤلاء الذين آمنوا بالباطل، فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله، وجحدوا بوجود الله أو توحيده، مع توافر الأدلة على الإيمان به، هم أهل الخسران، الذين خسروا الدنيا والآخرة، وخسروا أنفسهم، حيث اشتروا الكفر

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٦٣٦).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٥/ ١٢٨).

بالإيمان، وسيجازيهم الله تعالى في القيامة على ما فعلوا [1].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٥٢].

٢. اختلاف حال أهل الحق وأهل الباطل.

اختلاف الحق والباطل ينتج عنه اختلاف حال أهلهما، فأهل الحق يستندون في عقائدهم إلى علم وحكمة، وأهل الباطل يستندون إلى الأوهام والظنون.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة النجم: ٢٧-٢٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة يونس: ٣٥-٣٦].

فهم أناس يعيشون في وَهْمٍ يُسَيْطِرُ عليهم، فيبنون عقائدهم عليه، ويتعلّقون بالظن، فيعتقدون الباطل الذي لا مستند له، ثم يتعصبون له، ويعاندون به.

فهم يعبدون الأوثان يتقربون بها إلى الله تعالى - في زعمهم - ليصلح لهم معايشهم في الدنيا، وما يفعلون ذلك عن ظن [2].

---

(١) انظر: الوسيط، الزحيلي (٣/ ١٩٧٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين (٢/ ٢٥٧).

وغاية ما قد يكون عندهم من الحجة: تقليد آبائهم، واتباع رؤسائهم، وليسوا على يقين من صحته.

لذلك بيَّن لهم الله عز وجل أن الاعتقاد لا يبنى على ظن، بل لا بد أن يبنى على يقين، واليقين يكون بالوحي، وليس بالظنون والأوهام[1].

فالاعتقاد الصحيح هو الذي يبنى على اليقين، المأخوذ من الوحي، الذي هو الحق.

فشتان بين اعتقادٍ بُنِيَ على حقٍّ ثابت، واعتقادٍ بُنِيَ على ظنٍّ ووَهْم، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾، ولا يقوم مقام العلم.

وقاعدة (اتباع الحق والباطل) يمكن تعميمها في كل مجالات الحياة.

فمن اتبع الحق الثابت المبني على علمٍ في أي مجالٍ كان؛ كالطب أو الهندسة أو الزراعة، فسوف يصلح عمله في المعالجة أو الصناعة أو الزراعة، وسينتج عنه بإذن الله منتجٌ نافعٌ صالح.

ومن اعتمد على الظن والتخمين، ولم يستند إلى علم صحيح ثابت، فسوف يذهب تَعَبُهُ هباءً منثورًا، وينتج عن عمله منتجٌ فاسدٌ لا قيمة له.

٣. اختلاف الحق والباطل في عاقبة أهلهما.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٧/ ٣٥٦٧).

كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة محمد: ١-٣].

جاءت هذه الآيات الكريمات للتفريق بين فريقين:

الأول: ضلَّ عن الطريق فوقع في الكفر والصدّ عن سبيل الله، فكان عاقبتهم أن أحبط الله أعمالهم، وجعلها هباءً منثورًا.

والثاني: آمن بالقرآن الذي أنزل إليه، فكان عاقبتهم تكفير السيئات، وإصلاح الحال.

ثم أخبر عن سبب حال ومآل كل فريق.

فأما الفريق الأول؛ فكان سبب ضلاله وغوايته هو اتباع الباطل الذي لا يستند إلى شيء، وتركوا الحق الثابت بالوحي.

وأما الفريق الثاني؛ فتمسكوا بالحق الذي نزل به الوحي، وعملوا به.

فاتباع الباطلُ سببٌ لضلال الكفار، وإحباط أعمالهم.

واتباع الحق سببٌ لإيمان أهل الإيمان، وصلاح أعمالهم وحالهم.

إذ إن مستند أهل الإيمان الوحيُ المنزل الذي هو صحيح ثابت راسخ، فامتلأت قلوبهم بالإيمان، وانعكس ذلك على أعمالهم فصلحت وحسنت.

ومستند أهل الكفر الباطلُ الذي لا أصل له، فامتلأت قلوبهم بالكفر، وأثَّر على أعمالهم فلم تكن على هدى فبطلت، وغدت لا نفع فيها؛ لأن ما بني على

باطل فهو باطل [1].

فاتباع الحق أو الضلال أصلٌ يؤثر فيما بني عليه، فمن اتبع الحق كان عمله صوابًا مقبولًا مثابًا عليه، ومن اتبع الباطل كان عمله فاسدًا مردودًا معاقبًا عليه [2].

وأراد الله عز وجل بتوضيح مآل الفريقين أن يبيّن أن كل من سلك طريق أهل الإيمان لَحِقَ بهم، ومن سلك طريق أهل الكفر لَحِقَ بهم [3].

٤. اختلاف مَثَلِ الحق والباطل.

ضرب الله عز وجل مَثَلًا للحق والباطل، فقال جل وعلا: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الرعد: ١٧].

فهذا مَثَلٌ ضربه الله للحق وأهله، والباطل وحزبه.

فمَثَّلَ الحقَّ وأهله بالماء الذي ينزله من السماء، فتسيل به أودية الناس، فيحيون به، وينفعهم أنواع المنافع، وهو باقٍ بقاءً ظاهرًا، ينتفع به الناس، وتبقى آثاره في العيون والآبار، والثمار التي تنبت به.

ومثَّله أيضًا بالمعادن التي في باطن الأرض؛ كالحديد والرصاص والنحاس، التي ينتفعون بها في صوغ الحلي منه، واتخاذ الأواني والآلات المختلفة، فتبقى

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٨/ ٩٢).

(٢) انظر: مراح لبيد، محمد الجاوي (٢/ ٤١٥).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٢/ ١٥٣).

أزمنة متطاولة.

وشَبَّهَ الباطل في سرعة اضمحلاله، ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة، بزَبَد السيل الذي يرمي به، وبزَبَد المعادن الذي يطفو فوقها إذا أذيبت (١).

فهذه حقيقة الحق أنه صحيح ثابت، ينتفع الناس به، وأما الباطل فهو زائل هالك، لا نفع فيه.

فالغرض من المقابلة بين الحق والباطل في سياق الاختلاف، تأكيدُ الفرق بينهما وبين أهلهما، وأن الاختلاف في الحقيقة، والحال، والمآل.

وقد أثمرت المقابلة بين الحق والباطل عن وجوه الفرق الآتية:

- الإله الحق واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، وما سواه فهو باطل زائل.
- الإله الحق متصفٌ بالقدرة التامة، وسعة العلم والإحاطة، والخلق الدقيق المحكم، والآلهة المزعومة لا تقدر على شيء، وهي مخلوقة لا خالقة.
- الإله إما حقٌّ أو باطل، ولا توسط بينهما، وليس هناك شفعاء أو وسطاء بين الله وخلقه.
- اختلاف حال الفريقين؛ فأهل الحق يبنون عقائدهم على الحجة والبرهان، وأهل الباطل يتشبثون بالظنون والأوهام، ويتركون الحق

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ٥٢٣)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ٣٠٧).

الواضح.

- اختلاف عاقبة الفريقين؛ فأهل الحق يحسنون العمل، فيتقبل منهم، وتكون عقابتهم خيرًا وفوزًا، وأهل الباطل يسيئون العمل، فَيُرَدُّ عليهم، وتكون عاقبتهم شرًّا وخسرانًا.
- مثل الحق وأهله كالمطر النازل من السماء، والمعادن المكتنزة في الأرض، ينتفع الناس بها، ومثل الباطل كأوساخ السيل التي يرمي بها، وأوساخ المعادن التي تطفو فوقها إذا أذيبت، ولا نفع فيها ولا فائدة.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
علاقات أخرى بين الحق والباطل

أشارت آيات المقابلة بين الحق والباطل إلى وجود علاقة أخرى بين الحق والباطل، وهي: **علاقة الصراع.**

فمنذ خلق الله عز وجل آدم عليه السلام والصراع بين الحق والباطل تدور رحاه، وتتسع ميادينه، وتختلف أشكاله، وتتعدد طرقه.

ولا يزال أهل الباطل يبذلون جهدهم، ويسعون بمختلف الطرق والوسائل لإبطال الحق ودحضه، وقد أشارت آيات المقابلة بين الحق والباطل إلى ثلاث وسائل لأهل الباطل لإبطال الحق، وهي:

الوسيلة الأولى: المجادلة بالباطل.

من الوسائل التي استعمالها المبطلون في مواجهة الحق: المجادلة بالباطل.

ومجادلتهم منشأها العناد والاستكبار عن قبول الحق، وليس استيضاحًا للحق، أو محاولة فهمه، بل الغاية من هذه المجادلة إبطال الحق.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الكهف: ٥٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ [سورة غافر: ٤-٥].

فعلى الرغم من أن الله أرسل الرسل بالبشارة والنذارة، وأنزل معهم الكتب، وأيدهم بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم، إلا أن أهل الباطل قابلوا ذلك كله بالتكذيب، والمجادلة بالباطل، ومحاولة تشويه الحق وطمس معالمه، فيطرحون الشُّبَهَ؛ كقولهم: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [سورة يس: ١٥]، ويطلبون منهم الآيات والمعجزات، ثم لا يؤمنون بها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٩٧﴾ [سورة يونس: ٩٦-٩٧].

ومن صور المجادلة بالباطل أيضًا اتهام الرسل والأنبياء بالكذب والسحر والكهانة، ووصف الرسول بأنه شاعر، ووصف ما جاء به بأنه سحر أو شعر أو كهانة، أو أنه افتراه من عند نفسه.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧٦﴾ [سورة يونس: ٧٦].

وقال عز وجل: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣﴾ [سورة السجدة: ٣].

ومن صور المجادلة بالباطل أيضًا المطالبة بإرسال الرسل من الملائكة، والسؤال عن المغيبات، مثل قيام الساعة، والروح، وأخبار الأمم السابقة[1].

فأسئلة الكفار ومجادلتهم المقصود بها التعنت، وإزالة الحق الذي جاءت به الرسل عليهم السلام، وليس مقصودهم الوصول للحقيقة، وإزالة اللبس، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الشورى: ١٦].

وقال عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الصف: ٨].

فمحاولة دفع الحق وإزالته، والمجادلة بالباطل بعد وضوح الحق وبيانه هي من أفعال الكافرين الجاحدين لآيات الله وحججه وبراهينه[2].

الوسيلة الثانية: قتل وتعذيب أهل الحق.

القتل والتعذيب لأهل الحق إحدى الوسائل التي يستخدمها أهل الباطل في محاولتهم لإبطال الحق، وصدّ الناس عنه.

قال الله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [سورة غافر: ٥].

---

(١) انظر: البسيط، الواحدي (١٩/ ٣٥٩)، أضواء البيان، الشنقيطي (٣/ ٣٠٦).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/ ١٢٩).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة غافر: ٢٥].

فأخبر القرآن الكريم أن وسائل محاربة الكفار للحق قتل وتعذيب أهل الحق، لذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [سورة غافر: ٥].

أي: ليقتلوه، أو يأسروه فيعذبوه [١].

فهي سنة متبعة في الأمم منذ عهد نوح عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يأتي الرسول إلى قومه، وينذرهم، ويقيم عليهم الحجج والبيانات، فيعجزون عن ردّها بعد محاولات ومحاولات، فيلجؤون إلى أسلوب القوة والبطش.

فالعاجز عن مقارعة الحجة، يلجأ إلى منطق الطغيان والبطش بالقتل والتعذيب.

وقد قصَّ علينا القرآن الكريم عدة حوادث، لجأ فيها أهل الباطل عند عجزهم عن إقامة الحجة على باطلهم إلى أسلوب البطش والقتل.

ومن ذلك قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، فلما حطم أصنامهم، وحاورهم، وغلبهم بالحجة ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

---

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٧/ ١٣٩).

[سورة الأنبياء: ٦٨].

وكذلك فرعون، طلب من موسى عليه السلام عدة آيات ومعجزات، في محاولة منهم لرد الحق الذي جاء به موسى عليه السلام، ولما جمع السحرة لمغالبة موسى عليه السلام، وانتهى الموقف بإيمان السحرة، لجأ إلى البطش والقتل، ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٢٧].

الوسيلة الثالثة: تلبيس الحق بالباطل.

من الوسائل التي استخدمها أهل الباطل في صراعهم مع الحق وأهله: تلبيس الحق بالباطل.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٤٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [سورة آل عمران: ٧١].

والمراد بتلبيس الحق بالباطل تعميته وخلطه بالباطل، بحيث لا يتميز الحق من الباطل (١).

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١/ ٥٦٦)، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (١/ ١٢٤)، البسيط، الواحدي (٢/ ٤٤١).

ولبس الحق بالبطل لا يخلو من ثلاثة أوجه [١]:

الأول: إظهار الحق في صورة الباطل.

وهذه حيلة يلجأ إليها المبطلون عندما يعجزون عن ردّ الحق بالحجة والبرهان، فينشرون بعض الشبهة عن الحق، حتى يبدو في صورة الباطل.

ومن أمثلة ذلك: التظاهر بالإسلام للتشكيك فيه؛ كفعل المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر، ولا يزالون يَبُثُّونَ في الأمة شكوكهم وشبهاتهم، ليصدوهم عن سبيل الله [٢].

وكذلك ما دعا إليه بعض أهل الكتاب من التظاهر بالإسلام في أول النهار، والرجوع عنه في آخره، لتشكيك الناس فيه، ويجعلهم يظنون أنه دين باطل، لكثرة من يدخل فيه، ثم يخرج منه [٣].

ومن أمثلة ذلك: الشبه المثارة حول الإسلام، نحو أنه دين جهل وخرافة، ولا يؤمن بالعلم، وأنه دين عنف، ولم ينتشر إلا بالسلاح، وأنه دين قائم على العنصرية ويميز بين الرجل والمرأة، وأنه دين يقمع الحريات، إلى غير ذلك من الشبه المثارة.

وربما استندوا في بعض هذه الشبه إلى واقع المسلمين اليوم الذي يندى له الجبين، أو بحال بعض الطوائف الضّالّة من أهل الإسلام. والله المستعان.

---

(١) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، د. عادل الشدي (٢/ ٦٣١).

(٢) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (١/ ٢٥١)، تفسير العز بن عبدالسلام (١/ ٢٦٨).

(٣) انظر: البسيط، الواحدي (٥/ ٣٤٦).

الثاني: إظهار الباطل في صورة الحق.

ومن أمثلة ذلك تأويل النصوص إلى معانٍ باطلة، فتظهر تلك المعاني الباطلة في صورة الحق.

وهذا كحال بعض أهل الكتاب الذين يتأولون النصوص الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، بأنها تدل على أنه أرسل إلى العرب خاصة، وأنه لم يرسل إليهم [(١)].

أو يتأوَّلون آيات القرآن الكريم الدالة على نبوة موسى عليه السلام، وأن التوراة أنزلت عليه، بأن ذلك يدل على أن شرع موسى عليه السلام لا ينسخ [(٢)].

أو يتأولون ما في التوراة والإنجيل مما يدلّ على محمد صلى الله عليه وسلم على غير وجهه، ويصرفونه إلى معانٍ غير مرادة، مع إقرارهم في نفوسهم بأن المراد منها محمد صلى الله عليه وسلم [(٣)]، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ [سورة الأنعام: ٢٠].

الثالث: خلط الحق بالباطل حتى لا يُميّز أحدهما عن الآخر.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الله عز وجل عن أهل الكتاب من تحريفهم للتوراة والإنجيل، وإضافة أشياء من عند أنفسهم ونسبتها إلى كتبهم، كما قال عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٤٥٣).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٨/ ٢٥٧).

(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٣/ ٢٠٧).

فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ [سورة البقرة: ٧٩].

فهؤلاء اليهود حرفوا كتاب الله، وكتبوا أشياء من عند أنفسهم على ما تأوَّلوه من تأويلاتهم، مخالفا لما أنزل الله على نبيه موسى عليه السلام، ثم باعوه على غيرهم ممن لا علم لهم بها، ولا بما في التوراة[(١)].

فالحق هنا التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والباطل ما كتبوه بأيديهم ونسبوه إلى التوراة[(٢)].

فيحصل هنا الخلط بين المُنَزَّل والمُحَرَّف، فيلتبس على الناس، ولا يستطيع أحدٌ تمييزه.

ومن أمثلة ذلك أيضًا: الجمع بين الحق والباطل، كالإيمان ببعض الأنبياء، والكفر بالبعض الآخر، كالإيمان بموسى وعيسى عليهما السلام، والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، والإيمان ببعض الكتاب، والكفر بالبعض الآخر[(٣)]، كما قال سبحانه وتعالى مخاطبًا أهل الكتاب: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ٨٥].

ويدخل في الجمع بين الحق والباطل: المنافق، الذي يجمع بين إظهار الحق بلسانه، ويخلطه بالباطل الذين يبطنه ويخفيه[(٤)].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢/ ٢٧٠).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (٥/ ٣٤٦)، المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٤٥٣).

(٣) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ٢٢٢)، تفسير أبي المظفر السمعاني (١/ ٣٣١).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري (١/ ٥٦٨).

وهاتان الآيتان التي جاء فيهما النهي عن إلباس الحق بالباطل نزلت في أهل الكتاب، ولكن حكمها عامٌ يعمُّ كل من لبَّس الحق بالباطل، ويعمُّ كل صور تلبيس الحق بالباطل (1).

وفي مقابل هذه الوسائل التي يستخدمها أهل الباطل لدحض الحق، تحدثت آيات المقابلة بين الحق والباطل عن إظهار الله عز وجل للحق ونصره، وإزهاق الباطل ودحره.

قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الأنفال: ٧-٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الشورى: ٢٤].

تبين الآيات الكريمات أن الله عز وجل يريد إظهار الحق، وإزالة الباطل (2).

وهذه الإرادة الإلهية نافذة لا تتخلف، لكن قد يؤخر الله عز وجل إظهار الحق إلى أجل يعلمه، لحكمة أرادها سبحانه وتعالى، ثم يغلب الحق في النهاية، ويذهب الباطل (3).

---

(١) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ١٧٢).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (١٠/ ٤١).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٣٦٥).

ومعنى إحقاق الحق: إظهاره وإعلاؤه وتثبيته، ونصر أهله وأنصاره.

ومعنى إبطال الباطل: نفيه وإزالته، وإهلاك أهله وأتباعه (١).

والحقُّ حقٌّ من حيث هو، ولكنه إذا لم يكن ظاهرًا أشبه الباطل؛ لأن من صفة الحق ظهوره، فإظهاره تحقيقٌ له من هذا الوجه (٢).

وإظهار الحق وإزالة الباطل له صورتان (٣):

الأولى: إظهار الحق بما يظهر من الأدلة والبراهين على صحته وصدقه، وينشره بين الناس رغم محاربة أعدائه له. وإزالة الباطل بما يقيم من الشواهد والحجج على بطلانه، وأنه لا يستند إلى حجة، ولا يدل عليه برهان (٤).

وقد وعد الله عز وجل بإظهار الدين وإتمامه فقال سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الصف: ٨-٩].

فالله عز وجل يريد أن يظهر الإسلام، ويعليه (٥).

ومن أعظم ما يظهر الحق ويزيل الباطل: الآيات والبراهين التي جاء بها

(١) انظر: تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/ ٢٥٠).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (١٠/ ٣٩).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٥/ ٤٥٨).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٣١٦).

(٥) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٥٠٤).

الرسل عليهم السلام [١].

الثاني: إظهار الحق بنصر أهله، وإزالة الباطل بإهلاك أهله، وقطع دابرهم، فإذا ذهب أهل الباطل ذهب الباطل معهم.

وإذا أهلك الله الكافرين، وقطع دابرهم، فإن يعبد الله وحده دون الآلهة والأصنام، فيتحقق الحق، ويزول الباطل الذي هو عبادة غير الله عز وجل [٢].

وإذا ظهر الحق، زال الباطل وذهب، فهما نقيضان لا يجتمعان، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [سورة الأنبياء: ١٨] [٣].

فإذا رمى الله تعالى بالحق على الباطل، أبطله، وتركه هالكًا مضمحلًا [٤].

وقد مَثَّلَتْ هذه الآية الكريمة الحقَّ بصخرةٍ تُرمى على شخصٍ، فتسحق دماغه [٥].

والقرآن الكريم مليء بالأمثلة التي دحض فيها الحق الباطل وأزهقه، ومن ذلك ما في القرآن الكريم من قصة موسى عليه السلام مع فرعون وسحرته.

فلما جاء موسى عليه السلام بالآيات البينات، وهي: تحول عصاه إلى ثعبان، وبياض يده، اتهمه فرعون بالسحر، ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

(١) انظر: الجواب الصحيح، ابن تيمية (٤/ ٣٨١).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٣/ ٤٠٨).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٩/ ٢٧٣).

(٤) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٤٢٢).

(٥) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٣٧٢).

[سورة الشعراء: ٣٤].

وأراد أن يبطل حجة موسى عليه السلام، فأمر بجمع السحر، فجمع له أمهر سحرة مصر، ووعدهم ومناهم بالأجر العظيم.

فلما جاء اليوم المشهود، جاء السحرة يعلوهم الكبر والخيلاء، ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ۝٦٥﴾ [سورة الضحي: ٦٥].

قال لهم موسى عليه السلام: ﴿أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ۝٨٠ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٨١ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨٢﴾ [سورة يونس: ٨٠-٨٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ۝١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ۝١١٩﴾ [سورة الأعراف: ١١٧-١١٩].

فلما رأى السحرة ما حدث لسحرهم، علموا أن ما جاء به موسى عليه السلام ليس سحرًا، وأنه آية من آيات الأنبياء والمرسلين، فآمنوا من فورهم، ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾ [سورة طه: ٧٠].

فهددهم فرعون وتوعدهم، فما كان منهم إلا أنه قالوا: ﴿لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ۝٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝٧٣﴾ [سورة طه: ٧٢-٧٣].

فانقلب السحر على الساحر، وانقلب ما ظنه فرعون دليلَ كذبِ موسى عليه السلام إلى دليل صدقه، حتى آمن به سحرة فرعون.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٨١].

ومن الشواهد أيضًا على قوة الحق، وأنه إذا جاء الحق زهق الباطل، ما ذكره القرآن الكريم من شأن إبراهيم عليه السلام مع الملك الذي ادعى الربوبية.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨].

احتج إبراهيم عليه السلام على الملك الذي يدعي الربوبية بأن الله يحيي ويميت، وخص الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدبير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، فقال ذلك المحاج: أنا أحيي وأميت. فزعم أنه إذا قتل شخصًا فيكون قد أماته، وإذا استبقاه حيًّا فقد أحياه.

فلما رآه إبراهيم عليه السلام يغالط في مجادلته ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة ـ فضلًا عن كونه حجة ـ انتقل معه في الدليل فقال عليه السلام: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾، فكل أحد يُقِرُّ أن الله يأتي بالشمس من المشرق، ولا يستطيع أحدٌ أن يأتي بها خلاف ذلك.

فتحيَّر هذا المدعي، وانقطعت حجته، وسقطت شبهته، وهذه حالة المبطل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق ويغالبه، فيصير مغلوبًا مقهورًا[1].

وصدق الله إذ يقول: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة سبأ: ٤٨-٤٩].

فلما جاء الحق وظهر، هلك الباطل وذهب، فلم يبق له إبداء ولا إعادة؛ لأنه زال وهلك[2].

ومن المواقف التي يحق الله عز وجل فيها الحق، ويبطل الباطل يوم القيامة، فإذا حشر أهل الباطل يوم القيامة، علموا جميعًا مَنِ الإله الحق الذي يقضي بالحق، وذهب عنهم كل الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة القصص: ٧٤-٧٥].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة غافر: ٧٨].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ١١١).

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ٥٩١).

فيوم القيامة يظهر الحق أتم الظهور، ويذهب الباطل ذهابًا لا رجعة معه، ويزول زوالًا لا أوبة له، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾.

والذي يظهر أن الغرض من المقابلة بين الحق والباطل في هذا السياق، تأكيد حقيقة الصراع بين الحق والباطل، وأن المعركة بينهما باقية ما بقيت الدنيا، وأن له صورًا وأشكالًا كثيرة.

وقد أثمرت المقابلة بين الحق والباطل في سياق الصراع الفوائد الآتية:

- تلبيس الحق بالباطل هو إحدى صور الصراع بين الحق والباطل.
- المراد بتلبيس الحق بالباطل تعميته وخلطه بالباطل، بحث لا يتميز الحق من الباطل.
- تلبيس الحق بالباطل له صورٌ وأشكال كثيرة، لا تخلو من أن تكون: إظهارًا للحق في صورة الباطل، أو إظهارًا للباطل في صورة الحق، أو خلطَ الحق بالباطل حتى لا يميز بينهما.
- المجادلة بالباطل من الوسائل التي استعمالها المبطلون في مواجهة الحق وأهله.
- مجادلة أهل الباطل منشأها العناد والاستكبار عن قبول الحق، وليس استيضاحًا للحق، أو محاولة فهمه، بل الغاية منها إبطال الحق.
- القتل والتعذيب لأهل الحق إحدى الوسائل التي يستخدمها أهل الباطل في محاولتهم لإبطال الحق، وصدّ الناس عنه.
- عندما يعجز أهل الباطل عن مقارعة الحجة بالحجة بعد محاولات

ومحاولات، يلجؤون إلى أسلوب القوة والبطش.

- وعد الله عز وجل بإظهار الحق ونصره، وإزهاق الباطل ودحره، ووعد الله حق، لكن قد يتأخر لحكمة يريدها الله سبحانه وتعالى.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث
المقابلة بين الصدق والكذب

إن من الأضداد المعنوية التي قابل القرآن الكريم بينها: الصدق والكذب.

فأما الصدق:

فأصل مادة (ص د ق) تدل على قوة في الشيء، سواء كان قولًا أو غيره [1].

والصِّدْق: نقيض الكذب [2]؛ سمي صِدْقًا لقوته، والكذب لا قوة له [3].

يقال: صَدَقَني فلان، أي: قال لي الصِّدق، وكَذَبَنِي، أَي: قال لي الكذب [4].

والصَّدَاقة مشتقَةٌ من الصِّدْق في المودة [5].

والصِّدِّيق: المبالغ في الصِّدْق [6].

والمُصَدِّقُ: الذي يُصَدِّقُكَ في حديثك [7].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٣٣٩).

(٢) انظر: العين، الفراهيدي (٥/ ٥٦).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٣٣٩).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٨/ ٢٧٧).

(٥) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٣٤٠).

(٦) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٨/ ٢٧٨).

(٧) انظر: الصحاح، الجوهري (٤/ ١٥٠٥).

وصَدَّقْتُ فلانًا: نسبته إلى الصّدق، ويستعمل التَّصْدِيقُ في كلّ ما فيه تحقيق، يقال: صدقني فعله وكتابه [١].

وأما الكذب:

فأصل مادة (ك ذ ب) تدل على خلاف الصِّدْق [٢].

تقول: كَذَبَك كَذْبًا وكَذِبًا، إذا لم يَصْدُقْكَ [٣]، فهو كَاذِبٌ وكَذَّابٌ وكَذُوبٌ، وكَيْذُبَانٌ، ومَكْذَبَانٌ ومَكْذَبَانَة، وكُذُبَة وكُذُبْذُبٌ [٤].

والكِذَابُ والكِذَّاب: لُغة في الكَذِب [٥].

وكَذّبْتُه: نسبته إلى الكذب، صادقًا كان أو كاذبًا [٦].

وأَكْذَبْتُ الرجل: أَلفَيْتُه كاذبًا [٧].

والصِّدق والكذب أصلهما في الأقوال، ويطلقان على الأفعال، ومنه قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣].

أي: حقّقوا العهد بما أظهروه من أفعالهم [٨].

---

(١) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٤٨٠).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ١٦٧).

(٣) انظر: العين، الفراهيدي (٥/ ٣٤٧).

(٤) انظر: الصحاح، الجوهري (١/ ٢١٠).

(٥) انظر: العين، الفراهيدي (٥/ ٣٤٧).

(٦) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٧٠٤).

(٧) انظر: الصحاح، الجوهري (١/ ٢١٠).

(٨) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٤٧٩).

وقد بلغ عدد المقابلات بين الصدق والكذب عشر مقابلات.

وجاءت المقابلة بينهما في صورتين:

الأولى: المقابلة بين الصدق والكذب.

نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة النمل: ٢٧].

وقوله سبحانه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة التوبة: ٤٣].

فقوله: ﴿أَصَدَقْتَ﴾ يقابله ﴿كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ يقابله ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

الثانية: المقابلة بين التصديق والتكذيب.

نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة القيامة: ٣١-٣٢].

وقوله جل وعلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الليل: ٥-١٠].

فقوله: ﴿صَدَّقَ﴾ يقابله ﴿كَذَّبَ﴾.

وقوله: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ يقابله ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وعند تأمّل آيات المقابلة بين الصدق والكذب، نجدها تتحدث عن قضايا متعلقة باختلاف الصدق والكذب، وهي:

١. تمييز الصادق من الكاذب.

قال الله عز وجل: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [سورة العنكبوت: ١-

.[٣

أنكر الله عز وجل على من ظنَّ أنه سبحانه يترك الناس دون فتنة وتمحيص واختبار؛ ليتبيّن الصادق في إيمانه من الكاذب فيه.

فمن صبر على الابتلاء، ونجح في الاختبار، فهو الصادق في إيمانه، ومن لا فهو من الكاذبين في دعواه.

فالإيمان ليس مجرّد كلمة ينطق بها اللسان، وإنما هو عقيدة تسكن القلب، وعمل تقوم به الجوارح (١).

فمقتضيات الإيمان وتكاليفه تكشف عن معدنه في النفوس، فالإيمان طريقه محفوف بالمكاره، مليء بالتكاليف والمشاق.

والفتنة والاختبار في الإيمان سنة أجراها الله عز وجل في الأمم، وليس في هذه الأمة خاصة؛ لِيُعلم حقيقة ما القلوب، فيتميّز الذين صدقوا في إيمانهم من الكاذبين (٢).

فمن سنن الله تعالى في الأمم أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعُسْر واليُسْر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل، ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة.

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (١٠/ ٤٠٠).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٧٢٠).

فالمؤمن يثبت على إيمانه عند ورود الشبهات، ويدفعها بما معه من الحق، ويقوى بإيمانه عند ورود الشهوات الداعية إلى المعاصي والذنوب، فيجاهد شهوته، ويعمل بمقتضى إيمانه وتقواه.

وأما الكاذب في دعواه الإيمان، فتؤثر في قلبه أي شبهة، وتورثه الشك والريبة، وينساق مع شهواته عند ورودها، فينصرف إلى المعاصي ويترك الواجبات.

والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر [1].

وقد ذكرت آيات المقابلة بين الصدق والكذب بعض الأحداث التي كان فيها اختبار وتميحص ليعلم صدق الادعاء من كذبه.

ومن تلك الأحداث ما ذكر الله عز وجل عن الذين يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم للتخلف عن الجهاد في سبيل الله، وقد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض المنافقين الذين اختلقوا أعذارًا ليتخلفوا عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك.

فقال الله تبارك وتعالى معاتبًا نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة التوبة: ٤٣].

فقد عاتب الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم في إذنه للمنافقين بالتخلف عن الغزوة، قبل أن يعرف مَن له عذرٌ منهم في تخلفه، ومن لا عذر له،

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٦٢٦).

فيتميّز الصادق في عذره من الكاذب المتخلفُ نفاقًا وشكًّا في دين الله [1].

وقد بيّن الله عز وجل أن الاستئذان في التخلف عن الجهاد لا يكون من المؤمنين الصادقين في إيمانهم، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة التوبة: ٤٤-٤٥].

فليس من عادة المؤمنين التخلف عن الجهاد، بل كانوا يجاهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم في كل الأوقات، وفي جميع الظروف والأحوال.

فالجهاد في سبيل الله أحد صور الاختبار والتمحيص للإيمان، فالمؤمن الصادق في إيمانه مِقْدَامٌ لا يتخلف عن الجهاد في سبيل الله، والمُدَّعِي الإيمان يخاف القتل، ويصيبه الذعر، ويظن أنه بتخلفه عن الجهاد يدفع عن نفسه الموت.

وقد قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [سورة النساء: ٧٧-٧٨].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٤/ ٢٧٣).

وقال تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤].

ومن الأحداث التي ذكرت في القرآن وفيها اختبارٌ للصادق من الكاذب، ما ذكر الله عز وجل من قصة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز التي راودته عن نفسه، فامتنع منها.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة يوسف: ٢٦-٢٨].

فيوسف عليه السلام لما لم يطاوع امرأة العزيز فيما تريد، أسرع هاربًا إلى الباب، فلحقته وأمسكت بقميصه من ورائه، فَقَطَعَتْه، واستمر يوسف هاربًا، وهي في إثره، فألفيا زوجها عند الباب، فكادت بيوسف عليه السلام، وقالت لزوجها متنصلة وقاذفة يوسف بدائها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ أي: فاحشة، إلا أن يحبس، أو يعذب ويضرب ضربًا شديدًا موجعًا.

فعندئذٍ انتصر يوسف عليه السلام لنفسه بالحق، وتبرأ مما رمته به من

الخيانة، وأخبر أنها هي التي راودته عن نفسه [1].

فقيّض الله عز وجل شاهدًا من أهلها ينطق بالحق، فذكر أمارةً يُعرف بها الصادق من الكاذب.

فأشار الشاهد إلى أن شَقَّ القميص دليل على صدق أحدهما، وكذب الآخر.

- فإن كان شَقُّ القميص من الأمام، فهي صادقة، وهو الكاذب.
- وإن كان شَقُّ القميص من الخلف، فهي كاذبة، وهو الصادق.

وذلك لأن شَقَّ القميص من الأمام يدل على أن شَقَّه كان دفاعًا عن النفس، فصاحب القميص شُقَّ قميصه حينما حاول الاعتداء.

وأما إن كان شَقُّ القميص من الخلف، فإنه يدل على أن صاحب القميص كان هاربًا، وأن من شَقَّ قميصه كان يحاول اللحاق به، فهو المعتدي.

فلما رأى العزيز أن القميص شُقَّ من الخلف عَلِم صدق يوسف عليه السلام وبراءته، فأمره بالإعراض، وتيقن أن زوجه هي الخاطئة، فأمرها بالاستغفار.

وفي قصة أخرى مما له تعلقٌ بالصدق والكذب، ما قصّه القرآن الكريم من قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد.

قال الله جل وعلا: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ٣٨٣).

بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة النمل: ٢١-٢٨].

فسليمان عليه السلام عندما افتقد الهدهد ولم يره، توعده بالعقاب، فلما عاد الهدهد اعتذر عن غيبته، وذكر أنه اطلع على ما لم يطلع عليه سليمان عليه السلام، وأنه وجد قومًا يعبدون الشمس من دون الله ويسجدون لها.

فردّ عليه سليمان عليه السلام بأنه سوف يختبر صدقه من كذبه؛ لاحتمال أن يقول ما قال لأجل التخلص من العقاب الذي تُوُعِّدَه به.

وقول سليمان عليه السلام: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ يشعر بالتوبيخ والتهديد، فإن احتمال كذبه لا يزال قائمًا، زجرًا له وتأديبًا (١).

ومن باب التأكد من زعم الهدهد، أمره سليمان عليه السلام أن يبلغ الكتاب الذي سوف يرسله معه إلى سبأ، وينتظر حتى يرى ردّهم على الرسالة.

فلو كان الهدهد صادقًا في دعواه، فسوف يوصل الرسالة، ويأتي بالرد، وتحدث أمور تأكد ما قاله.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٩/ ٢٥٦).

ولو كان كاذبًا فلن يذهب بالرسالة، وإن ذهب بها وألقاها إلى أي مكان، فكيف سيأتي بالرد.

فما فعله سليمان عليه السلام كان اختبارًا يختبر به الهدهد؛ ليعلم صدقه من كذبه.

ومما جاء في هذا السياق (تمييز الصادق من الكاذب) ما شرعه الله عز وجل من اللعان في حق الزوجين إن رمى الزوج زوجته بالزنا.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾ [سورة النور: ٦-٩].

فبعد أن بيّن الله عز وجل حكم قذف المحصنات بالزنا، وأن فيه الجلد إلا أن يأتي بأربعة شهود، استصعب بعض الصحابة هذا الأمر، فكيف يصبر الرجل إذا رأى من أهله خيانة أن يأتي بأربعة شهود.

فإن تكلم بغير شهود جُلِد، وإن سكت سكت على أمرٍ عظيم.

عن ابن عباس [1] رضي الله عنهما: ((أن هلال بن أمية، قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك ابن سحماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**البينة**

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة وتُرجمان القرآن، توفي سنة (٦٨هـ).

انظر: أسد الغابة، ابن الأثير (٣/ ٣٠٠)، الإصابة، ابن حجر (٤/ ٤١٤).

أو حد في ظهرك»، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلًا ينطلق يلتمس البينة، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**البينة وإلا حد في ظهرك**» فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [سورة النور: ٦]، فقرأ حتى بلغ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة النور: ٩]، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب**» ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها، وقالوا: إنها موجبة، فتلكأت ونكصت، حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الأليتين، خدلج الساقين، فهو لشريك ابن سحماء**»، فجاءت به كذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن**»)[1].

فلما كان يصعب إيجاد البينة في مثل هذه الأحداث، شرع اللعان عوضًا عن البينة، ولأن الأمر عظيم كررت الأيمان فيه خمس مرات من الزوجين جميعًا، وأقيمت الأيمان مقام الشهود، وجعلت بلفظ الشهادة.

وضمّنت اليمين الخامسة الدعاء على النفس بلعنة الله في حق الزوج، والدعاء على النفس بغضب الله في حق الزوجة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٧٠)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ويدرأ عنها العذاب﴾.

فأيمان الرجل تنتهي باستحقاقه اللعنة إن كان كاذبًا، وأيمان المرأة تنتهي باستحقاقها الغضب إن كانت كاذبة.

وقد صدق النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: «**إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب**».

فلا بد أن يكون أحدهما كاذبًا، والآخر صادقًا.

ولما أراد فرعون أن يقتل موسى عليه السلام، قيض الله عز وجل مؤمن آل فرعون الذي يكتم إيمانه للدفاع عنه، ونهاهم عن قتله.

قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة غافر: ٢٨].

واحتج عليهم بأن موسى عليه السلام لو كان كاذبًا في دعوة النبوة وأن الله أرسله إليهم، فإن إثم كذبه عليه وحده.

ولو كان صادقًا في ذلك أصابهم ما وعدهم به من العقوبة.

فلا حاجة لهم في قتله، لئلا يزداد سخط الله عليهم [١].

فنهاهم عن قتله؛ لأنه لا يعود عليهم بالنفع، سواء كان كاذبًا أم صادقًا، ويكفيهم أن يعرضوا عنه، وأن يمنعوه عن إظهار دينه [٢].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢١/ ٣٧٧).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٧/ ٥١٠).

٢. تصديق الحق وتكذيبه.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾ [سورة القيامة: ٣١-٣٢].

معناه: أن الكافر لم يصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يصلِّ لله، بل كذَّب بآيات الله، وما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وأعرض عنه(١).

ونفى عنه التصديق والصلاة، ليدل على أن حاله مباينٌ لحال أهل الإسلام، وأكَّد هذا النفي بإثبات نقيضه، فلما نفى عنه التصديق، أثبت له التكذيب، وزاد النفي تأكيدًا بإثبات التولي والإعراض الناتج عن التكذيب(٢).

ولما كلّف الله عز وجل موسى عليه السلام بدعوة فرعون ومَلَئِهِ، طلب موسى عليه السلام من ربه أن يبعث معه أخاه هارون عليه السلام، فقال: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝٣٤﴾ [سورة القصص: ٣٤].

فعلل موسى عليه السلام طلبه أن يكون هارون عليه السلام نبيًّا معه أنه أفصح لسانًا منه، وفي إشراكه في النبوة والرسالة يكون عونًا له في الدعوة، ومؤيدًا له ومصدّقًا.

ومعنى تصديق هارون لموسى عليهما السلام، أن يكون سببًا في تصديق

(١) انظر: تفسير السمعاني (٦/ ١٠٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٣٦١).

فرعون ومَلَئِهِ إياه، بإبانته عن الأدلة التي يلقيها موسى في مقام مجادلة فرعون.

وليس المراد أن يقول لهم: « صَدَقَ موسى »؛ فالتصديق بهذا المعنى يستوي فيه الفصيح وغير الفصيح، وتعليل إرسال هارون بالفصاحة يقتضي أن يكون التصديق بالبيان وتوضيح الحجة.

وأكّد هذا المعنى بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ بتعليل ثانٍ لسؤال تأييده بهارون، لخوفه من التكذيب [1].

٣. اختلاف جزاء الصادق المصدق عن جزاء الكاذب المكذب.

قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [سورة الليل: ٥-١٠].

لما ذكر سبحانه وتعالى أن أعمال الناس واتجاهاتهم مختلفة، جعلهم في المُجْمَل فريقين [2]:

الفريق الأول: أعطى نفسه وماله لله، واتقى غضب الله وعذابه، وصدّق بهذه العقيدة الحسنة.

والفريق الثاني: بخل بنفسه وماله، واستغنى عن الله وهداه، وكذب بهذه العقيدة الحسنة.

فمن أنفق في سبيل الله، وفي وجوه الخير والإحسان، متّقيًا بذلك ربّه، خائفًا

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٠/ ١١٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٩٢٢).

عذابه، طامعًا في ثوابه.

فمن سلك هذا الطريق، يسّر الله له طريقه، وأعانه على المضي فيه؛ لأنه طريق الله، ومن كان على طريق الله، لم يُحْرَم عونه وتوفيقه، ويسّر له سبل الخير، وقوّاه بصحبة صالحة.

وأما من بخل بماله، وضَنَّ ببذله في سبيل الله، وفي وجوه الخير، ومن وراء هذا البخل تكذيبٌ بالإحسان، وبَخْسٌ لِقَدْرِهِ، واعتقاد بعدم جدواه، فهو على طريق الضلال، يدفعه شيطانه فيه دفعًا، مستجيبًا لداعي الشبهة والشهوة، متأثرًا بقرناء السوء، فييسر الله له سبيل الغواية، ويزيده ضلالًا إلى ضلاله (١).

وصدق النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول: **((اعملوا، فكلّ ميسر لما خلق له))** (٢).

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الزمر: ٣٢-٣٤].

قابل القرآن الكريم في هذه الآيات بين كاذبٍ مكذّب وصادقٍ مصدّق.

فالأول: كَذَبَ على الله ونَسَبَ إليه ما لا يليق بجلاله، وكذَّب ما جاءه من

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (١٦/ ١٥٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٤٥)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾، ومسلم في صحيحه (٢٦٤٧)، كتاب القدر، باب كيف خلق الآدمي في بطن أمه، عن علي رضي الله عنه.

الحق المؤيد بالبينات، فجمع بين الكذب على الله وتكذيب الحق، جمعًا بين الباطل ورَدِّ الحق.

والثاني: الصادق في قوله وعمله، ويدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم، ممن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه، وفيما فعله من خصال الصدق. وصدَّق بالصدق اتباعًا للحق، فَصِدْقُه يدل على عِلمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره[1].

ولما اختلف حالهما، اختلف جزاؤهما.

فقال عن الأول: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

فوصف الكاذب المكذب بالكفر، وتوعّده بأن تكون جهنم مثواه، وكفى بذلك جزاءً له.

وقال عن الثاني: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

فوصف الصادق المصدّق بالتقوى والإحسان، ووعده بأن له عند ربه من الأجر والمثوبة ما يشاء ويشتهي. وكفى بذلك جزاء ومثوبة.

فالمقصود من المقابلة بين الصدق والكذب بيان أهمية التمييز بين الصادق والكاذب، وبيان انقسام الناس إلى مصدِّق بالحق ومكذِّب به، وبيان اختلاف جزاء الصادقين المصدّقين عن جزاء الكاذبين المكذّبين.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٧٢٤).

وقد أثمرت المقابلة بين الصدق والكذب عن الفوائد الآتية:

- يتبين الصادق من الكاذب بالفتنة والاختبار، فيعلم الصادق في قوله وفعله، والكاذب فيهما.
- الجهاد في سبيل الله أحد محطات الاختبار، التي تميز الصادق في إيمانه، والكاذب فيه.
- لكل من الصدق والكذب أَمَارَات، فمن تتبعها تبيّن له الصادق من الكاذب.
- ينقسم الناس إلى مصدّق بالحق مؤمن به، ومكذّب بالحق كافر به.
- جزاء الصادقين المصدّقين ما تشتهيه أنفسهم من النعيم والملذات، وجزاء الكاذبين المكذبين نار جنهم، والعياذ بالله.

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع
المقابلة بين الحل والحرمة

الحل والحرمة من الأضداد ذات البعد التشريعي والتعبدي، التي قابل القرآن الكريم بينها.

فأما الحل:

فأصل مادة (ح ل ل) تدل على فتح الشيء [1].

وقيل: أصل الحَلّ: حلّ العُقدة، ومنه: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [سورة طه: ٢٧] [2].

فتقول: حَلَلْتُ العُقْدَةَ أَحُلُّها حلًّا، إذا فتحتها فانحَلَّت [3].

والحلال: ضد الحرام، وهو مشتقٌ من فتح الشيء، فإذا أباحه فقد فتح ووسع الأمر فيه [4].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ٢٠).

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصبهاني (ص ٢٥١).

(٣) انظر: العين، الفراهيدي (٣/ ٢٧).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ٢٠).

وكل شيء أباحه الله فهو حلال، وما حرمه فهو حرام [1].

وإنما قيل للزوجة: حليلة الرجل. وقيل للزوج: حليل المرأة؛ لأنه كل واحدٍ منهما يحل لصاحبه [2].

والحِلُّ: الرجل الحلال الذي لم يُحْرِم، أو كان أحرم فحلَّ من إحرامه. يقال: حلَّ من إحرامه حِلًّا [3].

والحِلُّ أيضًا: الحلال نفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [سورة الممتحنة: ١٠]. ويقال: هذا حِلٌّ لك وحَلَالٌ، كما يقال لضده: حِرْمٌ وحَرَامٌ، أي: محرّم [4].

فالحلال إذًا: ما نصَّ الشارع على حِلِّه، فكأنه انحلَّ من عُقْدة التحريم [5].

وأما الحرمة:

فأصل مادة (ح ر م) تدل على المنع والتشديد [6].

والحرام: ضدّ الحلال [7].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ٢٨٤).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ٢٠).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ٢٨٠).

(٤) انظر: العين، الفراهيدي (٣/ ٢٨)، تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ٢٨٢).

(٥) انظر: الفروق اللغوية، العسكري (ص ١٩٧).

(٦) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ٤٥).

(٧) انظر: العين، الفراهيدي (٣/ ٢٢٣)، مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ٤٥).

ومنه سمي ما حول البئر حريمًا؛ لأنه يحرم على غير صاحبها أن يحفر فيه [1].

والحَرَمان: مكة والمدينة، سُمِّيَا بذلك لتحريم الله تعالى فيهما كثيرًا مما ليس بمحرم في غيرهما من المواضع [2].

ويقال لمن دخل في الإحرام أو الحَرَم: مُحْرِمٌ وحرامٌ؛ لأنه يحرم عليه ما كان حلالًا [3].

والمحارم: ما لا يحلّ استحلاله. والحرمة: ما لا يحل لك انتهاكه [4].

فالحرامُ إذًا: الممنوع منه، إما شرعًا، أو قدرًا [5].

وقد بلغ عدد المقابلات بين الحل والحرمة تسع مقابلات.

وجاءت المقابلة بينهما في صورتين:

الأولى: المقابلة بين الحل والحرمة بصيغهما المختلفة.

نحو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ٤٥).

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصبهاني (ص ٢٣٠)، والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٣/ ٣٢٦).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ٤٥).

(٤) انظر: العين، الفراهيدي (٣/ ٢٢٢)، تهذيب اللغة، الأزهري (٥/ ٣٠).

(٥) انظر: المفردات، الراغب الأصبهاني (ص ٢٢٩).

ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].

وقوله سبحانه: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [سورة النساء: ١٦٠].

فقوله: ﴿وَيُحِلُّ﴾ يقابله ﴿وَيُحَرِّمُ﴾.

وقوله: ﴿حَرَّمْنَا﴾ يقابله ﴿أُحِلَّتْ﴾.

الثانية: مقابلة الحرمة بما يدل على الحل.

ففي هذه الصورة يذكر في الآية الحرمة يقابله ما يدل على الحل؛ كالطيبات.

ولم ترد هذه الصورة إلا في موضعٍ واحد، هو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٢ - ١٧٣].

فقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ﴾ يقابله ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، فالطيبات حلال.

وعند تأمّل آيات المقابلة بين الحل والحرمة، نجدها إما تبين وجه الاختلاف بينهما، أو تشير إلى محل اتفاقٍ بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف الحل والحرمة.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه الحل والحرمة.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف الحل والحرمة

أشارت آيات المقابلة بين الحل والحرمة إلى الاختلاف بينهما في المحل الذي يَرِدان عليه، فالحل يكون للطيبات، والحرمة تكون للخبائث.

قال الله عزّ وجلّ في وصف الأمة التي كتب لها الرحمة: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].

فقد وصف الله في هذه الآية الكريمة نبي هذه الأمة بأنه ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾.

فمن صفات هذا النبي بأنه يحل الطيبات لأمته، ويحرّم عليهم الخبائث.

وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أكمل الشرائع وأتمها، فلم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه، لم يأمر بشيءٍ فقيل: ليته لم يأمر به، ولا نهى عن شيءٍ فقيل: ليته لم ينه عنه، وأحلَّ الطيبات لم يحرم شيئًا منها، كما حُرِّم في شرع غيره، وحَرَّم الخبائث

لم يحلّ منها شيئًا كما استحله غيره، وليس في الكتب إيجاب لعدل، وقضاء بفضل، وندب إلى الفضائل، وترغيب في الحسنات إلا وقد جاء به وبما هو أحسن منه [1].

وقد تميزت شريعة النبي صلى الله عليه وسلم برفع الحرج والتيسير على المكلفين، بخلاف الشرائع السابقة التي تضمنت بعض الأعمال الشاقة؛ كاشتراط قتل النفس للتوبة من المعصية، كما قال سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾ [سورة البقرة: ٥٤]، واشتراط الصلاة في أماكن مخصوصة، وقد علّمنا الله عز وجل أن ندعو فنقول: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦] [2].

وقد أخبر الله عز وجل أنه حرّم على اليهود بعض الطيبات عقوبة لهم، كما قال سبحانه: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [سورة النساء: ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾ [سورة الأنعام: ١٤٦].

وقد كانت هذه الطيبات مما أباح الله لهم قبل أن تنزل التوراة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية (٥/ ٤٤١).

(٢) انظر: اليسر ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. مازن صباح (ص ٥).

قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ٩٣].

فلم يكن حرَّم الله عز وجل على بني إسرائيل شيئًا من الأطعمة من قبل أن تنزل التوراة، بل كان ذلك كله لهم حلالاً، إلا ما كان يعقوب عليه السلام حرّمه على نفسه، فإن وَلده حرّموه استنانًا بأبيهم يعقوب، من غير تحريم الله ذلك عليهم في وحي ولا تنزيل، ولا على لسان رسول من قبل نزول التوراة (١).

وأما هذه الأمة المرحومة، فقد أكرمها الله عز وجل بيسرٍ في الشريعة، وتوسعة في الحلال، حتى صار الحلال هو الأصل، فالأصل في المطعومات هو الحلّ والإباحة، ولا يحرم منها إلا ما حرّم الله.

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٢- ١٧٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [سورة النحل: ١١٤- ١١٥].

فأمر الله عز وجل عباده في هذه الآيات أن يأكلوا من الطيبات التي جعلها الله لهم، ورزقهم إياها، ولا يحرموا منها شيئًا، بل الواجب عليهم شكر هذه النعمة

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٦/ ٧).

التي أنعم بها عليهم. ثم بيّن لهم حكم ما جاوز ذلك من الخبائث التي حرّمها عليهم، رحمة بهم، فالله عز وجل لم يمنع عليهم شيئًا من الطيبات، وإنما حرّم ما حرّم عليهم لأنه غير طيب، لا لأجل التضييق عليهم.

وإن كان هناك تحريم لطيّب ـ كتحريم الصيد للمُحْرِم ـ فهو تحريمٌ مؤقت، لأجل الابتلاء والاختبار.

والمراد بالطيبات هنا: ما تستطيبه النفوس وتستلذه بالإدراك السليم الذي لا يعود بالضرر على الجسد أو الروح (١).

فالطيبات التي أباحها هي المطاعم النافعة للعقول والأخلاق. والخبائث هي الضارة في العقول والأخلاق، كما أن الخمر أم الخبائث؛ لأنها تفسد العقول والأخلاق. فأباح الله الطيبات للمتّقين التي يستعينون بها على عبادة ربهم التي خلقوا لها (٢).

والآيتان ـ وإن ذكرتا الأكل ـ تشملان كل انتفاع بهذه الطيبات (٣).

فالأصل في المطعومات هو الإباحة، وإنما التحريم استثناء لأشياء مخصوصة، وجماع المباح أنه من الطيبات، وجماع المحرم أنه من الخبائث.

فالغرض من المقابلة بين الحل والحرمة في هذا السياق بيان اختلاف

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢/ ١٠٢).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ابن قاسم (١٧/ ١٨٠).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢/ ٢١٥).

المحل، فإن الحلّ للطيبات، والحرمة للخبائث.

وقد أثمرت المقابلة بين الحل والحرمة الفوائد الآتية:

- القاعدة العامة: أن الحل في للطيبات، والتحريم للخبائث.
- قد يحرم الله عز وجل بعض الطيبات عقوبة، كما حصل لليهود.
- قد يقع تحريم مؤقت لبعض الطيبات، كما حرم على المحرم الصيد.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
ما يشترك فيه الحل والحرمة

بينت آيات المقابلة بين الحل والحرمة أن بينهما أمرًا مشتركًا، وهو: أن الحل والحرمة حقٌّ لله عز وجل.

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة يونس: ٥٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة النحل: ١١٦].

فقابل الله عزّ وجلّ في هاتين الآيتين المكيَّتَينِ بين الحلال والحرام في معرض الحديث عن أن التشريع بالتحليل والتحريم حقٌّ لله عز وجل، وليس للناس الحق في التشريع، فما قام به العرب من تحريم بعض البهائم وغير ذلك مجرد اختلاق وكذب منهم، ولم يأذن الله به. وهذا توبيخ شديد على إعطاء الجاهلين أنفسهم حقّ التّحليل والتّحريم، فمن أحلّ برأيه أو حرّم بمجرد هواه، فإنه مفترٍ على الله، ومتجاوزٌ حدوده[1].

(١) انظر: الوسيط، الزحيلي (٢/ ٩٨٤).

وقد جعلت آية سورة يونس المتحدث عن الحلال والحرام أحد شخصين:

الأول: مبلغٌ عن الله عز وجل، يبلغ الناس شرع الله في تحليل هذا، وتحريم ذاك، وليس عن رأيه وهواه.

الثاني: مفترٍ يكذب على الله عز وجل، ويتبع هواه بغير هدًى من الله.

فالكافرون إما أن يَدَّعُوا الإذن من الله لهم بالتحريم والتحليل، وذلك اعتراف بالوحي، وهم ينكرونه ويزعمون أنه محال.

وإما أن يكون ما قالوه محض افتراء على الله، وهو الذي يلزمهم إذا أنكروا الأول[1].

وهم مذمومون على كلا الحالين، ولا مندوحة لهم من الاعتراف بأحد الأمرين.

فأنكر الله عز وجل على المشركين صينعهم في تحريم ما أحلّ الله لهم من الطيبات، ودخل في ضمن ذلك ما أباحوه اتباعًا لأهوائهم، لا اتباعًا لشرع الله عزّ وجل، فأنكر عليهم جعل بعض الرزق حرامًا وبعضه حلالًا من عند أنفسهم[2].

وصنيعهم هذا نوعٌ من كفر النعمة، وعدم القيام بشكرها[3].

وقد وصف الله عز وجل فعلهم هذا (التحليل والتحريم اتباعً للهوى) بأنه

---

(١) انظر: تفسير المراغي (١١/ ١٢٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (١١/ ٢٠٩).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢١٩٨).

افتراء، والافتراء أخصّ من الكذب، ولا يستعمل إلا فيما بهت به المرء وكابر، وجاء بأمر عظيم منكر [1].

« وكفى بهذه الآية زاجرة زجرًا بليغًا عن التجوز فيما يسئل عنه من الأحكام، وباعثة على وجوب الاحتياط فيه، وأن لا يقول أحدٌ في شيءٍ: جائزٌ أو غير جائز، إلا بعد إيقانٍ وإتقان، ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت، وإلا فهو مفتر على الله يوم القيامة » [2].

وأما قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [سورة النحل: ١١٦].

فقد وردت في سياق بيان أن الأصل في الأشياء الإباحة، وأن التحريم مختصٌ بأنواعٍ محدّدة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [سورة النحل: ١١٤- ١١٦].

فالله عز وجل يأمر عباده بأكل رزقه الحلال الطيب، وبشكره على ذلك، ثم

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ١٥٥).

(٢) الكشاف، الزمخشري (٢/ ٣٥٤).

بيّن لهم ما حرمه عليهم مما فيه مضرة لهم في دينهم ودنياهم؛ من الميتة والدم، ولحم الخنزير، ثم نهى تعالى عن سلوك سبيل المشركين، الذين حلّلوا وحرّموا بمجرد ما وضعوه واصطلحوا عليه من الأسماء بآرائهم؛ من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وغير ذلك مما كان شَرْعًا لهم ابتدعوه في جاهليتهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة المائدة: ١٠٣] (١).

ومعنى الآية: أنهم يحلّون ويحرّمون لأجل الكذب لا لغيره (٢).

وقيل: لأجل قولٍ تنطق به ألسنتكم، ويجول في أفواهكم، لا لأجل حجة وبينة (٣).

وتدلّ الآية على أن كل ما وقع منهم من تحليل أو تحريم، فإنما هو افتراءٌ منهم، لا عن حجّة أو بيّنة (٤).

ولأجل هذه الآية الكريمة تورّع بعض العلماء عن قول: "هذا حلالٌ، وهذا حرام"، وعبّروا بألفاظٍ أخرى تدلّ على التحريم أو التحليل (٥).

وهذا التحريم والتحليل من الله عز وجل مع ما فيه من مصلحة للعباد، إلا أنه

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ٦٠٩).

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٥/ ٥٠).

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ٦٤١).

(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ٤٢٩).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠/ ١٩٦).

يتضمن أيضًا الابتلاء والامتحان، فربما يحرّم الله عز وجل بعض المباح في حالات؛ لأجل الابتلاء والامتحان، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة المائدة: ٩٦].

وقد عاتب الله تبارك وتعالى نبيه الكريم صلى الله وعليه وسلم أن حرّم على نفسه بعض ما أحل الله له، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾ [سورة التحريم: ١].

ولم يشفع له صلى الله عليه وسلم أنه كان يلتمس بذلك إرضاء أزواجه رضي الله عنهنّ، وبيّن له أن يكفّر عن يمينه التي حلفها.

وإن كان المقصود من تحريم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحلّ الله له هنا: الامتناع عنه، وليس اعتقاد تحريمه، فإن التحريم التشريعي هو من حقّ الله عزّ وجل، لا يشركه فيه أحد، فليس لأحد أن يحرّم ما أحلّ الله (١).

فتحريم العبد على نفسه شيئًا من المباحات لا يجعله حرامًا، ولكن لو فعله تجب عليه كفارة يمين (٢).

وأما تحريم الطيبات على النفس على وجه التقرب والتعبد لله عز وجل، فقد جعله الله تعالى اعتداء، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (٣٠/ ٥٦٩).

(٢) انظر: تيسير الكريم المنان، السعدي (ص ٢٤٢).

لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة المائدة: ٨٧- ٨٨].

فترك الطيبات البتة كما تترك المحرمات ـ ولو بغير نذر ولا يمين ـ تنسكًا وتعبّدًا لله تعالى بتعذيب النفس وحرمانها، فهو من الاعتداء في الدين، وتجاوز حدود الله عز وجل.

وقد كان المشركون يحرّمون على أنفسهم بعض الأطعمة، وكان النصارى يعتبرون أن أقرب القربات تعذيب النفس وحرمانها من جميع اللذات، وتفنَّنوا في الحرمان من الطيبات، فمنها ما خصصوه بالرهبان والقسيسين، ومنها ما هو عام كالحرمان من اللحم والسمن في بعض أنواع الصوم، والحرمان من السمك واللبن والبيض في بعض آخر منها.

وكل هذه الأحكام وضعها الرؤساء، ولا وجود لها في التوراة، ولا نقلت عن المسيح عليه السلام، ولكن نقلوها عن الوثنيين الذين كانوا يحرّمون كثيرًا من الطيبات، اعتقادًا منهم أن التقرب إلى الله لا يكون إلا بتعذيب النفس وترك حظوظ الجسد [(١)].

وقد فُتِنَ بهم بعض من العُبّاد والمتصوفة، فكان من بدعهم التَرْكِيّة: ترك الطيبات، وقد اتبعوا فيها سَنَنَ من قبلهم؛ كعُبّاد بني إسرائيل ورهبان النصارى، وبعض الوثنيين، يزعمون أن النفس لا تزكو ولا تكمل إلا بحرمان الجسد من

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٢/ ٧٨).

اللذات، وقهر الإرادة بمشاق الرياضات، وتحريم الزينة والطيبات [1].

وأما ترك الطيبات بعض الأحيان من غير قصد حرمان النفس، لشغلٍ عارض، أو لمرضٍ، فلا يدخل في النهي.

والغرض من المقابلة بين الحل والحرمة في هذا السياق بيان تعلقهما بالله عز وجل، وأنهما حقٌّ لله تعالى، لا يشاركه فيهما أحد من خلقه.

وأثمرت المقابلة بين الحل والحرمة الفوائد الآتية:

- التحليل والتحريم حقٌّ لله عز وجل، فليس لأحد أن يقول عن شيء حلال أو حرام إلا أن يكون مبلغًا عن الله عز وجل، وإلا فهو دَعِيٌّ كذاب.
- تحريم العبد على نفسه شيئًا لا يجعله حرامًا، وإنما هو من باب الامتناع، وتجب فيه كفارة يمين.
- تحريم بعض المباحات على وجه التقرب والتعبد لا يجوز، بل هو من الاعتداء في الدين، وهو من عادات أهل الجاهلية.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٧/ ١٨).

المبحث الخامس
المقابلة بين الخير والشر

الخير والشر من الأضداد التي أكثر القرآن الكريم من المقابلة بينهما.

فأما الخَيْر:

فأصل مادة (خ ي ر) تدلّ على العطف والميل؛ فسمي الخير خيرًا؛ لأن كل أحدٍ يميل إليه [١].

وخار الشيء واختاره، أي: انتقاه [٢].

وخار لك الله، أي: أعطاك ما هو خيرٌ لك [٣].

ويقال: خيّرته بين الشيئين، أي: فوّضت إليه الاختيار، فاختار أحدهما وتخيّره [٤].

ويطلق خَيْر ويراد به التفضيل بمعنى (أَخْيَر)، ولا يجمع [٥].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٥/ ٢٥٥).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٢/ ٩١).

(٤) انظر: المصباح المنير، الفيومي (١/ ١٨٥).

(٥) انظر: الكليات، الكفوي (ص ٤٢٣).

والخير: ضدّ الشرّ [1].

وأطلق الخَيْر في القرآن على أشياء؛ منها: القرآن، والمال، والولد، والعافية، والصلاح، والخيل [2].

وأما الشرّ:

فأصل مادة (ش ر ر) تدلّ على الانتشار والتطاير [3].

والشَّرَارَة والشَّرَر: ما تطاير من النار، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ [سورة المرسلات: ٣٢] [4].

والشرّ: السوء [5]. وهو ضدّ الخير [6].

ويقال: رجلٌ شرِّير؛ لانتشار شرِّه وكثرته [7]. وهو منهمكٌ في الشرّ القبيح [8].

ويقال: قومٌ أشرار، خلاف الأخيار [9].

---

(١) انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد (١/ ٥٩٤)، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٥/ ٢٥٤).

(٢) انظر: الكليات، الكفوي (ص ٤٢٣).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ١٨٠).

(٤) انظر: العين، الفراهيدي (٦/ ٢١٧)، مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ١٨٠).

(٥) انظر: العين، الفراهيدي (٦/ ٢١٦)، تهذيب اللغة، الأزهري (١١/ ١٨٦).

(٦) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٧/ ٦١٢)، مختار الصحاح، الرازي (ص ١٦٣).

(٧) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ١٨٠).

(٨) انظر: الفروق اللغوية، العسكري (ص ١٩٩).

(٩) انظر: العين، الفراهيدي (٦/ ٢١٦).

ويقال: فلان شرّ من فلان، أي: أشرّ. للتفضيل، ولا يجمع [1].

وجملة القول: أن الخير ما تميل إليه النفوس وتطلبه [2]. والشرّ ضدّ ذلك.

وأما صور المقابلة بين الخير والشر، فهي ثلاث صور:

الأولى: المقابلة بين لفظي: الخير والشر، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [سورة البقرة: ٢١٦].

وقد قابل القرآن بين لفظي: الخير والشر في عشرة مواضع.

الثانية: مقابلة أحد لفظي: (الخير أو الشر) بصورة من صور ضده؛ فيقابل لفظ (الخير) بما هو من صور الشر كالضر مثلاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٧].

فقابل في هذه الآية الكريمة بين الضر ـ الذي هو صورة من صور الشر ـ وبين الخير.

وقابل الشر بصورة من صور الخير وهي الرشاد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الجن: ١٠].

وقد تكررت هذه المقابلة في خمسة مواضع.

الثالثة: مقابلة صورة من صور الخير، بصورة من صور الشر، كالمقابلة بين

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٧/ ٦١٢).

(٢) انظر: الكليات، الكفوي (ص ٤٢٣).

الإيمان والكفر، والنعيم والعذاب، والأجر والوزر، وغير ذلك مما هو من صور الخير والشر.

وهذه الصورة كثيرة جدًّا، فلا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من مثل هذه المقابلة، بل لو قيل: «**إن من مقاصد القرآن الكريم التفريق بين الخير والشر وأهلهما في المكانة والجزاء**» لكان قولاً صائبًا.

وسوف تقتصر الدراسة في هذا المبحث على الصورتين الأوليين دون الثالثة، وذلك لكثرة المقابلات بين صور الخير والشر، مما يطيل البحث جدًّا، إضافة إلى أن من صور الخير والشر ما أفرد في هذا البحث؛ كالهدى والضلال، وغير ذلك.

وعند تأمّل آيات المقابلة بين الخير والشرّ، نجدها إما تتحدث عن أمور تتعلق بالاختلاف بينهما، أو تشير إلى موضع اشتراكٍ بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف الخير والشرّ.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه الخير والشرّ.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف الخير والشر

أشارت آيات المقابلة بين الخير والشر إلى بعض معالم اختلاف الخير والشر، وتوضحها النقاط الآتية:

١. تمييز الخير من الشر.

تختلف معايير الناس في الحكم على الأمر بالخيرية أو الشرية، ويغتر كثيرٌ من الناس بظاهر الأمر، فيحكم على الأمر بأنه خيرٌ أو شرٌّ من النظرة الأولى.

لكن نبّهت آيات المقابلة بين الخير والشر إلى أن الحكم على الأشياء بالخيرية أو الشرية في غاية الصعوبة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [سورة البقرة: ٢١٦].

إن الخير محبوب مطلوب بالفطرة، وإن الشرّ مكروه مبغوضٌ بالفطرة، فالنفوس مجبولة على الميل إلى الخير وطلبه، ومجبولة على كُرْهِ الشرّ والابتعاد عنه.

لكن الله عز وجل أراد أن ينبه الناس إلى أن الحب أو الكره ليس هو المعيار الصحيح في تحديد الخير من الشر؛ فليس كل محبوبٍ خيرًا، وليس كل مكروهٍ شرًّا، بل الأمر يتجاوز النظرة القصيرة، والحكم العاجل، والمنظر الخارجي للشيء، أو الحَدَث، أو الموقف.

وقد نزلت هذه الآية الكريمة في الجهاد في سبيل الله، الذي هو قتال تكرهه النفوس عادة؛ لما يترتب عليه من الموت أو الأسر أو الجرح أو الفقد، أو غير ذلك مما لا تحبه النفوس.

وكون القتل مكروهًا للنفوس لا ينافي الإيمان؛ لأن تلك الكراهية لا تنافي الرضا بما كلف به؛ كالمريض يشرب الدواء البشع يكرهه لما فيه من البشاعة، ويرضى به من جهة أخرى [1].

والكراهة الجبلية الطبيعية ليست مذمومة على الإطلاق، بل إنها تحقيق لمعنى العبودية؛ فإذا فعل العبد ما لا يُحِبُّ فعله اتباعًا للشرع، فهو المؤمن حقًّا الذي سلم نفسه لله، واختار ما اختاره الله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦].

بل إن مما ابتلى الله عز وجل عباده أن كلّفهم ببعض الأمور الشاقّة التي من جملتها القتال، والنفوس تكرهه وتنفر عنه.

فإن قيل: ما الحكمة في الأمر بما تكرهه النفوس، والنهي عما تحبه

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي (١/ ٥٠١).

النفوس؟ لماذا لا يكون التكليف بالمحبوب، والنهي عن المكروه، حتى تكون الاستجابة أكثر؟

فالجواب: إن حكمة الله عز وجل اقتضت ذلك لأمرين:

الأول: التمحيص والابتلاء، فلا يحصل التمييز بين المؤمن وغير المؤمن إلا باختبار مدى الاستجابة لأمر الله، فلو كان التكليف بما يحبه الناس ويرغبون فيه، لما حصل تمييز بين من يفعل ذلك استجابة لأمر الله، وبين من يفعله لأنه أمرٌ محبوب إليه.

وقد أخبر الله عز وجل أن من سُنَنِهِ في عباده الفتنة والاختبار، فقال جلا وعلا: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [سورة العنكبوت: ١-٢].

وقد صوّر لنا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الفتنة والاختبار فقال: **((حجبت الجنة بالمكاره، وحجبت النار بالشهوات))**(١).

ومن أعظم مواطن الاختبار والابتلاء التكليف بالجهاد والقتال في سبيل الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات (٦٤٨٧)، ومسلم في صحيحه، أول كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [سورة آل عمران: ١٤٠-١٤٢].

وحقيقة الخير تكمن فيما أمر الله به، وحقيقة الشر تكمن فيما نهى الله عنه، ولذلك كان معنى الآية: « عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في أنكم تَغْلِبُون وتَظْهَرُون وتَغْنَمُون وتُؤْجَرُون، ومن مات مات شهيدًا، وَعَسى أَنْ تحُِبُّوا الدَّعَة وترك القتال ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ في أنكم تُغْلَبُون وتَذِلُّون ويَذْهَب أمركم »(١).

قال القرطبي(٢): « وهذا صحيحٌ لا غبار عليه، كما اتفق في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأي بلاد؟! وأَسَر وقَتَلَ وسَبَى واستَرَقَّ، فإنا لله وإنا إليه راجعون! ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته! »(٣).

الثاني: أن حبَّ الأشياء وبغضها ليس معيارًا صحيحًا لمعرفة الخير من الشر، فكم من محبوبٍ رجا صاحبه فيه الخير، فلم يجد إلا الشر، وكم من مكروهٍ توقع صاحبه فيه الشرّ، فوجد الخير العميم.

ولذلك قال الله عز وجل في تمام الآية: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٢٨٩).

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، أبو عبدالله القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد، توفي سنة ٦٧١هـ.
انظر: طبقات المفسرين، السيوطي (ص ٧٩)، طبقات المفسرين، الداوودي (٢/ ٦٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣/ ٣٩).

وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [سورة البقرة: ٢١٦].

فالله وحده سبحانه الذي يعلم حقائق الأمور وعواقبها، وأكثر الناس يغفلون عن ذلك أو يجهلونه.

«وهذه الآيات عامة مطردة، في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها من المشقة أنها خير بلا شك، وأن أفعال الشر التي تحب النفوس لما تتوهمه فيها من الراحة واللذة فهي شر بلا شك.

وأما أحوال الدنيا، فليس الأمر مطردًا، ولكن الغالب على العبد المؤمن، أنه إذا أحب أمرًا من الأمور، فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له، فالأوفق له في ذلك أن يشكر الله، ويجعل الخير في الواقع؛ لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبد من نفسه، وأقدر على مصلحة عبده منه، وأعلم بمصلحته منه، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فاللائق بكم أن تتماشوا مع أقداره، سواء سَرَّتْكم أو سَاءَتْكُم»(١).

«فقد يكمن الخير بعد الضر، واليسر بعد العسر، والراحة الكبرى بعد الضنى والعناء. وقد تكون الحسرة كامنة وراء المتعة، وقد يكون المكروه مختبئًا خلف المحبوب، وقد يكون الهلاك متربصًا وراء المطمع البراق...

إن الإنسان لا يدري أين يكون الخير؟ وأين يكون الشر؟

لقد كان المؤمنون الذين خرجوا يوم بدر يطلبون عِيْرَ قريش وتجارتها،

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٩٧).

ويرجون أن تكون الفئة التي وعدهم الله إياها هي فئة العير والتجارة، لا فئة الحامية المقاتلة من قريش، ولكن الله جعل القافلة تَفْلُت، ولقاهم المقاتلة من قريش! وكان النصر الذي دوّى في الجزيرة العربية ورفع راية الإسلام. فأين تكون القافلة من هذا الخير الضخم الذي أراده الله للمسلمين! وأين يكون اختيار المسلمين لأنفسهم من اختيار الله لهم؟ والله يعلم والناس لا يعلمون!

ولقد نسي فتى موسى عليه السلام ما كانا قد أعداه لطعامهما ـ وهو الحوت ـ فتسرب في البحر عند الصخرة، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [سورة الكهف: ٦٢-٦٥].. وكان هذا هو الذي خرج له موسى عليه السلام. ولو لم يقع حادث الحوت ما ارتدا، ولفاتهما ما خرجا لأجله في الرحلة كلها!

وكل إنسان ـ في تجاربه الخاصة ـ يجد أن في حياته مكروهاتٍ كثيرة كان من ورائها الخير العميم. ولَذَّاتٍ كثيرة كان من ورائها الشر العظيم. وكم من مطلوب كاد الإنسان يذهب نفسه حسرات على فوته، ثم تبيَّن له بعد فترة أنه كان إنقاذًا من الله أن فوت عليه هذا المطلوب في حينه. وكم من محنة تجَرَّعَها الإنسان لاهثًا يكاد يتقطع لفظاعتها. ثم ينظر بعد فترة فإذا هي تنشئ له في حياته من الخير ما لم ينشئه الرخاء الطويل.

إن الإنسان لا يعلم، والله وحده يعلم، فماذا على الإنسان لو يستسلم؟!»(١).

ولو تأمل المؤمن في حقيقة الأمور وعواقبها، لعلم أن الله عز وجل لا يخلق شرًّا محضًا، بل كل ما يخلقه ففيه حكمةٌ هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شرٌّ لبعض الناس، وهو شرٌّ جزئي إضافي، فأما شرٌّ كلي أو شرٌّ مطلق فالله عز وجل منزهٌ عنه، ولا ينسب إليه، وإن كان من جملة ما خلق الله عز وجل، الذي خلق كل شيءٍ فقدره تقديرًا(٢).

فإذ علم العبد أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرّة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة، لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد.

ويبيّن لنا القرآن هذه الحقيقة في قصّة واقعية، وحَدَثٍ مشهود، ألا وهي قصة الإفك فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ [سورة النور: ١١].

فالمقابلة في هذه الآية بين حسبان الشر ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُم﴾ وحصول الخير ﴿هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾.

فبدأ الحديث عن هذا الحدث بتأكيد هذه الحقيقة ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ

(١) في ظلال القرآن الكريم، سيد قطب (١/ ٢٢٤- ٢٢٥).

(٢) انظر: الحسنة والسيئة، ابن تيمية (ص٤٤).

﴿لَّكُمْ﴾ فلا يغرنكم ظاهر الأمر، ولا يستحوذ عليكم حال الموقف، بل لو تدبرتم حقيقة الأمر، ونظرتم إلى العاقبة لعلمتم أن في طياته الخير الكثير لكم.

فلو لم تكن حادثة الإفك، لم يظهر فضل عائشة رضي الله عنها، وإنما ظهر فضلها بما صبرت، فنزل فيها سبع عشرة آية من القرآن، ولأنه يؤخذ من حسناتهم ويوضع في ميزان عائشة وصفوان، وهذا خير لهما [1].

وفي مثالٍ آخر لما يتوهم أنه خير، فيقول جل وعلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠].

فالمقابلة في هذه الآية بين حسبان الخير ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ وحصول الشر ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾.

فهؤلاء الذين يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله، من المال والجاه والعلم، وغير ذلك مما منحهم الله، وأحسن إليهم به، وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك، وأمسكوه، وضنوا به على عباد الله، وظنوا أنه خير لهم، بل هو شر لهم في دينهم ودنياهم، وعاجلهم وآجلهم، يعذبون به، وما علموا أن ما حسبوه نافعهم ومُجْدٍ عليهم، ينقلب عليهم ويصير من أعظم مضارهم، وسبب عقابهم [2].

---

(١) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٥٠٢).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ١٥٨).

فالخير الحقيقي ما كان أثره وعاقبته خيرًا، والشرّ الحقيقي ما كان أثره وعاقبته شرًّا.

ويشير القرطبي إلى معنى آخر في اعتبار الخير والشر فيقول: «والخير حقيقته: ما زاد نفعه على ضره. والشر: ما زاد ضره على نفعه. وإنّ خيرًا لا شر فيه هو الجنة. وشرًّا لا خير فيه هو جهنم. فأما البلاء النازل على الأولياء فهو خير؛ لأن ضرره من الألم قليلٌ في الدنيا، وخيره هو الثواب الكثير في الأخرى»[1].

٢. اختلاف الخير والشر في الجزاء.

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [سورة الزلزلة: ٧-٨].

قابل القرآن في هاتين الآيتين بين جزاء عمل الخير ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ وجزاء عمل الشرّ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم هاتين الآيتين بـ((**الجامعة الفاذة**))[2]. أي: العامة في معناها والقليلة النظير[3].

ولما كان عمل الخير يختلف عن عمل الشرّ، فكذلك جزاء كلٍّ منهما يختلف عن الآخر، فالجزاء من جنس العمل، فجزاء الخير خيرٌ، وجزاء الشرّ شرٌّ.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٧١)، كتاب المساقاة، باب شرب الناس والدواب من الأنهار، ومسلم في صحيحه (٩٨٧)، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، عن أبي هرير رضي الله عنه.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي (٧/ ٦٧).

ولا فرق في ذلك بين جليل العمل وحقيره، وكثيره وقليله، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: ولو كان وزن نملة صغيرة [1]، أو مقدار هباءٍ لا تُرى إلا في شعاع الشمس من صغرها ودقتها، وتطير من خفة وزنها [2].

والمقصود أن العمل مهما كان صغيرًا لا يكاد يُرى، فإنه يُرى أثَرُه وجزاؤه يوم القيامة، تحقيقًا للعدل، وإقامةً للقسط، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٤٧].

فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير، يرى ثوابه في الآخرة، ومن عمل في الدنيا وزن ذرة من شرٍّ يرى جزاءه في الآخرة [3].

وقيل: يرى العامل عَمَلَه مكتوبًا في صحائفه [4]، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الكهف: ٤٩].

ويرى بعض المفسرين أن المراد الجزاء في الدنيا، فمن عمل خيرًا رأى

(١) انظر: غريب القرآن، ابن قتيبة (ص٤٦٥).
(٢) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٣/ ٦٠٧).
(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٤/ ٥٤٩).
(٤) انظر: النكت والعيون، الماوردي (٦/ ٣٢١).

جزاءه وثمرته في الدنيا، ومن عمل شرًّا رأى جزاءه وعقوبته في الدنيا [1].

فثمرة عمل العبد تظهر في الدنيا في نفسه وأهله وماله، فمن كان من أهل الخير والصلاح ظهر أثر هذا الخير في نفسه وأهله وماله، ومن كان من أهل الشرّ والفجور، ظهر أثر هذا الشرّ في نفسه وأهله وماله.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((ليس مؤمن ولا كافر عَمِل خيرًا ولا شرًّا في الدنيا، إلا آتاه الله إياه. فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته، فيغفر الله له سيئاته. وأما الكافر فيردّ حسناته، ويعذّبه بسيئاته)) [2].

وقيل: إن المؤمن يرى عقوبة سيئاته في الدنيا، وثواب حسناته في الآخرة، وإن الكافر يرى ثواب حسناته في الدنيا، وعقوبة سيئاته في الآخرة، ولا ينفعه في الآخرة ما سلف له من إحسان في الدنيا مع كُفره [3]، كما قال جلّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [سورة النور: ٣٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [سورة الفرقان: ٢٣].

قال محمد بن كعب القرظي [4]: ((من يعمل مثقال ذرَّة من خير من كافر،

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٥/ ٣٥٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في جامعه (٢٤/ ٥٥٠).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٤/ ٥٥٣)، النكت والعيون، الماوردي (٦/ ٣٢١).

(٤) محمد بن كعب بن حيان القرظي، من حلفاء الأوس، كان أبوه من سبي بني قريظة، سكن الكوفة ثم المدينة، توفي سنة (١٠٨هـ)، وقيل غيرها.

=

يرى ثوابها في نفسه وأهله وماله، حتى يخرج من الدنيا وليس له خير، ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن، يرى عقوبتها في نفسه وأهله وماله، حتى يخرج وليس له شر))[1].

وقد يستقلُّ أحدهم بعض الأعمال؛ كأن يعطي اليسير كَكِسْرَةِ خُبْزٍ أو تمرةٍ، ويرى أنه لا يؤجر عليه، ويقول: إنما نؤجر على مَا نعطي ونحن نحبه، وليس اليسير مما نحب[2].

وقد يتهاون آخرون بالذنب اليسير كالكذبة والنظرة وأشباه ذلك، ويقول: إنما توعد الله بالنار على الكبائر.

فرغّبهم الله بهاتين الآيتين في القليل من الخير، وحذّرهم اليسير من الشرّ[3]، فالإثم الصغير في عين صاحبه يوم القيامة أعظم من الجبال، وجميع محاسنه أقلّ في عينه من كل شيء[4].

=

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٥/ ٦٥)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٩/ ٤٢٠).

(١) أخرجه ابن جرير في جامعه (٢٤/ ٥٥٠).

(٢) وفي هذا المعنى يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا النار ولو بشق تمرة). أخرجه البخاري في صحيحه (١٤١٣)، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، ومسلم في صحيحه (١٠١٦)، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه. ودخلت امرأة معها ابنتان على عائشة رضي الله عنها، فلم تجد شيئًا إلا تمرة، فأعطتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها. أخرجه البخاري في صحيحه (١٤١٨)، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، ومسلم في صحيحه (٢٦٢٩)، كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٧٩٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٦).

(٤) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (١٠/ ٢٦٦).

وقد أفادت هاتان الآياتان أمرين:

الأول: أن الله عز وجل لا يخفى عليه صغير ولا كبير.

والثاني: أنه يجازي على كل قليل وكثير [(١)].

فالناس يوم القيامة يخرجون من قبورهم متفرقين لا يَلْوِي أحد على أحد، متجهين إلى موقف الحساب ليطلعوا على جزاء أعمالهم الدنيوية، فمن كان منهم قد عمل في دنياه عملاً صالحًا رأى ثماره الطيبة، حتى ولو كان هذا العمل في نهاية القِلَّة، ومن كان منهم قد عمل عملاً سيئًا في دنياه، رأى ثماره السيئة، حتى ولو كان هذا العمل في أدنى درجات القِلَّة [(٢)].

وهذا جمع للترغيب والترهيب في أوجز عبارة، وأوضح دلالة.

٣. اختلاف خير البرية عن شر البرية.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [سورة البينة: ٦-٧].

قابلت هاتان الآيتان الكريمتان بين المؤمنين والكافرين، فوصفت الكافرين بأنهم ﴿شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾، ووصفت المؤمنين بأنهم ﴿خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾.

والبرية: الخليقة [(٣)]، فمن آمن وعمل صالحًا فهو من خير الخليقة، ومن كفر

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردي (٦/ ٣٢١).

(٢) انظر: الوسيط، سيد طنطاوي (١٥/ ٤٧٩).

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (٥/ ٣٢٩).

وأشرك فهو من شرّ الخليقة [1].

فالذين كفروا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وجحدوا نبوّته، من اليهود والنصارى والمشركين جميعهم، هم شرُّ من برأه الله وخلقه.

والذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وعبدوا الله مخلصين له لدين حنفاء، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله فيما أمر ونهى، فهم خير البرية [2].

وحمل بعض المفسرين وصف ﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾، و ﴿خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ على من كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم [3].

وعند تأمل الآيات نجدها علقت وصف الخيرية والشرية بالإيمان والكفر، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فكل من مات على الكفر كان من ﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾، وكل من مات على الإيمان كان من ﴿خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

ولما ابتدأ الله عز وجل السورة بالحديث عن حال الفريقين وصفاتهما، ختم السورة بالحديث عن جزاء الفريقين [4].

فقد بينت الآيات أن جزاء شر البرية هو الخلود في نار جهنم، بينما جزاء خير

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٧٨١).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٤/ ٥٤٢).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٣٢/ ٢٤٨)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠/ ١٤٥).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٣٢/ ٢٤٦).

البرية الخلود في جنات عدن محل الإقامة الدائمة، وزادهم فوق ذلك رضوان الله عليهم، الذي هو غاية العطايا، ونهاية المنح، وفي الحديث: ((**إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: أي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا**))[1].

اللهم إنا نسألك رضوانكم الذي لا سخط بعده، واكتبنا من خير البرية.

والغرض من المقابلة بين الخير والشر في هذا السياق الإشارة إلى بعض متعلقات الاختلاف بينهما.

وقد أثمرت آيات المقابلة بين الخير والشر الفوائد الآتية:

- يختلف الخير عن الشر في حقيقتها وعاقبتهما، ولكن لا يعلم حقيقة كون الأمر خيرًا أو شرًّا إلا الله عز وجل.
- قد يأمر الله عز جل عباده بما ظاهره الشر، وفيه الخير العميم، وينهى عمّا ظاهره الخير، وفيه الشر المستطير.
- هناك تلازمٌ بين الخير والشر، فلا يكاد يخلو أمرٌ من خيرٍ من وجه، وشرٍّ من وجه آخر.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٤) (٦٥٤٩)، كتاب ، باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٦) (٢٨٢٩) ، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

- الجزاء من جنس العمل، فجزاء عمل الخير خير، وجزاء عمل الشرِّ شرّ.
- وصف الناس بالخيرية أو الشرية متعلقٌ بإيمانهم وكفرهم؛ فمن مات على الإيمان كان من ﴿ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾، ومن مات على الكفر كان من ﴿ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾.
- جزاء ﴿ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ الخلود في العذاب المقيم، وجزاء ﴿ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ الخلود في جنات النعيم الدائم الذي لا ينقطع.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني
ما يشترك فيه الخير والشر

بيّنت آيات المقابلة بين الخير والشر بعض وجوه الاشتراك بين الخير والشر، ومن تلك الوجوه:

١. الخير والشر بإرادة الله عز وجل.

فكل ما يحدث في هذه الحياة من خيرٍ أو شرّ بإرادة الله عز وجل وتقديره.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة يونس: ١٠٧].

وعند تأمل الآيتين نجد أنها تدلّ على أن الخير والشر كلاهما بإرادة الله عز وجل التي لا يخرج عنها شيء.

فقد أسندت المسّ في الخير والشر لله عز وجل، وذلك يدل على أن حصول الخير والشرّ بإرادته سبحانه.

وقد يستشكل البعض إسناد المس لله عز وجل، مع أن الذي يمسّ الإنسان ويباشره الأمور والأحداث التي توصف بأنها خير أو شرّ!

ولما كانت هذه الأمور والأحداث بأمره وإرادته سبحانه وتعالى أسند المسَّ لنفسه سبحانه (1).

فهو سبحانه وتعالى مالك الخير والشر، والضر والنفع، وهو المتصرف في خلقه بما يشاء، وكيف يشاء، لا معقب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه، فهو سبحانه وتعالى الذي يصيب بالشرّ ويكشفه، والذي يمنح الخير ويديمه أو يرفعه (2).

وإذا كان الأمر كذلك فعجيبٌ ممن يلتجئ إلى آلهة ذليلة، لا تملك لنفسها ـ فضلاً عن غيرها ـ نفعًا ولا ضرًّا، وكيف لا يخلص العبادة لمن بيده الخير والشرّ، والنفع والضر، وله القدرة الكاملة، والعزة الظاهرة (3).

فمن أدلة توحيده سبحانه: أنه تعالى المنفرد بكشف الضراء، وجلب السراء، فإذا كان وحده النافع الضار، فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية والإلهية(4).

والمقصود بيان أن الحول والقوة لله، وبيان ذلك بما يحسّه الناس من

---

(1) انظر: البسيط، الواحدي (8/ 44).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (3/ 244)، روح المعاني، الألوسي (4/ 107).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري (11/ 288).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص252).

أنفسهم، وما يرونه من أحوالهم المتقلبة بين الخير والشر، والنفع والضر [1].

وطريق الرغبة في الخير أو الرهبة من الشر، لا يكون إلا إليه، وبالاعتماد عليه سبحانه [2].

والخطاب في الآيتين للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن المشركين خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم، وعرّضوا له بعزمهم على إصابته بشر وأذى، فخاطبه الله بما يثبت نفسه، وما يقطع الطريق على أعدائه [3].

وإن قيل: لما عبّر في آية يونس في جانب الضّر بالمسّ، وفي جانب الخير بالإرادة؟

فيقال: لما كان الخير مقصودًا لذاته عبّر في جانبه بالإرادة، ولما كان الضرّ غير مقصود لذاته، وإنما لتحقيق مصلحة عبّر عنه بالمسّ [4].

وقيل: أراد كلا الأمرين جميعًا: الإرادة والمسّ في كلٍّ من الضرّ والخير، وأنه لا رادَّ لما يريده منهما، ولا مزيل لما يصيب به منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المسّ وهو الإصابة في أحدهما، والإرادة في الآخر، ليدلّ بما ذكر على ما ترك [5].

وقيل: لما كان الضرّ أمرًا وجوديًّا حسيًّا عبّر عنه بالمسّ، والخير قد يكون

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ١٤٧).

(٢) انظر: مدارك التنزيل، النسفي (٢/ ٤٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٧/ ١٦٢).

(٤) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (٣/ ١٢٦).

(٥) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ٣٧٥).

وجوديًّا وقد يكون عدميًا لم يذكر لفظ الإمساس فيه، بل عبر بالإرادة (١).

وفي آية أخرى يقابل القرآن الكريم بين الشرّ وصورة من صور الخير (الرشد)، في معرض الحديث عن الإرادة الإلهية، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الجن: ١٠].

فقد حكى الله عز وجل عن الجنّ أنهم لما رأوا تساقط الشهب، وحراسة السماء من استراق السمع، هالهم الأمر، وتعجّبوا منه، وأخذتهم الحيرة، فهل أريد بهذا الأمر شرًّا بأهل الأرض، أم أراد لهم ربهم الصلاح والرشد (٢)، بأن يبعث منهم رسولاً مرشدًا يرشدهم إلى الحقّ (٣).

وحين ذكروا الشرّ لم يسندوه إلى الله تعالى، وحين ذكروا الرشد أسندوه إليه تعالى تأدبًا معه سبحانه، وإلا فالكل بأمره تعالى وإرادته (٤)، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستفتاح: **((والخير بيديك، والشرُّ ليس إليك))** (٥).

والله عز وجل « لا يخلق شرًّا محضًا، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شرٌّ لبعض الناس وهو شرٌّ جزئيٌّ إضافي، فأما

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٧/ ٣١٠).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (٢٢/ ٣٠٠).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٣/ ٦٥٨).

(٤) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (١٠/ ٢٩٨)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٩/ ٤٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٧١) (١/ ٥٣٤)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

شرٌّ كليٌّ، أو شرٌّ مطلقٌ، فالرب منزهٌ عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه.

وأما الشر الجزئي الإضافي، فهو خير باعتبار حكمته؛ ولهذا لا يضاف الشرّ إليه مفردًا قط، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٠١]، وإما أن يضاف إلى السبب كقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]، وإما أن يحذف فاعله»[١].

٢. الابتلاء يكون بالخير وبالشر.

من المسائل المشتركة بين الخير والشر، أن الابتلاء يكون تارةً بالخير، وتارةً بالشرّ.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٣٥].

فالخير والشر يستويان في أن كلاًّ منها يحصل الابتلاء به.

فالله عز وجل يبتلي عباده ويختبرهم بالخير والشر، فكلاهما بلاء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

وقد أكدّ في الآية حصول الابتلاء بالخير والشر بقوله: ﴿فِتْنَةً﴾[٣].

فالحياة الدنيا كلها اختبار وتمحيص، ولا يخلو حال الإنسان فيها من

---

(١) الحسنة والسيئة، ابن تيمية (ص ٤٤- ٤٥).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٨/ ٤٤٠).

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ١١٦).

حالين:

- خيرٍ يتنعم فيه، يجب فيه الشكر والقيام بحقه.
- وشرٍّ، يجب فيه الصبر وعدم الجزع.

فالمقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتمحيص، والتعريض للثواب والعقاب [1].

فالحياة الدنيا بما فيها من متعٍ وملذَّات، وما فيها مصائب وبلايا، وما فيها من غنى وفقر، وصحة ومرض، وقوة وضعف، محطاتُ ابتلاء واختبار، فمن شكر الله على ما يحب، وصبر على ما يكره، فقد فاز في هذا الاختبار.

ومن قابل النعم بالكفران والجحود، والمصائب بالجزع والتسخط، فقد أخفق في الاختبار.

وحصول الابتلاء بالشر أمرٌ ظاهر، يعلمه كل أحد، وأما الابتلاء بالخير فإنه يخفى على كثيرٍ من الناس، فقد يظن الغافل أن تتابع النعم عليه دليل على رضا الله عز وجل عنه.

ولو تفطن العبد لعلم أن الابتلاء بالخير أشد وطأة، وأعظم فتنة؛ فإن كثيرًا من الناس يصمد عند الابتلاء بالشر، ولكن القلة القليلة هي التي تصمد عند الابتلاء بالخير.

فالفقر الذي يبتلى به كثير من الناس على ما فيه من شدة وضيق، إلا أنه

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٦/ ٦٦)، روح المعاني، الألوسي (٩/ ٤٥).

حاجز لهم عن كثيرٍ من المعاصي والآثام، لكن الأغنياء يغريهم غناهم، وتستهويهم ملذات الدنيا وشهواتها، فيقعون في كثير من الذنوب والآثام.

فكثيرًا ما يذهل الإنسان عن الله في حال الخير والرخاء، ويغفل عن ذكره.. ولكنه فى حال الشدّة والضرّ يذكر الله ويهتف به، ويمدّ يده إليه كما يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [سورة يونس: ١٢].

فما أقلّ أولئك الذين يجدون في نعم الله طريقًا يوصلهم إلى الله، ويقرّبهم منه، ويقيمهم على الشكر والحمد، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ: ١٣].

أما في البلاء وفي الشدة، فإن الناس جميعًا ـ مؤمنهم وكافرهم ـ يذكرون الله، ويهتفون به، حتى فرعون، فإنه حين أدركه الغرق، قال: آمنت!

وهكذا الناس، تدنيهم الشدائد من الله، وتقربهم منه. وإنها لنعمة تلك الشدائد، التي توجّه الإنسان إلى الله، لو أنه استقام في طريقه إلى الله، ولم ينقلب على عقبيه (١).

فكثيرون يجتازون مرحلة الشدة بنجاح، ولكن إذا جاء الرخاء سقطوا في الاختبار.

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (٤/ ١٤٣- ١٤٤).

وقد روي عن عبدالرحمن بن عوف [1] رضي الله عنه أنه قال: ((ابتلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضراء فصبرنا، ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر)) [2].

والواجب هو شكر النعم، والصبر على المصيبة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرًا له**)) [3].

ونتيجة الابتلاء انكشاف حال العبد، وبيان أمره، وظهور جودته ورداءته، وما ذلك على الله بخافٍ، ولكنها سنة الله وحكمته [4].

وقدّم الشرَّ على الخير ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾؛ لأن الابتداء بالأدنى أكثر عند العرب، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة فاطر: ٣٢].

فقدّم الظالم لنفسه وهو أدنى مرتبة مما بعده [5].

---

(١) عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشي الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة، توفي سنة (٣٢هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١/ ٦٨)، الإصابة، ابن حجر (٤/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٦٤)، أبواب صفة القيامة الرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب (رقم ٣٠)، وقال: هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٩٩)، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير.

(٤) انظر: روح البيان، إسماعيل حقي (٥/ ٤٧٩).

(٥) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٨١).

وقيل: قدم الشر؛ لأنه اللائق بالمنكر عليهم، أو لأنه ألصق بالموت المذكور قبله[1].

وفي سياق الحديث عن طبيعة الإنسان، وما جبل عليه من حبِّ الخير، وكره الشرّ، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المعارج: ١٩-٢٢].

فقابل القرآن الكريم بين حال الإنسان إن أصابه الخير، وحاله إن أصابه الشر.

فأخبر الله عز وجل أن جنس الإنسان خلق هلوعًا، ومادة (هلع) تدل على عجلةٍ وسرعةٍ وحِدَّةٍ في الحكم[2]، فيسرع إلى الجزع إذا مسّه المكروه، ويسرع إلى المنع إذا مسَّه الخير، وهذه جِبِلَّةٌ في الإنسان، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٧][3].

وعبّر بالخلق هنا كناية عن تمكن ذلك الخُلق منه وغلبته على نفسه[4].

فالابتلاء هنا بمغالبة هذه النفس ومجاهدتها، في الشر والخير، فيصبر إذا أصابه مكروه ولا يجزع، وينفق مما آتاه الله من الخير ولا يبخل.

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي (٩/ ٤٥).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٦/ ٦٢).

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ٦١٢).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ١٦٨).

قال ابن كيسان (١): « خلق الله الإنسان يحب ما يسره، ويهرب مما يكرهه، ثم تعبده الله بإنفاق ما يحب، والصبر على ما يكره » (٢).

ثم استثنى الله عز وجل من الجنس البشري طائفة فقال: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾، ثم أخذ يعدد أوصافهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة المعارج: ٢٣-٣٤].

فقد « وصفهم سبحانه وتعالى بما ينبئ عن كمال تنزههم عن الهلع؛ من الاستغراق في طاعة الحق عز وجل، والإشفاق على الخلق، والإيمان بالجزاء، والخوف من العقوبة، وكسر الشهوة، وإيثار الآجل على العاجل » (٣).

ومن أهل التفسير من خصّ وصف الهلع بالكافر (٤).

وفي سياق مشابه يقابل القرآن الكريم بين حال الإنسان إذا أصابته النعمة

---

(١) محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن، المعروف بابن كيسان: من العلماء بالنحو واللغة، مفسر، من أهل بغداد، توفي سنة (٢٩٩هـ).

انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (١/ ٣٣٥)، طبقات المفسرين، الداوودي (٢/ ٥٣).

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٨/ ٢٢٣)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٨/ ٢٨٩).

(٣) روح المعاني، الألوسي (١٥/ ٧٠).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٣/ ٢٦٧)، الهداية، مكي بن أبي طالب (١٢/ ٧٧١٢)، أضواء البيان، الشنقيطي (٨/ ٢٦٩).

ـ التي هي نوع من الخير ـ وحاله إذا مسّه الشر، فيقول تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٨٣]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة فصلت: ٥١] أي: دعاءٍ كثير (١).

فتصف هاتان الآيتان حال الإنسان إذا وسَّع الله عليه وأغدق عليه بالنعم، فهو يعرض عن ذكر الله، ويمشي مستكبرًا في الأرض، وكأن الله لم يمنَّ عليه بشيء، معرضًا عن كل ما يذكِّره بخالقه ومولاه.

وأما إذا أصابه الشر فيعلوه اليأس، ويستولي عليه الجزع، ويكثر من الأسف والحزن، ويقبل على ربّه يسأله أن يرفع ما به من ضر وشر.

فهذه هي حال الإنسان «إذا أنعم الله عليه: استعظم وطغى، وأعرض ونأى بجانبه. فأما إذا مسّه الشر فيتخاذل ويتهاوى، ويصغر ويتضاءل، ويتضرع ولا يمل الضراعة. فهو ذو دعاء عريض!» (٢).

فالعبد يُبْتَلَى في كلا الحالين: في النعمة والخير، والشدة والشر، ليعلم الله من يشكره على نعمه، ويقوم بحقها، ويَنْسِبُها إلى مُنْعمها، ويعلم الذين يصبرون في الشدائد والمحن، ويوقنون أن الفرج من الله، ويخلصون له العبادة والدعاء.

وفي صورة أخرى من صور الابتلاء بالخير والشر، أخبرنا القرآن الكريم عن

---

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٧/ ١٧٩).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٣١٣٠).

حال أناسٍ يدخلون في الإسلام، وهم ينتظرون ويتربصون، فإن حصلوا على الخير والمال والنعم، بقوا على دينهم، وإن هم لم يجدوا ما أمَّلوه نكصوا على أعقابهم كافرين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الحج: ١١].

وعبّر عن هذا الشر والبلاء الذي قد يصيبهم بـ(فتنة)؛ لأن الفتنة والاختبار في أظهر صورها تحصل بوقوع الشرّ والبلاء.

وصوَّر لنا القرآن حال هذا المتذبذب كمن يقف على حافة الهاوية، فهو يرجو خيرًا ورزقًا يتشبث به، وما أن تصبيه مصيبة حتى تنزلق قدمه ويهوي في الخسران المبين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلامًا، ونَتَجَتْ خَيْلُه، قال: هذا دينٌ صالح. وإن لم تلد امرأته ولم تُنْتَجْ خيلُه، قال: هذا دين سوء))(١).

وهذا حال كثيرٍ ممن يدخل في الإسلام عن غير قناعة تامة، وإنما كالمجرب للإسلام؛ فإن أصابه الخير آمن واطمئن للإسلام، وإن أصابه الشر والضر ارتدّ عنه، كمن يقف في أطراف الجيش، فإن رآهم انتصروا اقتسم معهم الغنيمة، وإن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (٤٧٤٢)، كتاب التفسير، باب ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾.

رآهم انتهزموا فرّ من المعركة.

فجعل هذا الجاهل حصول الخير والنعمة معيارًا وميزانًا يعلم به الدين الحق من الدين الباطل، وطريق الهدى من الضلال.

وهذا كله ناشئٌ عن الجهل والخلط بين الأسباب الدنيوية والأسباب الأخروية، فلا تلازم بين صحة الدين وما يصيب أهله من خير أو شر، فَرُبَّ دينٍ باطلٍ يعيشه أهله في رخاء وسعة رزق، وكم من نبي اتبعه فقراء قومه وضعفاؤهم، كما قال قوم نوح لنبيهم عليه السلام: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ﴾ [سورة هود: ٢٧] [١].

وهذا الذى يعبد الله على حرف، جمع على نفسه خسارتين:

- خسارة الدنيا، بسبب عدم حصوله على ما يريده منها.
- وخسارة الآخرة، بسبب ارتداده إلى الكفر وغشيان السيئات.

وذلك هو الخسران الواضح البيّن [٢].

٣. استعجال الخير والشر.

من أوجه الاشتراك بين الخير والشرّ: أن الناس يستعجلون الشرّ كما يستعجلون الخير، ويدعون على أنفسهم بالشرّ، كما يدعون لها بالخير.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٧/ ٢١٠-٢١١).

(٢) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي (٩/ ٢٨٥).

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة يونس: ١١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [سورة الإسراء: ١١].

فقابلت الآيتان بين الخير والشر في الاستعجال.

فقابلت الآية الأولى بين تعجيل الله الشرَّ للناس، واستعجالهم الخير.

وقد ذكر المفسرون في معنى الآية ثلاثة أقوال:

الأول: لو أجيب الناس في دعائهم على أنفسهم وأهليهم ومن يحبون عند الغضب بالموت أو البلاء، كقولهم: فعل الله بك وأماتك الله، كما يستجيب الله دعاءهم بالخير، لكان في ذلك هالكهم (١).

الثاني: أن هذه الآية جوابٌ لقول كفار قريش: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال: ٣٢]، والمعنى: ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به، كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه، لأميتوا وأهلكوا (٢).

فالمقابلة ـ على هذين القولين ـ بين تعجيل الله استجابته لدعائهم بالشرّ،

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٥/ ٣٣)، البسيط، الواحدي (١١/ ١٣٤)، تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ١٠٦).

(٢) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ١٠٦) الهداية، مكي بن أبي طالب (٥/ ٣٢٢٩)، الكشاف، الزمخشري (٢/ ٣٣٢).

وتعجيله تعالى استجابته لدعائهم بالخير.

الثالث: لو يُعَجِّلُ الله للكافر العذاب على كفره ـ كما عَجَّلَ له خير الدنيا من المال والولد ـ لَعَجَّلَ له قضاء أجله؛ لِيَتَعَجَّلَ عذاب الآخرة [1].

ويدلُّ على هذا القول تتمة الآية ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ يعني: الكفَّار الذين لا يخافون البعث [2].

والمقابلة ـ على هذا القول ـ بين تعجيل الله العذاب للكفار، وتعجيله الخير لهم.

وقوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ﴾ متضمن معنى نفى التعجيل، كأنه قيل: ولا نعجل لهم الشر، ولا نقضي إليهم أجلهم [3].

وهذا من رحمة الله تعالى بعباده، فلا يستجيب لاستعجالهم الشرّ، كما يستجيب لهم في الخير، بل يُمْهِلُهُمْ، ويفسح لهم في الأجل، لعل تائبًا يتوب، أو متفكرًا يتعظ.

وأما الآية الثانية: وهي قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [سورة الإسراء].

فقابلت بين الدعاء بالخير والدعاء بالشر، والإنسان من فَرَط عجلته يدعو

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردي (٢/ ٤٢٥).

(٢) انظر: الوجيز، الواحدي (ص٤٩١)، معالم التنزيل، البغوي (٤/ ١٢٤).

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ٣٣٢).

على نفسه بالشرّ كما يدعو بالخير، لذلك ختمت الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾.

وقد ذكر المفسرون ثلاث صورٍ للدعاء بالشرّ:

الصورة الأولى: أن يغلب على الإنسان الحزن أوالغضب فيدعو على نفسه أو أهله وولده بالشر والمصائب، كمن يدعو على ولده بحصول المصائب، أو الحرمان من النعم [1].

وهذا كثيرٌ في الناس، ومن نعمة الله عز وجل ورحمته أنه لا يستجيب له في دعائه بالشر، فلو استجيب له بما دعا به لهلك [2].

فربما تحلُّ بالإنسان ضائقة، أو تنزل عليه مصيبة كفقد عزيز ـ مثلاً ـ، فتضيق عليه الأرض بما رحبت، فيدعو على نفسه.

وقد ألمح النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك، فعندما توفي أبو سلمة رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأهل بيته: ((**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يُؤَمِّنُون على ما تقولون**)) [3].

وقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء على النفس والأهل والأموال فقال: ((**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على**

(١) انظر: غريب القرآن، ابن قتيبة (ص٢١٤)، جامع البيان، الطبري (١٧/ ٣٩٣).

(٢) انظر: معاني القرآن، الفراء (٢/ ١١٨)، تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٠٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٩٢٠) (٢/ ٦٣٤)، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، عن أم سلمة رضي الله عنها.

أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم)) (١).

الصورة الثانية: أن يدعو الإنسان بما يظنه خيرًا له وحقيقته وعاقبته شرٌّ له، جهلاً منه وغفلة (٢)؛ فيطلب النفع في العاجل بالضر العائد عليه في الآجل (٣).

والإنسان عجولٌ يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله، يعتقد أنه خيرٌ له، مع أن ذلك الشيء قد يكون فيه هلاكه وضرره، وهو يبالغ في طلبه ويلحُّ على الله في الدعاء، دون تأنٍ أو نظرٍ للعواقب، يحدوه إلى ذلك ما جُبِلَ عليه من العجلة، مغترًا بظواهر الأمور، غير متفحص عن حقائقها وأسرارها (٤).

الصورة الثالثة: دعاء كفار قريش على أنفسهم بنزول العذاب، كما أخبر الله عز وجل عنهم، ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الأنفال: ٣٢] (٥).

فهؤلاء الكفار من جهلهم وسفههم يطلبون نزول العذاب، فهم يدعون بنزول العذاب، كما يدعون بالخير إذا مستهم الشدة، أو كما يدعو المؤمنون بالمغفرة والرحمة، فهم يستعجلون العذاب وهو آتيهم لا محالة (٦).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٠٠٩) (٤/ ٢٣٠٤)، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، عن جابر رضي الله عنه.

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (٧/ ١٣)، مفاتيح الغيب، الرازي (٢٠/ ٣٠٥).

(٣) انظر: النكت والعيون، الماوردي (٣/ ٢٣٢).

(٤) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ٦٥١)، مفاتيح الغيب، الرازي (٢٠/ ٣٠٥).

(٥) انظر: التفسير البسيط، الواحدي (١٣/ ٢٧١).

(٦) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ٦٥١)، روح المعاني، الألوسي (٨/ ٢٤).

وهذا الدعاء منهم هو على وجه السخرية والاستهزاء[1].

وقد أخبرنا القرآن الكريم أن استعجال العذاب سنّة متّبعة عند منكري النبوة على اختلاف أزمانهم، فقد قال قوم نوح وعاد وثمود لأنبيائهم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [سورة الأعراف: ٧٠، ٧٧، هود: ٣٢، الأحقاف: ٢٢].

واستعجالهم نزول العذاب كان استبعادًا له واستهزاءً به، حتى جعلوه شرطًا لصدق أنبيائهم، فزعموا أن عدم نزول العذاب بهم يدل على كذب أنبيائهم.

وقد أجاب القرآن الكريم عن هذه الشبهة، وردّ عليهم ادعاءهم في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة يونس: ٤٨-٥٢].

وقد أجابت هذه الآيات الكريم عن هذه الشبهة من أربعة أوجه:

الأول: نزول العذاب خاضعٌ لمشيئة الله وإرادته، والأمر في ذلك له وحده سبحانه، حتى أنبيائه ورسله لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا.

الثاني: لكل أمة أجل، وهذا الأجل مكتوبٌ ومقدّرٌ قبل أن يخلقهم، فإذا جاء هذا الأجل حلّ بهم ما كتب الله عز وجل عليهم.

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (٧/ ١٣).

الثالث: ما يستعجلونه من العذاب سيأتيهم بغتة في حال غفلتهم أثناء نومهم ليلاً، أو حين انشغالهم بمعاشهم نهارًا، وهو شديدٌ هوله، عظيمٌ خطره، فهل يعلمون حقيقة ما يستعجلونه؟! فليس فيه ما يوجب الاستعجال، ولو علموا حقيقته لفزعوا منه أعظم الفزع.

الرابع: الإيمان بما يستعجلونه من العذاب حال وقوعه لا ينفعهم، فقد فات وقته، وسوف يحاسبون على ما كسبوه من كفرٍ وإنكارٍ للعذاب الذي كانوا يستعجلونه.

فالاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المراد منه: التهويل والتحذير والتفظيع، كما تقول لمن ارتكب خطأً عظيمًا: ماذا تجني على نفسك؟ [1].

والمقصود من المقابلة بين الخير والشر في سياق بيان أوجه الاشتراك: الإشارة إلى استواء الخير والشر في هذه الجوانب.

وقد أثمرت المقابلة بين الخير والشر الفوائد الآتية:

- الخير والشرّ متعلقان بإرادة الله عز وجل ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.
- الله عز وجل هو القادر على كشف الضرّ، ومنع الخير عنه، فيجب أن يكون التوكل عليه، والسؤال إليه.

---

(١) انظر: البسيط، الواحدي (١١/ ٢٢١).

- الابتلاء يكون بالخير والنعم، كما يكون بالشر والمصائب.
- الحياة الدنيا دار اختبار وتمحيص بكل ما فيها من خير وشر، ليعلم من يشكر النعم ويقوم بحقّها، ومن يكفر بها، ومن يصبر على البلاء، ومن يفتن في دينه بسبب هذا البلاء.
- الإنسان عجولٌ بطبعه، يستعجل الشرَّ كما يستعجل الخير.
- قد يسعى الإنسان في طلبٍ أمرٍ ما، ظنًّا منه أنه خير له، دون نظرٍ للعواقب، ولا تحرٍّ عن الحقائق، وقد يكون فيه هلاكه وضرره.

۞ ۞ ۞

المبحث السادس
المقابلة بين النفع والضر

النفع والضر من المعاني المتضادة التي قابل القرآن الكريم بينهما.

فأما النفع:

فأصل مادة (ن ف ع) تدلّ على خلاف الضُّرّ [١].

والنَّفْعُ: ما يستعان به في الوصول إلى الخير، فهو خيرٌ لأنه يتوصل به إلى الخير [٢]. يقال: نَفَعْتُهُ بكذا فانْتَفَعَ به، والاسمُ المنفعة [٣].

ويقال: رجل نَفُوعٌ ونَفَّاع: كثير النَّفعِ. والنَّفِيعَةُ والنُّفاعَةُ والمَنْفَعَةُ: مَا انْتُفِعَ بِهِ. واستَنْفَعَهُ: طلب نَفْعَه [٤].

وأما الضَّرّ:

فأصل مادة (ض ر ر) تدل على خلاف النَّفْع، وَيُقَالُ: ضَرَّهُ يَضُرُّهُ ضَرًّا [٥]،

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٤٦٣).

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص٨١٩).

(٣) انظر: الصحاح، الجوهري (٣/ ١٢٩٢).

(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٢/ ١٨٧).

(٥) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٣٦٠).

وقد ضَرَّه وضَارَّه بمعنًى واحد. والاسم الضَرَرُ [١].

والضَّرُّ المصْدرُ، والضُّرُّ الاسمُ [٢].

وقيل: الضُّرُّ: كلّ مَا كَانَ من سُوء حالٍ وفقرٍ فِي بدنٍ، والضَّرُّ: ما كَانَ ضِدًّا للنّفع [٣].

وقيل: هما لُغَتَانِ، فَإِذا جمعت بَين الضَّر والنّفع فتحت الضَّاد، وَإِذا أفردتَ الضُّرّ ضَمَمْتَ الضَّاد إِذا لم تَجْعَلهُ مصدرًا، كَقَوْلِك: ضَررت ضَرًّا [٤].

وقيل: الضُّرُّ: سوءُ الحال، إمّا في نفسه لقلّة العلم والفضل والعفّة، وإمّا في بدنه لعدم جارحة ونقص، وإمّا في حالة ظاهرة من قلّة مال وجاه [٥].

والضَّرَرُ: النُّقصان، تَقول: دخَل عَلَيْهِ ضَرَرٌ فِي مَاله [٦].

وَالضَّرَّةُ: اسم مشتق من الضَّرِّ، كأنها تَضُرُّ كما تَضُرُّهَا تلك.

والضَّرِيرُ: الذي به ضَرَرٌ من ذهاب عينه، أو ضَنَى جسمه [٧].

والبَأْسَاء والضَّرَّاء: الشدّة، وهما اسمان مؤنَّثان من غير تذكير [٨].

---

(١) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٧١٩).

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٨/ ١٤٨).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١١/ ٣١٤).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص٥٠٣).

(٦) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١١/ ٣١٤).

(٧) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٣٦١).

(٨) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٧١٩).

ويقابل الضَّرُّ بالنّفع، ويقابل الضَّرَّاءُ بالسَّرَّاء والنَّعْمَاء [1].

وقد بلغ عدد المقابلات بين النفع والضر أكثر من عشرين مقابلة.

وجاءت المقابلة بينهما في ثلاث صور:

الأولى: المقابلة بين النفع والضرّ بِصِيَغِهِمَا المختلفة.

نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٦﴾ [سورة المائدة: ٧٦].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٧١﴾ [سورة الأنعام: ٧١].

فقوله: ﴿ضَرًّا﴾ يقابله ﴿نَفْعًا﴾.

وقوله: ﴿يَنفَعُنَا﴾ يقابله ﴿يَضُرُّنَا﴾.

الثانية: المقابلة بين النفع وصورة من صور الضر أو ما في معناه.

فهذه الصورة يذكر في الآية أو الآيات النفع ويقابله صورة من صور الضر، أو ما في معنى الضر.

نحو قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩﴾ [سورة البقرة: ٢١٩].

---

(١) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص٥٠٤).

فقوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ يقابله ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾.

الثالثة: المقابلة بين الضر وصورة من صور النفع، أو ما في معناه.

فيذكر في الآية أو الآيات الضر ويقابله صورة من صور النفع، أو ما في معناه.

نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٧].

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الجن: ٢١].

فقوله: ﴿بِضُرٍّ﴾ يقابله ﴿بِخَيْرٍ﴾.

وقوله: ﴿ضَرًّا﴾ يقابله ﴿رَشَدًا﴾.

وعند تأمّل آيات المقابلة بين النفع والضرّ، نجدها إما أن تتحدث عن أمرٍ متعلقٍ بالاختلاف بينهما، أو تشير إلى محل اشتراكٍ بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف النفع والضرّ.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه النفع والضرّ.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف النفع والضر

أشارت آيات المقابلة بين النفع والضرّ إلى جانب من الجوانب المتعلقة باختلاف النفع والضر، ألا وهو: تشريع الأحكام الشرعية.

قال الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [سورة البقرة: ٢١٩].

فقابلت هذه الآية الكريمة بين نفع الخمر والميسر وإثمهما، ورجّحت إثمهما على نفعهما.

وقد ذُكِرَ أن سبب نزول هذه الآية أن عمر بن الخطاب (١) ومعاذ بن جبل (٢)

---

(١) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص أمير المؤمنين، وثاني الخلفاء الراشدين، كان إسلامه فتحًا على المسلمين وفرجًا لهم من الضيق، طعنه أبو لؤلؤة المجوسي سنة (٢٣هـ).
انظر: الاستيعاب، ابن عبدالبر (٣/ ١١٤٤)، الإصابة، ابن حجر (٤/ ٥٨٨).

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل، أعلم الأمة بالحلال والحرام، وأحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ، توفي سنة (١٨هـ).
انظر: الاستيعاب، ابن عبدالبر (٣/ ٤٥٩)، أسد الغابة، ابن الأثير (٥/ ٢٠٤).

وسعد بن أبي وقاص [1] وجماعة، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر، فإنهما مذهبة للعقل، مسلبة للمال، فنزلت هذه الآية [2].

والخمر والميسر من عادات الجاهلية التي اعتادت عليها نفوسهم وتعلقت بها، ومراعاة لذلك حصل التدرج في تحريمها [3].

وقد مرَّ تحريم الخمر والميسر بعدة مراحل:

الأولى: بيان ما فيها من الإثم والمضار، وأن إثمها ومضرتها أكبر من منفعتها قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [سورة البقرة: ٢١٩]. فلما نزلت هذه الآية تركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير، ولم يتركها بعض الناس وقالوا: نأخذ منفعتها ونترك إثمها.

الثانية: النهي عن إتيان الصلاة وهم سكارى، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [سورة النساء: ٤٣]، وتركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة، وشربها بعض الناس في غير

---

(١) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب، أبو إسحاق الزهري القرشي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، كان مستجاب الدعوة، ومناقبه كثيرة، مات سنة (٥٥هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١/ ٩٣)، الإصابة، ابن حجر (٣/ ٧٣).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص ٧٣)، البسيط، له (٤/ ١٤٦)، معالم التنزيل، البغوي (١/ ٢٤٩).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٢٣٢).

أوقات الصلاة، فانحصر شرب الخمر في الليل لبعده عن وقت الصلاة.

الثالثة: تحريمها تحريمًا صريحًا مؤكدًا، قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [سورة المائدة: ٩٠-٩١].

فقال بعضهم: ما حرم الله شيئًا أشد من الخمر (١).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((لما نزل تحريم الخمر (٢) قال اللهم بَيِّنْ لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ قال: فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فقال: اللهم بَيِّنْ لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت الآية التي في سورة النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾، فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فقال: اللهم بَيِّنْ لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، فقال عمر رضي الله عنه: انتهينا انتهينا)) (٣).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦/ ٢٨٦).

(٢) أي: لما أراد الله عز وجل تحريم الخمر، أو: لما قرب تحريم الخمر، ونحو ذلك.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، مسند عمر بن الخطاب (١/ ٤٤٢) (٣٧٨)، وأبو داود في سننه، كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر (٣/ ٣٢٥) (٣٦٧٠)، والترمذي في جامعه، أبواب التفسير، باب =

وشرب الخمر يزيل العقل، وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مدافعة العقل، فيؤدي إلى النزاع والشقاق بين الأصحاب، وربما أدت المنازعة إلى الضرب والقتل والمشافهة بالفحش، وذلك يورث أشد العداوة والبغضاء[1].

وأعظم مفاسد الخمر والميسر: إفساد القلب الذي هو مَلِكُ البدن أن يُصَدَّ عمَّا خُلِقَ له من ذكر الله والصلاة، ويدخل فيما يفسد من التعادي والتباغض[2].

ويلاحظ أن آية المائدة لم تشر إلى وجود المنفعة في الخمر والميسر كما في آية البقرة، بل حصرت وصف الخمر والميسر بأنهما رجس، وهو ما يعدل الإثم في آية البقرة، وهذا الحصر مشعرٌ بأن المنفعة التي في الخمر والميسر لا تساوي شيئًا أمام ما فيهما من الآثام، وما يترتب عليهما من العداوة والبعضاء، والصدّ عن ذكر الله وعبادته[3].

والعمل إذا اشتمل على مصلحة ومفسدة، فإن غلبت مصلحته على مفسدته شُرِع، وإن غلبت مفسدته على مصلحته لم يُشْرَع، بل نهي عنه[4].

=

ومن سورة المائدة (٥/ ١٠٣) (٣٠٤٩)، والنسائي في الصغرى، باب تحريم الخمر (٨/ ٢٨٦) (٥٥٤٠). وصححه الحاكم في مستدركه (٤/ ١٤٣)، ولم يتعقبه الذهبي.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٢/ ٤٢٤).

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (٤/ ٤٦٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٧/ ٢٤).

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ابن قاسم (١١/ ٦٢٣).

وكل منهيٍّ عنه فهو راجح المفسدة، وإن كان محبوبًا للنفوس، موافقًا للهوى، فمضرته ومفسدته أعظم مما فيه من المنفعة، وتلك المنفعة واللذة مغمورة مستهلكة في جنب مضرته (١).

ولذلك أكدت آية المائدة التحريم بعدة مؤكدات، منها: أنها رجس، وأنها من عمل الشيطان الذي لا يأتي منه إلا الشر، وأمرت باجتنابها، وجعلت اجتنابها فلاحًا. ثم أوضحت ما يترتب عليها من وقوع العداوة والبغضاء، والصدّ عن ذكر الله وعبادته (٢).

وختمت الآية بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ مبالغة في الردع والزجر (٣). كأنه قيل: قد تُلِيَ عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع، فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون، أم أنتم على ما كنتم عليه، كأن لم توعظوا ولم تزجروا؟ (٤).

والمقصود من المقابلة بين النفع والضر: بيان اختلاف أثرهما في الأحكام الشرعية، فما غلب نفعه على ضرر شُرِع، وما غلب ضرره على نفعه مُنِع.

وقد أثمرت المقابلة بين النفع والضر الفوائد الآتية:

- إذا اشتمل الأمر على مصلحة ومفسدة، فإن غلبت مصلحته على مفسدته شُرِع، وإن غلبت مفسدته على مصلحته لم يُشْرَع.

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٢/ ١٥).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٣/ ٧٥).

(٣) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٥/ ٤٣٨).

(٤) انظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ٦٧٥).

- المنفعة الموهومة أو المغمورة لا تؤثر في حكم الشيء إذا غلبت مضرته ومفسدته.
- وجود بعض المنافع في المحظورات لا يدلّ على إباحتها، ولا يرفع الحظر عنها.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
ما يشترك فيه النفع والضر

أبانت آيات المقابلة بين النفع والضر عن وجهين من وجوه الاشتراك بين النفع والضر.

١. النفع والضر بمشيئة الله عز وجل.

إن من أهم القضايا التي ركز عليها القرآن الكريم في مقابلته بين النفع والضر، تعليق كلٍّ منهما بمشيئة الله عز وجل وإرادته.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٤٩﴾ [سورة يونس: ٤٩].

فالمقابلة بين النفع والضر في هاتين الآيتين قصد بها بيان تساوي النفع والضر في أن كلًّا منهما متعلقٌ بمشيئة الله عز وجل وإرادته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، سبحانه وتعالى.

فالله عز وجل في هاتين الآيتين يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلن للناس: أنه لا يملك لنفسه ـ ومن باب أولى غيره ـ جلب نفع، ولا دفع ضرّ، إلا بمشيئة الله عز وجل وإرادته.

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ رغم قربه من الله ـ مأمورٌ أن يعلن للناس أنه أمام غيب الله بشر من البشر، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؛ لأنه لا يطلع على الغيب، ولا يعرف المآلات، فمن ثَمَّ لا يستطيع أن يجلب لنفسه النفع، ولا يدفع عن نفسه الضر.

ويظن بعض الجهلة أن النبي صلى الله عليه وسلم لمَّا كان على صلة بالسماء، قادرٌ على أن يشارك الله في سلطانه، وأن يكون بيده ما بيد الله، أو بعض ما في يد الله من قدرة وعلم وسلطان، فجاءت هذه الآية بنفي ذلك كله [1].

وإذا تأملنا في سياق آية الأعراف لرأينا أنها جاءت في سياق نفي علم الغيب؛ ففي الآية التي قبلها أَمَرَ الله عز وجل رسوله ـ حين سأله قومه عن الساعة ـ أن يجيبهم بإسناد عِلْمِها لله عز وجل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٨٧].

وختمت الآية التي ذكر فيها المقابلة بين النفع والضر بالحديث عن الغيب ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨].

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (٥/ ٥٣٤).

فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب لكان حاله على خلاف ما هي عليه، من استكثار الخير، واستغزار المنافع، واجتناب السوء والمضار، حتى لا يمسّه شيءٌ منها. ولكن حاله بين غالبٍ ومغلوبٍ في الحروب، ورابحٍ وخاسرٍ في التجارات، ومصيبٍ ومخطئٍ في التدابير[1].

ولو كان العباد يعلمون الغيب لجلبوا لأنفسهم الخير، واجتنبوا الضر. لكنهم قد يفعلون الأمر يريدون به جلب الخير لأنفسهم، وتكون عاقبته الضر لهم. وقد يفعلون الأمر يريدون به رفع الضر عنهم، وتكون عاقبته المغيبة تجره عليهم.

وقد يفعلون الأمر يكرهونه فإذا عاقبته الخير، ويفعلون الأمر يحبونه فإذا عاقبته الضر، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [سورة البقرة: ٢١٦][2].

وكذلك آية يونس جاءت في سياق الردّ على المشركين الذين يستعجلون العذاب، فَأُمِرَ النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: لا أملك لنفسي أن أدفع عنها سوءًا حين ينزل، ولا أن أسوق إليها خيرًا إلا ما شاء الله فيصيبني، فكيف أملك إنزال العذاب بكم[3]؟

وقد أكّد القرآن هذا المعنى (تعليق النفع والضر بمشيئة الله وإرادته) في

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ١٨٥).
(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٣/ ١٤٠٩).
(٣) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ١١٩).

مقابلات أخرى بين النفع والضرّ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٧].

وقال جلَّ وعلا: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة يونس: ١٠٧].

فقابلت هاتان الآيتان بين كشف الضر وإزالته، وحصول الخير (الذي هو في معنى النفع).

فقررت الآيتان أن الضر لا يرتفع ولا ينكشف إلا إذا أراد الله عز وجل ذلك، وأنه عز وجل إذا أراد بعبدٍ خيرًا ونفعًا فلا يستطيع أحدٌ منعه أو ردّه.

فالحول والقوة لله وحده، وإرادة الله عز وجل فوق كل إرادة، ولا يستطيع أحدٌ منعها، أو تغييرها.

فإن قيل: قد نرى أن الإنسان قد يدفع الضرّ عن نفسه بمالِه وأعوانه وأنصاره، وقد يحصّل الخير بكسبه وبإعانة غيره، ونرى أن الإنسان ينتفع بأكل الدواء ويتضرر بتناول السموم، فهل يقدح ذلك في عموم الآية؟

فالجواب [١]: أن ذلك لا يقدح في عموم الآية، فإن الله عز وجل هو الذي أذن بحصول الضر بأسباب معينة، وهو الذي يأذن بكشفه بأسبابٍ أخرى.

وهو الذي يأذن بحصول النفع والخير بأسباب، وهو الذي يأذن بذهاب هذا النفع والخير بأسباب أخرى.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٢/ ٤٩٤).

وقد يبذل الإنسان أسباب دفع الضرّ أو جلب النفع، ولا يحصل له ما طلب؛ لأن الله عز وجل لم يأذن به، فالأمر معلقٌ بإرادة الله عز وجل ومشيئته.

ولو اجتمع أهل الأرض على كشف ضرٍّ نزل بعبدٍ ـ لم يأذن الله بكشفه ـ لم يستطيعوا لذلك سبيلًا، ولو اجتمعوا على منع نفعٍ كتبه الله لعبدٍ ـ أذن الله به ـ لم يستطيعوا لذلك سبيلًا.

والواجب على العبد مع بذل الأسباب أن يَكِلَ أمره لله، فهو على كل شيء قدير، يكشف الضر، ويمنح الخير، يهب ما يشاء لمن يشاء، ويمنع ما يشاء عمّن يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

وفي الحديث النبوي: ((**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف**)) (١).

وفي سياقٍ قريبٍ يؤكد القرآن عجز الآلهة التي تعبد من دون الله عن كشف الضرّ الذي كتبه الله، أو منع الرحمة (التي النفع أحد صورها وأشكالها) التي أنزلها الله، فقال عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبدالله بن عباس رضي الله عنهما (٢٦٦٩) (٤/ ٤١٠)، والترمذي في جامعه (٢٥١٦) (٤/٢٤٨)، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب رقم (٥٩)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة الزمر: ٣٨].

فأول الآية سؤالٌ قُصِدَ به التمهيد والتوطئة لما بعده، فسألهم عمّا لا نزاع فيه ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؟ فكان جوابهم: ﴿ٱللَّهُ﴾، ثم فرّع على هذا الجواب استفهامًا إنكاريًّا؛ لأن إقرارهم أن الله عز وجل هو خالق السموات والأرض، يلزم منه أن يقرّوا بأنه المتصرف فيما تحويه السموات والأرض (١).

فأراد أن يقررهم بعجز آلتهم عن إزالة أي ضرٍّ أراده الله بعبدٍ، أو حتى تخفيفه، وعجزهم عن منع أي رحمة أو نفعٍ أراده الله بعبدٍ، فالله سبحانه هو الخالق النافع الضار وحده، فعليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم (٢).

وفي سياقٍ مختلفٍ لمقابلةٍ بين النفع والضر يؤكد القرآن الكريم أن مالك النفع والضرّ هو الله عز وجل، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الفتح: ١١].

فهؤلاء المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظنّوا أن تخلفهم يدفع عنهم الضر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم (٣).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢٤/ ١٦).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٧٢٥).

(٣) انظر: التفسير البسيط، الواحدي (٢٠/ ٢٩٥).

ثم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يستغفر لهم، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: إن استغفرت لكم ثم أراد الله هلاككم أو هلاك أموالكم وأهليكم، أو أراد بكم نفعًا بتثميره أموالكم وإصلاحه أهليكم، فمن ذا الذي يقدر على دفع ما أراد الله بكم من خير أو شرّ (١).

٢. نفي النفع والضر عمّا يعبد من دون الله عز وجل.

وقد برزت هذه القضية في إحدى عشرة آية، وجاءت في صورتين رئيستين:

الصورة الأولى: نفي النفع والضر عمَّا يعبد من دون الله عز وجل مطلقًا، وجاء ذلك في سبع آيات، وهي:

١. قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ٧١].

٢. وقوله عز وجل: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة يونس: ١٨].

٣. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [سورة يونس: ١٠٦].

---

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري (٢٢/ ٢١١).

٤ . وقوله سبحانه : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ [سورة الأنبياء : ٦٦] .

٥ . وقوله جل وعلا : ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الحج : ١٢] .

٦ . وقوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة الفرقان : ٥٥] .

٧ . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [سورة الشعراء : ٧٢-٧٣] .

فهذه الآيات الكريمات نَفَت النفع والضرّ عن آلتهم التي يعبدون من دون الله ، فهي لا تستطيع أن تنفع عابديها ، ولا تضرهم .

الصورة الثانية : نفي مُلْك النفع والضر عمَّا يعبد من دون الله عز وجل ، وجاء ذلك في أربع آيات ، وهي :

١ . قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [سورة المائدة : ٧٦] .

٢ . وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الرعد : ١٦] .

٣ . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا

نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾﴾ [سورة طه: ٨٩].

٤ . وقوله عز وجل: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴿٣﴾﴾ [سورة الفرقان: ٣].

ولو تأملنا تلك الآيات كلها، لرأينا أن أكثرها جاءت في سياق محاجة من عبد غير الله؛ من اليهود والنصارى والمشركين.

وقد تعددت الحجج والأدلة التي استعملها القرآن الكريم في تقرير هذه المسألة، من ذلك:

أولًا: أن هذه الآلهة المزعومة لا تملك لنفسها نفعًا أو ضرًّا، فضلًا عن غيرها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا﴾ [سورة الرعد: ١٦].

وقال عز وجل: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴿٣﴾﴾ [سورة الفرقان: ٣].

فهي عاجزة عن تحصيل المنفعة لنفسها، ودفع المضرة عن نفسها، فإذا كان كذلك فهي أكثر عجزًا عن تحصيل المنفعة لغيرها، ودفع المضرة عن غيرها، فإذا كان هذا حالها، فعبادتها محض عَبَثٍ وسَفَهٍ[1].

ثانيًا: أن هذه الآلهة المزعومة لا تجلب لعابدها النفع، ولا تضر من لم

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (١٩/ ٢٦).

يعبدها [1]، كما قال عز وجل: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾ [سورة يونس: ١٨].

وقد كانت هذه إحدى حجج إبراهيم عليه السلام على قومه، حين قال لهم: ﴿ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٦].

فهذه الآلهة لا تملك أن تنفع أحدًا، ولا أن تضرّ أحدًا، فليس من شأنها النفع والضر [2].

وهذه صفة كل مدعو ومعبود من دون الله، فإنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا [3].

ثالثًا: العجز الكلي لهذه الآلهة المزعومة، في مقابل القدرة التامَّة للإله الحق، وهو الله عز وجل، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الرعد: ١٦].

فأمر الله عز وجل أن يسأل: مَنْ ربّ السموات والأرض؟ وأمره أن يجيبه هو فيقول: الله.

ولم يقل في سؤاله: « مَنْ ربكم؟ » فإنما أمره أن يسألهم ما لا يمكن أن يكون

---

(١) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين (٢/ ٢٤٨)، الوجيز، الواحدي (ص ٤٩٢).

(٢) انظر: روح البيان، إسماعيل حقي (٦/ ١٢).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٥٣٥).

جوابهم له: الأصنام التي يعبدونها، فهم لا يقولون: إنها أرباب السماوات والأرض، بل هم يقرّون أن الله عز وجل ربّ السموات والأرض (١).

وإذا كانوا يقرّون بذلك، فلماذا يتخذون من دون رب السموات والأرض أولياء لا تملك لأنفسها نفعًا تجلبه لها، ولا ضرًّا تدفعه عنها، وهي إذ لم تملك ذلك لأنفسها، فملكها لغيرها أبعد (٢).

والجاهل بمثل هذه الحجة يكون أعمى، يعيش في الظلمات، لا يهتدي بعلمٍ ولا نور، فكل عاقلٍ يستطيع أن يميّز الإلهة الحق القادر من الإلهة الباطل العاجز، كما يميّز بين الأعمى والبصير، والظلمات والنور (٣).

وقال عز وجل: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الفرقان: ٣].

فهذه آلهتهم المزعومة مخلوقة، ولا تخلق شيئًا، وتعجز عن إيصال الضر أو النفع إلى نفسها، ولا لغيرها، بل لا تملك أن تكتب الموت على أحد، أو تمنح الحياة لأحد، فضلًا عن إعادته بعد موته (٤).

ومن كان كذلك فبمعزل عن الألوهية، لعرائه عن لوازمها، واتصافه بما

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (٦/ ٣٢٣).

(٢) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري (١٦/ ٤٠٥).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي (١٩/ ٢٦).

(٤) انظر: البسيط، الواحدي (١٦/ ٤٠٥).

ينافيها؛ لأن الإله يجب أن يكون قادرًا على البعث والجزاء (١).

والمشكلة أنهم تركوا عبادة من بيده النفع والضر، والموت والحياة، وتعلقوا بالوهم، وعبدوا من لا يملك شيئًا (٢).

وفي سورة الفرقان ذكر الله تعالى صورًا من قدرته سبحانه وتعالى، المتعلقة بالظلّ، والليل والنهار والنوم، والرياح، ونزول المطر، وإحياء الأرض بعد موتها، واختلاط الماء المالح بالماء الحلو دون أن يغيّرها أحدهما الآخر، وأنه سبحانه خلق من الماء بشرًا.

أعقب ذلك كله بقوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة الفرقان: ٥٥].

فكيف لعاقل يقرّ بقدرة الله عز وجل التي شملت كل شيء، أن يترك عبادته ويعبد ما لا ينفعه ولا يضره، بل هو عاجزٌ عن نفع نفسه وضرها.

رابعًا: التعلق بهذه الآلهة العاجزة ضلال وغواية، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الحج: ١٢].

فهذا الذي يدعو ويعبد هذه الآلهة العاجزة قد بلغ في الضلال إلى حد النهاية، حيث أعرض عن عبادة النافع الضار، الغني المغني، وأقبل على عبادة

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (٧/ ٤١٧).

(٢) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٥/ ٣٧١٤).

مخلوق مثله أو دونه، ليس بيده من الأمر شيء، بل هو إلى حصول ضد مقصوده أقرب [1].

خامسًا: عبادة هذه الآلهة العاجزة مخالفٌ لمقتضى العقل، حتى قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٧].

فكيف يكون له عقل من عبد هذه الآلهة العاجزة عن نفع أو ضرّ نفسها، فضلًا عن غيرها، وعبادة من يرتجى نفعه ويرهب ضره، أحق وأولى، من عبادة من لا يرجى نفعه، ولا يخشى ضره! [2].

وقد تعجّب القرآن الكريم ممن عبد العجل من بني إسرائيل فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [سورة طه: ٨٩].

فإن كان هذا العجل لا يسمع كلامهم إذا خاطبوه، ولا يجيبهم إذا سألوه، ولا يستطيع نفعهم ولا ضرّهم، فكيف يظنونه إلهًا يستحق العبادة.

وقد دعا ذلك إبراهيم عليه السلام إلى التأفف والتضجر، فكيف يعقل أن يعبد ويرجى ما لا ينفع ولا يضر، فهذا ينافي الألوهية، فمن يعبدها بعيد كل البعد عن مقتضى العقل، منغمسٌ في الحماقة والجهالة [3].

وقد اعترف قوم إبراهيم عليه السلام بأن آلهتهم في عجزٍ ظاهر، فهم لا

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٥٣٥).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١١/ ٤٥٠).

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (٣/ ١٨٤، ٤/ ٥٥).

ينطقون ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٥].

فأجابهم عليه السلام بحجة قاطعة، وبيّنة دامغة: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٦-٦٧].

وفي سورة الشعراء: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [سورة الشعراء: ٧٢-٧٣].

فالمعبود لابد أن يكون نافعًا أو ضارًّا، يُعبد رجاء نفعه أو اتقاء ضرره، وهذه الآلهة ليس فيها شيءٌ من ذلك، فكيف تعبدونها؟[1].

وكيف يصحّ لعاقلٍ عَلِم حال هذه الأصنام، وعَجْزَها وخلوها من كل قوة، ثم يعود إليها خاضعًا ذليلًا، يتخاضع بين يديها، ويعفّر وجهه بالسجود تحت أقدامها؟ [2].

ولما ذكر الله عز وجل كفر من قال من النصارى: إن الله هو المسيح ابن مريم، أو قال: إن الله ثالث ثلاثة، أتبع ذلك بأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [سورة المائدة: ٧٦].

وهذا احتجاجٌ على النصارى ـ الذين زعموا أن المسيح عليه السلام إله، أو

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (١٠/ ٥٣٦٦).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (٩/ ٩١٧).

أنه ابنٌ لله ـ بأنه لا يملك لهم ضرًّا يدفعه عنهم إن أحلَّه الله بهم، ولا نفعًا يجلبه إليهم إن لم يقضِهِ الله لهم. فكيف يكون ربًّا وإلهًا من كانت هذه صفته؟ بل الربُّ المعبودُ هو الذي بيده كل شيء، والقادر على كل شيء. فإياه فاعبدوا وأخلصوا له العبادة، دون غيره من العجزة الذين لا ينفعونكم ولا يضرون (١).

وفي سياق المفاصلة مع المشركين وإعلان التبرُّؤ منهم؛ نهى الله عز وجل نبيَّه صلى الله عليه وسلم عن دعاء ما لا ينفعه ولا يضره، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [سورة يونس: ١٠٦].

ودعاء من لا يملك نفعًا ولا ضرًّا ظلمٌ؛ لأنه وضعٌ للشيء في غير محله، بل هو أعظم الظلم؛ لأنه إشراك بالله (٢).

وقد يرد ههنا إشكالٌ عند البعض، وهو: كيف أن الله عز وجل وصف الآلهة التي يعبدونها من دونه بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم وصفها بأن ضرّها أقرب من نفعها في قوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ١٢ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ١٣﴾ [سورة الحج: ١٣]. فنفى الضرّ ثم أثبته؟

والجواب: أن الضر المنفي يراد به ما يكون من فعل هذه الآلهة، فلا تستطيع أن تضرّ أحدًا. وأما الضر المثبت، فيراد به ما يصيب عابديها من العذاب بسبب

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٠/ ٤٨٦).

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ٣٧٤).

عبادتهم لها (١).

وفي سياق الحديث عن يوم القيامة، يخبر الله تعالى أن لا أحد من الخلق يملك أن ينفع أو يضرّ غيره يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة سبأ: ٤٢].

فلا يملك المعبدون نفعًا بالشفاعة لمن عبدهم، ولا ضرًّا لهم بالتعذيب، فهم عاجزون، لا نفع عندهم ولا ضر، وإنما الذي يملك النفع والضر هو الله سبحانه وتعالى (٢).

والمقصود من المقابلة بين النفع والضر في هذا السياق: بيان اشتراكهما في كونهما خاضعين لإرادة الله عز وجل، وأنه لا يملك النفع والضر إلا الله، وأن كل ما يعبد من دون الله لا يملك لنفسه ـ فضلًا عن غيره ـ نفعًا ولا ضرًّا.

وقد أثمرت المقابلة بين النفع والضر الفوائد الآتية:

- النفع والضر كلاهما متعلقٌ بمشيئة الله عز وجل وإرادته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.
- ينبغي الأخذ بالأسباب في جلب النفع، وكشف الضر، لكن حصول نتيجة هذه الأسباب معلقٌ بمشيئة الله عز وجل وإرادته.
- كل الآلهة التي تعبد من دون الله لا تملك لنفسها نفعًا أو ضرًّا، فضلًا

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جري الكلبي (٢/ ٣٤).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (١٨/ ٣٧٨).

عن غيرها.

- من صفات الإله الحق أنه قادرٌ على النفع والضر، ومن عجز عنهما لا يستحق أنه يكون إلهًا.
- التعلق بالآلهة العاجزة ضلال وغواية، بل مخالفٌ لمقتضى العقل السليم، فكيف يرجى أو يخاف من لا يملك لنفسه ولا لغيرها نفعًا ولا ضرًّا.

❁ ❁ ❁

المبحث السابع
المقابلة بين النعمة والمصيبة

من المعاني المتضادة ذات البعد الإيماني التي قابل القرآن الكريم بينها: النعمة والمصيبة.

فأما النعمة:

فأصل مادة (ن ع م) تدل على ترفُّهٍ وطيب عيش، والنِّعْمَة: ما ينعم الله على عبده به من مال وعيشٍ [1].

وقيل: النِّعْمَة: الحالة الحسنة، على وزن اسم الهيئة، للدلالة على الحالة التي يكون عليها الإنسان [2].

ونِعْمَةُ الله: مَنُّه وعَطَاؤُه [3].

وتقال للقليل والكثير [4]، وتجمع على نِعَمٌ وأَنْعُمٌ [5].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٤٤٦).

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصبفهاني (ص ٨١٤).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ٩).

(٤) انظر: المفردات، الراغب الأصبفهاني (ص ٨١٤).

(٥) انظر: المحكم، ابن سيده (٢/ ١٩٤).

والنِّعمة اسْم من: أنعم الله عَلَيْهِ يُنعم إنعامًا ونِعْمَةً، أُقيم الِاسْم مُقَام الإنعام، كَقَوْلِك: أنفقت عليه إنفاقًا ونَفَقَةً بِمَعْنى وَاحِد [1].

والنَّعْمَةُ ـ بالفتح ـ: حُسْنُ العيش وطيبه [2].

وقيل: المَسَرَّة والفَرَح والتَّرَفُّه [3].

والنَّعِيمُ والنُّعْمَى: الدَّعَةُ وَالمَال [4].

والإِنْعَامُ: إيصال الإحسان إلى الغَيْر [5].

والنَّعيم: مَا استمتع به، وطيب العيش وحَسَن الحال [6].

وقيل: النِّعَم الكثيرة [7].

والنَّعماء والنُّعمى ضدّ البأساء والبؤسى [8]، وهي: إنعامٌ يظهر أثره على صاحبه، كما أن الضراء مضرة يظهر الحال بها؛ لأنها أُخْرِجَت مخرج الأحوال الظاهرة مع ما في مفهومها من المبالغة [9].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ٩).
(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ٩).
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (٥/ ٨٣).
(٤) انظر: المحكم، ابن سيده (٢/ ١٩٣).
(٥) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٨١٥).
(٦) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ورفاقه (٢/ ٩٣٦).
(٧) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص ٣٢٧).
(٨) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ١٢).
(٩) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص ٣٢٧).

وأما المصيبة:

فأصل مادة (ص و ب) تدلّ على نزول شيءٍ واستقراره، والنازل صَوْبٌ [1].

والمُصِيْبَة: الأمر المكروه ينزل بالإنسان [2].

يقال: مُصِيبَة، ومَصُوبَة، ومُصَابَة. وجمعها مصائب ومصاوب ومصايب [3].

وأصلها في الرّمية، ثم اختصّت بالنّائبة [4].

يقال: صابَ السهمُ الرمِيّة يَصوبها وأَصابها: إذا قَصدها [5].

وأصابته مصيبة، أي: أخذته، فهو مُصاب [6].

والإِصَابَةُ: النيل والوصول، وتطلق على ما يقع على العبد من غير اختياره وكسبه، لا على ما يفعله بقصده واختياره، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [سورة الشورى: ٣٠] [7].

وجاءت الإصابة في الخير والشّرّ، نحو قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ﴾ [سورة التوبة: ٥٠]. وهي في الخير مأخوذةٌ من الصَّوْبِ، أي: المطر، وفي الشّرّ مأخوذةٌ من إِصَابَةِ السّهمِ، وكلاهما يرجعان إلى

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٣١٧).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (٣/ ٥٧).

(٣) انظر: الصحاح، الجوهري (١/ ١٦٥)، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (٣/ ٥٧).

(٤) انظر: المفردات، الراغب الأصبفهاني (ص ٤٩٥).

(٥) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٢/ ١٧٧).

(٦) انظر: الصحاح، الجوهري (١/ ١٦٥).

(٧) انظر: الكليات، الكفوي (ص ١٣٠).

أصل واحد[1].

وقد بلغ عدد المقابلات بين النعمة والمصيبة نحو عشرين مقابلة.

وجاءت المقابلة بينهما في أربع صور:

الأولى: مقابلة النعمة بالمصيبة أو ما في معناها؛ كالشرّ أو الضرّ أو الضرَّاء أو العقاب أو الابتلاء.

ومن أمثلة ذلك:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة النساء: ٧٢-٧٣].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [سورة النحل: ٥٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ [سورة هود: ١٠].

وقال جل وعز: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الفجر: ١٥-١٦].

فقوله: ﴿مُّصِيبَةٌ﴾ يقابله ﴿أَنْعَمَ﴾.

وقوله: ﴿نِّعْمَةٍ﴾ يقابله ﴿ٱلضُّرُّ﴾.

---

(١) انظر: المفردات، الراغب الأصبفهاني (ص ٤٩٥).

وقوله: ﴿نَعۡمَآءَ﴾ يقابله ﴿ضَرَّآءَ﴾.

وقوله: ﴿فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ يقابله ﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾.

الثانية: مقابلة السراء بالضراء. وقد تكررت هذه الصورة في موضعين.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤].

وقال جلَّ وعلا: ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩٥﴾ [سورة الأعراف: ٩٥].

فقابل: ﴿ٱلسَّرَّآءِ﴾ بـ ﴿ٱلضَّرَّآءُ﴾.

الثالثة: مقابلة الحسنة (بمعنى النعمة) بالسيئة (بمعنى المصيبة). وقد تكررت هذه الصورة في خمسة مواضع.

قال الله تعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَا﴾ [سورة آل عمران: ١٢٠].

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [سورة الأعراف: ٩٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [سورة الأعراف: ١٣١].

وقال جل وعز: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ [سورة النمل: ٤٩].

وقال عز وجل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ [سورة الرعد: ٦].

فقابل: ﴿الْحَسَنَةَ﴾ بـ ﴿السَّيِّئَةِ﴾.

الرابعة: مقابلة معنى النعمة أو صورة من صورها بمعنى المصيبة أو صورة من صورها.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الروم: ٣٣].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة النحل: ١١٢].

فقابل بين الرحمة والضر، وهما بمعنى النعمة والمصيبة.

وقابل بين صور من صور النعمة ﴿كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ بصور من صور المصيبة ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾.

وعند تأمّل آيات المقابلة بين النعمة والمصيبة، نجدها إما أن تتحدث عن أمور متعلقةٍ بالاختلاف بينهما، أو تشير إلى موضع اشتراكٍ بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف النعمة والمصيبة.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه النعمة والمصيبة.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف النعمة والمصيبة

لم تتحدث آيات المقابلة بين النعمة والمصيبة عن اختلاف حقيقة النعمة عن حقيقة المصيبة، فهذا أمرٌ ظاهرٌ بيّن.

ولكنها ذهبت مذهبًا مغايرًا في الحديث عن الاختلاف بين النعمة والمصيبة، وهو الحديث عن اختلاف مواقف العباد حال النعمة والمصيبة.

وقد تحدثت آيات المقابلة بين النعمة والمصيبة عن موقفين.

الموقف الأول: موقف الكافرين في حالي النعمة والمصيبة.

فكشفت آيات المقابلة عن حالهم، وأظهرت مكنونات سرائرهم، ووصفتهم في الحالين.

ومن أبرز سمات موقف الكافرين في حال السراء:

١. الإشراك بالله.

إن أعظم المعاصي والذنوب التي يقع فيها العبد: الإشراك بالله، وقد وصف القرآن الكريم حال الكفار الذين يهبهم الله عز وجل صنوفًا من النعم، ثم هم يقابلونها بالكفر والإشراك بالله.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الروم: ٣٣].

وقال جل وعلا: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الزمر: ٨].

وقال تبارك تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة النحل: ٥٣].

تقابل هذه الآيات الكريمات بين حال الكفار إذا مسّهم الضر ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، وحالهم إذا كشف عنهم الضر وأعطاهم النعم ﴿إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾.

والمراد بالإنسان والناس [١] في هذه الآيات الكفار، بدلالة آخر الآيات التي تصفهم بالإشراك واتخاذ الأنداد [٢].

وهم يلجؤون إلى الله عز وجل ويستغيثون به إذا مسّهم الضر، فإذا كشف عنهم الضرّ أشركوا به. ولا يلتجئون في شدائدهم إلى مَنْ عبدوه مع الله عز

(١) في هذه الآيات وغيرهما من الآيات التي جاءت بلفظ (الناس) أو (الإنسان) وقع خلاف بين المفسرين، هل المقصود بها الإنسان من حيث هو إنسان، فتشمل المؤمن والكافر، أما أنها في الكفار خاصة. والذي أميل إليه أنها في الكفار بدليل سياق الآيات، ولا يمنع ذلك من شمول معناها من اتصف ببعض تلك الصفات وإن لم يكن كافرًا. والله أعلم.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٥٢١).

وجل، إنما يرجعون في دعائهم إليه وحده سبحانه وتعالى [١].

ثم إذا كشف ربهم عنهم ذلك الضرّ، وفرّجه عنهم، وأصابهم برخاء وخصب وسعة، إذا جماعة منهم يعبدون معه الآلهة والأوثان [٢].

وهذا تناقضٌ عجيبٌ منهم؛ لأنهم إذا مسّهم نوع من أنواع الضر لم يرجعوا في طلب دفعه إلا إلى الله، وإذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا إلى عبادة الأصنام، وهم إنما رجعوا إلى الله تعالى عند حصول الضر؛ لأنه هو القادر على إيصال الخير ودفع الضر، فإذا كانوا معترفين بهذه الحقيقة في حال الشدّة، وجب أن يعترفوا بها في جميع الأحوال [٣].

والآيات مسوقة للتعجب من فعل هؤلاء حيث يضعون الإشراك بالله الذي أنعم عليهم بكشف ما نزل بهم من الضر مكان الشكر له [٤].

وأعجب من صنيع الكفار صنيع بعض العوام من اللجوء إلى غير الله تعالى ممن لا يملك لهم ولا لنفسه نفعًا ولا ضرًّا من الأولياء والصالحين عند إصابة الضر لهم، وإعراضهم عن دعاء الله تعالى [٥].

وقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةً مِّنۡهُ﴾ يحتمل أن يريد النعمة في

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٤/ ١٨٦).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٠/ ١٠١).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٦/ ٤٢٧).

(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٢٠٣).

(٥) انظر: روح المعاني، الألوسي (٧/ ٤٠٦).

كشف الضر المذكور، ويحتمل أن يريد أي نعمة كانت، واللفظ يعمُّ الوجهين [1].

والرحمة في آية سورة الروم الخلاص من الضرّ الذي نزل به [2].

٢. كفر النعم.

من أبرز المعالم في موقف الكفار من النعم كفرانها وجحودها.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝٥٤ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٥٥﴾ [سورة النحل: ٥٣-٥٥].

تقابل هذه الآيات بين حال الكفار إذا مسّهم الضر ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ وحالهم إذا كشف الضرّ عنهم ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝٥٤ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾.

فهم يلجؤون إلى الله عز وجل إذا نزلت بهم نازلة، أو حلَّت بهم مصيبة، ولكنهم سرعان ما يعودون إلى شركهم إذا كشف الله عنهم البلاء، ورفع عنهم المحنة، كفرًا بالله الذين أنعم عليهم، وكفرًا بالنعم التي أنعم بها عليهم.

وقوله سبحانه: ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ من الله لهؤلاء الذين يكفرون بمن ينعم عليهم، ويكشف عنهم الضر، ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يقول لهم: تمتعوا في هذه الحياة الدنيا إلى أن توافيكم آجالكم، وتبلغوا الميقات الذي وقته لحياتكم وتمتعكم فيها، فإنكم من ذلك ستصيرون إلى ربكم، فتعلمون بلقائه

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٥٢١).

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٨/ ٣٩١).

وبال ما كسبت أيديكم، وتعرفون سوء مغبة أمركم، وتندمون حين لا ينفعكم الندم[1].

وقال جل وعلا: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة النحل: ١١٢].

قابلت هذه الآية حال القرية في النعيم ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ بحالها عند نزول المصائب عليها بسبب كفرها بنعم الله ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾.

وهذا مثلٌ ضربه الله عز وجل لقرية وصفها بصفات تبين المقصود من التمثيل بها، مستغنيًا عن تعيينها، فالتعيين غير مقصود[2].

وحال هذه القرية أشبه شيءٍ بحال مكة، فقد جعل الله فيها البيت، وجعلها بلدًا حرامًا من دخله فهو آمن مطمئن، لا تمتد إليه يدٌ ولو كان قاتلًا، ولا يجرؤ أحدٌ على إيذائه وهو في جوار بيت الله الكريم، وكان الناس من حولهم يتخطفون. وكذلك كان رزقهم يأتيهم هينًا هنيئًا من كل مكان مع الحجيج ومع القوافل الآمنة، مع أنهم في واد قفر جدب غير ذي زرع، فكانت تجبى إليهم ثمرات كل شيء، فيتذوقون طعم الأمن وطعم الرغد منذ دعوة إبراهيم الخليل

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٧/ ٢٢٦).

(٢) انظر: التحرير التنوير، ابن عاشور (١٤/ ٣٠٤).

عليه السلام [1].

وقد وُصِفَت القرية بصفتين مهمتين:

الأولى: الأمن. فمن أعظم النعم الأمن والاطمئنان على النفس والأهل والمال، فمن فقد الأمن لم يهنأ بعيش.

الثانية: سعة الرزق وتنوعه. وتيسر الرزق وسعته من أعظم أسباب الراحة والعيش الهنيء.

ولما كفر أهل هذه القرية بالله عز وجل، ولم يشكر نعمه التي أغدق بها عليهم، أبدلهم بالأمن خوفًا، وبسعة الرزق جوعًا، وصارت هذه الحال ملازمة لهم كأنها لباسٌ لهم.

والغرض من ضرب هذا المثل: أن الإنسان إذا أنعم الله عليه بشتى أنواع النعم فجحدها، ولم يشكره عليها، ولم يُؤدِّ حقّ الله فيها، واستعمل نعمة الله في معصيته، فقد عرَّضها للزوال، وعرَّض نفسه لعاقبة وخيمة ونهاية سيئة، فقيَّد النعمة بشكرها وأداء حقّ الله فيها [2].

وقريبٌ من هذه القصة ما قصَّه الله عز وجل من قصة قارون، الذي وهبه الله الكنوز والأموال الكثيرة، فقابلها بالكفر وعدم الشكر، والإفساد في الأرض، واغتر به بعض ضعاف النفوس ممن تعلقت نفوسهم بالحياة الدنيا، فعاقبه الله بأن

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢١٩٩).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١٣/ ٨٢٤٩).

خسف به وبداره الأرض.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢)﴾ [سورة القصص: ٧٦-٨٢].

ومن صور كفر النعمة: **إسنادها للنفس، وظنّ استحقاقها لها.**

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة فصلت: ٥٠].

فهو يقول عن النعمة ﴿هَٰذَا لِي﴾ أي: هذا حقي الواجب لي، وليس تفضلًا من الله، وقائل هذا كافر بدليل قوله بعد ذلك: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾(١).

فظن أن تلك النعمة التي صار فيها وصلت إليه باستحقاقه لها، ولم يعلم أن

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (٢/ ٢٩٥)، لباب التأويل، الخازن (٤/ ٩١).

الله يبتلي عباده بالنعم والمصائب؛ ليتبين المؤمن من الكافر، والشاكر من الجاحد، والصابر من الجازع [1].

ويزاد الغرور بهذا الكافر حتى يبلغ الدار الآخرة فيقول: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾، أي: لَلْحَالَة الحسنى من الكرامة، وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه لها، وأن نعم الآخرة كذلك [2].

وقد يصاب بعض المؤمنين بمثل هذا الغرور فيقول: هذا من حقي؛ استوجبته بتقواي وصلاحي، أو بقوتي واجتهادي [3].

وقال جل وعلا في وصف آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ [سورة الأعراف: ١٣١].

فالله عز وجل ابتلى آل فرعون واختبرهم بسني الجوع بسبب قلة المطر والزروع، ثم جاءهم الخصب والرزق، فكان جوابهم: هذا لنا بما نستحقه [4].

وقد بيّنت الآية الكريمة أن الله عز وجل أنزل عليهم هذه المضار لأجل أن يرجعوا عمّا هم عليهم من الكفر والجحود؛ لأن شدة الحال ترقق القلب، وترغب

---

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٤/ ٥٩٨).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٨/ ١٨).

(٣) انظر: أوضح التفاسير، محمد الخطيب (ص ٥٨٩).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/ ٤٦١).

فيما عند الله ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [1].

ومن صور كفر النعم أيضًا: **ادِّعاء أن سبب النعم ما أوتي من علم.**

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الزمر: ٤٩-٥٠].

المراد بالنعمة هنا: عموم النعم في جميع ما يسديه الله إلى العبد، فمن ذلك إزالة الضر المذكور، ومن ذلك الصحة والأمن والمال [2].

فهذا الكافر يدَّعي بكل صلف ووقاحة بأن ما رزقه الله من النعم إنما هو على علم من الله بأنه أهل له؛ لشرفه ورضا الله بعمله [3].

وقيل: المعنى: أوتيته على علم عندي بالتجارة والطلب وغير ذلك [4].

لكن الله عز وجل ردّ عليه هذا الدعوى، وأخبر بأن تلك العطية فتنةٌ من الله وبلوى يبتلى بها العبد؛ ليشكر أو يكفر [5].

ثم بيّنت الآية أن هذا القول قديمٌ، قد سبقه إلى مثله قومٌ آخرون، ومنهم قارون الذي قال عمّا آتاه الله من الأموال وزينة الدنيا: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٤/ ٣٤٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٥٣٦).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٢١/ ٣٠٣).

(٤) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٣٥٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٤/ ٣٥٧).

[سورة القصص: ٨٧].

٣. الفخر وظن الإكرام.

من ضعف تفكير هذا الكافر وسوء تقديره أنه يظنّ أن الله عز وجل إذا أكرمه، وأغدق عليه بالنعم، فإن ذلك دليلٌ على إكرام الله عز وجل له، ومحبته إياه.

قال الله جل وعلا: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الفجر: ١٥-١٦].

فيظنّ الكافر أن الله إذا ابتلاه واختبره بالغنى واليسر، ورزقه وأنعم عليه، وأعطاه من حظوظ الدنيا ما شاء أن يعطيه، يظنّ ذلك كرامة من الله له (١).

ويتوهم أن الإكرام والإهانة تدور على المال وسعة الرزق، وما علم أن الفقر والغنى بتقدير الله عز وجل؛ يوسّع على الكافر لا لكرامته، ويضيق على المؤمن لا لهوانه (٢).

وإنما الإكرام الحقيقي أن يوفق الله عز وجل العبد لطاعته، ويصرفه عن معصيته، ويوصله إلى نعيم الآخرة (٣).

والمُشْكِلُ في كلام الكافر أنه يقول: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ على وجه الفخر والكِبْر بذلك، لا على وجه الشكر. ويقول: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ على وجه التشكي من الله، وقلة

---

(١) انظر: البسيط، الواحدي (٢٣/ ٥٠٩).

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٨/ ٤٢١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٥/ ٣٢٣).

الصبر والتسليم لقضاء الله [1].

وظنّ الإكرام هذا يقود صاحبه إلى الفخر، والإعجاب بالنفس

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة هود: ١٠].

والنعماء هنا تتضمّن كشف الضر الذي أصابه، وإحلال ما هو ضده من النعم، كالصحة بعد المرض، والغنى بعد الفقر، والأمن بعد الخوف [2].

فهذا الجاهل بسنة الله عز وجل في النعمة والمصيبة يقوده وَهْمُ الإكرام إلى الفخر والتعاظم على الناس بما أصابه من النعماء [3].

ومن فَرَطِ فرحه وغلبة السرور عليه يظنّ أن تلك المصيبة التي رفعها الله عنه هي آخر العهد بالمصائب، ونهاية ما قد يصيبه من المحن فيقول: ﴿ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾.

وليست المشكلة في فرح الإنسان بأنعم الله عليه، وإنما المشكلة أنه لم يقابلها بشكر الله عليها، بل يبطر ويفخر على الناس، ولا يقوم بما يجب عليه من مواساة البائسين الفقراء، وعمل الخير لبني الإنسان [4].

---

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (٢/ ٤٨٠).

(٢) انظر: تفسير المنار، رشيد رضا (١٢/ ٢٥).

(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٦/ ١٢٨).

(٤) انظر: تفسير المراغي (١٢/ ٨).

٤. الإعراض.

ومن أبرز المعالم التي بيّنها القرآن في موقف الكفار حال النعم: الإعراض.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [سورة فصلت: ٥١].

وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [سورة الإسراء: ٨٣].

تبيّن هاتان الآيتان أن الكافر إذا أنعم الله عز وجل عليه بالنعم، وآتاه ما سأل، فإن يقابل ذلك بالإعراض.

والإعراض هنا يشمل ثلاثة معانٍ:

الأول: ترك الإيمان وشكر النعمة، فهو يكفر النعمة، ولا يشكر من أنعم عليه بها [١].

الثاني: الإعراض عن دعاء الله وسؤاله [٢].

فهذا الكافر يتضرع إلى الله، ويلتجئ إليه، ويخلص في الدعاء عند المحنة والشدة، فإذا أقبلت النعمة والصحة ترك ذلك كله [٣].

الثالث: إعراض تكبر واستغناء، بدليل قوله: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [٤].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ٤٨٠)).

(٢) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٢٦).

(٣) انظر: تفسير السمعاني، السمعاني (٣/ ٢٧٢).

(٤) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٥/ ١٢٣)، الكشاف، الزمخشري (٢/ ٦٩٠).

فينتقل هذا الكافر من حال التضرع والدعاء إلى حال التكبر والاستغناء، غافلاً عن عبودية الله، متمردًا عن طاعته [1]، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة يونس: ١٢].

٥. الطغيان.

ومن الصفات التي وصف القرآن الكريم حال الكافر عند حلول النعم عليه: الطغيان؛ فهم يزدادون طغيانًا وضلالًا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٧٥].

فلو كشف الله عنهم الضرّ الذي نزل بهم، من مرض أو قحط، أو خوف، أو غير ذلك، وأبدلهم به صحة وخصب وأمن، أو غير ذلك، لم يزدهم ذلك إلا تمسُّكًا بما هم عليه، وأفرطوا في غيّهم وضلالهم [2].

فكشفت هذه الآية حالهم وتمردهم وعنادهم، وأنهم إذا أصابهم الضر، دعوا الله أن يكشف عنهم الضرّ، فإذا كشف الضر عنهم، استمروا في طغيانهم وضلالهم حائرين مترددين [3].

وشعور الإنسان بالاستغناء، والأمن من زوال النعم يجعل منه طاغية، كما

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢١/ ٣٩٠).

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٧/ ٥٧٦).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٥٥٦).

قال سبحانه وتعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة العلق: ٦-٧].

وهذا الطغيان والانغماس في الغي، والبعد في الضلال، يضعف احتمالات الصلاح، ويقطع حبال التوبة، فينتهي به الحال في نار جهنم، والعياذ بالله عز وجل.

٦. المكر والخداع.

ومن الصفات التي وصف القرآن الكريم الكفار بها حال النعم: المكر والخداع.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ﴾ [سورة يونس: ٢١].

أطلق الرحمة هنا على أثرها من النعمة والمسرة(١).

فأخبر القرآن الكريم أنهم في حال الرخاء واليسر يحاولون المكر بآيات الله عز وجل؛ بأن يدفعوها، وينكروها، ويستهزءوا بها ويكذبوا(٢).

وعجيبٌ حال هؤلاء الكفار، الذي تلجئهم المضرّة وسوء الحال إلى الالتجاء إلى الله، ودعائه والتضرع له، فإذا زالت الغُمَّة، وحلت النعمة، تبدل حالهم، فبدل أن يؤمنوا ويداوموا على عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له، لجؤوا إلى الكفر، والتكذيب بآيات الله عز وجل، ووصفها بالسحر والكذب.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١١/ ١٣٣).

(٢) انظر: أوضح التفاسير، محمد الخطيب (ص ٢٤٨).

لكن الله عز وجل هتك سترهم، وكشف عن سوء طويتهم [1].

وسمى تكذيبهم بآيات الله مكرًا؛ لأن المكر يدّل على الاحتيال، وهؤلاء يحتالون لدفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من إلقاء شبهة، أو طلب آية، أو احتجاجٍ بباطل [2].

وأما موقف الكفار في حال الضراء ونزول المصائب، فقد وصفهم القرآن الكريم بعدة صفات، منها:

١. اللجوء إلى الله.

إذا مسّ الكفار الضر، ونزل بهم البلاء، فإنهم يلجؤون إلى الله، ويدعونهم متضرعين، وإليه راغبين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الروم: ٣٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزمر: ٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الزمر: ٤٩].

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة (٧/ ٣٥٤٣).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٧/ ٢٣٢).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [سورة النحل: ٥٣].

فلا يظهر الإيمان، ولا يتحقق التوحيد والإخلاص لله عند هؤلاء الكفار إلا عن الشدائد العظام، والمحن الجسام.

فإذا أيقن هؤلاء بالهلاك، وغلب على ظنهم عدم النجاة، أخلصوا الدعاء لله عز وجل، دون آلهتهم التي يعبدون من دون الله، فقد علموا أن لا ينجيهم في هذا المقام إلا الله عز وجل [١]، يَدْعُونه ويَعِدُونه أن يكونوا من الموحدين الطائعين الشاكرين [٢].

وقد صوّر لنا القرآن هذا المشهد المهيب في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة يونس: ٢٢-٢٣].

ما أعظمه من مشهد، يصور لنا حال الإنسان الذي يتقلب بين الأمن والخوف، والحياة والموت، والتوحيد والشرك، يتقلب بين ذلك كله في غمضة عين.

---

(١) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٥/ ٣٢٤٣).

(٢) انظر: الوجيز، الواحدي (ص٤٩٣).

يا لهذا الإنسان الضعيف، إذا حدث له حادث، وظنّ فيه الهلاك، وشعر بدنو أجله، كمن تضطرب طائرته وهو في الجو، ومن تتلاعب به الأمواج وهو في عرض البحر، ونحو ذلك من الشدائد = اضطربت نفسه، وتحركت فيه دواعي الفطرة، فيلجأ إلى الله، ويدعوه بإخلاص، معلنًا التوبة.

لكنه سرعان ما ينسى ذلك كله، حين ينجيه الله عز وجل من ذلك الموقف المهيب، ويعود لسابق عهده وكأن شيئًا لم يحدث.

٢. اليأس والقنوط من رحمة الله.

اليأس والقنوط من أبرز معالم موقف الكافر من المصائب والمحن.

فإذا أنعم عليه ربه بالنعم، ووسع عليه رزقه أعرض واستعلا، فخرًا وغرورًا، فإذا تبدل الحال من السراء إلى الضراء انتقل إلى اليأس والقنوط من رحمة الله.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [سورة الإسراء: ٨٣].

فهذا الكافر يقابل نعمة الله عز وجل بالإعراض والتكبر، فإذا نزعها الله منه، استسلم لليأس، وانقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها، أو خيرًا منها عليه. فإذا أذاقه رحمة بعد الشدة والضراء فرح وبطر، وظنَّ دوام النعمة وعدم زوالها، وحمله ذلك على الأشر والبطر والإعجاب بالنفس، والتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدرائهم [١].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٣٧٨).

وقد يدعو الكافرُ اللهَ عز وجل عند اشتداد الكرب، فإذا تأخرت الإجابة دخله اليأس، فلا يزال به حتى يبلغ مداه، ويدخله في عداد القانطين [1].

واليأس من رحمة الله عز وجل سمة من سمات الكافرين، كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [سورة يوسف: ٨٧]؛ لأن فيه تكذيبًا بالربوبية، وجهلًا بصفات الله عز وجل [2].

وهذا بخلاف المؤمن الذي مهما اشتد عليه الكرب، وتكاثرت عليه المصائب، لا ينقطع رجاؤه بالله، ويوقن أن بعد العُسر يسرًا، وأن الكل بقدر الله عز وجل.

الموقف الثاني: موقف الكافرين والمنافقين من المؤمنين حال النعمة والمصيبة.

من القضايا التي أشارت إليها آيات المقابلة بين النعمة والمصيبة موقف الكافرين والمنافقين من المؤمنين في حالي النعمة والمصيبة، فبينت حالهم، وأوضحت طريقة تفكيرهم.

ويمكن إيجاز موقفهم في النقاط الآتية:

١. الحزن لحصول النعمة للمؤمنين، والفرح بنزول المصيبة عليهم.

هذا الموقف من المؤمنين مما اشترك فيها الكافرون والمنافقون، فكلا

(١) انظر: لباب التأويل، الخازن (٣/ ١٤٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ٢٧٤).

الطائفتين يحزنون ويصيبهم الغم إن نزل خير ونعمة بالمؤمنين، وإن أصاب المؤمنين مصيبة، أو وقع عليهم شرٌ، فرحوا بذلك، واستبشروا به.

قال الله جل وعلا: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٠].

تبين هذه الآية الكريمة حقيقة المنافقين، وتفضح ما تخفيه صدورهم، فهم من فرط حقدهم، وما امتلأت به قلوبهم من الغيظ يسؤهم ما يحصل للمؤمنين من خير ونعمة، ويفرحوهم أشد الفرح ما قد يصيب المؤمنين من مصيبة أو نازلة.

وإذا رأوا في المؤمنين ألفة واجتماعًا، ساءهم ذلك، وإذا رأوا فيهم فرقة واختلافًا، سرهم ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به (١).

والمراد بالحسنة: كل ما يستحسنه الإنسان مما يسرّه؛ من نعمة ينالها في بدنه وماله، وجاهه. والسيئة ضدّ ذلك.

والمسّ والإصابة يُستعملان في الخير والشر، إلا أن المصيبة اختُصَّت بما يسوء (٢).

والتعبير بالمسّ يبيّن أن استياء المنافقين المبغضين يحصل بأدنى طروء للحسنة، والتعبير بالإصابة يدل على التمكن؛ لأن الشيء المصيب لشيء فهو متمكن منه (٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن المنذر (١/ ٣٥٠).

(٢) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق د.عادل الشدي (٢/ ٨٣٠).

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني (١/ ٤٣١).

وعداوة المنافقين شديدة، وحقدهم بليغ، فلا يذهب عند الشدائد، بل يفرحون بنزول الشدائد بالمؤمنين، وهكذا هي عداوة الحسد في الأغلب، فيغتم الحاسد بأدنى خير يمسّ المحسود (1).

وهذه العداوة التي يخفيها المنافقون تظهر دلائلها على صفحات وجوههم، وفلتات ألسنتهم، وتبين ما أضمرته صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله (2).

وقال الله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة التوبة: ٥٠].

كشف الله عز وجل عن حال المنافقين، وأبان عمّا تخفيه صدورهم، من الاستياء إن أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه خيرًا أو نصرًا، والفرح والسرور إن أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه شرًّا من هزيمة، أو ضررٍ، وفرحوا بتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأنهم لم يصبهم ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (3).

وهذا من فرط عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فيغتمون بتجدد النعم على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويفرحون بنزول المصيبة عليهم (4).

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٤٩٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/ ١٠٨).

(٣) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٤/ ٣٠٢٣).

(٤) انظر: البسيط، الواحدي (١٠/ ٤٨٠).

والآية وإن كانت تتحدث عن غزوة تبوك، إلا أن لفظها عام، يعمُّ كل محبوب ومكروه [1].

٢. التشاؤم والتطير بالأنبياء والمؤمنين.

يحاول الكفار والمعادون للأنبياء والمؤمنين إلصاق التهم بهم، وربط المصائب والنقائص بهم، تنفيرًا للناس عنهم، ومن ذلك التشاؤم والتطير بهم عند نزول المصائب، ورميهم بأنهم سببٌ لحصولها.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٣١].

فهؤلاء آل فرعون كانوا إذا نزل بهم القحط والجدب والمرض والبلاء والضرّ، تشاءموا بموسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وقالوا: إنما أصابنا هذا الشر بشؤم موسى وقومه [2]، ويقولون: ذهب عنا الرخاء والخصب والعافية، مذ جاءنا موسى عليه السلام [3].

والله عز وجل أصابهم بالقحط والنقص في الثمرات لكي ينيبوا ويرجعوا، فإذا بهم قد ضلوا وجعلوها تشاؤمًا بموسى، إذا حصل لهم الخير والنعم قالوا: هذا لنا وبسببنا. وإذا نالهم ضر قالوا: هذا بسبب موسى وشؤمه [4].

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ٤٢)، البحر المحيط، أبو حيان (٥/ ٤٣٢).
(٢) انظر: البسيط، الواحدي (٩/ ٣٠٠).
(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (١٣/ ٤٧).
(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٤٤٣).

وردَّ الله عز وجل عليهم قولهم، بأن ما أصابهم من عنده تعالى وبفعلهم[1]، وأن الشؤم الحقيقي ما يلحقهم من العذاب الذي وعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا من المصائب[2].

فأكثرهم يجهلون أن كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله تعالى وبتقديره؛ لأنهم يعلقون الحواث والنوازل بالأسباب المحسوسة، ويقطعونها عن قضاء الله تعالى وتقديره، والحق أن الكل من الله عز وجل وتقديره[3].

٣. ادعاء المنافقين معية المؤمنين في حال الرخاء، والتبرؤ منهم في حال الشدة.

من أبرز معالم موقف المنافقين من المؤمنين في حال الرخاء والشدة: أنهم يدّعون معية المؤمنين إن أصاب المؤمنين خيرٌ ونعمة، ويتبرأون منهم إن أصابهم مصيبة أو هزيمة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة النساء: ٧٢- ٧٣].

تبيّن هذه الآيات الكريمات حال المنافقين في الجهاد في سبيل الله عز وجل،

(١) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ٥٤٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٢/ ٣٦٩).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٤/ ٣٤٥).

وأنهم يتثاقل عنه، ويتخلفون عنه، ويثبطون غيرهم [1].

وتبيّن أن لهم حالان مع المؤمنين:

الحالة الأولى: إن أصاب المؤمنين هزيمة، أو نالهم قتل أو جراح من عدوهم، تبرأ هذا المنافق منهم، وقال: ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ﴾ بالقعود حيث لم أحضر فيصيبني ما أصابهم [2].

فيسَرَّه تخلّفه عنهم، شماتةً بهم؛ لأنه من أهل الشك في وعد الله الذي وعد المؤمنين من الأجر والثواب على ما نالهم في سبيله، فهو لا يرجو ثوابًا، ولا يخاف عقابًا [3].

ويعدّ هذا المنافق سلامته مما أصاب المؤمنين نعمةً؛ لأنه لا يعدُّ النعمة إلا ما كان من عَرَض الدنيا وزينتها [4].

ولا يخجل ـ وهو يعدُّ النجاة مع التخلف نعمة ـ أن ينسبها لله عز وجل. الله الذي خالف أمره وقعد!

والنجاة بهذه الصورة لا تكون من نعمة الله أبدًا. فنعمة الله لا تنال بمخالفة أمره، ولو كان ظاهرها نجاة.

إنها نعمة عند الذين لا يتعاملون مع الله، ولا يدركون لماذا خلقهم الله، ولا

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ٥٣٣).

(٢) انظر: الوجيز، الواحدي (ص ٢٧٤).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٨/ ٥٣٨).

(٤) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ١٣١٩).

يعبدونه بالطاعة والجهاد في سبيله.

إنها نعمة عند من لا يحسون أن البلاء في سبيل الله، هو فضلٌ واختيارٌ من الله، يختص به من يشاء من عباده [1].

والشهادة في سبيل الله عز وجل وإن كان ظاهرها المصيبة، فهي في الحقيقة من أعظم النعم؛ لحسن مآلها وعاقبتها [2].

الحالة الثانية: إن انتصر المؤمنون وأصابوا الغنائم، يقول هذا المنافق متحسرًا على ما فاته: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ﴾ لآخذ من الغنيمة حظًا وافرًا [3].

فهذا المنافق يظهر للمؤمنين المودة، ويعاهد على التزام شرائع الإسلام، ثم يتخلف نفاقًا وشكًّا وكفرًا بالله ورسوله [4]، ويَشْمَتُ إذا أصاب المؤمنين ضرر، ويحسدهم إذا أصابوا نَفْعًا وظَفْرًا [5].

ومثل هذا الفعل لا يقدم عليها الإنسان إلا في حق الأجنبي العدو؛ لأن من أحب إنسانًا فرح عند فرحه، وحزن عند حزنه، فأما إذا قُلِبَتْ هذه القضية فذاك دليل العداوة، لذلك قال سبحانه: ﴿كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ﴾ [6].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٢/ ٧٠٦).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٧٧).

(٣) انظر: مدارك التنزيل، النسفي (١/ ٣٧٣).

(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٧٧).

(٥) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٢/ ١٣٨٦).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٠/ ١٣٩).

والمنافقون يرغبون عن الجهاد؛ لأنهم لا يحبون أن يبقى الإسلام وأهله، ولا أن يدافعوا عنه، ويحموا بيضته (١).

أما ضعيف الإيمان فإنه قد يتخلف عن الجهاد في سبيل الله عز وجل خوفًا وجُبْنًا، لكنه لا يقول مثل هذا القول عند هزيمة المؤمنين، ولا يعدّ من نعم الله عليه أنه لم يكن معهم شهيدًا، بل يستحي من الله عز وجل، ويلوم نفسه أنه أطاع داعي الجبن، ويستغفر ربه من ذلك (٢).

ويتبين مما سبق أن المقصود من المقابلة بين النعمة والمصيبة في هذا السياق، بيان اختلاف مواقف العباد في حالي النعمة والمصيبة.

وقد أثمرت المقابلة بين النعمة والمصيبة الفوائد الآتية:

- يلجأ الكفار إلى الله عز وجل ويستغيثون به إذا مسّهم الضر وأوشكوا على الهلاك، فإذا كشف عنهم الضرّ عادوا إلى سابق عهدهم من الإشراك بالله، والكفر به وبنعمه.
- لا يلتجئ المشركون في شدائدهم إلى مَنْ عبدوه مع الله عز وجل، إنما يرجعون في دعائهم إليه وحده سبحانه وتعالى. فلا يظهر الإيمان، ولا يتحقق التوحيد والإخلاص لله عندهم إلا عند الشدائد العظام، والمحن الجسام.

---

(١) انظر: تفسير المراغي (٥/ ٨٨).

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٥/ ٢٠٧).

- الكفر بالنعم سببٌ لزوالها وتبديلها، فيتبدل الأمن إلى خوف، وسعة الرزق إلى فاقة وجوع.
- يظنَّ بعض الجهال أن الله عز وجل إذا أكرمه، وأغدق عليه بالنعم، فإن ذلك دليلٌ على إكرام الله عز وجل له، ومحبته إياه، ثم يقوده وَهْمُ الإكرام إلى الفخر والتعاظم على الناس بما أصابه من النعماء.
- يتضرع الكافر إلى الله، ويلتجئ إليه، ويخلص في الدعاء عند المحنة والشدة، فإذا أقبلت النعمة والصحة أعرض عن دعائه وذِكْرِه، واستكبر واستعلى على الناس، وازداد طغيانًا وضلالًا.
- يحزن ويغتمّ الكافرون والمنافقون إن نزل خير ونعمة بالمؤمنين، ويفرحون إن أصاب المؤمنين مصيبة، أو وقع عليهم شرٌّ.
- عداوة الكافرين والمنافقين للمؤمنين تجمع بين الحقد والحسد، فيفرحون لحزنهم، ويحزنون لفرحهم.
- يحاول الكفار والمعادون للمؤمنين نسبة المصائب والكوارث لهم، تنفيرًا للناس عنهم، وتشاؤمًا بهم.
- من سمات المنافق أنه ذو وجهين: فهو مع المؤمنين إن أصابهم خيرٌ ونعمة، ويتبرأ منهم إن أصابهم مصيبة أو هزيمة.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
ما يشترك فيه النعمة والمصيبة

يظهر مما سبق أن آيات المقابلة بين النعمة والمصيبة اهتمت ببيان موقف الكافرين والمنافقين حال النعمة والمصيبة، وأن حالهم في النعمة يختلف عن حالهم في المصيبة.

ولكن في مقام الحديث عن موقف المؤمنين، كان الأمر مختلفًا، فبيّنت أن حالهم لا يختلف في النعمة والمصيبة، فقال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤].

فقابلت هذه الآية الكريمة بين حال المتقين في ﴿ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، وبينت أنهم في كلا الحالين لا يختلف حالهم في الإنفاق في وجوه الخير، فهم ينفقون في السراء والضراء.

ولو نظرنا إلى سياق الآية، لوجدنا أن الآية التي قبلها أمرت بالمسارعة للجنة التي عرضها السموات والأرض، والتي أعدت للمتقين فقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٣٣].

ثم أخذ يعدد صفات المتقين الذي أعدت لهم الجنة، فبدأ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾.

فأول ما وصفهم به أنهم لا يختلف حالهم في الإنفاق، سواء في السراء أو الضراء.

فهؤلاء المتقون لا تلهيهم السراء التي هم فيها عن التفكير في غيرهم، ومحاولة إسعادهم، وكذلك الضيق وشدّة الحال لا تجعلهم يبخلون بما في أيديهم. بل صار الإنفاق في وجوه الخير صفةً لهم، لا تختلف باختلاف الحال، وهذا يدلّ على محبتهم لنفع الغير، ولا ينشأ ذلك إلا عن نفس طاهرة (١).

فمن شأن التقوى أن تُذْكِي في نفس الإنسان عواطف الرحمة والإحسان، فلا يمسك صاحبها خيرًا لنفسه خاصة، بل إن كل ما فى يده هو له وللناس، فهو ينفق منه فى كل حال، في يسره وعسره، في سرّائه وضرّائه، وفي سرّاء الناس وضرائهم، يجود بما في يده ولا يبخل أبدًا (٢).

وهناك مقابلة أخرى جاءت في هذا السياق، مقابلة بين آخذٍ ومعطٍ، فقد سبق قبل أربع آيات النهي عن الربا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠﴾ [سورة آل عمران: ١٣٠].

فنهت هذه الآية الكريم على أخذ الربا، وأكل أموال الناس، وختمت بالأمر

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٤/ ٩١).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (٢/ ٥٨٦).

التقوى التي من شأنها ترك الربا.

وجاء بعدها بآيات يسيرة وصف المتقين بأنهم لا يبخلون بأموالهم في السراء والضراء، يقابلهم في الطرف الآخر المرابون الذين يأكلون أموال الناس أضعافًا مضاعفة، فهم يحتالون على الناس لأخذ أموالهم، فليس لديهم تقوى تمنعهم عن التعامل بالربا.

والمقصود من المقابلة في هذا السياق بيان عدم اختلاف موقف المؤمنين في حالي النعمة والمصيبة.

وقد أثمرت آيات المقابلة بين النعمة والمصيبة الفوائد الآتية:

- من صفات المتقين أنه ينفقون في السراء والضراء، فلا تنسيهم النعمة الآخرين الذين فقدوها، ولا يشغلهم ما قد يمر بهم من ضيق الحال وقلة ذات اليد إخوانهم الذين يحتاجون إلى دعم ومؤانسة.
- موقف الكافرين والمنافقين يختلف باختلاف الحال في السراء والضراء، أما المؤمنين فموقفهم ثابتٌ لا يتغيّر مهما تغيّر الحال.

❁ ❁ ❁

المبحث الثامن
المقابلة بين الإصلاح والإفساد

من المعاني المتضادة التي قابل القرآن الكريم بينهما: الإصلاح والإفساد.

فأما الإِصَّلَاح:

فأصل مادة (ص ل ح) تدل على أصل واحد، وهو خلاف الفساد [1].

يقال: صَلُح الشيءُ يَصْلُحُ صُلُوحًا وصَلَاحًا [2].

فالصلاح إذًا ضد الفساد، وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال [3].

والصالح في نفسه، والمصلح في أعماله وأموره [4].

والإصلاح يكون لما فَسُدَ أو تعطَّل من الآلة أو الشيء، ويكون أيضًا في القضايا المعنوية المتعلقة بالنفس والإنسان [5].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٣٠٣).

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري (١/ ٣٨٣).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص ٤٨٩).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٤/ ١٤٢).

(٥) انظر: درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي الحريري (ص ٢٧١).

وأما الإفْسَاد:

فأصل مادة (ف س د) تدلّ على خروج الشيء عن الاعتدال، قليلًا كان الخروج عنه أو كثيرًا، ويضادّه الصّلاح، ويستعمل ذلك في النّفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة (1).

يقال: فَسَد يَفْسُدُ فَسَادًا، وفَسُدَ فُسُودًا (2).

والإفساد: فعل ما يحصل به الفساد، الذي يحيل منفعة الشيء إلى مضرة (3).

والمفسدة خلاف المصلحة (4).

فالإصلاح والإفساد من الأضداد (5).

وقد بلغ عدد المقابلات بين الإصلاح والإفساد ستًّا وعشرين مقابلة.

وقد جاءت المقابلة بينهما في ثلاث صور:

الأولى: المقابلة بين لفظي الإصلاح والإفساد بصيغهما المختلفة.

نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأعراف: ٥٦].

وقوله سبحانه: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ

---

(1) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص ٦٣٦).

(2) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٢/ ٢٥٧).

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٢٨٤).

(4) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٥١٩)، المحكم، ابن سيده (٨/ ٤٥٨).

(5) انظر: المزهر في علوم اللغة، السيوطي (١/ ٣٠٩).

لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ [سورة الأعراف: ١٤٢].

فقوله: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يقابله ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾.

وقوله: ﴿وَأَصۡلِحۡ﴾ يقابله ﴿سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

الثانية: المقابلة بين لفظ الإصلاح وبعض صور الفساد.

فيذكر في هذه الصورة بعض صور الفساد؛ من الكفر والنفاق والمعاصي والذنوب، ثم تختم الآيات بالحديث عن التوبة والإصلاح.

نحو قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٦ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٨ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩﴾ [سورة آل عمران: ٨٦-٨٩].

وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٩﴾ [سورة النحل: ١١٩].

فقوله: ﴿كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ يقابله ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾.

وقوله: ﴿عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ يقابله ﴿وَأَصۡلَحُوٓاْ﴾.

الثالثة: المقابلة بين لفظ الإفساد وبعض صور الإصلاح.

فيذكر في هذه الصورة بعض صور الإصلاح؛ سواء من العمل الصالح، أو صلاح الأرض، ويذكر معها الفساد.

نحو قوله تعالى: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

وقوله جلت قدرته: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الأعراف: ٧٤].

وقال عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥١].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة يونس: ٩٠-٩١].

فقوله: ﴿يُفْسِدُ فِيهَا﴾ يقابله ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

وقوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يقابله ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾.

وقوله: ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ يقابله ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾؛ لأن المدافعة صورة من صور الإصلاح.

وقوله: ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ يقابله ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، فالإيمان بعد الكفر إصلاح بعد فساد.

وعند تأمّل آيات المقابلة بين الإصلاح والإفساد، نجدها إما أنها تتحدث عن جوانب تتعلق بالاختلاف بينهما، أو توضح علاقة أخرى بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف الإصلاح والإفساد.

المطلب الثاني: علاقات أخرى بين الإصلاح والإفساد.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف الإصلاح والإفساد

لم تتحدث آيات المقابلة بين الإصلاح والإفساد عن الاختلاف بينهما، وإنما تحدثت عن الاختلاف بين المصلحين والمفسدين في عدة نقاط:

أولًا: اختلافهم في الحال والعمل.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النمل: ٤٨].

وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٥١-١٥٢].

فشأن المفسدين أن فسادهم لا يشوبه إصلاح ﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾، ففسادهم خالصٌ لا يخالط صلاح (١).

وذلك خلاف دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وأتباعهم من العلماء والمصلحين، فإن دعوتهم جاءت لإصلاح ما فسد من العقائد، والأخلاق،

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ٣٢٨).

والأعمال، والعادات.

كما قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النحل: ٣٦].

وهناك أناس يتظاهرون بالإصلاح، وحقيقة أمرهم الإفساد.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة البقرة: ١١-١٢].

فالمنافقون يظهرون الصلاح والإصلاح، ويبطنون الفساد والإفساد، كما أنهم يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر.

وهذا الصنف من الناس ليس لهم جرءة وشجاعة لمواجهة الناس بأفكارهم وآرائهم، وليسوا من أهل سلامة الصدر وحسن القصد حتى يستجيبوا لنصح الناصحين، ويعودوا إلى دينهم، ويراجعوا مواقفهم.

لكنهم أهل مكر وخداع، وخداعهم له صور وأحوال:

فتارةً ينكرون ما ينسب إليهم من أفعال الفساد والإفساد، ويتظاهرون أنهم من أهل الصلاح والإصلاح، فإذا خلا بعضهم إلى بعض تمالؤوا على الفساد والإفساد، وخططوا له في السرِّ، والله يكتب ما يبيِّتون، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.

فإذا نصحهم الناصحون، أنكروا كل ما ينسب إليهم، وادَّعوا أنه محض كذب وافتراء، وربما حلفوا الأيمان المغلظة على ذلك، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ [سورة التوبة: ٧٤].

وتارةً يَدْعُون الناس بشعارات برَّاقة، ظاهرها الصلاح والإصلاح، وباطنها الفساد والإفساد، كالدعوة إلى نصرة المظلوم، وحقيقة أمرهم إفساد ذات البين، والدعوة لإعطاء المرأة حقوقها، وحقيقة أمرهم إفساد المرأة وجعلها سلعة رخيصة.

فإذا نصحهم الناصحون ادَّعوا أنهم يدعون إلى نصرة المظلوم، أو إنصاف المرأة وإعطاءها حقوقها، وكل ذلك كذب وخداع.

وتارةً يزيِّنون الباطل للناس، ويدَّعون أنه حق، ويذمون الحقّ للناس، ويدَّعون أنه باطل، قلبًا للحقائق، وتلبيسًا على الناس، واستغلالًا لجهل الناس وغفلتهم. والله المستعان.

وإن أعظم المفسدين وأشدّهم خطرًا، ذلك الذي لُبِّس عليه الحق بالباطل، فرأى الحسن قبيحًا، والقبيح حسنًا، ويغترُّ بحاله، ويزعم أنه ليس بفاسد ولا مفسد، قد انقلبت عنده الحقائق، فلا يميز الخير من الشر، ولا الفساد من الصلاح، وهم الذين قال الله عنهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤] (١).

وإن من أوضح الأمثلة على هذا الصنف من المفسدين: من انحرف عن

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (١/ ١٣٠).

منهج الله عز وجل من الخوارج، الذين أفسدوا في الأرض قتلًا وتخريبًا، ولم يدخلوا مدينة إلا ارتكبوا فيها أبشع الجرائم، وأشنع الفعال، كل ذلك باسم نصرة الدين، وحماية حريمه، ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن حالهم فقال: ((**يخرج فيكم قومٌ تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**))[1].

وشواهد التاريخ، وأحداث العصر، تؤكِّد صدق قول النبيّ صلى الله عليه وسلم. والله المستعان.

والله عز وجل عالم الغيب والشاهدة، يعلم مَنْ قَصْدُه وعمله إفساد، ومَنْ قَصْدُه وعمله إصلاح.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٢٠].

فقد كان يقع على بعض اليتامى ظلم من الأوصياء عليهم، ويأكلون أموالهم مع أموالهم، فشدد عليهم في أمر اليتامى تشديدًا خافوا معه التزوّج بنساء اليتامى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن (٥٠٥٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ومخالطتهم، فأعلمهم الله أن الإصلاح لهم هو خير الأشياء، وأن مخالطتهم جائزة مع تحري الإصلاح (١).

فأباح الله لهم مخالطتهم، ومشاركتهم في النفقة والخدمة، مع تنبيههم أن الله عز وجل يعلم المفسد لمال اليتيم من المصلح لماله، فلا بأس بالخلطة، إذا قصد بها الإصلاح ولم تقصد بها الإضرار بمال اليتيم (٢).

وقد أخبر الله عز وجل أنه يبطل عمل المفسد ولا يصلحه.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة يونس: ٨١].

وهكذا كل مفسد عمل عملًا واحتال كيدًا، أو أتى بمكر، فإن الله سيبطل عمله، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما، فإن مآله الاضمحلال والزوال.

وأما المصلحون الذين قصدهم بأعمالهم وجه الله تعالى، وهي أعمال ووسائل نافعة، مأمور بها، فإن الله يصلح أعمالهم ويرقيها، وينميها على الدوام (٣).

ثانيًا: اختلافهم في العاقبة والجزاء.

نفت آيات المقابلة بين الإصلاح والإفساد المساواة في الجزاء بين المؤمنين والكافرين، والمتقين والفجار، والمصلحين والمفسدين، وهكذا.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (١/ ٢٩٤).

(٢) انظر: تفسير السمرقندي (١/ ١٤٥).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٣٧١).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة ص: ٢٨].

فإن الله عز وجل لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار، بل يجازي كل واحد بعمله؛ لتظهر حكمته في الجزاء [١].

وهذا رد لقول الكفار، الذين ينكرون البعث ويقولون: ليس ثَمَّ عقوبة ولا نار، فالكافر والعاصي يَسْعَدَان باللذات، والمطيع يشقى، ومصيرهما إلى شيء واحد. فردَّ الله عليه بأنه لم يجعل المتقين كالفجار في الآخرة، ولا الصالح كالمفسد [٢].

ولو انتفى البعث، وبطل الجزاء كما يقول الكافرون، لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد، واتقى وفجر، ومن سوى بينهم كان سفيهًا ولم يكن حكيمًا [٣].

فلا يستوي عند الله من أصلح ومن أفسد، ولا من اتقى ومن فجر، ولو كانوا سواء لبطل الجزاء، والجزاء واقعٌ لا محالة، والتسوية منتفية [٤].

فجزاء المؤمنين ليس كجزاء الكافرين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (٢/ ٢٠٧).

(٢) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٢٣٨).

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ٩٠).

(٤) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٩/ ١٥٣).

يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ [سورة الجاثية: ٢١].

ومن ظن بالله الحكيم الخبير أنه يساوي بين الصالح المصلح، والمفسد الفاجر، فقد ظن ظنًّا قبيحًا جديرًا بالإنكار [١].

والمساواة بين الفريقين لا تتفق مع الحق والعدل الذي أقام الله عليه خلقه، والذي خلق السموات والأرض من أجله [٢].

فالمقصود من المقابلة بين الإصلاح والإفساد في هذا السياق: بيان اختلاف صفات أهلهما وأعمالهم وجزائهم.

وقد أثمرت المقابلة بين الإصلاح والإفساد الفوائد الآتية:

- من شأن أئمة الفساد أن فسادهم لا يشوبه إصلاح، فهو فساد خالص لا صلاح فيه.
- المنافقون من أبرز أصناف المفسدين، فهم يظهرون الصلاح والإصلاح، ويبطنون الفساد والإفساد.
- دعوة المنافقين إلى الفساد والإفساد بطرق ملتوية، وأساليب خفية.
- أعظم المفسدين وأشدّهم خطرًا، من يظن نفسه مصلحًا وهو مفسد، قد التبس عليه الحق بالباطل، فرأى الحسن قبيحًا،

(١) أضواء البيان، الشنقيطي (٦/ ٣٤٤).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (١٢/ ١٠٧٨).

والقبيح حسنًا.

- لا يستوي عند الله من أصلح ومن أفسد، ولا من اتقى ومن فجر.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
علاقات أخرى بين الإفساد والإصلاح

تناول آيات المقابلة بين الإصلاح والإفساد بعض العلاقات الأخرى بينهما، ومن تلك العلاقات.

أولًا: الصلاح أصل، والفساد طارئ.

لقد امتن الله عز وجل على عباده بخلق الأرض لهم، وتوفر ما يحتاجون إليه في حياتهم فيها، فجعلها صالحة للحياة عليها، والعيش فيها.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الحجر: ١٩-٢٠].

وقال عز جل: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة النازعات: ٣٠-٣٣].

وغيرها من الآيات التي تدلّ على إصلاح الله عز وجل الأرض للعباد، كي يعمروها، ويعبدوه فيها.

ولأجل ذلك عندما أخبر الله عز وجل ملائكته أنه سيجعل في الأرض خليفة، خشوا أن يفسدها هذا الخليفة فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

والمراد: استبعاد أن يستخلاف الله عز وجل في الأرض من يفسد فيها (١). وظنت الملائكة أن الخليفة المجعول في الأرض سيحدث فيها فسادًا (٢).

فالله عز وجل عندما كتب على آدم عليه السلام وذريته أن يسكنوا الأرض، أصلحها لهم، وأوجد فيها كل ما يحتاجون إليه، وأرسل إليهم رسلًا منهم يبينوا لهم كيف يتعاملون مع هذه النعم، ويبيّنوا لهم النظام التشريعي الذي يسيرون عليه، فيحافظون على صلاح الأرض، ويجنبوها الفساد.

والإفساد مذموم في الأصل، ويزداد ذمًّا وقبحًا إذا كان بعد إصلاح (٣).

قال الله جل وعلا: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأعراف: ٥٦].

فالله عز وجل خلق الأرض على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلفين، وبعث فيها الأنبياء بما شرعه من الأحكام، ونهى عن الإفساد فيها بجميع صور الإفساد؛ كالإفساد في النفوس والأموال والأنساب والعقول

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١/ ٨٢).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٤٨).

(٣) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٨/ ٤١٠).

والأديان [1].

ولفظ الآية عامٌّ، يشمل كل صور الصلاح والفساد، وما يذكره بعض المفسرين من صور الصلاح والفساد هو من باب التمثيل [2].

قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥﴾ [سورة الأعراف: ٨٥].

وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٧٤﴾ [سورة الأعراف: ٧٤].

فمن الحكم التي لأجلها أرسل الله الرسل هي المحافظة على صلاح الأرض، والنهي عن إفسادها بكل صور الإفساد ومراتبه.

والإفساد في الأرض على مراتب:

الأولى: إفساد النفس بارتكاب ما يفسد القلب أو البدن؛ كالشرك بالله والكفر به، والوقوع في الفواحش والمعاصي، والإضرار بالبدن.

الثانية: إفساد الناس بدعوتهم للفساد والمنكرات، أو إشاعة ما يفسد بينهم؛

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي (٤/ ٣٧٩).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٤١٠)، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٥/ ٧٠).

كالنميمة والعداوة والإيقاع بينهم.

الثالثة: إفساد الأرض بالاعتداء عليها، وتخريبها، وإفساد معايش الناس ومساكنهم، وغير ذلك مما فيه معاشهم وصلاح حياتهم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة هود: ١١٦].

فلم يكن من القرون السابقة التي أهلكها الله عز وجل طائفة منهم أولي فهم وعقل منهم ينهون عن الفساد في الأرض، إلا يسيرًا من الأنبياء وأتباعهم، فإنهم كانوا ينهون عن الفساد في الأرض، فنجاهم الله من عذابه، حين أخذ من كان مقيمًا على الكفر بالله [1].

فسبب هلاك تلك الأمم أنهم لم يكن منهم من ينهى عن الفساد، ولم ينجُ منهم إلا من كان ناهيًا عن الفساد؛ لأن النهي عن الفساد سببٌ لبقاء صلاح الأرض وعدم فسادها، أما إذا قلَّ الناصحون أو فُقِدُوا عَمَّ الفساد الأرض، وهذا مؤذنٌ بحلول العذاب بهذه الأرض، وعدم نجاة أهلها. والله المستعان.

ثانيًا: المدافعة بين الإصلاح والإفساد.

من المعالم التي أشارت إليها آيات المقابلة بين الإصلاح والإفساد: مدافعة الفساد؛ لأنه إذا لم يكن هناك مدافعة للفساد، فسوف يعمَّ المكان، ويفسد الأرض

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٥/ ٥٢٧).

كلها.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥١].

فمن رحمة الله عز وجل بعباده أن يدفع أهل الباطل بأهل الحق، وأهل الفساد بأهل الإصلاح، ولولا هذا التدافع لغلب الفساد في الأرض فأفسدها (١).

ونسبة الدفع هنا إلى الله؛ لأنه هو الذي قدّره وقدّر أسبابه (٢).

وهذا التدافع قد يكون بالحرب والقتال، وقد يكون بالحجة والبرهان، وقد يكون بين الأمم، وقد يكون بين الأفراد.

والتدافع سنة من سنن الله عز وجل في الحياة، فلا يزال الحق والباطل يتدافعان حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذا التدافع في كل جوانب الحياة، وهو الذي يحرك دولاب العمل على هذه الأرض، ويبعث الحياة في كل جوانبها، ولولا اختلاف الناس وتباين آرائهم ومواقفهم لم يكن هناك حِراكٌ وتدافع، ونصرٌ وهزيمة، وغالبٌ ومغلوب، واقتضت حكمة العليم الخبير أن الحرب بين الحق والباطل، والخير والشر سجال، فتارة تكون الدولة والغلبة للحق والخير، وتارة تكون للباطل والشر.

ولكن المصلحون لا ييأسون، فلا يزالون في مدافعة للفساد وأهله حتى

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٢/ ٣٨٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢/ ٥٠٠).

يضعف ويضمحل.

ومن وسائل دفع الفساد في الأرض ومحاربته: إقامة الحدود والعقوبات الشرعية على المفسدين.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [سورة المائدة: ٣٣].

فقد أوجبت هذه الآية الكريمة معاقبة المفسدين الذي يقطعون الطريق على الناس، ويقتلونهم، ويأخذون أموالهم، ويُرَوِّعُون الآمنين، وجعلت في حقهم عقوبة ليس له مثيل في العقوبات الشرعية، وهي: القتل أو الصلب أو تقطيع الأطرف بخلاف، أو النفي والإبعاد.

وما ذاك إلا درءًا للإفساد، وحدًّا من انتشاره.

ولشناعة هذا الفعل فقد جُعِلَ محاربةً لله ورسوله؛ لأنه اعتداء على الحق والعدل الذي أنزل الله على رسوله، ولما فيه من عدم الإذعان لدينه وشرعه فى حفظ الحقوق، فمن لم يذعنوا لأحكام الشريعة يُعدوا محاربين لله والرسول (١).

وإصلاح النفس إحدى مقاصد القرآن الكريم، وقد بيّن أن ذلك هو الحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب.

---

(١) انظر: تفسير المراغي، المراغي (٦/ ١٠٥).

قال الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ ﴾ [سورة الأعراف: ٣٥].

فأخبر الله عز وجل بني آدم أنه سيرسل إليهم منهم رسلًا، يتلون عليهم آيات الكتب المنزلة، ويبيِّنون لهم الحجج والبراهين، والأحكام والشرائع، فمن اتقى الله باجتناب ما نهوا عنه، وأصلح القول والعمل بامتثال ما أمروا به، فلن يصيبه خوف ولا حزن يوم القيامة (١).

والوقوع في الخطأ أمرٌ واردٌ، لذلك فتح الله عز وجل بابًا للخروج من دائرة الخطأ والزلل، ألا وهو باب التوبة.

وكثيرةٌ هي الآيات التي تبيّن بعض صور الفساد، وتبيّن عاقبة أصحابها، ثم تُخْتَمُ بالحديث عن التوبة والإصلاح، فتفتح أمام المسيء أبواب التوبة، وأنه مما صدر منه من فعل قبيح، فإن باب التوبة مفتوح لمن وَلَجَه، بشرط الإصلاح؛ إذ التوبة راجعة في الأصل إلى الاعتقاد، والإصلاح إلى الأعمال، وكلاهما مطلوب، كما أن القرآن الكريم يقرن كثيرًا بين الإيمان والعمل الصالح (٢).

قال الله عز وجل: ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٦ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٨ إِلَّا

---

(١) انظر: تفسير ابن عرفة المالكي (٢/ ٢٢٣).

(٢) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٧٠٢).

﴿ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨٦-٨٩].

فهذه الآيات تتحدث عن المرتدين الذين كفروا بعد إيمانهم، وتتوعدهم بالعذاب، ثم في نهاية المطاف تفتح لهم باب التوبة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

فرغم الذنب الذي ارتكبوه إلا أن الله عز وجل فتح لهم باب التوبة، وَوَعَدَهُم بالمغفرة والرحمة بشرط الإصلاح، فليس للتوبة قيمة إن لم يتبعها صلاحٌ في العمل، واستقامة على الطريق القويم.

وفي تشريع التوبة إصلاحٌ لنفس البشرية؛ لأن الله لو لم يشرع التوبة لمن أذنب، لاستمر في الفساد والإفساد، ولكن الله عز وجل لما فتح له باب التوبة، جعل له فرصة في أن يعود إلى الطريق الصحيح، ويصلح ما قد أفسده، ولا يتمادى في غيه وفساده. فتشريع التوبة إنما جاء لصالح الكون، ولصالح النفس البشرية حتى تعود إلى محاضن الصلاح والإصلاح[1].

ولما ذكر الله عز وجل فساد أهل الكتاب بكتمان ما أنزل إليهم، شرط عليهم في التوبة أن يبيّنوا ما كتموه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [سورة البقرة: ١٥٩-١٦٠].

(١) انظر: تفسير الشعراوي (٣/ ١٦٠٥).

فمن يكتم البينات والهدى عن الناس، لا يكفيه من التوبة أن يغيّر نيته بالندم والعزم على أن لا يعاود لمثله، بل لا بد أن يصلح ما أفسده بقدر طاقته بإظهار ما كتمه، كما أن من غصب مالًا لا يكون موفيًا حقّ التوبة حتى يردّ ما غصبه (١).

وقال عز وجل في شأن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٥-١٤٦].

فاستثنى الله عز وجل التائبين من المنافقين، ومن شروط التائب أن يُصْلِح في قوله وفعله، وإلا فليس بتائب (٢).

فيجب على من تاب من النفاق أن يخلص لله عز وجل، ويعتصم به، ويجتهد في صالح الأعمال التي تغسل أدران النفاق، بأن يلتزم الصدق في القول والعمل، مع الأمانة والوفاء بالوعد (٣).

وهذه القاعدة في التوبة تجري على كل العصاة حتى المؤمنين منهم، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأنعام: ٥٤].

وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ

---

(١) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٣٥٧).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ١٢٨).

(٣) انظر: تفسر المراغي (٥/ ١٩٠).

وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة النحل: ١١٩].

فمن وقع منه أي ذنب كان، فرجع عما كان عليه، وأقلع عنه، وعزم على ألَّا يعود، وأصلح العمل في المستقبل، فقد تاب، فإن من تمام التوبة الإصلاح في الشيء الذي تاب منه (١).

والواجب على العبد إن عمل سوءً، ثم رجع عن ذلك السوء، فعليه إصلاح عمله بأن يُتبع العمل السيء عملًا يضاده، ويذهب أثره (٢)، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [سورة هود: ١١٤].

وليس المراد بقوله تعالى في الآيتين: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ أنه فعل ذلك عن جهل أو خطأ؛ لأن الجهل والخطأ معفوٌّ عنه، وإنما المراد أنه أقدم على المعصية بسبب الشهوة مع العلم بكونه ذنبًا (٣).

فالتقيد بالجهالة وصفٌ كاشفٌ لعمل السوء؛ لأن المراد تشويه عمل السوء مع الإيمان (٤)، وقد قال بعض السلف: كل من عصى الله، فهو جاهل (٥).

وعلى الرغم من ترغيب الله عز وجل لعباده بالتوبة، وفرحه بتوبتهم، إلا أنه سبحانه وتعالى جعل حدًّا للتوبة، لا تقبل بعده، ولا تنفع، وهي التي لا يمكن أن

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٤/ ٥٢٨)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/ ٢٦٢).

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٧/ ٣٧٦).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٣/ ٧).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٤/ ٢٧٨).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/ ٢٦٢).

يكون معها إصلاح، وذلك إذا حضر الأجل، وبلغت الروح الحلقوم، فلا ينفع ساعتئذٍ ندم، ولا تصح توبة.

فالتوبة التي تكون عند اليأس من الحياة لا فائدة منها؛ لأن المقصد منها ترتب آثارها عليها، وصلاح الحال في هذه الدار بالاستقامة الشرعية، فإذا وقع اليأس من الحياة ذهبت فائدة التوبة (١).

والتوبة يعود نفعها على التائب فتصلح حاله وحياته، وتعود على المجتمع الذي يعيش فيه، أما توبة المضطر الذي أدركه الموت، ولم يعد لديه متسعٌ من الوقت لاقتراف المعاصي والذنوب، فهذه لا يقبلها الله عز وجل؛ لأنها لا تُصْلح قلبًا ولا عملًا (٢).

وقد دلَّ على هذا المعنى آيات كثيرة، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة النساء: ١٨].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة غافر: ٨٥].

وقوله جل وعلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٤/ ٢٨١).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (١/ ٦٠٤).

فكل هذه الآيات تدل على أن الإيمان والتوبة والندم عند حضور الأجل، غير معتبرة، وليس لها فائدة، ووجودها وعدمها سواء.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة يونس: ٩٠-٩١].

هذا مثلٌ ضربه لنا القرآن الكريم بأحد أكثر المفسدين في الأرض جرمًا، وهو فرعون، الذي طغى وأكثر في الأرض الفساد، فلما أدركه الغرق زعم الإيمان، وادَّعى الإسلام، فكان الجواب: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

نطق بالإيمان في حينٍ لا يقبل الله فيه الإيمان؛ وقد مضت سنة الله في الذين خلوا من قبل أنه لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب، وانقطاع الأمل في الحياة[1].

فإيمانه في تلك اللحظة كان إيمان دفع البأس، لا إيمان حقيقي[2]، فهو يرجو أن يرفع عنه الموت، ويعطى فسحة في الحياة، مُدَّعِيًا أنه سوف يعمل ويعمل، وسنة الله أن لا تأجيل إذا حضر الأجل.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ

(١) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (٢/ ٢٧٢).

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (٦/ ٨٠).

بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ [سورة المنافقون: ١١].

فما حدث لفرعون يدلّ على أن توبة من عاين الهلاك، وأدركه الموت، غير مقبولة، ولا ينفع حينئذٍ الندم[1].

فالمقصود من المقابلة بين الإصلاح والإفساد بيان بعض أوجه العلاقة بينهما، ومنها: أن الصلاح هو الأصل، وأن الفساد بأشكاله المختلفة أمرٌ طارئ عليها. وأن العلاقة بينهما علاقة تدافع ومغالبة.

وقد أثمرت المقابلة بين الإصلاح والإفساد الفوائد الآتية:

- خلق الله الأرض لعباده على الوجه الملائم لمنافعهم ومصالحهم، وأوجد فيها كل ما يحتاجون للحياة.
- النهي عن الإفساد في الأرض يشمل جميع صور الإفساد؛ كالإفساد في النفوس والأموال والأنساب والعقول والأديان.
- من الحكم التي لأجلها أرسل الله الرسل: المحافظة على صلاح الأرض، والنهي عن إفسادها بكل صور الإفساد ومراتبه.
- النهي عن الفساد في الأرض، سبب من أسباب النجاة من عذاب الله.
- التدافع بين الإصلاح والإفساد سنة من سنن الله عز وجل في الحياة، ولولا هذا التدافع لفسدت الأرض.

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ١٤١).

- التدافع بين الإصلاح والإفساد قد يكون بالحرب والقتال، وقد يكون بالحجة والبرهان، وقد يكون بين الأمم، وقد يكون بين الأفراد.
- من وسائل دفع الفساد في الأرض ومحاربته: إقامة الحدود والعقوبات الشرعية على المفسدين.
- التوبة لابد أن يصحبها ندمٌ يصلح ما في النفس، وعملٌ يصلح ما فسد من الأعمال.
- في تشريع التوبة إصلاحٌ للنفس البشرية؛ لأن الله لو لم يشرع التوبة لمن أذنب، لاستمر في الفساد والإفساد.

❁ ❁ ❁

المبحث التاسع
المقابلة بين السر والعلن

السر والعلن من المعاني المتضادة التي قابل القرآن بينهما كثيرًا.

فأما السر:

فأصل مادة (س ر ر) تدل على معنين: إخفاء الشيء وكتمانه، وخالص الشيء ومستقره[١].

والسِرُّ: الذي يُكْتَمُ، والجمع الأسرار[٢].

وقيل: السر هو الحديث المكتوم في النفس[٣].

وعرفوا السرّ بأنه خلاف العلانية[٤].

ويستعمل في الأعيان والمعاني[٥].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٦٧).

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٦٨١).

(٣) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص٤٠٤).

(٤) انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد (١/ ١٢١)، الصحاح، الجوهري (٦/ ٢١٦٥).

(٥) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص٤٠٤).

وقد سمي آخر الشهر سِرَارًا؛ لأنه يستسر فيه الهلال ولا يظهر [1].

والسَّرِيرَة: عمل السِّرّ من خير أو شرّ [2].

والإسرار إلى الغير هو من وجه إظهار، ومن وجه إخفاء [3].

وأما العلن:

فأصل مادة (ع ل ن) تدل على إظهار الشيء [4].

يقال: عَلِن الأمر يَعْلَن عَلَنًا، وعَلَن يَعْلُن، إذا شاع وظهر. وأَعْلَنْتُه إِعْلانًا [5].

والإعلان: المجاهرة [6].

والعلانية: ظهور الأمر [7]. وعرفوها بأنها ضدّ السرّ وخلافه [8].

وأكثر ما يقال ذلك في المعاني دون الأعيان [9].

وقد بلغ عدد المقابلات بين السرّ والعلن أكثر من أربعين مقابلة.

وقد جاءت المقابلة بينهما في ثلاث صور:

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٦٧).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٢/ ٢٤٠).

(٣) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص٤٠٤).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ١١١).

(٥) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٢/ ٢٠١).

(٦) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٢/ ١٥٧).

(٧) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٢/ ٢٠١).

(٨) انظر: الصحاح، الجوهري (٦/ ٢١٦٥)، المفردات للراغب الأصبهاني (ص٥٨٢).

(٩) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص٥٨٢).

الأولى: مقابلة السر بالعلن.

فهذه الصورة يقابل لفظ (السرّ) بتصاريفه المختلفة بلفظ (العلن) بتصاريفه المختلفة.

نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٤].

وقال جل وعلا: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٧٧].

فقوله: ﴿ سِرًّا ﴾ يقابله ﴿ وَعَلَانِيَةً ﴾.

وقوله: ﴿ يُسِرُّونَ ﴾ يقابله ﴿ يُعْلِنُونَ ﴾.

الثانية: مقابلة السرّ بما في معنى العلن.

فهذه الصورة يقابل لفظ (السرّ) بتصاريفه المختلفة بما هو في معنى العلن، كالجهر.

نحو قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٣].

وقال جل وعلا: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة النحل: ١١٩].

فقوله: ﴿ سِرَّكُمْ ﴾ يقابله ﴿ وَجَهْرَكُمْ ﴾.

وقوله: ﴿ أَسَرَّ ﴾ يقابله ﴿ جَهَرَ ﴾.

الثالثة: مقابلة العلن بما في معنى السر.

فهذه الصورة يقابل لفظ (العلن) بتصاريفه المختلفة بما في معنى السر؛ كالإخفاء والإكنان.

نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ [سورة الممتحنة: ١].

وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [سورة النمل: ٧٤].

فقوله: ﴿أَخْفَيْتُمْ﴾ يقابله ﴿أَعْلَنتُمْ﴾.

وقوله: ﴿تُكِنُّ﴾ يقابله ﴿يُعْلِنُونَ﴾.

الرابعة: مقابلة ما هو في معنى السر بما هو في معنى العلن.

فهذه الصورة يقابل ما في معنى السر؛ كالإخفاء والكتمان بما هو في معنى العلن؛ كالجهر والإبداء.

نحو قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٧١].

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [سورة الأعلى: ٧].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ١١٠].

فقوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟﴾ يقابله ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾.

وقوله: ﴿ٱلْجَهْرَ﴾ يقابله ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾.

وقوله: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ يقابله ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

وقوله: ﴿ٱلْجَهْرَ﴾ يقابله ﴿مَا تَكْتُمُونَ﴾.

فقابل القرآن الكريم السرّ بالعلن والجهر.

وقابل الإخفاء بالإعلان والإبداء والجهر.

وقابل الكتمان بالجهر والإبداء.

وقابل الإكنان بالإعلان.

وكلها تدور حول المقابلة بين ما يخفى وما يظهر؛ فمواد (سرر ـ كتم ـ خفي ـ كنّ) كلها تدور حول معنى واحد وهو الستر والإخفاء [1].

وكذلك مواد (علن ـ جهر ـ بدا) تدلّ على الظهور والكشف [2].

فهي ألفاظ مترادفة تدلّ على معنى واحد.

ويلاحظ في كثير من الآيات تقديمُ السرِّ على العلن، ويمكن أن يحمل ذلك على وجهين:

الأول: أن تقديم السرّ في السياق أبلغ في تحقيق المساواة في علم الله تعالى على أبلغ وجه.

الثاني: أن كلَّ شيءٍ يعلن، كان مضمرًا في القلب، فتقديم السرّ في الذكر لتقدمه في الوقوع [3].

وعند تأمّل آيات المقابلة بين السرّ والعلن، نجدها إما أن تتحدث عن أمور

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٢٠٢، ٣/ ٦٧، ٥/ ١٢٣، ٥/ ١٥٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/ ٢١٢، ٤٨٧، ٤/ ١١١).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٥/ ١٠٥)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٣٦٠).

تتعلق بالاختلاف بينهما، أو تشير إلى محل مشتركٍ بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف السرّ والعلن.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه السرّ والعلن.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف السر والعلن

أشارت آيات المقابلة بين السر والعلن إلى أن من الناس من يظهر خلاف ما يبطن، ويخادع الناس بذلك.

ومن أبرز هؤلاء الصنف من الناس: المنافقون.

ولقد تحدّث القرآن الكريم عن المنافقين كثيرًا، وتوسع في ذكر صفاتهم وعلاماتهم التي يعرفون بها.

وأبرز صفات المنافقين التي تحدّث عنها القرآن: أنهم يُظهرون خلاف ما يبطنون، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

وقد قصّ علينا القرآن الكريم عدة مشاهد كان المنافقون فيها يظهرون خلاف ما يبطنون.

ومن تلك المشاهد ما ذُكر في سورة آل عمران في قصة غزوة أحد، وما حدث فيها من ابتلاء للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى

صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤].

فأخبر الله عز وجل أن معسكر المسلمين انقسم إلى فريقين:

الفريق الأول: أهل الإيمان واليقين بنصر الله، أنزل الله عليهم الأمن والاطمئنان فغشيهم النعاس وغلبهم، وإنما ينعس من يأمن، وأما الخائف فلا ينام، وقد قال أبو طلحة (١) رضي الله عنه: ((غشينا النعاس ونحن في مصافّنا يوم أحد، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه)) (٢).

الفريق الثاني: أهل شكٍّ وريبٍ في نصر الله وتأييده، شغلهم همّ أنفسهم والخوف عليها، ملئت قلوبهم فزعًا وقلقًا، يظنون بالله غير ما يجب أن يُظنّ به سبحانه.

وقد فُسِّر هذا الظن الذي لا يليق بالله بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وأنه يُسْلِمُه للقتل، وقد فسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره، ولا حكمة له فيه، ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، ويظهره على الدين كله (٣).

---

(١) أبو طلحة الأنصاري: اسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري النجاري الخزرجي، مشهور بكنيته، شهد العقبة ثم شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، توفي سنة (٣٤هـ)، وقيل: (٥١هـ).

انظر: الاستيعاب، ابن عبدالبر (٤/ ١٦٩٧)، الإصابة، ابن حجر (٧/ ٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٦٢)، كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران، باب ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾.

(٣) زاد المعاد، ابن القيم (٣/ ٢٠٥).

ولكن الأمور كلها بيد الله، فلا يكون إلا ما سبق قضاؤه وقدره، وجرى به علمه وكتابه السابق، وما شاء الله كان ولا بد، شاء الناس أم أبوا. وما لم يشأ لم يكن، شاء الناس أو لم يشاءوه (١).

وهؤلاء المنافقون يقولون ما يقولون مُظْهِرين أنهم مسترشِدون طالبون للنصر، مُبْطنين الإنكارَ والتكذيبَ (٢).

ولكن الله يمتحن ما في الصدور ويظهر سرائرها من الإِخلاص والنفاق، والإيمان والكفر، وقد قيل: (لا تكرهوا الفتن فإنها حصاد المنافقين) (٣).

وفي مشهد قريب من هذا المشهد يصف القرآن حال المنافقين وهم يُدْعَون إلى القتل في سبيل الله فيقول: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٧].

وفي مشهد آخر يفضح القرآن الكريم المنافقين وهم يعتذرون عن تخلّفهم عن الجهاد في سبيل الله فيقول: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي (٢/ ٤٣٩).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٢/ ١٠٢)، أنوار التنزيل، البيضاوي (٢/ ٤٤).

(٣) رويت هذه العبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث مرفوع ولا يصح، ونقل ابن حجر العسقلاني عن الإمام عبدالله بن وهب أنه قال: إنه باطل.

انظر: فتح الباري، ابن حجر (١/ ٥٤٣)، المقاصد الحسنة، السخاوي (ص٧٢٢)، اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهور، الزركشي (ص٢١٩).

فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ﴾ [سورة الفتح: ١١].

ومن المشاهد التي فضح القرآن فيها حال المنافقين، أنهم إذا لقوا المؤمنين أظهروا لهم الإيمان، وإذا خلا بعضهم ببعض واجتمعوا في أنديتهم أظهروا ما يسرون، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٧٦].

وعلى رغم حرص المنافقين على إخفاء كفرهم وضلالهم، إلا أن الله عز وجل يفضحهم، فيظهر منهم ما يدلّ على ما يسرّون ويبطنون.

قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠ ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨ - ١٢٠].

فنهى الله عز وجل عباده المؤمنين أن يدنوا إليهم الكفار أو المنافقين (١)،

(١) اختلف المفسرون في المعني بهذه الآية، هل هم الكفار الذين يظهرون الكفر والعداوة للمؤمنين من المشركين وأهل الكتاب، أو المراد بهم المنافقين الذين يندسون في المؤمنين، ويظهرون الحب =

ويقربوهم منهم، فيطلعوهم على أسرارهم، أو يكشفوا لهم خططهم؛ لأنهم ربما أفشوا هذه الأسرار، ونصروا الكفار على المؤمنين، فهم لا يحبّون المؤمنين وإن تظاهروا بذلك، بل يسعون للإضرار بهم، وأن يوقعوهم في المصائب، ويتمنّون أن تصيبهم المشقة والحرج.

ومثل هؤلاء ليسوا محلاً للأمانة، ولا لكتمان السرّ، وإن حاولوا إظهار الولاء للمؤمنين.

وقد أشارت الآية الكريم إلى أمارة تدلّ عليهم، ألا وهي: ظهور عداوتهم للمؤمنين في فلتات ألسنتهم، وتعابير وجوههم، وبعض تصرفاتهم التي تصدر منهم عن غير قصد وتعمّد [(١)].

ومن ذلك: أنه يظهر على أحدهم الحزن والكآبة إذا انتصر المؤمنون، ويفرح حين تنزل مصيبة بالمؤمنين، وإن حاول إخفاء ذلك، فهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين، فربما شمتوا بالمؤمنين، أو سبّوهم ووقعوا في أعراضهم [(٢)].

وهذا الذي ظهر ما هو إلا دلالة يسيرة على ما تخفيه صدورهم من الكفر

=

والولاء للمؤمنين، وهم على خلاف ذلك.

انظر: جامع البيان، الطبري (٧/ ١٤٥- ١٤٧)، مفاتيح الغيب، الرازي (٨/ ٣٤١).

(١) ولذلك عبّر عن ذلك بقوله: ﴿بَدَتِ﴾؛ لأن بدوه ليس عن تروي واختيار.

انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٢/ ٧٦).

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٢/ ٩٥)، الكشاف، الزمخشري (١/ ٤٠٦).

بالله، والحقد والكراهية للمؤمنين، يستدلّ بها العاقل ليميّز الصديق من العدو، والمحب من المبغض.

وهذه الأمارات ناتجة عن مشاعر الحقد والبغض الشديد (١)، وعند طغيان هذه المشاعر تصدر من الإنسان بعض سلوكيات غير محسوبة، دون تروٍّ أو تفكير، فتشي بما يخفيه في نفسه من أفكار أو مشاعر.

فالمقصود من المقابلة بين السر والعلن في هذا السياق: بيان محاولة بعض الناس إظهار خلاف ما يبطنون، ولكن الله عز وجل يجعل في أقوالهم وأفعالهم أمارةٍ تدل على ما في نفوسهم.

وقد أثمرت المقابلة بين السر والعلن في هذا السياق الفوائد الآتية:

١. بعض الناس يظهر خلاف ما يبطن، فربما أظهر لك المحبة والمودة، وهو يضمر لك الحقد والبغض.

٢. المنافقون يظهرون الإيمان والصلاح، وهم يخفون الكفر والغواية، تربصًا بالمؤمنين، وخداعًا لهم.

٣. الله عز وجل يعلم ما في النفوس، ويمحصها ويبتليها؛ ليظهر سرائرها وما انطوت عليه.

٤. ما أخفى إنسان أمرًا إلا أظهره الله في فلتات لسانه، وتعابير وجهه،

---

(١) البغضاء: شدة البغض.

انظر: مفتاح الصحاح، الرازي (ص٣٧)، لسان العرب، ابن منظور (١/ ٣١٩).

وبعض تصرفاته.

٥. سلوك الإنسان متعلقٌ بما في نفسه من أفكار أو مشاعر، وهذه السلوكيات ـ غير المصطنعة ـ مرآة تعكس ما في النفس.

٦. العاقل يميّز بين الصديق من العدو، والمحب من المبغض، ويستعين على ذلك بملاحظة الأقوال والأفعال.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
ما يشترك فيه السر والعلن

أشارت آيات المقابلة بين السر والعلن إلى وجود بعض النقاط المشتركة بينهما، ومنها:

١. استواء السر والعلن في علم الله عز وجل.

ولقد أكّد القرآن الكريم هذه الحقيقة القرآنية في نحو عشرين آية من كتاب الله عز وجل، كلها تنصّ على أنه لا فرق في علم الله عز وجل بين السرّ والعلن.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران: ٢٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [سورة المائدة: ٩٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ

يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [سورة هود: ٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [سورة الرعد: ١٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [سورة النحل: ١٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [سورة النحل: ٢٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [سورة طه: ٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ١١٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [سورة النمل: ٢٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [سورة النمل: ٧٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [سورة القصص: ٦٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [سورة يس: ٧٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [سورة الممتحنة: ١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة التغابن: ٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة الملك: ١٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [سورة الأعلى: ٧].

وقد قرّر القرآن هذه الحقيقة القرآنية (استواء السر والعلن في علم الله عز وجل) في سياقات مختلفة لها تعلقٌ بهذه الحقيقة القرآنية.

ولو تأملنا الآيات السابقة لوجدناها تسير في السياقات الآتية:

الأول: بيان ألوهية الله عزّ وجل المطلقة، وأنه المستحق للعبادة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣].

فهذه الآية معطوفةٌ على ما قبلها، مَسوقةٌ لبيان شمول أحكام إلهيته تعالى لجميع المخلوقات، وإحاطةِ علمِه بتفاصيلِ أحوال العباد وأعمالهم، المؤديةِ إلى الجزاء [1].

---

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٣/ ١٠٧).

فالذي خلق السماوات والأرض هو الله في السماوات وفي الأرض، وهو المتفرد بالألوهية فيهما على السواء. وكل مقتضيات الألوهية متحققة عليهما، من خضوعٍ للناموس الذي سنَّه الله لهما، وائتمارٍ بأمره وحده [1].

وجملة ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ تقرير لمعنى الجملة الأولى؛ لأن الذي استوى في علمه السرّ والعلانية هو الله وحده لا شريك له [2].

وفي سورة النحل قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة النحل: ١٧ - ٢١].

فالله سبحانه وتعالى أبطل شركهم للأصنام أولاً بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾، وأبطله ثانيًا بقوله تبارك اسمه: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ كأنه قيل: إنه تعالى عالمٌ بذلك دون ما تشركون به، فإنه لا يعلم ذلك، بل لا يعلم شيئًا أصلاً، فكيف يعد شريكًا لعالم السرِّ والخفيات [3].

والخالق يعلم ما خلق، يعلم الخافي والظاهر، فكيف يسوّونه في حسّهم وتقديرهم بتلك الآلهة المدعاة، وهم لا يخلقون شيئًا، ولا يعلمون شيئًا [4].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٢/ ١٠٣١).

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٧/ ٢٥٠).

(٣) انظر: روح المعاني، الألوسي (٧/ ٣٦١).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢١٦٤).

فهو سبحانه منفرد بعموم العلم، كما انفرد بالخلق، ولم يستدل لذلك؛ لأنه مما دلّت عليه أدلة الانفراد بالخلق؛ لأن خالق أجزاء الإنسان الظاهرة والباطنة يجب له أن يكون عالماً بدقائق حركات تلك الأجزاء، وهي بين ظاهر وخفي (1).

وقال سبحانه وتعالى في مطلع سورة طه: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧﴾ [سورة طه: ٦-٧].

فجميع ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الأرض مما نعلم ومما لا نعلم داخلٌ في مُلْكه سبحانه، وتحت تصريفه ومشيئته، وإرادته وحُكمه، وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه، لا إله سواه، ولا رب غيره.

وهذا يدلّ على كمال قدرته وإرادته.

ولما كانت القدرة تابعة للإرادة، وهي لا تنفك عن العلم، عقّب ذلك بإحاطة علمه تعالى بجليّات الأمور وخفيّاتها على السواء (2).

فقال لنبيه ومصطفاه: وإن تجهر يا محمد بالقول، أو تُخْفِهِ، فسواءٌ عند ربك الذي له ما في السموات وما في الأرض، فإنه لا يخفى عليه ما استسررته في نفسك، فلم تبده بجوارحك، ولم تتكلم بلسانك، ولم تنطق به، وما هو أخفى من ذلك (3).

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (١٤/ ١٢٤).

(2) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (٤/ ٢٣).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري (١٨/ ٢٧١).

الثاني: بيان سعة علم الله تعالى، وأن الإنسان مهم حاول التخفي من الله، أو خداع الناس، فإن الله مطلع عليه، عليم بحقيقة أمره.

قال الله عز وجلّ: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران: ٢٩].

فبيّن تعالى سعة علمه بخلقه، فإن تخفوا ما صدوركم وتكتموه، أو تبدوه وتظهروه، فالله يعلمه ويجازي عليه، وهو يعلم كل شيء في السّموات والأرض، ومنه الميل إلى الكفار أو البعد عنهم. والله قدير على عقوبتكم، فلا تعصوه، إذ ما من معصية ظاهرة أو خفية إلا يعلمها (١).

فعلمه سبحانه وتعالى يعمُّ الظاهر والباطن، وإن كون الأمر ظاهرًا أو باطنًا إنما هو بالنسبة لنا، أما علم الله تعالى فإنه ليس فيه ظاهر وباطن، بل العلم كله سواء عنده سبحانه وتعالى (٢).

وفي موضع آخر في سورة الرعد تحدث القرآن عن سعة علم الله عز وجل، وشموله لكل شيء، وذكر بعض الجزئيات والصور الدقيقة، إشارة إلى أن علمه سبحانه لم تغب عنه هذه الجزئيات، فكيف بالكليات.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ

(١) التفسير المنير، الزحيلي (٣/ ٢٠١).

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٣/ ١١٨٠).

وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الرعد: ٩- ١٠].

فهنا يخبر تعالى بعموم علمه وسعة اطلاعه وإحاطته بكل شيء فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ من بني آدم وغيرهم، ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ ﴾ أي: تنقص مما فيها إما أن يهلك الحمل أو يتضاءل أو يضمحل، ﴿ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ الأرحام وتكبر الأجنة التي فيها، ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ لا يتقدم عليه ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص إلا بما تقتضيه حكمته وعلمه (١).

ثم انتقل من المشاهد المحسوس إلى ما يغيب عن المشاهدة فقال: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي: هو عالم بما غاب عن الخلق، وبما شاهدوه. فنبّه سبحانه على انفراده بعلم الغيب، والإحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق، فلا يجوز أن يشاركه في ذلك أحد (٢).

ولما ذكر أنه تعالى عالم الغيب والشهادة على العموم، أتبعه ببيان نوعٍ خاصٍّ من أنواعه متعلقٍ بأحوال المكلفين، فقال: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾. والمعنى: سواء في علمه من يسرّ القول، ومن يجهر به، لا يخفى عليه شيء من أقواله (٣).

فمهما أسرّ الإنسان القول، فإن سمع الله عز وجل يسعه، كما قالت عائشة

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٤١٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩/ ٢٨٩).

(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٦/ ٣٥٨).

رضي الله عنها: ((الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت خولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو زوجها، فكان يخفى علي كلامها، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [سورة المجادلة: ١])) (١).

ثم ذكر عز وجل صورتين أُخْرَيَيْنِ من صور الإسرار والإعلان مبيّنًا أنهما على السواء في علم الله عز وجل، فقال: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ أي: مختفٍ في قعر بيته في ظلام الليل، ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ أي: ظاهرٌ ماشٍ في بياض النهار وضيائه، فإن كليهما في علم الله على السواء (٢).

قال في ظلال القرآن: « يقف الحسّ مشدوهًا يرتعش تحت وقع هذه اللمسات العميقة في التصوير، وتحت إيقاع هذه الموسيقى العجيبة في التعبير. يقف مشدوهًا وهو يقفو مسارب علم الله ومواقعه، وهو يتبع الحمل المكنون في الأرحام، والسرّ المكنون في الصدور، والحركة الخفية في جنح الليل، وكل مستخفٍ، وكل ساربٍ، وكل هامسٍ، وكل جاهر. وكل أولئك مكشوف تحت المجهر الكاشف، يتتبعه شعاعٌ من علم الله، وتتعقبه حفظة تحصي خواطره

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤١٩٥)، مسند عائشة رضي الله عنها، والنسائي في المجتبى (٣٤٦٠)، كتاب الطلاق، باب الظهار، وابن ماجه في سننه (١٨٨)، باب فيما أنكرت الجهمية. وأصله في البخاري مختصرًا ومعلقًا برقم (٧٣٨٥)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٣٥].

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ٤٣٧).

ونواياه.. ألا إنها الرهبة الخاشعة التي لا تملك النفس معها إلا أن تلجأ إلى الله، تطمئنَّ في حِمَاه »[1].

وفي سورة النمل أخبر الهدهد عن مملكة سبأ أنه يسجدون للشمس من دون الله، فأتبعه الله عز وجلّ بقوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [سورة النمل: ٢٥].

أي: هلَّا يسجدوا لله الذي يعلم الخفي الخبيء في أقطار السماوات وأنحاء الأرض؛ من صغار المخلوقات، وبذور النباتات، وخفايا الصدور، ويخرج خبء الأرض والسماء بإنزال المطر، وإنبات النباتات[2].

وعطف بقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ إشارة إلى أنَّه تعالى يعلم ما في العالم الإنسانيِّ من الخَفَايَا، كما يعلم ما في العالم الكبير من الخَبَايَا[3].

الثالث: تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم، وأن ما يقوله المشركون في حقه كذب وزور، وأنه خلاف ما يسرونه من الإقرار بصدقه وصدق ما جاء به.

قال الله عز وجلّ: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [سورة يس: ٧٦].

فيقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فلا يحْزُنْك يا محمد قول

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٠٤٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٦٠٤).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٦/ ٢٨٢).

هؤلاء المشركين بالله من قومك لك: إنك شاعر، وما جئتنا به شعر، ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوتك، فإنَّا نعلم أن الذي يدعوهم إلى قول ذلك الحسد، وهم يعلمون أن الذي جئتهم به ليس بشعر، ولا يشبه الشعر، وأنك لست بكذّاب، فنعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم إليه، وما يعلنون من جحودهم ذلك بألسنتهم علانية (١).

فهذه الآية خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ليطمئن من ناحية المشركين، فإذا علم أن الله تعالى مطلع على أحوال المشركين ويعلم ما يظهرونه، ويعلم ما يخفونه، هدأت نفسه، وسكنت روحه.

وفي سياقٍ قريب من هذا السياق يخبر الله عز وجل أن وظيفة النبي هي البلاغ فقال سبحانه: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٩٩].

أي: أن الرسول ليس عليه طلب سرائرهم، وإنما عليه تبليغ الرسالة، والله تعالى هو الذي يعلم سرائرهم (٢).

وفي هذا تحذيرٌ من الله لعباده، فإن الذي لا يخفى عليه المطيع من المعاصي، هو الذي يتولى جزاءهم وعقابهم.

ومن كان كذلك، لا يخفى عليه شيء من ضمائر الصدور، وظواهر أعمال

---

(١) جامع البيان، الطبري (٢٠/ ٥٥٣).

(٢) تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ٤٢١).

النفوس، مما في السموات وما في الأرض، وبيده الثواب والعقاب= فحقيق أن يُتَّقى، وأن يُطاع فلا يعصى (١).

الرابع: تهديد الكافرين والمنافقين والمخالفين لأمره سبحانه وتعالى من المؤمنين.

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٢٢ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [سورة النحل: ٢٢-٢٣].

هذا تهديد من الله عزّ وجل للذين لا يؤمنون بالآخرة، وقلوبهم منكرة لتوحيد الله عز وجل، لا تقبل الوعظ، ولا ينجع فيها الذكر، وهو متكبرون عن قبول الحقّ، بأن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون من القول والعمل، فيجازيهم عليها (٢)، فقال: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ومعناه: لا محالة ولا بدَّ أن الله يعلم. وقيل: معناه: حقٌّ أن الله يعلم سرّهم وعلانيتهم (٣).

ثم علّل هذا الوعيد بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ أي: إن الله لا يحب المستكبرين عن توحيده، والاستجابة لأنبيائه ورسله، بل يبغضهم أشدَّ البغض، وينتقم منهم أعظم الانتقام (٤).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم

---

(١) جامع البيان، الطبري (١١/ ٩٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠/ ٩٥).

(٣) الهداية، مكي بن أبي طالب (٦/ ٣٩٧١).

(٤) تفسير المراغي (١٤/ ٦٧).

بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [سورة الممتحنة: ١].

توعّد الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين يوادون الكافرين أنه يعلم ما يسرّونه من مودة الكافرين فقال سبحانه: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ﴾ أي: كيف تسرّون المودة للكافرين وتخفونها، مع علمكم أن الله عالم بما تخفون وما تعلنون؟!، فهو وإن خفي على المؤمنين، فلا يخفى على الله تعالى، وسيجازي العباد بما يعلمه منهم من الخير والشر (١).

وجملة ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ جيء بها على سبيل العتاب والتعجيب ممن في قلبه مودة لهؤلاء الكافرين، بعد أن بيَّن الله تعالى له، ما يوجب قطع كل صلة بهم.

وجملة: ﴿ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ﴾ هي مناط التعجيب ممن يتخذ هؤلاء الأعداء أولياء، أو من يسرّ إليهم بالمودة، أي: تفعلون ما تفعلون من إلقاء المودة إلى عدوي وعدوّكم، ومن إسراركم بها إليهم، والحال أني أعلم منهم ومنكم بما أخفيتموه في قلوبكم، وما أعلنتموه (٢).

وفي معرض حديث القرآن عن المنافقين من اليهود أخبر الله عز وجل عن حالهم فقال: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٨٥٤).

(٢) التفسير الوسيط، سيط طنطاوي (١٤/ ٣٢٤).

[سورة البقرة: ٧٦- ٧٧].

فأخبر الله عز وجل أن المنافقين من اليهود إذا لقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: إنا آمنا كإيمانكم، وإن محمدًا هو الرسول المبشر به. وإذا اجتمع بعض ممن لم ينافق إلى بعض ممن نافق، عاتب الأولون المنافقين على إفضائهم إلى المؤمنين بما بيّنت لهم التوراة من الإيمان بالنبي الذي يجيء مصدقًا لما معهم، كي يقيموا عليهم الحجة من كتاب ربهم (١).

فأجابهم الله عزّ وجل بقوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يعني هؤلاء المنافقين، أو اللائمين، أو كليهما ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، ومن جملتهما إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان، وإخفاء ما فتح الله عليهم، وإظهار غيره، وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه (٢).

وفي سورة الملك يقول تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة الملك: ١٣].

أي: أخفوا قولكم وكلامكم أيها الناس أو أعلنوه وأظهروه، إنه ذو علمٍ بضمائر الصدور التي لم يُتكَلّم بها، فكيف بما نطق به وتكلم به، أخفى ذلك أو أعلن؛ لأن من لم تخفَ عليه ضمائر الصدور فغيرها أحرى أن لا يخفي عليه (٣).

---

(١) انظر: تفسير المراغي (١/ ١٥٠).

(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي (١/ ٨٩).

(٣) جامع البيان، الطبري (٢٣/ ٥١١).

وهذه الصيغة في الخطاب تتضمن تهديدًا وتحذيرًا.

وقد استخدم القرآن هذه الصيغة عندما نهى عن خطبة المعتدة فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٥].

فأعلمهم أن الله يعلم ما في أنفسهم تحذيرًا لهم من الوقوع فيما نهى عنه، وتهديدًا بالمآخذة عليه.

٢. المحاسبة على السر والعلن.

ولقد صرّح القرآن الكريم بهذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٤].

فكل عامل مآخذٌ بكسبه، ومجازى على عمله، فلا تظنّ الله تعالى تاركًا عبدًا يوم القيامة أسرّ أمرًا أو أعلنه؛ من حركةٍ في جوارحه، أو همسةٍ في قلبه، دون أن يعرّفه إياها ويخبره بها، ثم يغفر ما شاء لمن شاء، ويعذب من شاء بما شاء [1].

قال ابن عباس: ((﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ فذلك سِرُّ عملكم وعلانيته، يحاسبكم به الله، فليس من عبدٍ مؤمنٍ يُسرّ في نفسه خيرًا ليعمل به، فإن عمل به كُتبت له به عشرُ حسنات، وإن هو لم يُقدَر له أن يعمل به كتبت له به حسنة، من أجل أنه مؤمن، والله يَرْضى سرّ المؤمنين وعلانيتهم. وإن كان سُوءًا حدَّث به نفسه، اطلع الله عليه وأخبره به يوم تُبلى السرائر، وإن هو لم

(١) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٢/ ٣٠٠).

يعمل به لم يؤاخذه الله به حتى يعمل به، فإن هو عمل به تجاوَز الله عنه، كما قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ [سورة الأحقاف: ١٦])) (١).

فالإخفاء والإبداء سواء، ولا تنفع فيه محاولات الإخفاء والكتمان، بل يعلمه ويحاسب عليه (٢).

ولا يلزم من المحاسبة العذاب، بدليل قوله: ﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾، ومحاسبة الله عبادَه المؤمنين بما أخفته نفوسهم، غيرَ موجبٍ للعقوبة، بل ليعرّفهم فضله عليهم بعفوه عنها (٣)، وأما المنافقون ومن أضمر في نفسه شكًّا وارتيابًا في الدين، فهو المتوعد بالعذاب في قوله: ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ (٤).

والخواطر الواردة على القلب نوعان:

الأول: ما يوطّن الإنسان نفسه عليه، ويعزم على إدخاله في الوجود.

الثاني: مجرد خواطر عابرة تمرّ على القلب مع أن الإنسان يكرهها، ولكنه لا يمكنه دفعها عن النفس (٥).

فالمؤاخذة تجري على النوع الأول؛ لأنه من كسب القلب، والثاني معفوٌ عنه؛ لأنه مما لا طاقة للإنسان في دفعه.

---

(١) أخرجه الطبري في جامعه (٦/ ١١٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٧٢).

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٣٨٩).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٦/ ١١٨).

(٤) انظر: المصدر السابق (٦/ ١٢٣).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٧/ ١٠٤).

ولمَّا نزلت هذه الآية اشتدّ ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم وخافوا منها، ومن محاسبة الله لهم على جليل الأعمال وحقيرها، وهذا من شدة إيمانهم وإيقانهم، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

فبيّن لهم أن المؤاخذة على ما كان من كسب الإنسان بقلبه وجوارحه، وأن لا مؤاخذة على ما لا يستطيع الإنسان دفعه من خواطر القلب، بل تجاوز الله ذلك إلى ما فعلت جوارحه خطأً أو نسيانًا.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: ((لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٤] ، قال: فاشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق؛ الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا. بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير**)).

قالوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير.

فلما اقترأها القوم ذلّت بها ألسنتهم، فأنزل الله فى إثرها ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ

إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال: نعم ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ قال: نعم ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ قال: نعم ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال: نعم)) (١).

وإنما خاف الصحابة لأن لفظ الآية عامٌّ يشمل كل ما تخفيه النفس، وخشية أن تكون المحاسبة محاسبة مؤاخذةٍ وانتقام، وإنما المؤاخذة والانتقام لإخفاء ما انطوى عليه القلب من الكفر أو الشكّ والنفاق (٢).

أما حديث النفس العابر فهو غير مؤاخذٍ به، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم يتكلموا، أو يعملوا به**)) (٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٤٤)، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾.

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (٢/ ٢٣٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٢٨)، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو سيئة، ومسلم في صحيحه (٢٠١)، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر إذا لم تستقر.

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال: **((إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيّن ذلك: فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هَمَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هَمَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة))** (١).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: **((إذا هَمَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هَمَّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرًا))** (٢).

فكل هذه الأحاديث تبيّن أن مجرد حديث النفس العابر معفوٌ عنه، غير مؤاخذٍ به، وأن المؤاخذة بكسب القلب، وما انطوى عليه.

والسرّ والعلن لمَّا استويا في علم الله عز وجل، كذلك استويا في المحاسبة عليه، فيغفر الله لمن شاء، ويعذب من شاء، كما صرحت به الآية.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٩١)، كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاق والطلاق، ومسلم في صحيحه (٢٠٧)، كتاب الإيمان، باب إذا هَمّ العبد بحسنة كتبت، وإذا هَمّ بسيئة لم تكتب.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٣)، كتاب الإيمان، باب إذا هَمّ العبد بحسنة كتبت، وإذا هَمّ بسيئة لم تكتب.

٣. الإنفاق سرًّا وعلانية.

هناك بعض الأعمال الصالحة تفعل في السرّ والعلن، وقد أشارت آيات المقابلة بين السر والعلن إلى عبادة جليلة، وهي الإنفاق في سبيل الله.

وقد تحدثت آيات المقابلة بين السر والعلن في الإنفاق عن ثلاثة محاور:

المحور الأول: تنوع الإنفاق في سبيل الله عز وجل، فمنه السرّ والعلانية.

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الرعد: ١٩- ٢٢].

وصف القرآن الكريم أولي الألباب - الذين يتَّعِظون بآيات الله عز وجل - بعدة صفات، وأنهم يقومون بمجموعة من العبادات، وعدهم بأن لهم العاقبة الحسنة في الدار الآخرة، وهي جنات عدن.

ومن تلك العبادات التي مدحهم الله بها: الإنفاق سرًّا وعلانية، وذلك بحسب مقتضى الحال؛ فيسرّون النفقة حتى لا يخالطها رياء ولا سمعة، ويعلنونها أحيانًا للناس إذا كانت بقصد التشجيع والتعليم والقدوة، أو دفعة تهمة (١).

ويقول سبحانه وتعالى آمرًا عباده بطاعته، والقيام بحقه، والإحسان إلى خلقه: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (١٣/ ١٥٤).

بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ [سورة إبراهيم: ٣١].

فهذا أمرٌ بالإنفاق في وجوه الخير في جميع الأحوال، في حال السرّ، وحال العلانية.

وهذا العموم في الأحوال يناسبه العموم في الأنواع، فحمل الإنفاق هنا على الإنفاق في وجوه الخير ـ من الزكاة والصدقة والنفقة الواجبة والإحسان إلى الناس ـ بعمومها، أولى من قصره على نوعٍ من أنواعه (١).

ولمَّا ضرب الله مثلًا لوحدانيته سبحانه وتعالى بالمقابلة بين عبدٍ مملوكٍ لا يقدر على شيء، وبين حرٍّ غني، جعل مما تميّز به هذا الغني أنه ينفق سرًّا وجهرًا، فقال سبحانه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة النحل: ٧٥].

فهذا الإنسان الغني كريمٌ، لا يبخل بشيءٍ مما رزقه الله، بل ينفق منه في عموم الأحوال، وعلى من تحسن معه النفقة سرًّا، وعلى من تحسن معه النفقة جهرًا (٢).

وقد يَرِدُ هاهنا سؤال: لماذا كرّر القرآن في الإنفاق النصّ على كلا الحالين: السر والعلانية؟

والجواب: أن تنوع أحوال النفقة يناسب تنوع أحوال المنفِق والمنفَق عليه.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ٥١٠)، لباب التأويل، الخازن (٣/ ٣٨).

(٢) انظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي (٨/ ٢٠٠).

فأما المنفِق: فإن الإنفاق في حال السرّ أبعد له عن التفاخر والمباهاة والتصنع، التي تفسد عمله، وتحبط أجره.

والإنفاق علنًا في حقّ المنفِق يدفع عنه تهمة منع الزكاة أو بالبخل، وتبرز القدوة الحسنة في المجتمع، وتشجع الناس على بذل الخير، وتثير عواطفهم، وتحرك إيمانهم.

وأما المنفَق عليه: فمنهم السائل الذي يسأل الناس ويطلبهم، وربما ألحّ عليهم، فهذا لا يرد من أعطاه سواء سرًّا أو علانية.

وأما المتعفف الذي يحسبه الناس غنيًّا من شدة تعففه، فلا يأخذ من أحدٍ شيئًا أمام الناس وإن كان محتاجًا إليه، بل يبلغ الحال ببعض المتعففين أنه لا يأخذ شيئًا حتى في حال السرّ - رغم فاقته وشدة حاجته - إلا بعد إلحاحٍ من المنفِق.

ثم النفقات منها الواجب الذي ينبغي ظهوره وإشاعته بين الناس؛ كالزكاة والنفقة على العيال، ومنها التطوع الذي الستر به أليق، مثل صدقة التطوع، والإحسان إلى الآخرين.

فبيّن القرآن أن الإنفاق بِرٌّ لا يكدره ما يحفّ به من أحوال، سرًّا كان أو جهرًا إذا خلصت النية[1].

---

(١) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٤٤)، في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢١٠٦)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (١٣/ ٢٣٣).

قال الفخر الرازي [1]: « وقوله تعالى: ﴿ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ حثٌّ على الإنفاق كيفما تهيَّأ، فإن تهيَّأ سِرًّا فذاك ونعم، وإلا فعلانية، ولا يمنعه ظنّه أن يكون رياءً، فإن ترك الخير مخافة أن يقال فيه: (إنه مُرَاءٍ) عين الرياء » [2].

المحور الثاني: الجزاء والثواب على الإنفاق في سبيل الله يعمُّ من أعلن ومن أسرّ.

فلما كان اختلاف الحال بين السرّ والعلن لا تؤثر سلبًا على صحة النفقة، كان الجزاء والثواب على النفقة يعمّ من أعلن بالنفقة، ومن أسرّ بها.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٤].

فبعد أن بيّن الله عز وجل أن الإنفاق يعود نفعه على المنفِق، وأن ما ينفقه من خير يجازى عليه من دون حيف أو ظلم، أشار إلى أن من الفقراء والمحتاجين

---

(١) الفخر الرازي هو: محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، إمام مفسر متكلم، توفي سنة (٦٠٦هـ).

انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي (ص٢١٣)، وفيات الأعيان، ابن خلكان (٤/ ٢٤٨).

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي (٢٦/ ٢٣٦).

أهل تعفف، يخفى على الناس حالهم، يظنهم الجاهل بحالهم أغنياء وهم فقراء.

ثم أشار إلى بيان أن المناسب مع حال هؤلاء المتعففين هو الإنفاق سرًّا، حفاظًا على كرامتهم، وتجنبًا لجرح مشاعرهم فقال: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ ولو كان سرًّا، فهو يعلمه ويجازيه عليه.

ثم جاءت آخر آية في آيات الإنفاق في سورة البقرة تنص على أن الأجر والمثوبة على الإنفاق تشمل حال السرّ وحال العلانية فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

فختمها بالعاقبة الحسنى لمن يتحرى في الصدقات مواضعها، أيا كان زمنها، وأيا كان حالها، فتستوي نفقة الليل ونفقة النهار، وصدقة السرِّ وصدقة العلن، ما دامت الصدقات قد قُصد بها مرضاة الله تعالى، وسلمت من آفاتها وهي المنّ والأذى والرياء(١).

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٢/ ١٠٣٨).

المحور الثالث: المفاضلة بين الإسرار بالإنفاق والإعلان به.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧١].

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المفاضلة هنا في صدقة التطوع، فالإسرار بها أفضل من الإعلان بها (١).

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن إخفاء الصدقة والإسرار بها سببٌ من أسباب الاستظلال بظل الله عز وجل يوم القيامة فقال: ((**ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**)) (٢).

أما الزكاة المفروضة فالأفضل فيها العلانية، بل حكى بعضهم الإجماع على ذلك (٣).

ويدلّ على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم فضّل صلاة الرجل في بيته واستثنى من ذلك صلاة الفريضة فقال: ((**عليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير**

---

(١) هناك قول آخر في هذه الآية: وهو أن المراد بالصدقة المبداة: المدفوعة لأهل الكتاب، والمراد بالصدقة المخفاة: المدفوعة لفقراء المسلمين. وأن الثاني أفضل من الأول.
وهذا القول ضعيف، لا يؤيده لفظ الآية، ولا سياقها الذي ليس فيه ذكر لأهل الكتاب.
انظر: جامع البيان، الطبري (٥/ ٥٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ومسلم (١٠٣١)، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٥/ ٥٨٥)، الكشف والبيان، الثعلبي (٢/ ٢٧٣).

صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة)) (١) .

ثم إن الفرائض يشترك الناس في فعلها، فلا يدخلها رياءٌ، والنوافل عُرْضَةٌ لذلك، والفرائض شعائر الدين فيجب إظهارها (٢) .

وروي عن ابن عباس أنه قال: ((جعل الله صدقة السرّ في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفًا، وجعل صدقة الفريضة: علانيتها أفضل من سرّها، يقال: بخمسة وعشرين ضعفًا، وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها)) (٣) .

٤ . الدعوة إلى الله عز وجل في السر والعلن.

إن الدعوة إلى الله عز وجل هي وظيفة الأنبياء والمرسلين، فهم يبلغون رسالة ربهم، لا يدخرون في ذلك جهدًا، ولا أسلوبًا، ولا أداة يمكن الاستفادة منها في تبليغ رسالة الله إلا استخدموها.

ومن الأنبياء الذين قصّ الله علينا قصصهم، وأعلمنا شيئًا من خبرهم: نوح عليه السلام.

ذلك النبي المجاهد في الدعوة إلى الله عز وجل، مكث في قومه مشتغلًا بالدعوة إلى الله ألف سنة إلا خمسينًا عامًا كما أخبر القرآن.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١)، كتاب صلاة الجماعة والإمامة، باب صلاة الليل، ومسلم (٧٨١)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٣٦٥)، الهداية، مكي بن أبي طالب (١/ ٨٩٩)، الجواهر الحسان، الثعالبي (١/ ٥٢٧).

(٣) أخرجه الطبري في جامعه (٥/ ٥٨٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٣٦).

ولقد أفرد القرآن الكريم مساحة واسعة للحديث عن قصة نوح عليه السلام مع قومه، حتى أنه خصص سورة كاملة لذلك، سميت: سورة نوح.

ومما قصَّه الله في هذه السورة المباركة: أن نوحًا عليه السلام استخدم في دعوة قومه جميع أشكال الدعوة، ونوّع فيها، فقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ [سورة نوح: ٥-٩].

أخبر نوح عليه السلام أن دعوته كانت مستمرة، تتحين الفرصة في الليل والنهار، وقد مرت بثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الإسرار بالدعوة، لكنه فروا منه، وأعرضوا عن الاستماع إليه.

المرحلة الثانية: مرحلة الجهر بالدعوة، فينصحهم في المحافل، وينكر عليه شركهم، ويقرعهم ويغلظ عليه، فلم يؤثر ذلك فيهم.

المرحلة الثالثة: مرحلة الجمع بين الإسرار بالدعوة والإعلان بها، مراعيًا في ذلك حال المدعو؛ فإن مِن الناس مَن يأنف إذا نصح في العلن، وتأخذه العزة بالإثم [١].

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ٦١٦)، مفاتيح الغيب، الرازي (٣٠/ ٦٥١)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ١٩٧).

فإنه عليه السلام لم يأل جهدًا في دعوتهم، ودعاهم مرة بعد مرة، على وجوهٍ مختلفة، وبأساليب متنوعة[1].

والجمع بين الإسرار والإعلان أبلغ من مجرد الجهر بالدعوة[2].

وقد كانت هذه المراحل مشابهة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، التي بدأها بالدعوة سرًّا في دار الأرقم بن أبي الأرقم، حتى أمره الله عز وجل بالجهر الدعوة، والصدع بالحق، ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ضمَّ إلى الدعوة باللسان الدعوةَ باليد والسنان، وهذا أبلغ وأعظم.

والمقصود من المقابلة بين السر والعلن في سياق بيان أوجه الاشتراك بينهما: الدلالة على انتفاء الفرق بينهما في علم الله عز وجل، وأن المحاسبة على الأعمال فيهما، وأن العبادة والدعوة تتنوع فيهما الأحوال بين السر والعلن.

وقد أثمرت المقابلة بين السر والعلن في هذا السياق الفوائد الآتية:

- علم الله عز وجل شامل للسرّ والعلن، ولا فرق بينهما في ذلك، والعلم بذلك يعين العبد على تقوى الله، والخوف منه، وأداء الفرائض، والبعد عن المنهيات.
- توعد الله الكافرين والمنافقين والعصاة بأنه يعلم سرّهم ونجواهم، وهذا تهديد لهم وتقريع.

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٩/ ٣٧).

(٢) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (٥/ ٢٤٩).

- الخواطر العابرة التي تمرّ على قلب الإنسان مع كرهه لها، ومحاولته دفعها لا يؤاخذ بها العبد؛ لأنها مما لا طاقة له بها، والخواطر التي يؤاخذ عليها العبد هي ما ما يوطّن الإنسان نفسه عليه، ويعزم على فعلها.
- تنوع أحوال العبادات، وأن منها ما يفعل في السرّ، ومنها ما يعلن ويشهر.
- أن أساليب الدعوة إلى الله متنوعة بين الإسرار بها والإعلان، وأن ذلك بحسب مقتضى الحال.
- أن من الناس من لا ينفع معه إلا الدعوة السرية، وآخرون لا يجدي معهم إلا الدعوة العلنية، فلكلٍّ أهله وزمانه المناسب له.

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني
المقابلة بين الأضداد الحسية

وفيه عشرة مباحث :

المبحث الأول : المقابلة بين الحياة والموت .

المبحث الثاني : المقابلة بين النور والظلمة .

المبحث الثالث : المقابلة بين الليل والنهار .

المبحث الرابع : المقابلة بين العمى والبصر .

المبحث الخامس : المقابلة بين الذكر والأنثى .

المبحث السادس : المقابلة بين الطيب والخبيث .

المبحث السابع : المقابلة بين الكبر والصغر .

المبحث الثامن : المقابلة بين المشرق والمغرب .

المبحث التاسع : المقابلة بين اليمين والشمال .

المبحث العاشر : المقابلة بين البر والبحر .

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني
المقابلة بين الأضداد الحسية

النوع الثاني من الأضداد هو: الأضداد الحسية.

وقبل الشروع في دراسة المقابلة بين الأضداد الحسية، يحسن التعريف بالحسيات.

فأصل مادة (ح س س) تدل على معنين:

الأول: غلبة الشيء بقتل أو غيره.

والثاني: حكاية صوت عن تَوَجُّعٍ وشبهه [١].

وأَحَسَّ في اللغة: عَلِمَ ووَجَد، يقال: حَسَّيتُ بالشيء، إذا علمته وعرفته [٢].

والحِسُّ: مصدر قولك: حَسَّ له، أي: رَقَّ له [٣].

والحِسّ والحَسِيس تَسمعه من الشَّيْء يمرُّ قريبًا منك ولا تراه [٤].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٢٦٢).

(٣) انظر: الصحاح، الجوهري (٣/ ٩١٧).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ٢٦٣).

والحِسُّ أيضًا: الإدراك بإحدى الحواس الخمس [1].

والحاسّة: القوة التي بها تدرك الأعراض الحسيّة [2].

والحواس الخمس: السمع، والبصر، والشمّ، والذوق، واللمس [3].

والإحساس: الإدراك بالحواس الظاهرة [4].

والحِسِّي: المحسوس بإحدى الحواس، ويقابله المعنوي [5].

والمحسوس: المدرك بإحدى الحواس الخمس، وجمعه محسوسات [6].

والمحسوسات إما أن تكون أعيانًا، أو صفات محسوسة، أو مكان، أو زمان، أو غير ذلك مما يدرك بالحواس الخمس.

وقد أكثر القرآن الكريم من المقابلة بين الحسيَّات، وهي أكثر من أن تحصر.

ولما كانت كثيرة جدًّا، وقع الاختيار على عشر نماذج لدراستها في هذا الفصل، وهي: الحياة والموت، والنور والظلمة، والليل والنهار، والعمى والبصر، والذكر والأنثى، والطيب والخبيث، والكبر والصغر، والمشرق والمغرب، واليمين والشمال، والبَرّ والبحر.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ورفاقه (١/ ١٧٢).

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٢٣١).

(٣) انظر: الصحاح، الجوهري (٣/ ٩١٧).

(٤) انظر: الكليات، الكفوي (ص ٥٤).

(٥) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ورفاقه (١/ ١٧٢).

(٦) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ورفاقه (١/ ١٧٢).

المبحث الأول
المقابلة بين الحياة والموت

لقد أكثر القرآن الكريم من المقابلة بين الحياة والموت، وتعددت في ذلك الصيغ، واختلفت الأغراض، وقبل الشروع فيها يحسن تعريف كلٍّ منهما.

فأما الحياة:

فأصل مادة (ح ي ا) تدل على خلاف الموت، وعلى الحياء الذي هو ضد الوقاحة [1]. يقال: حَيِيَ يَحْيَا فهو حَيٌّ [2].

والحَيّ: ضد الميِّت [3]. والجمع أحياء[4].

ويسمى المطر حَيًا؛ لأن به حياة الأرض [5]. والحَيَوَان: خلاف المَوَتَان [6]،

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ١٢٢).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٥/ ١٨٣).

(٣) انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد (١/ ١٠٣)، الصحاح، الجوهري (٦/ ٢٣٢٣).

(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٣/ ٣٩٥).

(٥) انظر: العين، الفراهيدي (٣/ ٣١٧)، مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ١٢٢).

(٦) انظر: الصحاح، الجوهري (٦/ ٢٣٢٤).

وأَصْلُهُ حَيَانٌ [١].

وهو: كلّ ذي روحٍ [٢].

وقيل: اسمٌ يَقع على كل شيءٍ حَيٍّ [٣].

واستَحياه: أبقاه حيًّا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٤٩] أي: يستبقونهن أحياء [٤].

وأما الموت:

فأصل مادة (م و ت) تدل على ذهاب القوة من الشيء [٥]، وكُلُّ ما سَكَنَ فقد مات [٦].

يُقَال: مَاتَ فلانٌ يَمُوت مَوْتًا [٧]، وقومٌ مَوْتى وأمواتٌ، ومَيْتُون ومَيِّتُون [٨].

والمَوْت: ضدُّ الحياة [٩].

ويقال: (مَيْت) لمَا قد مَاتَ، و(مَيِّت) لما قد مَاتَ وَلما سيموت [١٠].

---

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص ١٢٧٨).

(٢) انظر: العين، الفراهيدي (٣/ ٣١٧).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٥/ ١٨٦).

(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٣/ ٣٩٦).

(٥) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٢٨٣).

(٦) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٩/ ٥٤٤).

(٧) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٤/ ٢٤٤).

(٨) انظر: الصحاح، الجوهري (١/ ٢٦٧).

(٩) انظر: الصحاح، الجوهري (١/ ٢٦٦)، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٩/ ٥٤٣).

(١٠) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٤/ ٢٤٤).

ويقال للأُنْثَى: مَيِّتَةٌ ومَيْتَةٌ ومَيْتٌ (١).

والمَوْتة: الواحدة من الموت، والمِيتَة حالٌ من الموت، حسنةً أو قبيحةً (٢).

واسْتَمات الرَّجُلُ: ذهب في طلب الشَّيْءِ كُلَّ مَذْهِب (٣)، والمُسْتَمِيت الَّذِي يُقَاتل على المَوْت (٤).

ولما كان الإحياء والإماتة من أظهر آيات الربانية وأخصها بها، اعتنى القرآن الكريم بها أعظم عناية، فقد تجاوز عدد المواضع التي قابل القرآن الكريم فيها بين الحياة والموت **مائة** موضع.

وجاءت المقابلة بينهما في ثلاث صور:

الأولى: المقابلة بين الحياة والموت بصيغهما المختلفة، وهو الأغلب.

نحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٨].

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأعراف: ٢٥].

وقوله جل وعلا: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الروم: ١٩].

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٩/ ٥٤٣).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٢٨٣).

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٩/ ٥٤٤).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٤/ ٢٤٤).

فقوله: ﴿أَمْوَٰتًا﴾ ﴿يُمِيتُكُمْ﴾ يقابله ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ ﴿يُحْيِيكُمْ﴾.

وقوله: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ يقابله ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾.

وقوله: ﴿ٱلْحَىَّ﴾ ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ يقابله ﴿ٱلْمَيِّتَ﴾ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

الثانية: المقابلة بين الحياة وبعض صور الموت أو ما في معناه ويدل عليه.

فيذكر في هذه الصورة الحياة وتقابلها بعض صور الموت أو ما يدل عليه؛ كالقتل والذبح والقصاص والرميم.

نحو قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة يس: ٧٨-٧٩].

وقال جل وعلا: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة البقرة: ٤٩].

فقوله: ﴿يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ﴾ يقابله ﴿وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ فكون العظام رميمًا يدل على الموت.

وقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ يقابله ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾.

الثالثة: المقابلة بين الموت وبعض صور الحياة أو ما هو في معناها.

فيذكر في هذه الصورة الموت يقابله بعض صور الحياة أو ما هو في معناها؛ كالبعث والإخراج من القبور، والرجوع بعد الموت.

نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ

ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

وقوله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة النحل: ٣٨].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

فقوله: ﴿تُخْرِجُ﴾ يقابله ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فالإخراج هنا بمعنى الإحياء.

وقوله: ﴿يَبْعَثُ ٱللَّهُ﴾ يقابله ﴿مَن يَمُوتُ﴾ فالبعث هو إحياء بعد الموت.

وقوله: ﴿ٱلْمَوْتُ﴾ يقابله ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ فالرجوع إلى الدنيا في معنى الإحياء.

وعند تأمّل آيات المقابلة بين الحياة والموت، نجدها إما تبين وجه الاختلاف بينهما، أو تشير إلى محل اتفاقٍ بينهما، أو توضح علاقة أخرى بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف الحياة والموت.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه الحياة والموت.

المطلب الثالث: علاقات أخرى بين الحياة والموت.

❁ ❁ ❁

المبحث الأول
اختلاف الموت والحياة

تحدثت آيات المقابلة بين الحياة والموت عن عدة أوجه من أوجه الاختلاف بين الحياة والموت.

ومن ذلك:

١. الله عز وجل حيٌّ لا يموت.

فالله تبارك وتعالى هو خالق الحياة، ولا يخلق الحياة إلا حيٌّ كامل الحياة.

قال الله عز وجل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الفرقان: ٥٨].

جاءت هذه الآية الكريمة في ثنايا مجموعة من الآيات تحدثت عن قدرة الله عز وجل، ودقّة خلقه، بدأت بالحديث عن خلق الله للظل، وجعله الليل للسكون والراحة، والنهار للحركة والنشاط، وإرساله الرياح، وإنزال المطر لإحياء الأرض الميتة، وأنه سبحانه أرسل الماء الحلو على الماء المالح دون أن يبغي أحدهما على الآخر، وخلقه سبحانه للبشر وجعل بينهم نسبًا وصهرًا.

ثم أمر رسوله الكريم بالتوكل عليه، فهو حيٌّ حياةً دائمة لا يقطعها موت،

فثق به، وفوض أمرك إليه، واستسلم له، واصبر على ما أصابك فيه [1].

فهو حقيقٌ بأن يُتوكل عليه وحده، ولا يُتَّكَل على غيره من الأحياء الذين يموتون [2]، فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم [3].

فإذا لم يصح التوكل على الأحياء الذي سيموتون، فمن باب أولى التوكل على من ليس بحي أصلًا؛ كالأصنام والأحجار والموتى في قبورهم [4]، وسؤالهم كما يسأل الحي الذي لا يموت، فهو جهلٌ وضلال [5].

وكون حياته سبحانه وتعالى لا يقطعها موت، يختص به جل وعلا دون كل ما يقع عليه اسم حي [6]، فَكُلُّ ما عدا الله ميت؛ لأنه صائرٌ إلى موت، فلا يبقى إلا الحي الذي لا يموت، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [سورة القصص: ٨٨] [7].

وإثبات صفات الكمال لله عز وجل؛ من العلم والقدرة والخلق إلى غير ذلك من صفات الكمال والجلال، يستلزم إثبات صفة الحياة لله جل وعلا، فلا يتصف

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٩/ ٢٨٦).

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ٢٨٨).

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (٤/ ١٢٩).

(٤) انظر: روح المعاني، الألوسي (١٠/ ٣٧).

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية (٢/ ٣٨٣).

(٦) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٢١٦).

(٧) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٥٧٥).

بتلك الصفات الجليلة إلا من كان حيًّا، كامل الحياة [1].

فحياته سبحانه وتعالى كاملة باقية مستمرة، غير معرضة للزوال بموت، ولا معرضة للاختلال بنعاس أو نوم، فإن ذلك من جنس الموت [2].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

فَنَفْيُ أخذ السِّنَة والنوم يتضمن كمال حياته وقيوميته، إذ النوم أخو الموت، ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون مع كمال الراحة، كما لا يموتون. ولو جُعِلَت له سِنَة أو نوم لنقصت حياته وقيوميته، فلم يكن قائمًا ولا قيومًا [3].

والنوم والنعاس يقتضي الغفلة والسهو عن الإدراكات، والحفظ للمخلوقات، لذلك هو منفي عن الله عز وجل [4].

٢. الآخرة دار حياةٍ لا موت فيها.

من أوجه الاختلاف بين الحياة والموت التي أشارت إليها آيات المقابلة بين الحياة والموت: أن الدار الآخرة دار حياةٍ لا موت فيها، سواء لأهل الجنة أو أهل النار.

قال الله عز وجل في شأن أهل الجنة: ﴿ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، ابن تيمية (٣/ ٢٠٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٩/ ٥٩).

(٣) انظر: الجواب الصحيح، ابن تيمية (٣/ ٢٠٩).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (١٠/ ٢٤٦).

بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة الصافات: ٥٨-٦٠].

وقال سبحانه: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الدخان: ٥٦].

فيقول هذا المؤمن الذي أعطاه الله ما أعطاه من كرامته في جنته سرورًا منه بما أعطاه فيها: أفما نحن بميتين غير موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة، إن هذا الذي أعطاناه الله من الكرامة في الجنة، وأنا لا نعذب ولا نموت، لهو الظفر العظيم [(١)].

فقد عرف المؤمن أن كل نعيم معه الموت ليس بتام [(٢)].

وقيل: إن هذا السؤال يسأله أهل الجنة للملائكة حين يُذْبَح الموت، فتقول الملائكة: لا [(٣)].

فنفى عن أهل الجنة ذوق الموت، وأنه لا ينالهم من ذلك غير ما تقدم في الدنيا، فهم فيما أنعم الله به عليهم من الخلود السرمدي، وقد فارقوا الدنيا الفانية إلى هذه الدار الباقية [(٤)].

وأما في شأن أهل النار، فيقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة طه: ٧٤].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢١/ ٥١).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٠٨).

(٣) انظر: الوجيز، الواحدي (ص ٩١٠).

(٤) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٩/ ٤٠٩).

وقال سبحانه: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة إبراهيم: ١٧].

وقال جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الأعلى: ١٢-١٣].

فهذا الكافر المعذب في نار جهنم لا يموت ميتة مريحة، ولا يحيا حياة ممتعة، فهو يألم كما يألم الحي، ويكاد يبلغ حال الموت في المكروه، إلا أنه لا يموت [١].

ولا تناقض هنا في نفي الحياة والموت، وإن كان يلزم من نفي أحدهما إثبات الآخر، فهما نقيضان؛ لأن الحياة المنفية حياة خاصة، وهي الحياة الخالصة من العذاب والآلام، فلا هو ميت؛ لأنه يَحُسُّ بالعذاب، ولا هو حي؛ لأنه في حالةٍ الموت أهون منها [٢].

والموت يأتيه من فوقه، ومن تحته، ولا يبقى عضو من أعضائه إلا وكِّلَ به نوع من العذاب، فكل أسباب الموت تتضافر عليه، ثم هو لا يموت، فهي حياة أشبه بالفناء، بل إنه لو كان الفناء لكان خلاصها، والعياذ بالله [٣].

وهذه حال أهل النار المخلدون فيها، أما العصاة من الموحدين، فإنهم

---

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٤٤٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٦/ ٢٦٨).

(٣) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٨/ ٤٠١٠).

يموتون، ثم يحييهم الله عز وجل في الجنة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فَحْمًا، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر** [1]**، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون كما تنبت الحِبَّة في حميل السيل** [2]))[3] .

وفي الحديث الصحيح: ((**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح** [4]**، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فَيَشْرَئِبُّون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فَيَشْرَئِبُّون وينظرون، فيقول: وهل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيُذبح، ثم يقول: يا أهل**

---

(١) الضبائر: جماعات الناس في تفرقة.
انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٢/ ٢٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٣/ ٧١).

(٢) الحِبَّة: بزور البقول والرياحين، واحدها حَبّ، وقيل: نبت صغار ينبت في الحشيش.
انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ٢٦)، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٢/ ٥٤٥).
وحميل السيل: ما حمله السيل، وكل محمول فهو حميل.
انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٥/ ٦٠)، لسان العرب (٢/ ١٠٠٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة (١٨٥)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) الكبش الأَمْلَح: الذي فيه بياض وسواد، ويكون البياض أكثر.
انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٥/ ٦٦)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤/ ٣٥٤).

الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت)) [1].

وليس المقصود من المقابلة بين الحياة والموت بيان أن حقيقة الحياة تختلف عن حقيقة الموت، فهذا أمرٌ بيّنٌ ظاهر، وإنما المقصود بالمقابلة بينهما في سياق الاختلاف تقرير قضايا عقدية يغفل عنها أو يجهلها بعض الناس.

وأثمرت المقابلة بين الحياة والموت عن الاختلاف بينهما في الأمور الآتية:

- الله عز وجل حيٌّ قيّوم كامل الحياة، لا يموت ولا ينام.
- الدار الآخرة دار حياةٍ لا موت فيها، يستوي في ذلك أهل الجنة وأهل النار.

❁ ❁ ❁

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ (٤٧٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون (٢٨٤٩)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

المبحث الثاني
ما يشترك فيه الحياة والموت

أشارت آيات المقابلة بين الحياة والموت إلى بعض جوانب الاشتراك بين الحياة والموت. ومن تلك الجوانب:

١. الإحياء والإماتة من دلائل استحقاق الألوهية.

لقد أكدت آيات المقابلة بين الحياة والموت هذه الحقيقة القرآنية في نحو عشرين موضعًا، اختلفت أساليبها، وتنوعت دلائلها، وكلها تدور حول إثبات أن من خصائص الإله الحق أنه يحيي ويميت.

قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨].

فقد أمر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس: إنه رسول الله الذي لا إله غيره، ولا ينبغي أن تكون الألوهة والعبادة إلا له جل وعلا، دون سائر الأنداد والأوثان، فهو وحده القادر على الإحياء والإماتة [١]، وفيه بيان

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٣/ ١٧٠).

لاختصاصه بالإلهية؛ لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره [1]، فقد مَلَكَ السموات والأرض بالخلق والإبداع والإحياء والإماتة، لا إله إلا هو، ولا معبود سواه [2].

والإحياء يشمل: تكوين الموجودات التي فيها الحياة (الخلق الأول)، وإحياؤها أيضًا بعد فناء الأجسام (إعادة الحياة) [3].

والتعبير بصيغة الفعل المضارع يدل على التجدد والحدوث المستمر، فهو سبحانه يخلق الخلق من النطفة فيحييهم، ويميتهم عند انقضاء آجالهم، ويحيي الأموات للبعث [4].

وقيل: إن ذكر الإحياء والإماتة، إشارةٌ إلى الإيجاد والعدم، فالله عز وجل قادرٌ على إيجاد ما يريد، وعلى إعدام ما يريد [5].

فالقدرة على الخلق والإحياء والإماتة من خصائص الإله الحق، لذلك عاب القرآن الكريم على من يعبد من يعجز عن ذلك.

فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الروم: ٤٠].

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ١٦٧).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٤٦٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٤/ ٣٩).

(٤) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ٥٥٧).

(٥) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٥/ ١٩٦).

ففي هذه الآية دليل على انفراد الله تعالى بالتصرف في الناس، وإبطال ما زعموه من الإشراك في الإلهية (١).

فهو سبحانه وحده المنفرد بالخلق والرزق والإماتة والإحياء، وليس أحد يشارك الله في شيءٍ من هذه الأشياء، فكيف يُشْركون بمن انفرد بهذه الأمور مَنْ ليس له تصرف فيها بوجه من الوجوه؟! (٢).

فسبحانه وتعالى وتقدس وتنزه وتعاظم عن أن يكون له شريكٌ، أو نظيرٌ، أو مساوٍ (٣).

وقال جل وعلا: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الفرقان: ٣].

فهذا توبيخٌ من الله عز وجل للمشركين بأنها يعبدون آلهة عاجزة، ويعجب من فعلهم وصنيعهم، كيف يعبدون ما لايخلق شيئًا، بل هو مخلوق، لا يملك دفع ضر عن نفسه، ولا جلب نفع لها، فضلًا أن يكون له القدرة على إماتة حي، أو إحياء ميت، أو بعثه بعد مماته (٤).

كيف يَعْبُدون ما هذه صفته، ويتركون عبادة مَنْ يقدر على ذلك كلِّه؟! (٥).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢١/ ١٠٧).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٦٤٣).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٣١٩).

(٤) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٨/ ٥١٧٤).

(٥) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي (٣/ ٣١٢).

والملك المطلق لله عز وجل، يتصرف في عباده كيف يشاء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة التوبة: ١١٦].

والملك يدل على التصرف والتدبير، ومن أتم مظاهره المحسوسة الحياة والموت، وقد بيّن أنها من فعل الله تعالى لا يستطيع أحد دفعه ولا تأخيره [(١)].

فالسماوات والأرض، والحياة والموت، كلها بيد الله دون سواه، وهذا يدل على عظيم قدرته سبحانه وتعالى [(٢)]، ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [سورة الحديد: ٢].

ومن تمام ملكه سبحانه وتعالى أنه يرث خلقه بعد موتهم، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الحجر: ٢٣].

فَبَيَّنَ تعالى أنه الوارث، وبَيَّنَ أنه يرث الأرض ومن عليها، في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة مريم: ٤٠].

ومعنى كونه يرث الأرض ومن عليها: أنه يبقى بعد فناء خلقه متصفًا بصفات الكمال والجلال، يفعل ما يشاء، كيف يشاء [(٣)].

وإذا كان سبحانه وتعالى رب السماوات والأرض وما بينهما، فهو الإله

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١١/ ٤٨).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٣/ ١٧٢٢).

(٣) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي (٢/ ٢٧٤).

الحق القادر على الإحياء والإماتة.

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ [سورة الدخان: ٧-٨].

وقال سبحانه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٩﴾ [سورة الشورى: ٩].

فلو أرادوا وليًّا بحق، فالله هو الولي بالحق، لا ولي سواه، فمن شأن الولي أنه يحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير، فهو الحقيق بأن يتخذ وليًّا، دون من لا يقدر على شيء [١].

فسعة قدرته سبحانه وتعالى تقتضي أن يكون هو الولي جل وعلا [٢].

فالإحياء والإماتة ما هي إلا صورة من صور قدرة الله العظيمة التي لا يعجزها شيء، فهو المستحق للألوهية دون ما سواه.

قال تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [سورة الحج: ٦-٧].

فبعد أن ذكر أطوار خلق الإنسان منذ أن كان ترابًا إلى أن يتوافاه الله، وإحياء الأرض، ودلالة ذلك على البعث، أتبعه بهذه الآية؛ للدلالة على أن الذي فعل ذلك، هو حقٌّ لا شك فيه، وأن من سواه مما يُعبد من الأوثان والأصنام باطلٌ؛

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ٢١١).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٥/ ٢٧).

لأنها لا تقدر على فعل شيء من ذلك، ومن قدر على ذلك لا يتعذّر عليها أن يحيي الموتى بعد فنائهم ودروسهم في التراب، وأن فاعل ذلك على كلّ ما أراد وشاء من شيء قادر لا يمتنع عليه شيء، ولتوقنوا أن الساعة التي يقوم الناس فيها من قبورهم لا شك في مجيئها وحدوثها[1].

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [سورة الشعراء: ٧٧-٨١].

فذكر إبراهيم عليه السلام صفات الرب الحق المعبود، وذكر منها الإحياء والإماتة، فلا يقدر عليها أحد إلا الله، فهو الذي يُبْدِئ ويعيد[2].

والإحياء والإماتة حلقة في سلسلة أفعال الله عز وجل التي لا نهاية لها.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٨٠].

فكل هذه الأفعال تدلَّ على عظيم قدرة الله عز وجل.

وفي هذه الآياتِ الثلاثِ ثلاثُ مقابلات أخرى يجدر الإشارة إليها:

- فقابل منح السمع والبصر والأفئدة بقلة الشكر.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٨/ ٥٧٢).

(٢) انظر: تفسير المراغي (١٩/ ٧٢).

- وقابل الخلق من الأرض والانتشار فيها بالحشر والبعث من القبور.
- وقابل الإحياء والإماتة مع اختلاف الليل والنهار بالحث على التَّعَقُّل والتَّفَكُّر.

فينبغي الاستدلال بهذه الأمور المشاهدة (الإحياء والإماتة واختلاف الليل والنهار) على إحياء الناس من القبور، والإعادة أحياء مرة أخرى للجزاء[1].

ولو أعملوا عقولهم لعلموا أن الذي وهب لهم من النعم: السمع، والأبصار، والأفئدة، والذي نشرهم في الأرض وحده، والذي يحيي ويميت وحده، والذي يتصرف بالليل والنهار وحده، أنه مستحق أن يخلصوا له العبادة وحده لا شريك له، ويتركوا عبادة من لا ينفع ولا يضر، ولا يتصرف بشيء، بل هو عاجز من كل وجه[2].

فالإحياء والإماتة من خصائص الله عز وجل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النجم: ٤٤].

ولما كان الأمر كذلك، كان أمر الحياة والموت خاضعًا لإرادة الله عز وجل وتقديره، فليس تمني الحياة بِمُعِيدِها، وليس خوف الموت بدافعٍ له. وإنما الأمر كله لله، يحيي من يشاء من الأموات، ويميت من يشاء من الأحياء.

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ

---

(١) انظر: الوسيط، الزحيلي (٢/ ١٧١١).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٥٥٧).

طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة غافر: ٦٧-٦٨].

فقد ذكر تعالى انتقال الإنسان من مرحلة إلى مرحلة أخرى: تراب، ثم نطفة، ثم علقة، ثم طفولة، ثم بلوغ الأشد، ثم الشيخوخة، وأن هذا الانتقال من مرحلة إلى أخرى بأجلٍ سمَّاه الله عز وجل وقدَّره وحدَّده.

وذكر أنه الإله القادر على الإحياء والإماتة، وأنه إذا أراد أمرًا من ذلك، فيكفي أن يقول له: «كن» فيكون، من غير إعياء ولا تعب (١).

فأمره سبحانه لا يحتاج في نفوذه إلى عُدَّةٍ وتجشم كُلفة، وإنما يكفي فيه الإرادة والأمر الإلهيَيْنِ، فيحدث على الفور (٢).

وهو يدل على قوة قدرته سبحانه وتعالى، وسرعة أمره (٣).

ولما خاف المنافقون على أنفسهم من الموت بعد معركة أحد، قال الله عز وجل في شأنهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٦].

فَرَدَّ الله عز وجل قولهم الباطل، الذي علق الموت والقتل بالسفر والغزو،

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٧/ ٥٣١).

(٢) انظر: أنور التنزيل، البيضاوي (٥/ ٦٣).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٧/ ٢٨٣).

فبيّن الله تعالى أن الحياة والموت بيده وحده سبحانه، ولا أثر للإقامة أو السفر، فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما موارد الحتوف، ويُمِيتُ المقيم والقاعد وإن كانا تحت ظلال النعيم.

فالله عز وجل يحيي ويميت في السفر والحضر عند حضور الأجل، ولا مؤخر لما قدم ولا مقدم لما أخر، ولا رادّ لما قضى، ولا محيص عما قدر[١].

ومن أصدق الأمثلة وأوضحها على هذه الحقيقة: خالد بن الوليد[٢] رضي الله عنه، ذلك القائد البطل الشجاع، سيف الله المسلول، الذي خاض معارك كثيرة، ثم بعد ذلك يأتيه الموت على فراشه، فيبكي ويقول: « لقيت كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي شِبْرٌ إلا وفيه ضربةٌ بسيف، أو رميةٌ بسهم، أو طعنةٌ برمح، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي[٣]، كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء »[٤].

وصدق الله إذ يقول: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [سورة النساء: ٧٨].

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي (٢/ ٣١٤).

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي، سيف الله، أبو سليمان المخزومي، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، أسلم قبل الفتح، ومات بمدينة حمص سنة (٢١هـ).

انظر: الاستيعاب، ابن عبدالبر (٢/ ٤٢٧)، الإصابة، ابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٥١).

(٣) أي: من غير قتل.

انظر: غريب الحديث، أبو عبيد (٢/ ٦٨)، فقه اللغة، أبو منصور الثعالبي (ص ١٠٥).

(٤) انظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر (١٦/ ٢٧٣)، البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ١٣١).

فالإحياء والإماتة من دلائل ألوهية الله عز وجل، وهي خالصة له دون سواه، ولا يقدر على ذلك أحد إلا هو.

وفي صورة مشابهة للموت يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة الزمر: ٤٢].

نصت الآية الكريمة على حالتين من الوفاة:

- وفاة كبرى: وهي الموت.
- وفاة صغرى: وهي النوم[١].

فالإماتة والإنامة من دلائل انفراد الله تعالى بالتصرف، وأنه المستحق للعبادة دون غيره، فانظر إلى حكمة الله، وبديع صنعه، فهاتان حالتان عجيبتان، في كل حالة تصرف يغاير التصرف الذي في الأخرى، ففي حالة الموت سلب الحياة عن الجسم وبقاء الجسم كالجماد، ومنع من أن تعود إليه الحياة، وفي حالة النوم سلب بعض الحياة عن الجسم حتى يكون كالميت، وما هو بميت، ثم منح الحياة أن تعود إليه، دواليك إلى أن يأتي أوان سلبها عنه سلبًا مستمرًا[٢].

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٧٢٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٤/ ٢٥).

٢ . خلق الله الحياة والموت للابتلاء والاختبار.

كل ما في الكون مخلوقٌ لله عز وجل، خلقه لحِكَمٍ يعلمها، وغاياتٍ يقصدها، ولم يكن شيء من ذلك عبثًا.

قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [سورة الملك: ٢].

فالله عز وجل خلق هذين الضدين: الحياة والموت؛ ليختبر عباده، فيرى من يعتبر بهما، فيحذر مجيء الموت الذي ينقطع به استدراك ما فات، ويستوي فيه الفقير والغني، والملوك وعامة الناس، ويعلم أن خلفهما قاهر الجميع [١].

فأمات من شاء وما شاء، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجل معلوم، ليختبر عباده، فينظر أيهم له أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع [٢].

فأعطاهم الحياة التي يقدرون بها على العمل، ويتمكنون منه، وسلط عليهم الموت الذي يدعوهم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح؛ لأن وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه [٣].

قال قتادة [٤]: ((أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء،

(١) انظر: البسيط، الواحدي (٢٢/ ٣٨).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٣/ ٥٠٥).

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ٥٧٥).

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري، مفسر حافظ، تابعي تكلم في القدر، توفي سنة (١١٨هـ).

=

وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء)) [١].

وقيل: الموت والحياة، عبارة عن الدنيا والآخرة، سمى الدنيا موتًا من حيث إن فيها الموت، وسمى الآخرة حياةً من حيث لا موت فيها [٢].

وقيل: إن الابتلاء والاختبار بالحياة، فهي التي يكون فيها العمل، وأما الموت للبعث والمجازاة على الأعمال [٣].

والأقرب أن الموت يشمل الموت السابق على الحياة والموت اللاحق لها، والحياة تشمل الحياة الأولى والحياة الآخرة، فكلها من خلق الله [٤].

والله خلق عباده، وأخرجهم لهذه الدار، وأخبرهم أنهم سينتقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره، فمن انقاد لأمر الله وأحسن العمل، أحسن الله له الجزاء في الدارين، ومن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله، فله شر الجزاء [٥].

=

انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي (١/ ٩٢)، تهذيب التهذيب، ابن حجر (٨/ ٣٠٦).

(١) أخرجه الطبري في جامعه (٢٣/ ٥٠٥).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٥/ ٣٣٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٥/ ١٩٧).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٦٣٢).

(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٨٧٥).

٣. ارتباط الإنسان حيًّا وميتًا بالأرض.

لقد بيّنت آيات المقابلة بين الحياة والموت مدى ارتباط الإنسان بهذه الأرض حيًّا وميتًا، فقال عز وجل: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٥].

وقال سبحانه: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة طه: ٥٥].

فلما كان خلق بني آدم من هذه الأرض، جعل الله عز وجل معيشتهم فيها، وفيها مماتهم، ومنها خروجهم من قبورهم يوم القيامة (١).

وقال عز وجل: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة المرسلات: ٢٥-٢٦].

فالأرض تَكْفِتُ: أي تجمع وتضم (٢) من عليها أحياءً على ظهرها في بيوتهم ومنازلهم، وتجمعهم وتضمّهم أمواتًا في بطنها (٣).

فقد رسمت هذه الآيات علاقتنا بالأرض، وبينت مدى ارتباطنا بها أحياءً وأمواتًا. فقد خُلِقْنا من طينها، ومُتعنا بما فيها من خيرات وثمرات، ثم نموت لنعود لها، ونبعث من بعد ذلك منها (٤).

---

(١) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ٥٠٨).

(٢) انظر: غريب القرآن، ابن قتيبة (ص ٤٣٢).

(٣) انظر: معاني القرآن، الفراء (٣/ ٢٢٤).

(٤) انظر: تفسير الشعراوي (٧/ ٤٠٩١).

فالإنسان ابنٌ لهذه الأرض: فعناصر جسمه كلها من عناصرها، ويطعم من زرعها، ويرتوي من مائها، ويتنفس من هوائها، فإذا مات احتضنته في جوفها، واختلط رفاته بترابها، وذاب فيها كما يذوب الملح في الماء.

ويتعاقب عليها بنو آدم بعضهم من بعض، فالأحياء يموتون ويخلفهم أحياء من بعدهم، والأموات يبعثون من قبورهم، ثم تكون القيامة، فيجازى المحسن بإحسانه، ويؤخذ المسيء بإساءته [1].

والمقصود من المقابلة بين الحياة والموت في هذا السياق بيان بعض أوجه الاتفاق والاشتراك بين الحياة والموت، فقد يظن بعض الجهال أن لا وجه للاشتراك بينهما.

وقد أثمرت آيات المقابلة بين الحياة والموت عن أوجه الاشتراك الآتية:

- الإحياء والإماتة من خصائص الربوبية، فلا يحيي ولا يميت إلا الله عز وجل.
- الحياة والموت مخلوقان لله عز وجل، وابتلى بهما عباده، ليتميز المؤمن من الكافر، والصالح من الفاسق.
- ارتباط الإنسان حيًّا وميتًا بالأرض، فمنها خلق، وعليها يحيى، وفيها يدفن، ومنها يبعث يوم القيامة.

۞ ۞ ۞

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٦/ ٢٨٠١).

المبحث الثالث
علاقات أخرى بين الحياة والموت

أشارت آيات المقابلة بين الحياة والموت إلى بعض العلاقات الأخرى بين الحياة والموت، ومن تلك العلاقات:

١. إخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي.

نصَّت آيات المقابلة بين الحياة والموت على أن الله عز وجل يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي.

قال الله عز وجل: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة الروم: ١٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ٩٥].

وقال جلت قدرته: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ٢٧].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

[سورة يونس: ٣١].

فهذا مظهر من المظاهر الحسية الدالة على عظيم قدرة الله، وأنه القادر على كل شيء، يخرج الضد من ضده، وهو المبدع لكليهما، المُسَيِّرُ لهما؛ فهو سبحانه يخرج الحيَّ من الميت، ويخرج من هذا الحيّ ميتًا. والإخراج غير الخَلْق؛ إذ الخَلْق إبداعٌ وإنشاءٌ ابتداءً، والإخراج تحويل فيه معنى الاستخراج والتوليد (١).

وإخراج الحي من الميت، والميت من الحي، يشمل كل ميّت أخرجه الله من جسمٍ حَيٍّ، وكل حيّ أخرجه الله من جسمٍ ميتٍ (٢).

فهو إخراجٌ لجسم نامٍ تسري فيه روح الحياة، من جسم جاف لا تبدو عليه آثار الحياة؛ كإخراج الشجرة من النواة، والعود من البذرة، والإنسان من النطفة، وإخراج الأموات من قبورهم بعد أن تحللت أجسامهم فيها.

وعكسه إخراجٌ لجسم ميت لا حركة فيه ولا نماء، من جسم حي نامٍ، كإخراج النواة الصلبة من الشجرة الحيّة النامية، والبذرة الجافة من العود الأخضر الرطب، والنطفة من الإنسان، ويصير العود الأخضر حطامًا، ويتحلل الحيوان بعد موته فيصير رميمًا ثم ترابًا (٣).

وهذا أعظم دليل على قدرة الله، وأن جميع الأشياء مسخرة مدبرة بأمره،

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٣/ ١١٧٢).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١١/ ٥٥٤).

(٣) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٣/ ١١٧٢).

فخَلَقَ تعالى الأضداد، وأخرج الضد من ضده [1].

٢. الحياة والموت مراحل متتالية.

بيّنت آيات المقابلة بين الحياة والموت أن الإنسان يتقلب بين موتٍ وحياة.

قال الله عز وجل: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٨].

الموت سابقٌ في الوجود، فالإنسان قبل أن ينفخ فيه الروح كان مواتًا، سواء كان نطفة أو ترابًا، فلما نفخ فيه الروح صار حيًّا [2].

فالمرحلة الأولى التي يمر بها الإنسان هي الموت، وهو عدم الاتصاف بالحياة، سواء كان متصفًا بها من قبل كما هو الإطلاق المشهور، أم لم يكن متصفًا بها، إذا كان من شأنه أن يتصف بها [3].

والنطفة والعلقة قبل نفخ الروح فيها مواتٌ لا روح فيها، وإحياؤها: نفخُ الروح فيها [4]، وإماتتها بقبض الروح الحي الذي به نظام الحياة هذه، فتنحل الأبدان بمفارقته إياها، وتعود إلى أصلها الميت [5].

وقيل: إن معنى الآية: وكنتم أمواتَ الذِّكْرِ، فأحياكم حتى ذُكِرتم، ثم

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ١٢٧).

(٢) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٩/ ٣٥٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٣٧٦).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري (١/ ٤٢٢).

(٥) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (١/ ٢٠٥).

يميتكم، أي: يردّكم رفاتًا لا تذكرون، ثم يحييكم للحساب والجزاء فتذكرون[1]، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ① إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ②﴾ [سورة الإنسان: ١-٢].

وقد ذكر القرآن الكريم الموتتين والحياتين في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ⑪﴾ [سورة غافر: ١١].

قال قتادة رحمه الله: « كانوا أمواتًا في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان »[2].

وقيل: أُمِيتُوا في الدنيا، ثم أُحْيُوا في قبورهم فَسُئِلوا وخوطبوا، ثم أميتوا في قبورهم، ثم أُحْيُوا في الآخرة[3].

وتكرر الإماتة والإحياء، يدل على قدرة الله عز وجل، وأنه قادرٌ على الإعادة مثل قدرته على الإنشاء[4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ⑯﴾ [سورة الحج: ٦٦].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١/ ٤٢١).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٢١/ ٣٦٠).

(٣) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٤٠٨).

(٤) انظر: تفسير المراغي (٢٤/ ٥١).

وقوله عز وجل: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الجاثية: ٢٦].

لم يرد ذكر للموتة الأولى، لكن السياق يدل عليها، فقوله تعالى: ﴿أَحْيَاكُمْ﴾ أي: بعد أن كنتم أمواتًا في بطون أمهاتكم قبل نفخ الروح فيكم، فهما إحياءان، وموتتان [1].

ومحطات الحياة والموت فيه صعوبة ومشقة، لذلك جعلها الله عز وجل سلامًا على أنبيائه وأوليائه، كما أخبر سبحانه عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة مريم: ٣٣].

وقال عن نبيه يحيى بن زكريا عليهما السلام: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [سورة مريم: ١٥].

فقد سلمهما من أن ينالهما الشيطان بما ينال به بني آدم حين الولادة، ووعدهما بالسلامة من عذاب القبر بعد الموت، والسلامة من عذاب النار وهول يوم القيامة حين البعث [2].

وفي المقابل توعد الله عز وجل نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم لو أنه استجاب للمشركين وركن إليهم، أن الله عز وجل سوف يذيقه ضِعْف عذاب

---

(١) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي (٥/ ٢٩٧).

(٢) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (٤/ ٧).

الحياة، وضِعْف عذاب الممات؛ لأنه نبي مرسل [1].

قال الله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥﴾ [سورة الإسراء: ٧٥].

ولكن الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الميل إليهم وثبته، مع قوة خُدَعهم وشدة احتيالهم، فعصمه الله تعالى بتوفيقه وعنايته [2].

٣. إحياء الموتى في الدنيا.

الأصل والقاعدة أن من يموت في الدنيا لا يعود إلى الحياة إلى أن يبعث الناس من قبورهم، ولكن الله الخالق البارئ اقتضت حكمته أن يحيي بعض الموتى في الدنيا.

وقد ذكر القرآن الكريم عددًا من القصص والأحداث التي حصل فيها إحياءٌ لموتى في الدنيا.

وقد حمل جمهور المفسرين الموت والإحياء في هذه الأحداث على الحقيقة [3].

وذهب ابن الأنباري [4] إلى أن كل موت حصل بعده بعث في الدنيا، يكون

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٢٥٤).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٥/ ١٨٨).

(٣) انظر: معاني القرآن، الزجاج (١/ ٣٤٢)، جامع البيان، الطبري (٥/ ٤٥٧)، البسيط، الواحدي (٤/ ٣٨٤)، الكشاف، الزمخشري (١/ ٣٠٧)، المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٣٤٨).

(٤) محمد بن القاسم بن محمد، أبو بكر ابن الأنباري، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب، صنف كتبًا =

حكمه حكم النوم، ويجري مجرى موت النائم؛ لأن الله تعالى أثبت للخلق الإماتة في دار الدنيا مرة واحدة[1].

أي: أن الروح لا تفارق البدن بتاتًا، وإنما هي نومة أو إغماءة طويلة، كحالة أصحاب الكهف، وكما يبقى بعض المرضى حَيًّا في غيبوبة زمنًا طويلًا، ويدل على ذلك التعبير بالبعث دون الإحياء؛ كما قال في أصحاب الكهف: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ [سورة الكهف: ١٢]، فهو حركة بعد سكون[2].

والأقرب أن المراد بالإحياء والإماتة في هذه القصص المعنى الحقيقي، كما هو قول الجمهور، وذلك لأمور:

أولًا: إن حمل الإحياء والإماتة على الحقيقة هو الأصل، ولا يصرف عن الأصل إلا لقرينة تمنع إرادة الأصل.

ثانيًا: إن حمل الإحياء والإماتة على الحقيقة، أبلغ في إثبات قدرة الله عز وجل على البعث وإحياء الموتى.

ثالثًا: هناك بعض الصور والحالات يمكن أن تقبل معنى الإغماء أو النوم الطويل، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة

=

كثيرة في علوم القرآن، وغريب الحديث، والمشكل. توفي سنة ٣٢٨هـ.

انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (٤/ ٢٩٩)، إنباه الرواة، القفطي (٣/ ٢٠١).

(١) نقله عنه الواحدي في البسيط (٢/ ٥٤٣).

(٢) انظر: تفسير المراغي (٣/ ٢٢).

البقرة: ٥٦]، وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣].

ولكن هناك صور أخرى لا تقبل ذلك، ولا يمكن حملها إلا على الحقيقة؛ كالطير التي ذبحها إبراهيم عليه السلام، ثم قطعها وخلط بعضها ببعض، وكحمار صاحب القرية الذي كان عظامًا بالية، فَكُسِيَتْ تلك العظام لحمًا، ثم أحياه الله.

فهذه الصور وأمثالها لا يمكن فيها حمل الإحياء والإماتة على معنى الإغماء والإيقاظ، وإنما هي إحياء وإماتة على الحقيقة. والله أعلم.

وأما التعبير بالبعث؛ ففيه دلالة على سرعته وسهولته على الله عز وجل، كأنه استيقاظ من نوم، فهو أهون من الخلق الأول (١).

وقد وصف بعض العلماء المِيتة التي يعقبها حياة في الدنيا بأنها ميتة عقوبة، وأما الميتة التي لا يعقبها حياة فهي ميتة الأجل (٢).

قال الربيع (٣): «بُعِثُوا من بعد موتهم؛ لأن موتهم ذاك كان عقوبة لهم، فبعثوا لبقية آجالهم» (٤).

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١/ ٢٥٣).

(٢) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي (١/ ٣٠٤).

(٣) الربيع بن أنس بن زياد البكري، البصري ثم الخراساني، كان راوية لأبي العالية، صدوق، مات في سجن مرو في خلافة المنصور.
انظر: تهذيب الكمال، المزي (٩/ ٦٠)، تقريب التهذيب، ابن حجر (١٨٩٢).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري (٢/ ٨٩).

ووصف الموت التي يعقبها حياة بأنه موت عقوبة وصفٌ أغلبي، وليس مضطردًا، فقد يكون لغير ذلك.

وقد قال الله عز وجل عن موت الأجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

فهذا الكافر المفرط إذا أيقن بالموت، واطلع على حقيقة الأمر، أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الإيمان والعمل الصالح، فيسأل ربه الرجعة لاستدراك ما فات.

فكان الجواب: ﴿كَلَّآ﴾، وهي ردعٌ عن طلب الرجعة، وإنكارٌ واستبعادٌ لها(١).

فالموت (موت الأجل) حاجزٌ ومانعٌ لهم من الرجوع إلى الدنيا، وفيه تيئيسٌ وإقناط كلي لهم، فلا رجعة إلا يوم البعث(٢).

وسؤال الرجوع ليس مختصًا بالكافر، فقد يسأله المؤمن(٣)، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة المنافقون: ١٠-١١].

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ٢٠٣).

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن (٣/ ٢٧٦).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢/ ١٤٩).

وعند تأمل تلك الوقائع التي فيها إحياء الموتى في الدنيا، نجد أن ذلك حصل لتحقيق حكمٍ جليلة، وغايات شريفة.

ومن تلك الحكم والغايات:

۞ إثبات قدرة الله على بعث الموتى يوم القيامة.

فقد ذكر القرآن الكريم أن إبراهيم عليه السلام ـ مع إيمانه ويقينه ـ سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠].

وإبراهيم عليه السلام لم يكن شاكًّا في إحياء الله الموتى، ولا منكرًا له، ولكنه أحب أن يرى ذلك، كما أن المؤمنين يحبون رؤية الله تعالى، ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم، مع الإيمان بذلك وعدم الشك، فكذلك أحب إبراهيم عليه السلام أن يصير إيمانه بإحياء الموتى عن معاينة ومشاهدة (١).

فالسؤال هنا عن الكيفية، وليس عن ثبوت الإحياء، فالإحياء متقرر عند السائل، فعندما سأله ربه: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾؟ فكان الجواب: ﴿بَلَىٰ﴾، ولكن الغرض من السؤال زيادة الإيمان بالمعاينة (٢)، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

---

(١) انظر: البسيط، الواحدي (٤/ ٣٩٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٣٥٣).

((الخبر ليس كالمعاينة)) [١].

قال الضحاك [٢]:((مرَّ إبراهيم على دابةٍ مَيْتٍ، قد بَلي وتقسَّمته الرياح والسباعُ، فقام ينظر، فقال: سبحان الله! كيف يحيي الله هذا؟ وقد علم أن الله قادرٌ على ذلك)) [٣].

فأمره الله عز وجل أن يأخذ أربعة من الطيور، فيقطعهن ويخلط بعضهن ببعض، ثم يجعل على كل جبل منهن جزءًا، ثم يفرقهن في أربعة أجبل. ثم يدعهن، فيأتين إليه سعيًا [٤].

وأمره بضمها إلى نفسه؛ ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها، حتى لا تلتبس عليه بعد الإحياء، ولا يتوهم أنها غير تلك [٥].

وجعل مجيئها سعيًّا، أي: مشيًّا دون الطيران؛ حتى يتعرف عليها، ويتأكد أنها

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبدالله بن عباس (٣/ ٣٤١) (١٨٤٢)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٩٦) (٦٢١٣)، والطبراني في الأوسط (١/ ١٢) (٢٥)، والحاكم في مستدركه، تفسير سورة الأعراف (٢/ ٣٥١) (٣٢٥٠)، وصححه على شرط الشيخين، ولم يتعقبه الذهبي، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٥٣): « رجاله رجال الصحيح، وصححه ابن حبان ».

وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢/ ٤٢٤).

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، صاحب التفسير، توفي سنة (١٠٥هـ) على الأرجح.

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤/ ٥٩٨)، طبقات المفسرين، الداودي (١/ ٢٢٢).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٥/ ٤٨٦).

(٤) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ١٧٤).

(٥) انظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ٣١٠).

هي، وأن أَرْجُلَهَا سليمة [1].

وقد ذكر القرآن قصة أخرى لتحقيق هذا الغرض (إثبات قدرة الله عز وجل على البعث)، وهي قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩].

وظاهر سياق الآية أنه رجلٌ منكرٌ للبعث أراد الله به خيرًا؛ لأنه استبعد أن يحيي الله هذه القرية بعد خَرَابِها، ولو كان نبيًّا أو عبدًا صالحًا لم يفعل ذلك، وأراه الله إحياء الموتى بعينه؛ ليقرَّ بما أنكر بعدما تبيَّن له [2].

وعلى كلٍّ فقد ترك القرآن الكريم ذكر اسمه، مما يدل على أن معرفة الاسم غير مقصود، وإنما المقصود تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت [3].

وظاهر الآية أن الذي استبعده هذا المنكر هو إحياء القرية وعمارتها بعد خرابها، فأراه الله عز وجل أنه قادرٌ على إحياء الموتى بعد أن صاروا عظامًا بالية، وهو أصعب بكثير من إحياء القرية بالعمارة ووجود البناء والسكان.

---

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي (١/ ٣٢٤).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ١١٢).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٥/ ٤٤٢).

وقيل: عبّر بإحياء القرية، والمقصود إحياء أهلها بعد موتهم؛ نحو قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [سورة يوسف: ٨٢] أي: أهلها؛ لأنّه الذي وقع فيه الشك والإنكار، ولذلك أراه الله الحياة بعد موته [١].

وعلى كلٍّ فالله عز وجل أراه أبعد مما استبعد، وهو أبلغ في إزاحة الشك والريب من قلبه.

وأراه الله تعالى صورتين متقابلتين متضادتين:

الأولى: بقاء طعامه وشرابه كما هو دون تغيير، مما يدل على قصر مدة لبثه.

الثانية: العظام البالية. وهي تدل على طول مدة لبثه.

وفي ذلك إشارة إلى شمول قدرة الله عز وجل للصورتين جميعًا، فالله قادرٌ على إبقائه حيًّا فترة طويلة، وقادر على إماته ثم يحييه متى شاء، فقدرة الله عز وجل تشمل الضدين معًا، ولا يخرج عنها شيء.

وفي جعله آية للناس ـ لإحيائه بعد موته ـ دلالةٌ على انتشار خبره وقصته بين الناس.

وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم بهذه القصة فيه أعظم الاحتجاج على المشركين المنكرين للبعث، فإن هذه القصة مما يوافقه عليها اليهود والنصارى، فاحتج على المشركين بما يوافقه عليه من خالفه من أهل الكتب [٢].

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (١/ ١٣٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (١/ ١٣٨).

❁ **إنزال العقوبة بأناس ثم العفو عنهم.**

ومن ذلك: ما ذكره القرآن من طلب قوم موسى عليه السلام أن يريهم الله عز وجل، فأماتهم الله ثم أحياهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٥٥-٥٦].

فهذا تذكيرٌ من الله عز وجل لبني إسرائيل بنعمه عليهم، والتي من جملتها: إحياؤهم بعد موتهم بالصعق، حين سألوا نبيهم عليه السلام أن يريهم الله عيانًا (١).

فقد أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى سبعين رجلًا من خيارهم، وخرج بهم إلى طور سيناء، فسمعوا كلام الله، ثم طلبوا رؤية الله، وقالوا: لن نصدقك حتى نرى الله جهرة، فعوقبوا بالصاعقة؛ لجراءتهم وسوء أدبهم مع الله (٢).

فهم قالوا لنبيهم موسى عليه السلام: لن نصدقك ولن نقر بما جئتنا به، حتى نرى الله جهرة عيانًا برفع الساتر بيننا وبينه، وكشف الغطاء دوننا ودونه، حتى ننظر إليه بأبصارنا (٣).

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ٢٦٤).

(٢) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (١/ ١٩٩)، البسيط، الواحدي (٢/ ٥٤٠).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٢/ ٨٠).

فأماتهم الله عز وجل بالصاعقة (1)، ثم أحياهم.

وعلّل إحياءهم بعد موتهم لكي يشكروا نعم الله عليهم، والتي من جُملتها إحياؤهم بعد موتهم (2).

۞ إثبات أن الحياة والموت بقَدَر الله عز وجل.

الحياة والموت ـ مثلها مثل باقي الأشياء في هذا الكون الفسيح ـ خاضة لقدر الله عز وجل وإرادته، يحيي من يشاء، ويميت من يشاء، متى شاء، وكيف شاء، سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣].

الرؤية هنا قلبية، بمعنى: ألم تعلم (3)، خوطب به من لم ير ولم يسمع؛ لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التَّعَجُّب (4).

وهي قصة قوم من بني إسرائيل، خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت بسبب

---

(١) الصاعقة: كل عذاب هائل من زلزلة أو رجفة أو غير ذلك.
انظر: جامع البيان، الطبري (٢/ ٨٠)، الهداية، مكي بن أبي طالب (١/ ٢٧٢).

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ١٤٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٣٢٧).

(٤) انظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ٢٩٠).

الوفاء، أو بسبب الأمر بالجهاد، فعاقبهم الله عز وجل، فأماتهم جميعًا [1].

قال قتادة: « مَقَتَهُم الله على فرارهم من الموت، فأماتهم الله عقوبة، ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليستوفوها، ولو كانت آجال القوم جاءت ما بعثوا بعد موتهم » [2].

فأماتهم الله عز وجل ثم أحياهم؛ ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه، وأن من فرَّ من الموت، لم يُنْجِهِ فرارُه منه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ [سورة الأحزاب: ١٦] [3].

وكثرة العدد لا يدفع الموت، ولا يغني من قدر الله شيئًا [4].

ويدل قوله: ﴿مُوتُواْ﴾ أنهم ماتوا مِيتةَ رجلٍ واحد بأمر الله ومشيئته، وتلك مِيتة على غير العادة، كأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالًا من غير إباء ولا توقف [5].

وفي هذا حثّ للمؤمنين على المواظبة على الجهاد في سبيله، والصبر على قتال أعداء دينه، فإذا علموا أن الإماتة والإحياء بيد الله سبحانه وتعالى، وأمرها إليه دون خلقه، كان مشجعًا لهم على الجهاد ولقاء الأعداء [6].

وقيل: إن المراد بالموت هنا الموت المعنوي، وليس الحقيقي، فأذلهم الله

---

(١) انظر: البسيط، الواحدي (٤/ ٣٠٧).
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٥/ ٢٧٥).
(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ٢٩٠).
(٤) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق د. محمد بسيوني (١/ ٥٠٠).
(٥) انظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ٢٩٠).
(٦) انظر: جامع البيان، الطبري (٥/ ٢٧٨).

عز وجل ذُلًّا جرى مجرى الموت، ولم تغن عنهم كثرتهم وتظاهرهم شيئًا، ثم أحياهم، أي: أعانهم وخلصهم ليعرفوا قدرة تعالى في أنه يذل من يشاء، ويعز من يشاء[1].

والأول أصح؛ لأنه قول جماهير المفسرين، والاعتبار والاتعاظ إنما يكون بالموت والإحياء الحقيقيَّيْن، فهو أبلغ في الدلالة على قدرة الله عز وجل، وأن الموت والحياة خاصة لتقدير الله عز وجل وأمره.

❁ آية على صدق بعض الأنبياء.

من الحكم والغايات التي تضمنها إحياء الموتى في الدنيا: أنها آية ودلالة على النبوة والرسالة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ [سورة آل عمران: ٤٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ

(١) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق د. محمد بسيوني (١/ ٥٠٠).

جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [سورة المائدة: ١١٠].

تحدثت هاتان الآيات عن الآيات والمعجزات التي أعطاها الله عز وجل لنبيه عيسى عليه السلام، وجاء الخطاب في آية آل عمران من عيسى عليه السلام لقومه، وأما آية المائدة فالخطاب فيها من الله عز وجل لنبيه عيسى عليه السلام.

ومن جملة الآيات والمعجزات التي جعلها الله عز وجل لنبيه عيسى عليه السلام: إحياء الموتى.

وكان إحياء عيسى عليه السلام الموتى بدعاء الله، يدعو لهم، فيستجيب له [(١)].

قال الكلبي[(٢)]: «كان عيسى عليه السلام يحيي الأموات بـ (يا حيّ يا قيّوم)»[(٣)].

وقد ذكرت بعض كتب التفسير [(٤)] بعض الروايات التي فيها أن عيسى عليه السلام أحيا أربعة موتى، وهو من جملة أخبار بني إسرائيل التي لا تصدق ولا تكذب.

ويلحظ في الآيات تكرر تعليق الأمر فيها بإذن الله، وذلك دفعًا لتوهم الألوهية في عيسى عليه السلام، خاصة الإحياء، فإنه من خصائص الله عز وجل،

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٦/ ٤٣١).

(٢) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النظر، نسابة مفسر، إلا إنه شيعي كذاب متروك الحديث، توفى سنة ١٤٦هـ.

انظر: المجروحين، ابن حبان (٢/ ٢٥٣)، تهذيب التهذيب، ابن حجر (٩/ ١٥٧).

(٣) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٣/ ٧٣).

(٤) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ٢١٥)، الكشف والبيان، الثعلبي (٣/ ٧٢).

وليس من جنس أفعال البشر (١)، فالمحيي حقيقة هو الله عز وجل، وإنما جعله الله تعالى آية ومعجزة تدل على صدق رسالته (٢).

ومثله أيضًا ما جاء في قصة بقرة بني إسرائيل أن الله عز وجل أمرهم أن يضربوا المقتول ببعض لحم البقرة، فأحياه الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)﴾ [سورة البقرة: ٧٢-٧٣].

ذكروا أنه كان في بني إسرائيل شيخٌ مُوسِر، فقتل ابْنَهَ بنو أخيه ليرثوه، وطرحوه على باب مدينة، ثم جاءوا يطالبون بديته، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها؛ ليحيا، فيخبرهم بقاتله (٣).

فلما ذبحوا البقرة أمره الله عز وجل بضرب القتيل ببعضها، فضربوه ببعضها فأحياه الله، فأخبر بقاتله، ثم مات (٤).

وعبر بصيغة الجمع ﴿الْمَوْتَى﴾ مع أن المحيى في القصة واحدٌ؛ لأن من قَدَرَ على إحياء نفس واحدة، قَدَرَ على إحياء الأنفس كلها.

فإحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا، دليلٌ على البعث بعد الممات،

---

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (٢/ ١٨).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٨/ ٢٢٩).

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ١٤٨).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٥٥).

فكما أحياه الله في الدنيا، فكذلك يحيي الموتى بعد مماتهم يوم البعث [1].

وقد جعل الله عز وجل إحياء هذا القتيل آية ومعجزة لموسى عليه السلام.

٤. البعث بعد الموت.

الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان، فلا يصح إيمان عبدٍ حتى يؤمن باليوم الآخر، ومنكر المعاد كافرٌ برب العالمين، وإن زعم أنه مقر به.

وموضوع البعث والمعاد هو أحد أهم موضوعات القرآن الكريم التي أكثر الحديث عنها، وخاصة السور المكية، فغالب السور المكية عنيت بتقرير ثلاثة أمور [2]:

١. تقرير الوحدانية لله عز وجل.

٢. تقرير النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم.

٣. تقرير البعث والدار الآخرة، وأنه حق لا ريب فيه، وإثبات ذلك بالأدلة الواضحة.

وعند تأمل الآيات المقابلة بين الحياة والموت المتعلقة بالبعث، نجدها تتحدث عن قضية رئيسة هي: إثبات البعث والمعاد، والرد على المنكرين له.

قال الله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة يس: ٧٨].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: الموافقات، الشاطبي (٤/ ٢٧٠).

روي أن أُبيَّ بن خلف أو العاص بن وائل السهمي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل، ففتَّه، ثم ذراه في الريح، ثم قال: يا محمد، من يحيي هذا وهو رميم؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (**يحييه الله، ثم يميتك، ثم يدخلك النار**). قال: فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد[1].

فمنكر البعث ينكر إحياء العظام البالية، ويتعجب ممن يقول: إن الله يحييها. ظانًّا استحالة الإعادة[2].

وقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الإسراء: ٤٩].

فكيف لهذه الأجساد التي صارت عظامًا لم تحطّم، أو رفاتًا محطّمًا، أن تعود إلى الحياة من جديد[3].

فالكافر المنكر للبعث يقول: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ [سورة مريم: ٦٦].

وهذا سؤال استهزاءٍ وتكذيبٍ للبعث[4].

وأخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٣٥-٣٦].

---

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق الصنعاني (٣/ ٧٨)، جامع البيان، الطبري (٢٠/ ٥٥٤).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (١٨/ ٥٢٦).

(٣) انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة (١/ ٣٨٢).

(٤) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٥/ ٢٤٥).

فهذا استبعاد مؤكدٌ منهم لما وُعِدُوا به من البعث بعد الموت، فهو يظنون أنه غير كائن.

وفي سياق الحديث عن أهل النار وعذابهم، ذكر بعض أعمالهم التي أوجبت لهم العذاب، ومن ذلك أنهم كانوا يقولون في الدنيا: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الواقعة: ٤٧]. ومثله قولهم: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الصافات: ١٦-١٧].

فهم يستبعدون أن يبعثوا هم، فكيف بآبائهم الأولين الذين ماتوا قبلهم، فالبعث في حقهم أشد استبعادًا [١].

فكان الجواب: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الواقعة: ٤٩-٥٠].

فهم في الحكم سواء، فكلهم مجموع مبعوث في وقت واحد، وهو أعجب من البعث المفرق [٢].

وليس هذا فحسب، بل إنم يُبْعَثُون صاغرين، ويكون بعثهم وإخراجهم من قبوربهم بصيحة واحدة [٣]، قال سبحانه ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الصافات: ١٨-١٩].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٥/ ٢٤٦).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٩/ ٤١٣).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٢١/ ٢٥).

وفي مشهد مقابل: ذكر الله عز وجل عن رجلٍ من أهل الجنة وهو يتلذذ بالنعيم، فتذكر صديقًا له كان ينكر البعث، ويقول له: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الصافات: ٥٣].

فيقول مكذبًا للبعث ومستبعدًا له غاية الاستبعاد: هل تصدق بالبعث، وأنه بعد الموت والصيرورة عظامًا، وتحول الإجساد إلى تراب، أبعد هذا كله نُبْعَثُ ونجازى؟![1].

ثم بَحَثَ عن صاحبه فرآه في وسط النار والعذاب. والعياذ بالله عز وجل.

وقال سبحانه: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة ق: ٣].

فهم يتعجبون من البعث؛ لأنه يستبعدونه ويستنكرونه[2].

وسبب استبعادهم هذا ـ بحسب عقولهم القاصرة ـ أنهم يشاهدون أحوالًا تنافي البعث، فهم يرون أن من يموت لا يعود إلى الحياة، وتحول الميت إلى عظام وتراب في ظنهم يمنع من عودته للحياة مرة أخرى[3].

فكون العظام رميمًا ـ عندهم ـ يمنع من إحيائها؛ لمصيرها إلى حال اليبس والبرودة المنافية للحياة التي مبناها على الحرارة والرطوبة، ولتفرق أجزاء البدن

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٦/ ٢٣٤).

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ٣٨٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوي، ابن عاشور (١٨/ ٥٣).

واختلاطها بالتراب، ونحو ذلك من الشبهات (1).

وقد أثبت القرآن الكريم البعث، والإحياء بعد الموت بأدلة عقلية صحيحة واضحة الدلالة، وأخرى محسوسة مشاهدة.

فأما الأدلة العقلية:

فالقرآن الكريم لم يكتفِ ببيان إمكان المعاد إمكانًا ذهنيًّا فحسب، بل أيضًا إمكانًا خارجيًّا، والإمكان الخارجي يُعلم تارةً بالعِلْم بوجود الشيء، وتارةً بالعلم بوجود نظيره، وتارةً بالعلم بوجود ما هو أبلغ منه، فإن وجود الشيء دليلٌ على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه (2).

وكل هذه الأدلة استخدمها القرآن الكريم في إثبات البعث.

فأخبر القرآن الكريم عن حوادث وقع فيها إحياء للموتى في الدنيا، يُقِرُّ بها أعداؤه من أهل الكتاب، كما سبق في إحياء الموتى في الدنيا.

وأخبر أن البعث نظير الخَلْق، فإذا قدر الله عز وجل على الخلق، فهو قادرٌ على البعث، قال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الروم: ٢٧].

وأشار إلى خلق السماوات والأرض وأنها أكبر من خلق الناس، فإذا كان الله عز وجل خلق السماوات والأرض بدون إعياء ولا تعب، فكيف يعجز عن إحياء

(1) انظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (١/ ١٣٢).

(2) انظر: المصدر السابق (١/ ١٣٠).

الموتى وإخراجهم من قبورهم. قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحقاف: ٣٣].

وأما الأدلة المحسوسة:

فمنها: أن الله عز وجل خلق الإنسان من تراب، فإذا مات صار ترابًا، فَمَن خَلَقَه من التراب ابتداءً، قادرٌ على إعادته من التراب.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الروم: ٢٠].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [سورة الحج: ٥].

فإن كنتم في شَكٍّ من أنَّ الله يبعث الموتى، فتدبروا أمر خلقكم وابتدائكم، فلن تجدوا فرقًا بين ابتداء الخلق وإعادته، فقد خُلق أبوكم آدم عليه السلام من تراب [١].

ومنها: مراحل خلق الإنسان من النطفة إلى أن يخرج من بطن أمه بشرًا سويًّا.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٤١٢).

قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة القيامة: ٣٧-٤٠].

فمن تأمل خلق الإنسان من نطفة تخرج من صلب الأب، ثم تنمو وتتطور في رحم الأم، ثم يُنفخ فيه الروح بعد أن لم يكن شيئًا، علم أن الله عز وجل لا يعجز عن إعادة الإنسان بعد موته حيًّا [1]، فالذي خلق الإنسان على هذه الصفة أولى بأن يكون قادرًا على إحيائه، وذلك معلوم بالفطرة [2].

وقد دعا سبحانه الإنسان إلى أن ينظر في مبدأ خلقه ورزقه، ويستدل بذلك على مَعَادِهِ وبَعْثِهِ، فقال عز وجل: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾﴾ [سورة الطارق: ٥-٩] [3].

والبعث الموعود به نظير النشأة الأولى، فهما نظيران في الإمكان والوقوع، فالإعادة بعد الموت خلقًا جديدًا، هو كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها؟! [4].

وهذا المعنى تكرر في القرآن في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة

---

(١) انظر: شعب الإيمان، البيهقي (١/ ٤١١).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية (٥/ ٤٢٩).

(٣) انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم (١/ ١١٢).

(٤) انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم (١/ ١٠٩).

العنكبوت: ١٩-٢٠].

وقوله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة النجم: ٤٥-٤٧].

وقوله جلَّت قُدْرته: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الواقعة: ٥٧-٦٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة يس: ٧٩].

فدلَّهم بالنشأة الأولى على النشأة الثانية، وأنهم لو تذكروا وتفكّروا لعلموا أن لا فرق بينهما، وأن الله عز وجل الذي أنشأ النشأة الأولى، قادرٌ على النشأة الثانية [١].

ومنها: أن الله يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وكذلك حال البعث، فهو إخراج للحي من الميت.

قال عز وجل: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الروم: ١٩].

(١) انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم (١/ ١٠٩).

فإذا جاز إخراج الحي من الميت ـ وهو أمرٌ مشاهد ـ، جاز بعث الأجساد عقلًا (١).

ومنها: إحياء الأرض الميتة، فبعد أن كانت يَبَسًا لا نبات فيها، تُصبح مخضرة.

قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة فصلت: ٣٩].

فجعل الله سبحانه إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الأموات، وإخراج النبات منها نظير إخراجهم من القبور، فاستدل على إمكانية البعث بأمر مشاهد محسوس (٢).

فالأرض تكون حية تنبت وتثمر، ثم تموت فتصير خاشعة جامدة لا نبت فيها، ثم يحييها الله تعالى فتنبت وتثمر، فإذا قدر على ذلك لم يعجزه أن يميت الإنسان، ويسلبه الحياة، ثم يعيدها إليه كما كان (٣).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف: ٥٧].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٣٣٣).

(٢) انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم (١/ ١١٢).

(٣) انظر: شعب الإيمان، البيهقي (١/ ٤١١).

فإخراج النبات والثمار بالماء مما يذكر بإخراج الموتى من قبورهم، فهو شبيه له [(١)]. وقد سبق مزيد بيان لهذا في المطلب السابق عند الحديث عن إحياء الأرض.

ومنها: اليقظة بعد النوم، فالنوم يشبه الموت، واليقظة بعد النوم تشبه البعث.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الأنعام: ٦٠].

فالله عز وجل يقبض الأرواح حال النوم بالليل، ثم يعيدها إلى أجسادها في النهار عند الاستيقاظ، وتتكرر العملية إلى أن يحين الأجل بانقضاء الحياة عند استيفاء العمر [(٢)].

وكل هذا مقدمة للرجوع إلى الله بالبعث والنشور، فيعلم عباده بأعمالهم إعلام توقيف ومحاسبة [(٣)].

وقال عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الروم: ٢٣].

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٧/ ٣٧٩).

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٣/ ١٥١).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٣٠٠).

جعل الله تعالى النوم بالليل دليلًا على الموت، والتصرف بالنهار دليلًا على البعث[1].

فإذا كان الله عز وجل قادرٌ على إعادة الروح إلى الجسد عند استيقاظها، ففي ذلك عبرةٌ ودليل على قدرته سبحانه على إعادة الروح إلى الجسد بعد الموت، وأنه لا يُعجزه شيء أراده[2].

ويلحظ في كثير من آيات القرآن الكريم: إذا ذكر فيها الموت، ذكر بعده البعث، والرجوع إلى الله.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة يونس: ٥٦].

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٣٥].

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١٥-١٦].

وقال تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٥٧].

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة السجدة: ١١].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٤/ ١٨).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٠/ ٨٧).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الزمر: ٣٠-٣١].

فبين الموت والبعث تلازم، فكل من مات سوف يبعث.

وهذا الرجوع الغاية منه المجازاة على الأعمال؛ حسنها وسيئها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر (١).

قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [سورة يس: ١٢].

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الجمعة: ٨].

وأخبر القرآن الكريم أن البعث هو وعدٌ إلهي، والوعد الإلهي حقٌّ لا يتخلف.

قال عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة النحل: ٣٨].

فهؤلاء المشركون من جهلهم وسَفَهِهِم أخذوا يحلفون الأيمان المغلظة على تكذيب الله، وأنه لا يبعث الأموات، ولا يقدر على إحيائهم بعد أن كانوا ترابًا، فكذّبهم الله عز وجل بأن ذلك سيكون، وأنه سيبعثهم ويجمعهم ليوم لا ريب فيه؛ لأن ذلك وعد الله، ووعد الله حقٌّ ثابتٌ لا يتخلف (٢).

---

(١) انظر: البسيط، الواحدي (١٥/ ٧١).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٤٤٠).

ومن الحقائق التي أكدت عليها آيات المقابلة بين الحياة والموت، ولها تعلقٌ بالبعث: أن البعث وإحياء الموتى أمرٌ يسير على الله عز وجل.

قال الله جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [سورة العنكبوت: ١٩].

وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة ق: ٤٢-٤٤].

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة التغابن: ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الروم: ٢٧].

فإعادة الخلق ـ عندكم وفيما تعقلون ـ أسهل من الابتداء؛ إذ الابتداء كان على غير مثال، والإعادة هي على مثال متقدم، فذلك أسهل وأيسر [١].

(١) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦١٢).

وليس في خلق الله شيءٌ عسير عليه تعالى، ولكنه يقيس للبشر بمقاييسهم، وإلا فالبدء كالإعادة، والإعادة كالبدء في قدرة الله سبحانه، والأمر في ذلك متعلقٌ بقوله سبحانه: (كن) فيكون[1].

وقد يتوهم متوهم أن الخَلْق كان على امتداد من الزمان، فكيف يكون إعادة جميع الخلق في لحظة واحدة.

قال الله عز وجل إجابة عن هذا الوهم: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة لقمان: ٢٨].

فخلق الناس جميعًا وبعثهم عند الله عز وجل كخلق نفس واحدة وبعثها، فالله لا يتعذّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع منه شيء شاءه، وسواء عند الله عز وجل خلق واحدٍ وبعثه، وخلق الجميع وبعثهم[2].

والحديث عن البعث طويل، وفيما مضى غنية وكفاية.

٥. القتل والإبقاء حيًّا.

وقد سمى القرآن الكريم عدم قتل النفس وإبقائها حيَّةً: إحياءً، في قول تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [سورة المائدة: ٣٢].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٧٢٩).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٠/ ١٥٣).

قال مجاهد (١) : « مَنْ كَفَّ عن قتلها، فقد أحياها » (٢).

فمن استنقذ النفس من مهلكةٍ؛ كغَرقٍ أَو حريقٍ أو هَدْمٍ، أو غير مما يُمِيت عادة، فقد أحياها (٣).

والإحياء هنا: بمعنى الإنجاء من الهلاك، وأما الإحياء الذي هو إعادة الحياة للميت، فلا يقدر عليها غير الله عز وجل (٤).

وهذا اللبس والخلط بين الإحياءين هو الذي وقع فيه الملك الغشوم، الذي حاجَّة إبراهيم عليه السلام.

قال الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨].

فقد عَرَّفَ إبراهيم عليه السلام ربه جل وعلا بما اختص به، فقال: ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾، فأجابه هذا الملك المغرور على وجه المعارضة: أنا أفعل ذلك، فأحيي وأميت؛ أستحيي من أردت قتله فلا أقتله، فيكون ذلك مني إحياءً

---

(١) مجاهد بن جبر بن السائب المخزومي، أبو الحجاج، شيخ القراء والمفسرين، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، توفي سنة (١٠٤هـ).

انظر: طبقات المفسرين، الداودي (٢/ ٣٠٥)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص١١).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٠/ ٢٣٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٢/ ١٦٩).

(٤) انظر: البسيط، الواحدي (٧/ ٣٥١).

له، وأقتل آخر، فيكون ذلك مني إماتة له [1].

فزعم هذا الجاهل المماري أن تخلية من استحق القتل مثل إعادة الحياة للميت.

وهذا غلط محض، فإبقاء من أوشك على الموت حيًّا ـ وإن سميت إحياء لغة ـ لا تماثل في حقيقتها إعادة الحياة لمن أصابه الموت، فهذه لا يقدر عليها إلا الله عز وجل.

وقد تفطن إبراهيم عليه السلام لتحايل هذا المجادل، فنقله إلى مجال آخر لا يستطيع المراوغة فيه، وهو أن الله يأتي بالشمس من المشرق، فأتِ بها من المغرب. فتحير وانقطعت حجته، وسقطت شبهته [2].

وفي مقابلة مشابهةٍ: قابل القرآن الكريم بين القصاص والحياة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٨-١٧٩].

فبعد أن ذكر سبحانه حكم القتل وأنه يوجب القصاص، ثم حثّ على العفو عن القاتل، أتبعه بالحديث عن فائدة القصاص.

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٥/ ٤٣٢).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ١١١).

فأخبر أن القصاص ـ الذي هو قتل القاتل بالنفس المقتولة من غير مجاوزة ولا عدوان ـ حياة، أي: أنه سببٌ للحياة، فمن علم أن يُقتل إن قَتَل لم يَقْتُل، فكان سببًا لحياة المعتدى عليهم، وسببًا لحياة القاتل إن امتنع عن القتل [1].

فتطبيق حكم القصاص يمنع الناس عن قتل النفوس، ولو ترك القصاص لما ارتدع الناس عن القتل، فإن مَنْ أَمِن العقوبة استخف بالقتل [2].

ولو تفكر أهل العقول الكاملة لعلموا أن في تشريع القصاص من الحكم والمصالح الشيء الكثير، وتنكير لفظ ﴿حَيَوٰةٌ﴾ يفيد التعظيم والتكثير [3].

ومن مواطن المقابلة بين القتل والإبقاء حيًّا: ما أخبر به القرآن الكريم من حال قوم فرعون مع بني إسرائيل، فقد كانوا يقتلون أبناءهم، ويبقون بناتهم أحياء.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة البقرة: ٤٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٤١].

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٣/ ٣٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢/ ١٤٥).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٨٥).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ٦﴾ [سورة إبراهيم: ٦].

فامتن الله عز وجل في هذه الآيات الكريمات على بني إسرائيل أن نجاهم من آل فرعون، وذكر أنهم كانوا يعذبونهم، ويقتلون أبناءهم، ويبقون بناتهم أحياءً حتى يستعملوهن في الخدمة.

وأما سبب قتل فرعون وقومه أبناء بني إسرائيل، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وَعَدَ إبراهيم خليله أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا وائتمروا، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالًا معهم الشِّفَارُ [(١)]، يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه، ففعلوا. فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، وأن الصغار يذبحون، قال: توشكون أن تفنوا بني إسرائيل، فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم، فاقتلوا عامًا كل مولود ذكر فَتَقِلَّ أبناؤهم؛ ودعوا عامًا. فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان القابل حملت بموسى)) [(٢)].

---

(١) الشِّفَار: جمع شَفْرة، وهي ما عُرِّض وحُدِّد من الحديد، فصار حادًّا.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٨/ ٤٧)، لسان العرب، ابن منظور (٤/ ٢٢٨٨).

(٢) أخرجه الطبري في جامعه (٢/ ٤٢).

وبعد أن انقضى يوم الزينة، وآمن سحرة فرعون، أمر فرعون قومه أن يعود إلى سيرتهم الأولى من قتل الأبناء والإبقاء على البنات؛ لأنهم قد كانوا تركوا قتل الأبناء، فأمرهم أن يرجعوا إلى ذلك الفعل [1].

قال الله عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٧].

وقال عز وجل: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة غافر: ٢٥].

وهذا أمرٌ ثانٍ بهذا الصنيع، أراد به قهر بني إسرائيل وإذلالهم، فجاء الأمر على خلاف ما أراد، ونصرهم الله عليه وأذله، وأرغم أنفه، وأغرقه وجنده [2].

٦. إحياء الأرض الميتة.

من القضايا التي تحدثت عنها آيات المقابلة بين الحياة والموت: إحياء الأرض الميتة.

وعند تأمل هذه الآيات نجد أنها تتحدث عن قضيتين:

الأولى: إحياء الأرض آية من آيات الله الكونية.

الثانية: إحياء الأرض أحد دلائل البعث بعد الموت.

---

(١) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ٥٤١).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/ ٤٦٠).

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة البقرة: ١٦٤].

جعل الله عز وجل في هذه المخلوقات العظيمة آياتٍ ـ والتي من جملتها إحياء الأرض بعد موتها ـ دالَّةً على وحدانيته وإلهيته، وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته، يفهمها ويعيها لمن لهم عقولٌ يعملونها فيما خُلِقت له، فيتفكرون ويتدبرون هذه الآيات، وينتفعوا بها (١).

وقال عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النحل: ٦٥].

فقد جعل الله عز وجل إحياء الأرض بعد موتها ـ بإنزال الماء وإنبات النبات واكتسائها بالخضرة ـ دليلًا واضحًا، وحجة قاطعة على توحيده، وأنه لا تنبغي الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة لشيء سواه (٢)، فمعبوداتهم لا تستطيع فعل شيء من ذلك (٣).

فنعمة المطر من أبين العِبَر، فالماء سرُّ الحياة، فحياة الأرض قائمة عليه، فالأرض القاحلة هامدة لا حركة فيها ولا نبات، كالجثة الميتة لا حراك فيها، فإن

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٧٨).
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٧/ ٢٣٦).
(٣) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٧٩).

زارها الماء أنبتت واخضرت، واهتزت رابية، وظهرت فيها آثار الحياة [1].

وهي آية لمن سمع بقلبه ـ لا بأذنه ـ سماع تفهم وتفكر وتدبر وإنصاف [2].

وإنما قال: ﴿يَسْمَعُونَ﴾ ولم يقل: (يبصرون) لوضوح الحجة وبيانها، وأنه يكفي فيها سماعها فقط [3]، ولأن السماع يتضمن معنى الطاعة والانقياد والتصديق [4].

وقد تكرر هذا المعنى في عدة آيات من القرآن الكريم، منها:

قوله سبحانه: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة يونس: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الروم: ٢٤].

وقوله عز وجل: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الجاثية: ٥].

وقوله جل وعلا: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الحديد: ١٧].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ٤٠٤).

(٢) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٦/ ٢٥)، الكشاف، الزمخشري (٢/ ٦١٥).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ٤٠٤).

(٤) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٧٩).

وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الفرقان: ٤٨-٤٩].

فإنزال المطر من السماء، وإحياء الأرض به بعد موتها آية كونية واضحة لم يدَّعِها أحد، فهي ثابتة لله، والمشركون مقرُّون بذلك(١).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٦٣].

وفي ذلك أيضًا إشارةٌ إلى قدرة الله عز وجل على البعث والإحياء بعد الإماتة(٢).

وقد دلَّل القرآن الكريم بإحياء الأرض بعد موتها على البعث والنشور في عدة آيات، منها:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف: ٥٧].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الروم: ١٩].

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي (١٨/ ١١٢٥٦).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (١٣/ ١٠٧).

وقوله جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [سورة فاطر: ٩].

وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة الزخرف: ١١].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [سورة ق: ١١].

وقوله عز وجل: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الروم: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة فصلت: ٣٩].

فجعل الله سبحانه إحياء الأموات نظير إحياء الأرض بعد موتها، وإخراجهم من القبور نظير إخراج النبات منها، ودل بالنظير على نظيره (١).

ووجه الشبه بينهما أن كلاهما إحياءٌ بعد إماتة، وهو تقريبٌ للمشبه (إحياء الموتى) بالمشبه به (إحياء الأرض) (٢).

---

(١) انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم (١/ ١١٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٨/ ١٨٣).

وتكرار ذكر هذا الدليل؛ لصحة مقدماته، ووضوح دلالته، وقرب تناوله، وبُعده من كل معارضة وشبهة (١).

والقرآن الكريم يتخذ من مشاهد الكون المنظورة، وواقع الحياة المشهودة، أدلةً لإثبات قضايا العقيدة، والتي منها البعث والإحياء في الآخرة، وهو برهان لا يحتاج إلى أكثر من النظر والتدبر (٢).

٧. الحياة والموت المعنويان.

فهناك بعض الآيات الكريمات وصفت من مات موتًا حسيًّا بأنه حي، ووصفت بعض الأحياء حياة حسيًّا بأنهم أموات.

فمن الأول: وصف من مات موتًا حسيًّا بأنه حي:

قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [سورة البقرة: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٦٩].

فقد نهت هذه الآيات عن وصف من قتل في سبيل الله عز وجل بأنه أموات، وأثبت لهم حياةً لا نشعر بها، ولا ندركها.

(١) انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم (١/ ١١٢).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٧٧٥).

إنها حياة تختلف عن حياتنا، بله وعن حال باقي الأموات في الدنيا غير الشهداء في سبيل الله عز وجل.

هم قتلى في الحس والمشاهدة، وهم أحياء في ما وراء ذلك، فحياتهم حياة غيبية، تمتاز بها أرواح الشهداء على سائر أرواح الناس، بها يرزقون وينعمون، وذلك من عالم الغيب الذي نؤمن به، ونفوض كيفيته إلى الله تعالى (١).

وما أعظمها تلك الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى، والتمتع بالرزق الإلهي، مع الفرح والاستبشار، وزوال كل خوف وحزن (٢).

وهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها وهم في قبورهم، ومنعَّمون بنعيمها، وليس ذلك لأحد غيرهم (٣).

فهذه حياة برزخية أكمل من حياة الدنيا، قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: ((**أرواحهم في جوف طيرٍ خُضْرٍ، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل**)) (٤).

ويرى بعض العلماء أن حياة النعيم في البرزخ لعموم المؤمنين أيضًا، وخصص الشهداء بالذكر في القرآن، تشريفًا لهم، وتكريمًا وتعظيمًا (٥).

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٢/ ٣٢).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص٧٥).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٣/ ٢١٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (١٨٨٧)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ٤٦٧).

واستدلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**نسمة المؤمن طائرٌ تعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**))(١).

ومن الثاني: وصف بعض الأحياء حياة حسيًّا بأنهم أموات.

فقد وصفت بعض آيات المقابلة بين الحياة والموت المؤمن بالحياة، ووصفت الكافر بالموت.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢].

هذا مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر، فجعل الكفر موتًا؛ لأنه جعل الإيمان حياة؛ لأن الحي صاحب بصرٍ يهتدي به إلى رُشده، ولما كان الإيمان يهدي إلى الفوز العظيم والحياة الأبدية شبهه بالحياة، ولما كان الكفر ظُلمة؛ وظُلمة جهالة، وظُلمة عمى بصيرة، فهو بمنزلة الميت؛ لأنه في ظلمات ليس بخارج منها، فهو متحيرٌ على الدوام (٢).

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ رواية الليثي، باب جامع الجنائز (١/ ٢٤٠) (٤٩)، وأحمد في مسنده، مسند كعب بن مالك (٢٥/ ٥٥) (١٥٧٧٦)، والترمذي في جامعه، أبواب فضل الجهاد، باب ماجاء في ثواب الشهداء (١٦٤١)، والنسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين (٢٠٧٣)، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى (٤٢٧١)، عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن (٢/ ١٥٢).

وجعل هداية هذا الكافر إحياءً له، فالهداية للإسلام بمنزلة الإحياء (1). فالمهتدي يستضيء بنور الحكمة والإيمان، والكافر يعيش في الظلمات لا يتخلص منها (2).

وقال عز وجل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة يس: ٦٩-٧٠].

فقوله: ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي: مؤمنًا، فالمؤمن يقبل الإنذار (3)، ولأنه قابل الحي بالكافر، فعُلِم أن المراد بالحي المؤمن.

وقيل: لينذر من كان حي القلب، يعقل ما يقال له، ويفهم ما يُبين له (4).

فهو حي بعقله، ومدركاته، وحواسه، وهذا شأنه أن ينتفع بما ينذر به. وأما من تخلى عن عقله، وملكاته ومشاعره، فليس من الأحياء، ولا ينتفع بالنذر، بل سيظل على ما هو عليه من كفر وضلال (5).

وقد حُمِل قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [سورة فاطر: ٢٢] على المؤمنين والكفار (6).

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري (١٢/ ٨٨).

(2) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٢/ ٢٨٨).

(3) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٣/ ١٣١).

(4) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٠/ ٥٤٩).

(5) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (١٢/ ٩٥١).

(6) انظر: معاني القرآن، الفراء (٢/ ٣٦٩)، البسيط، الواحدي (١٨/ ٤١٦).

ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة النحل: ٢١][1].

ويدل السياق أيضًا على ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة فاطر: ١٩-٢٢].

فكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان، والكافر والكفر[2].

وقد حمل بعض المفسرين لفظي (الحي) و(الميت) في نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [سورة آل عمران: ٢٧]. وقوله عز وجل: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [سورة الروم: ١٩]. أن المراد بهما المؤمن والكافر[3].

قال عمر: ((تخرج الحي من الميت: المؤمن من الكافر))[4].

وقال الحسن[5]: ((المؤمنَ من الكافر، والكافرَ من المؤمن، والمؤمن عبدٌ حيُّ الفؤاد، والكافر عبدٌ ميّتُ الفؤاد))[6].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٤/ ٢٦٨).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٠/ ٤٥٧).

(٣) انظر: البسيط، الواحدي (٨/ ٣٠٣)، وعزاه لابن عباس والحسن.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٢٦) (٣٣٦١).

(٥) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، إمام زمانه علمًا وعملًا، توفي سنة (١١٠هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤/ ٥٦٣)، غاية النهاية، ابن الجزري (١/ ٢٣٥).

(٦) انظر: جامع البيان، الطبري (٦/ ٣٠٦).

فيخرج الله عز وجل من صلب الكافر مؤمنًا، ويخرج من صلب المؤمن كافرًا.

وكما نفى القرآن الكريم المساواة بين المؤمن والكافر في الاستجابة والفهم، كذلك نفى المساواة بينهما في المحيا والممات.

قال الله عز وجل: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الجاثية: ٢١].

فهل يظن هؤلاء أن نجعلهم أمثال الذين آمنوا في الحياة والممات[1].

فالمؤمن يموت على إيمانه ويبعث على إيمانه، والكافر يموت على كفره ويبعث عليه، فمحيا المؤمن ومماته، كلاهما محمود، ومحيا الكافر ومماته كلاهما مذموم، فلا يستويان[2].

وقد أطلق الهلاك على الكفر، والحياة على الإيمان في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة الأنفال: ٤٢].

أي: ليكفر من كفر بعد حُجة، ويؤمن من آمن عن حُجة[3].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٧/ ٦٧٦).

(٢) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٧٨٥، ٦٧٨٢).

(٣) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي (٢/ ٢١٤).

فالمراد بالحياة الإيمان، والمراد بالهلاك الكفر.

وقيل: إن الحياة والهلاك هنا على الحقيقية.

فيكون المعنى: قد جمعهم هنالك ليقضي أمرًا، وهي: أن من يموت يموت عن بينة رآها وعبرة عاينها، فتقوم الحجة عليه، وكذلك من يحيا يحيا عن بينة وحجة قامت عليه، وقطعت عذره[1].

والمقصود من المقابلة بين الحياة والموت في هذا السياق، الإشارة إلى جوانب من عظيم قدرة الخالق، والإشارة إلى تنوع المراحل التي يتنقل فيها الإنسان بين موت وحياة، وتقرير أن السعادة والشقاوة متعلقة بحياة القلب وموته، وليس بحياة الجسد وموته.

وأثمرت آيات المقابلة بين الحياة والموت في هذا السياق الفوائد الآتية:

- الله عز وجل يخرج الحي من الميت، كما يخرج الميت من الحي، فمن بديع صنعه وخلقه أنه يخرج الضد من ضده.
- الحياة والموت مراحل متتالية، فالإنسان يتقلب بينها في رحلة طويلة مليئة بالأحداث والعبر.
- إحياء الموتى في الدنيا بأمر الله، وإن كان الأصل أن من مات في الدنيا أنه لا يعود إلى الحياة، ولكن هناك حوادث أمات الله فيها أحياء، ثم أحياهم بعدما أماتهم.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٨/ ٢٢).

- الموت في الدنيا ليس نهاية المطاف، فبعد الموت بعثٌ، يجازى فيه المحسن على إحسانه، ويعاقب فيه المسيء على إساءته.
- إنقاذ الحي مما فيه إزهاق روحه قد يسمى إحياءً تجوزًا، لكنه يختلف كل الاختلاف عن الإحياء الذي هو إعادة الحياة إلى الجسد الميت، فهذه من خصائص الله عز وجل لا يقدر عليها أحد.
- إحياء الأرض الميتة آية من آيات الله عز وجل الدالة على قدرته سبحانه وتعالى، وأنه قادرٌ على إحياء الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها.
- هناك حياة وموت معنويان، لا يدركان بالحسي، فقد يكون من هو حيٌّ حسيًّا ميتًا معنويًّا، ومن هو ميتٌ حسيًّا حيًّا معنويًّا.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني
المقابلة بين النور والظلمة

من الحسيات التي قابل القرآن الكريم بينها: النور والظلمة.

فأما النور:

فأصل مادة (ن و ر) تدل على إضاءة واضطراب وقلة ثبات، ومنه النور والنار؛ سيما بذلك من طريقة الإضاءة، ولأنها مضطربة وسريعة الحركة[1].

وأَنارَ المكان، وضع فيه النُّور[2].

وأنار الشيء واستنار أي: أضاء. والتَنْويرُ: الإنارةُ[3].

فالنور: الضياء. وجمعه أَنْوار[4].

وأما الظلمة:

فأصل مادة (ظ ل م) تدل على معنين:

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٣٦٨).

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (١٠/ ٣١٩).

(٣) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٨٣٩).

(٤) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٨٣٨).

أحدهما: خلاف الضياء والنور.

والآخر: وضع الشيء غير موضعه تعديًا [1].

فالظُّلْمة: ذاهب النور، وجمعها: ظُلْمَات وظُلُمات وظُلَم [2].

يقال: قد أظلم المكان إظلامًا [3].

ولَيْلَة ظَلْمَاء، أي: مُظْلِمَة [4].

وقد استعمل النور في القرآن الكريم على معنيين [5]:

الأول: الضوء الحسي: وهو الضّوء المنتشر الصادر من الأجسام النيرة، الذي يعين على الإبصار؛ كنور الشمس والقمر والمصباح.

الثاني: الضوء المعنوي: ضوء معقول بعين البصيرة، يعين على معرفة الحق، وتمييز الباطل؛ كنور العقل، ونور القرآن.

وكذلك الظلمات استعملها القرآن الكريم في المعنيين.

فأطلق الظلمة وأراد بها ذهاب النور المحسوس.

ويُعَبَّرُ بها عن الجهل والشّرك والفسق، كما يعبّر بالنّور عن أضدادها [6].

وقد بلغ عدد المقابلات بين النور والظلمة ثماني عشرة مقابلة.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٤٦٨).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٤/ ٢٧٤).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٤٦٨).

(٤) انظر: الصحاح، الجوهري (٥/ ١٩٧٨).

(٥) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٨٢٧).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص ٥٣٧).

وجاءت المقابلة بينهما في ثلاث صور:

الأولى: المقابلة بين النور والظلمة بصيغهما المختلفة، وهو الأغلب.

نحو قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [سورة الأنعام: ١].

وقوله سبحانه: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [سورة إبراهيم: ١].

فقوله: ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يقابله ﴿وَٱلنُّورَ﴾.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يقابله ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

الثانية: مقابلة ما هو في معنى النور بالظلمة.

فيذكر في هذه الصورة ما هو بمعنى النور أو يدل عليه؛ كالنهار، ويقابله الظلمة.

نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ [سورة الأنعام: ٣٩].

وقال جل وعلا: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ [سورة يس: ٣٧].

فقوله: ﴿صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يقابله ﴿يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، فالهداية إلى الصراط المستقيم في معنى النور المعنوي الذي ضد ظلمات الكفر.

وقوله: ﴿ٱلنَّهَارَ﴾ يقابله ﴿مُّظۡلِمُونَ﴾، فالنهار يدل على النور، بل النور أبرز خصائصه.

الثالثة: مقابلة النور بما هو في معنى الظلمة.

فيذكر في هذه الصورة النور يقابله ما هو في معنى الظلمة أو يدل عليها؛ كإطفاء النور.

نحو قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الصف: ٨].

وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحديد: ١٣].

فقوله: ﴿لِيُطْفِئُوا﴾ يقابله ﴿نُورَ﴾ إذ الإطفاء إذهاب للنور، الذي هو الظلمة.

وقوله: ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ يقابله ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ وضرب السور يشير إلى ذهاب النور الذي كانوا يلتمسونه، وحلول الظلام.

ومما يُلْحَظ ويَلْفِتُ الانتباه: أن القرآن الكريم حينما يذكر النور، فإن يذكره بصيغة المفرد، وفي المقابل يذكر الظلمة بصيغة الجمع.

وسرّ ذلك: أن النور واحدٌ وإن تعددت مصادره، والظلمة كثيرة متعددة، ويظهر ذلك أكثر في النور المعنوي، فهو شيء واحد، وأما الظلمات المعنوية فهي متعددة، والحق واحد لا يتعدد، والباطل الذي يقابله كثير متعدد، والهدى واحد والضلال المقابل له كثير [١].

(١) انظر: تفسير المراغي (٧/ ٧٠).

وقيل: أفرد النور؛ لأنه جنس، فإفراده كجمعه [1].

ولو تأمّلنا الآيات التي ورد فيها المقابلة بين النور والظلمة، لوجدناها إما أن تتحدث عن أمور تتعلق بالاختلاف بينهما، أو تشير إلى وجه اتفاقٍ بينهما، أو توضح علاقة أخرى بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف النور والظلمة.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه النور والظلمة.

المطلب الثالث: علاقات أخرى بين النور والظلمة.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٢٦٦).

المطلب الأول
اختلاف النور والظلمة

الاختلاف بين النور والظلمة أمرٌ ظاهرٌ بيّن، وقد جعلت آيات المقابلة بين النور والظلمة هذا الاختلاف مَثَلًا ودليلًا للاختلاف بين الإله الحق والآلهة الباطلة، والإيمان والكفر.

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الرعد: ١٦].

إن المشركين معترفون بربوبية الله عز وجل، مقرّون بخلقه ورزقه، ولكن ذلك لم يمنعهم عن الإشراك بالله عز وجل، بل أشركوا معه ما لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن غيره[(١)].

وهذا من ضلالهم، وعدم تمييزهم، ولو كان الأنداد الذين اتخذوهم شركاء قادرين على الخلق، لقيل: إن الخلق تشابه عليه.

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٠/ ٣١١).

ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين، لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق، فضلًا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (١).

وإذا كان الأمر كذلك، فَمَثَل الذي يعبد هذه الأصنام العاجزة كمثل الأعمى الذي لا يبصر رغم ظهور الدلائل والحجج. وأما من عبد الله عز وجل ووحَّده، فهو كمثل البصير الذي يرى طريق الهداية فيسلكه.

وهذا المشرك يعيش في ظلمات شركه كالأعمى، وذاك الموحد يستضيء بنور التوحيد (٢). ولا يستوي من كان في الظلمة، ومن كان في النور (٣).

وإذا كان لا يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات والنور، فكذلك لا يستوي الكافر والمؤمن، ولا الكفر والإيمان (٤).

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة فاطر: ١٩-٢٢].

فلا يستوي الأعمى عن دين الله والبصير الذي قد أبصر فيه رُشده، واتبع النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان، كما لا تستوي الجنة بظلالها والنار بحرها ولهيبها، ولا يستوي أحياء القلوب بالإيمان

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ٥٢٢).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (١٢/ ٣٢٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٧٣).

(٤) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٢٢).

بالله ورسوله، وأموات القلوب لِغَلَبَةِ الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال.

فكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان، والكافر والكفر [1].

فجعلت آيات المقابلة بين النور والظلمة نور الإيمان وظلمة الكفر المعنويَيْنِ، بمنزلة النور والظلمة المحسوسين، لا يستويان.

وقد ركّزت آيات المقابلة بين النور والظلمة على إثبات أن الكافر والمنافق يعيشان في ظلمة الكفر والنفاق، والمؤمن يستضيء بنور الإيمان، وضربت لذلك أمثلة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ٣٩].

فقد وصف الله عز وجل الذين كذبوا بحججه وأدلته، بأنه صُمٌّ عن سماع الحق، بُكْمٌ عن قوله؛ لأنهم في ظلمة الكفر حائرين فيها، لا يبصرون آيات الله فيعتبرون بها، ويعلمون أن الذي خلقهم وأنشأهم ودبَّر أمورهم وأحكم تدبيرها، لم يخلقهم عبثًا، ولم يتركهم سدًى، ولم يعطهم الحواس الخمس، وما وهبهم من الآلات والأدوات إلا لاستعمالها في طاعته وما يرضيه، لكنهم غافلون عمَّا خلقوا لأجله، متحيرون في ظلمات الكفر [2].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٠/ ٤٥٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (١١/ ٣٥٠).

فهذا الكافر الذي لا يرى الحق، ولا يقنعه الحجج والبراهين، كالقابع في الظلمة، فهو أعمى لا يرى شيئًا وإن كان له بصر، وزاد على ذلك أنه أصمٌ عن سماع الحق وإن كان له أذن، وأبكم عن قول الحق وإن كان له لسان.

فكيف يهتدي من جمع الخصال الثلاث (أعمى أصم أبكم)؟!

وقد ضرب الله عز وجل أمثلة أخرى تصور حال الكافر والمنافق اللذين حجبتهم ظلمة كفرهم ونفاقهم عن رؤية الحق والاهتداء به.

فأما الكافر:

فقال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة النور: ٤٠].

هذان مثلان، ضربها الله عز وجل لأعمال الكفار، أحدهما يبيّن حال أعمالهم في الآخرة، وأنها غير نافعة ولا مجدية، والثاني يبيّن حالها في الدنيا وأنها في الغاية من الضلال[1].

الأول: شبَّه أعمالهم ـ في فوات نفعها وحضور ضررها ـ بسرابٍ يتراءى للظمأن ماءً عن بُعْد، فإذا وصل إليه بَعْد جُهْدٍ وتعب لم يجده شيئًا، فالكافر يقدم على الله عز وجل يظنّ أنه على شيء، فيتبين له أن لا شيء، وإنما الحساب

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ١٨٧).

والعقاب[١].

الثاني: شبَّه أعمالهم في بطلانها بظلمات البحر التي تغطيها ظلمات فوقها ظلمات، حتى أنه لا يرى يده التي بجواره، فصاحبها كمن يمشي في ظلام على غير هدى، ولا اتباع دليل، فهو يخبط خبط عشواء[٢]؛ وأعماله خالية عن نور الحق[٣].

فقد كان الكفار يعوِّلون على أعمالهم التي يظنونها من الخير، ويطمعون في ثوابها، فإذا قدموا على الله سبحانه لم يجدوا منها شيئًا؛ لأن الكفر أحبطها ومحا أثرها، وهي أيضًا على غير هدى، فإن قلب صاحبها يغشاه الجهل والشك والحيرة، بعيدة عن نور الوحي، وضياء الهداية[٤].

والله عز وجل يهدي لنور وحيه من يشاء من عباده بفضله، ويمنعه عمَّن يشاء بعدله، سبحانه وتعالى.

وأما المنافق:

فقال الله تبارك وتعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ٢٤٤).

(٢) هذا مثل مشهور، يضرب مثلًا للذي يركب رأسه ولا يهتم بالعاقبة؛ كالناقة العشواء التي لا تبصر، فهي تخبط بيديها كل ما مرت به.
انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ٣٦)، شرح المعلقات السبع، أبو عبدالله الزوزني (ص ١٤٩).

(٣) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٣/ ٢٨٦).

(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٤/ ٤٦).

فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١٧-٢٠].

فهذا مثلان ضربهما الله عز وجل للمنافق.

الأول: مثّل حال المنافق واستبداله الضلالة بالهدى، وصيرورته من التبصرة إلى العمى، بمن استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، وتأنس بها، فبينا هو كذلك إذ طُفِئَت ناره، وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع ذلك أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، فكيف يكون حاله، وإلى أي شيء يصير مآله [(١)].

فإضاءة النار: إقباله إلى المؤمنين والهدى. وذهابُ نوره: إقباله إلى الكافرين والضلالة [(٢)].

فهذا المنافق بعد أن أبصر شيئًا من ضياء الوحي، استبدل الضلالة بالهدى والظلمة بالنور، واستحب الغي على الرشد، وغدا في ظلمة نفاقه، لا يرى الحق، ولا يسمعه، ولا ينطق به.

وإنما وُصِفَ المنافقون بذلك، ولم يكونوا صمًّا ولا بكمًا ولا عميًا؛ لأنهم لم ينتفعوا بهذه الجوارح، فكانوا بمنزلة من عُدِمها، فلم ينتفع بها [(٣)].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ١٨٦).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١/ ٣٢٤).

(٣) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (١/ ١٧٣).

وقيل: إن استضاءة المنافق هي بما أظهره بلسانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الإقرار به، وما تبع ذلك من حَقْن دمه وماله، والأمن على الذرية.

وأما انطفاء النور: فذلك أن المنافق لما سلم من القتل والسلب، خُيِّل إليه أنه بذلك يخدع الله ورسوله والمؤمنين، فإذا وَرَد على ربه في الآخرة ظانًّا أنه ناجٍ من عذاب الآخرة كما نجا في الدنيا بكذبه ونفاقه، عاين من أحوال الآخرة ما يُذْهِب عنه ظنونه، ويزيل غروره، فيطفئ الله نورَه يوم القيامة، ويقال لهم: ارجع وراءك فالتمس نورًا، واصْلَ سَعيرًا[1].

الثاني: شبَّه حال المنافقين بقوم كانوا في مفازة في ليلةٍ مظلمةٍ، أصابهم مطر فيه ظلماتٍ لا يمكن للساري المشي فيها، تعلو فيها أصوات الرعد، يضعون أصابعهم في آذنهم من شدّة هوله، ويلمع برقٌ خاطف يُخشى أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدة توقده.

فالمطر الذي ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق، هو الوحي، فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن، ووعيده وتهديده، وأوامره ونواهيه، وخطابه الذي يشبه الصواعق، فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق، فلضعفه وخوره جعل أصبعيه في أذنيه، وغمض عينيه خشية من صاعقة تصيبه[2].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١/ ٣٢٦).

(٢) انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم (١/ ١١٧).

وقيل: الصيِّب: ما أظهر المنافقون بألسنتهم من الإقرار والتصديق، والظلمات: ما هم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلوب. والرعدُ والصواعق: ما هم عليه من الوَجَل من وعيد الله في العاجل والآجل، فهم من وَجلهم أن يَكون ذلك حَقًّا، يتقونه بالإقرار بألسنتهم ظاهرًا، مخافةً على أنفسهم من الهلاك، كما يتّقي الخائف أصواتَ الصواعق بتغطية أذنيه وتصيير أصابعه فيها، حَذَرًا على نفسه منها (١).

ومن المسائل التي تحدثت عنها آيات المقابلة بين النور والظلمة: اختلاف حال أهل نور الإيمان عن حال أهل ظلمة الكفر يوم القيامة، فالمؤمن يستضيء بنور إيمانه، والكافر قابع في ظلمة كفره ونفاقه.

قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الحديد: ١٢-١٤].

فتصف هذه الآيات الكريمات مشهدًا من مشاهد يوم القيامة، وتذكر حوارًا يدور بين المؤمنين والمنافقين يومئذ.

فيوم القيامة تكوّر الشمس، ويخسف القمر، ويصير الناس في ظلمة عظيمة،

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١/ ٣٥٣).

وينصب الصراط على متن جهنم، فحينئذٍ يخص الله عز وجل المؤمنين والمؤمنات بنورٍ يسعى أمامهم وعن أيمانهم يرشدهم إلى الجنة، كلٌّ على قدر إيمانه، وتطميناً لهم فإن الملائكة تبشرهم بجنات تجري من تحتها الأنهار [١].

وهو نور حقيقي، خصَّ الله تعالى به المؤمنين يوم القيامة، وإنما جعله من جهة الأمام وبالأيمان؛ لأن اليمين محل التكريم، ولأن النور إذا كان بين أيديهم تمتعوا بمشاهدته، وشعروا بأنه كرامة لهم، وشعروا معه بالطمأنينة، فإن من سار في ظلمة الليل البهيم ومعه مصباح، يجعل ضوءه أمامه، ليرى طريقه، فيأمن [٢].

قال أبو حيان [٣]: « والظاهر أن النور يتقدم لهم بين أيديهم، ويكون أيضًا بأيمانهم، فيظهر أنهما نوران: نورٌ ساعٍ بين أيديهم، ونورٌ بأيمانهم، فذلك يضيء الجهة التي يَؤُمُّونها، وهذا يضيء ما حواليهم من الجهات. وقال الجمهور: النور أصله بأيمانهم، والذي بين أيديهم هو الضوء المنبسط من ذلك النور » [٤].

وأما مقدار هذا النور: فقال عبدالله بن مسعود [٥] رضي الله عنه: ((يؤتون

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٨٣٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٨/ ٣٧١).

(٣) محمد بن علي بن يوسف الجياني الغرناطي، أبو حيان الأندلسي، نحوي مفسر، ولد سنة ٦٥٤هـ، رحل إلى بلدان شتى، ثم استقر بمصر، توفي سنة ٧٤٥هـ.
انظر: طبقات المفسرين، للداودي (٢/ ٢٨٧)، طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص٢٧٩).

(٤) البحر المحيط (١٠/ ١٠٥).

(٥) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من كبار علماء الصحابة، تولى إمارة الكوفة في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ، وتوفي سنة ٣٢هـ.
انظر: أسد الغابة (٣/ ٣٨٤)، الإصابة (٤/ ٢٢٣).

نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نورًا على إبهامه يُطْفَأُ مرة ويَقِدُ مرة)) (١).

فإذا رأى المنافقون المؤمنين يسعون في نورهم، حاولوا اللحاق بهم، والاقتباس من نورهم.

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((بينما الناس في ظلمة، إذ بعث الله نورًا، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلًا من الله إلى الجنة؛ فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا، تبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: انظرونا نقتبس من نوركم، فإنا كنا معكم في الدنيا؛ قال المؤمنون: ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة، فالتمسوا هنالك النور)) (٢).

وقيل: يعطي كل مؤمن ومنافق نورًا على الصراط، فَيُطْفَأُ نور المنافقين ويبقى نور المؤمنين، فيقول المنافقون للمؤمنين: انتظرونا نقتبس من نوركم، ويحسبون أنه قَبَس كقبس الدنيا إذا طفئت نار أحدهم اقتبس، فقال لهم المؤمنون وقد عرفوا أنهم منافقون: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا (٣).

فإذا رجع المنافقون إلى الخلف بحثًا عن النور، لا يجدون شيئًا، فيرجعون محاولين اللحاق بالمؤمنين؛ ليستضيئوا بنورهم، فيفصل الله بينهم وبين المؤمنين بحائط له باب، في باطن ذلك السور من جهة المؤمنين الرحمة، وهي الجنة،

(١) أخرجه الطبري في جامعه (٢٣/ ١٧٩).

(٢) أخرجه الطبري في جامعه (٢٣/ ١٨٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين (٤/ ٣٥٠).

وظاهره من جهة المنافقين العذاب، وهي جهنم [1].

فينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور: ألم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم؟

فيجيبهم المؤمنون: بلى، ولكنكم أهلكتم أنفسهم بالنفاق والكفر، وفتنتكم المعاصي والشهوات، وتربصتم بالنبي صلى الله عليه وسلم الموت، وشككتم في نبوته، وفيما أوعدكم به، وغرتكم الأماني الزائفة، حتى جاءكم الموت، وقد غركم الشيطان ولبَّس عليكم حتى قذفكم الله في النار [2].

فالمقصود من المقابلة بين النور والظلمة في مقام الاختلاف، بيان اختلاف الإله الحق والآلهة الباطلة، والإيمان والكفر، والمؤمن والكافر، وجزاء المؤمن وجزاء الكافر.

وأثمرت المقابلة بين النور والظلمة في هذا السياق الفوائد الآتية:

- النور والظلمات لا يستويان، سواء أريد بهما المعنى الحسي أو المعنوي.
- حال المؤمن المهتدي كحال المبصر، يرى طريق الحق ويسير فيه، وحال الكافر كالأعمى لا يرى شيئًا، ولا يهتدي إلى الطريق الصحيح.

---

(١) انظر: الوسيط، الواحدي (٤/ ٢٤٩).

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٨/ ٣٦).

- الإيمان والهدى نورٌ يستضيء به المؤمن في طريقه إلى الجنة، في الدنيا والآخرة. والكافر يعيش في ظلمات كفره، لا يرى الحق ولا يهتدي إليه، ويوم القيامة يحشر في الظلمة.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
ما يشترك فيه النور والظلمة

أشارت آيات المقابلة بين النور والظلمات إلى أن كلًّا من النور والظلمة مجعولان لله عز وجل.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [سورة الأنعام: ١].

فذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أربعة أشياء؛ جسمين وعَرَض؛ للدلالة على تنوع خلقه بين الأجسام والأعراض.

وإنما خصَّ الظلمات والنور بالذكر دون غيرهما من الأعراض المحسوسة؛ إيماءً بالكفر والإيمان، فإن الكفر يشبه الظلمة؛ لأنه انغماس لأهله في جهالة وحيرة، والإيمان يشبه النور؛ لأن فيه استبانة الهدى والحق [(١)].

واستعمل في الحديث عن النور والظلمات لفظ (الجعل)؛ لأن الجعل يتضمن معنى تكوين شيء من شيء أو من شيئين؛ وكلا النور والظلمة ينتجان عن

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٧/ ١٢٧).

حركة الشمس والأرض، وذلك كله بجَعل الله تعالى وتقديره [1].

والله عز وجل حمد نفسه على خلقه السماوات والأرض، الدالة على كمال قدرته، وسعة علمه ورحمته، وعموم حكمته، وانفراده بالخلق والتدبير، وعلى جعله الظلمات والنور؛ كالليل والنهار، والشمس والقمر، وهذا كله، يدل دلالة قاطعة أنه تعالى، هو المستحق للعبادة، وإخلاص الدين له سبحانه [2].

وحريٌّ بالإنسان أن يستعمل حواسه وعقله ومشاعره في التفكر والتأمل لهذا الخلق العظيم، فيرى إبداع الخالق في خلقه، ويتجه بقلبه وعقله إليه وحده، ولا يلتفت إلى أحد سواه.

فالمقصود من المقابلة بين النور والظلمة في هذا المقام، الإشارة إلى استوائهما في كونهما مجعولان لله عز وجل، ناتجان عن أمره وخلقه سبحانه وتعالى.

فأثمرت المقابلة بين النور والظلمة هنا أنهما يشتركان في كونهما مجعولان لله عز وجل.

۞ ۞ ۞

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٥/ ٢٤٣١).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٢٥٠).

المطلب الثالث
علاقات أخرى بين النور والظلمة

أشارت آيات المقابلة بين النور والظلمة إلى علاقتين بين النور والظلمة، إحداهما تتعلق بالنور والظلمة الحسيين، والأخرى تتعلق بالنور والظلمة المعنويين.

فأما ما يتعلق بالنور والظلمة الحسيين، فيقول الله عز وجل: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة يس: ٣٧].

السماء مظلمة، والظلمة هي الأصل، وجعل الله عز وجل الشمس فيها سراجًا منيرًا. فإذا طلع ضوء الشمس، بَدَّدَ الظلمة، وجاء النهار، فإذا غربت الشمس انسلخ معها ضوء النهار وذهب، فعادت الظلمة كما كانت (١).

والانسلاخ عكس الإيلاج، فالانسلاخ يفيد الخروج والانفصال، والإيلاج يشير إلى التداخل.

وانسلاخ النهار من الليل هو نزع ضوئه حتى يذهب كله ولا يبقى منه شيء،

(١) انظر: البسيط، الواحدي (١٨/ ٤٨٢)، تفسير أبي الليث السمرقندي (٣/ ١٢٣).

ويكون بشكل متدرج، شيئًا فشيئًا، كما أن الجلد يسلخ عن الشاة شيئًا فشيئًا.

وهذا الانفصال والتمايز بين ضوء النهار وظلمة الليل دليلٌ بديعٌ على قدرة الله عز وجل، وحسن خلقه. ولهذا لم تذكر آية الليل في القرآن الكريم إلا ذكر معها آية النهار؛ لأنه بضدها تتبين الأشياء، ويظهر حسنها ونفعها (١).

وذلك من أعظم العلامات الدالة على توحيد الله وقدرته (٢).

وأما ما يتعلق بالنور والظلمة المعنويين، فقد قال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧].

فأخبر سبحانه وتعالى أنه يُخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

وإنما عبر عن الكفر بـ (الظلمات)؛ لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحته.

ويخرج الله المؤمنين من ظلمات الكفر: بأن يبصرهم حقيقة الإيمان وسُبُلِهِ وشرائعه وحُجَجِهِ، ويهديهم إليها، ويوفقهم للأدلة المزيلة للشك (٣).

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٦/ ٢٧٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٤/ ٢٨٧).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٥/ ٤٢٤).

فالإيمان بيِّنٌ نيِّرٌ، فلذلك شُبِّهَ بالنور، والكفر غير بيِّن فَشُبِّهَ بالظلمات (1).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [سورة المائدة: ١٦].

فقد جعل الله عز وجل الكتاب المبين سببًا للهداية، واتباع رضوان الله الذي هو الإسلام، وطرق السلامة في الدين من الفتن، وسببًا للخروج من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، فهو كفيلٌ بتبديد ظلمات الحيرة، وإزالة الشكوك، والاهتداء إلى نور الإيمان، فهو نورٌ يهدي إلى النور (2).

وقال جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣].

فبرحمة الله وهدايته، ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان (3).

بل قد جعل الله عز وجل مهمة الرسل الرئيسة: هي إخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

فقال الله تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ

---

(1) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ١٥٣).

(2) انظر: البسيط، الواحدي (٧/ ٣١٣).

(3) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٦/ ٣٦٠).

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ [سورة إبراهيم: ٥].

فالغرض من إرسال موسى عليه السلام بالآيات والمعجزات: إخراج قومه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (١).

وقال تبارك وتعالى في شأن محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ [سورة إبراهيم: ١].

وهذا الإخراج معلقٌ بإذن ربهم، فلا يهتدي مهتدٍ إلا بإذن الله ومشيئته (٢).

وأضاف الإخراج إلى الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن الإيمان يحصل بطاعته صلى الله عليه وسلم (٣).

وقال سبحانه: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [سورة الطلاق: ١١].

جعلت هذه الآية عِلَّةَ إنزال الذكر وتلاوة آياته: الإخراج من الظلمات إلى النور، والإخراج من ظلمات الكفر وفساد الأعمال إلى نور الإيمان والأعمال الصالحات لجميع الناس، وخصَّ المؤمنين بالذكر؛ لأنهم المنتفعين بهذا الذكر، فخصّهم اهتمامًا بشأنهم (٤).

---

(١) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٣٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ١٥٣).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٨/ ١٧٤).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٨/ ٣٣٧).

ويمكن أن يقال: وصفهم بـ(ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ) على اعتبار ما سيكون، أي: فالذين سيخرجهم من الظلمات إلى النور، هم مَنْ عَلِم الله أنهم سيؤمنون.

ويحتمل أن يكون المراد: أن المؤمنين قد تحدث لهم شبهات، تدخلهم في ظلمات الشك والريب، فيسألون عنها، فيزيل عنهم شبهتهم، ويخرجهم من ظلماتها[1].

وقال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾ [سورة الحديد: ٩].

فالله عز وجل أنزل الحجج الواضحات، والدلائل الباهرات، والبراهين القاطعات؛ لأجل أن يخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر إلى نور الهدى واليقين والإيمان، وكل ذلك رأفة ورحمة بهم[2].

وقال جلَّت قدرته: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢٢﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢].

فقد ضربت هذه الآية مثلًا للمؤمن والكافر[3]:

فالمؤمن: مُثِّل بمن كان ميتًا فأحياه الله، وجعل له نورًا يساعده على المشي

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٣٠/ ٥٦٦).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ١١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٢/ ٢٨٨).

بين الناس.

والكافر: مُثِّل بمن هو قابعٌ في الظلمات لا يرى شيئًا، ولا يخرج منه، يتخبط يمينًا وشمالًا.

فالمؤمن أحياه الله بالهداية، وأنار قلبه وروحه بنور الإيمان، وانعكست أنواره على جميع أقواله وأفعاله التي يمشي بها في الناس.

والكافر قابعٌ في ظلمات الكفر لا يخرج منه، يتخبط يمينًا وشمالًا، لا يميز بين حق وباطل، وكيف يهتدي من لا يرى شيئًا.

ويحتمل أن يراد بالنور: النور الذي يؤتاه المؤمن في الآخرة دون الكافر والمنافق، يهتدي به إلى الجنة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحديد: ١٢] (١).

وهذا المثل يعمّ كل مؤمن وكل كافر (٢).

وقد أخبر القرآن الكريم أن الكافرين يريدون أن يطفئوا نور الله، فقال عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة التوبة: ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

(١) انظر: البسيط، الواحدي (٨/ ٤٠٥).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٣٤١).

[سورة الصف: ٨].

وإطفاء النور بإطفاء مصدره؛ كالنار والمصابح مثلًا، ومصدر نور المؤمنين هو هذا القرآن العظيم، الذي جعله الله نورًا يهدي إلى النور.

فيحاول المشركون من أهل الكتاب وغيرهم أن يردوا القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزيه عن الشركاء والأولاد، بأقاويلهم الباطلة التي ليس لها أصل تستند إليه [١].

ولكن إرادة الله عز وجل تأبى ذلك، فلا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، فقد تكفل بحفظه من كل من يريده بسوء، ومهما بذلوا وسعوا في رده وإبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئًا، فقد تكفل الله بإتمامه وحفظه وإعلائه على سائر الأديان بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، وإن كره المشركون ذلك، وبغوا له الغوائل، ومكروا مكرهم، فوعد الله لا بد أن ينجزه، وما ضمنه لا بد أن يقوم به [٢].

ويتبين مما سبق أن الغرض من المقابلة في هذا المقام: إظهار علاقة الدخول والخروج بين النور والظلمة، وأن من خرج من أحدهما دخل في الآخر.

وأثمرت المقابلة بين النور والظلمة في هذا السياق الفوائد الآتية:

- العلاقة بين النور والظلمة علاقة تضاد، فالدخول في أحدهما خروج

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٤/ ٦١).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٣٣٥).

من الآخر، والخروج من أحدهما دخولٌ في الآخر.

- الخروج من ظلمات الكفر، والدخول في أنوار الإيمان هو بتوفيق الله عز وجل وإذنه.
- مهما حاول الكافرون إطفاء نور الإيمان، فلن يستطيعوا ذلك؛ لأن الله وعد بإتمام هذا النور، ولو كره الكافرون.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث
المقابلة بين الليل والنهار

من الأضداد الحسية التي قابل القرآن بينها: الليل والنهار.

فأما النهار:

فأصل مادة (ن هـ ر) تدل على تفتح شيءٍ أو فتحه [١].

والنَّهَار: ضدّ الليل [٢]، وهو انفتاح الظلمة عن الضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس [٣].

وقيل: هو في الأصل ما بين طلوع الشمس إلى غروبها، وهو في الشرع: ما بين طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس [٤].

ولا يجمع [٥].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٣٦٢).

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٨٣٩).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٣٦٢).

(٤) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٨٢٦).

(٥) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٦/ ١٤٨)، الصحاح، الجوهري (٢/ ٨٣٩).

وقيل: يجمع على نُهُر وأَنْهِرة [1].

وأما الليل:

فأصل مادة (ل ي ل) تدل على خلاف النهار [2].

فالليل ضدّ النهار [3].

والليل واحد بمعنى جَمْع، وواحدته ليلة، وتجمع على ليالٍ [4].

فالنهار: اسم لكل يوم، والليل: اسم لكل ليلة، والليلة ضد اليوم، وضد اليوم الليلة [5].

ويبدأ الليل بغروب الشمس [6].

يقال: لَيْلَ أَلْيَل، ولَيْلَة لَيْلَاء، إذا اشتدّت ظُلْمتها [7].

فالنهار نور وضياء، والليل ظلامٌ وسواد [8].

وقد بلغ عدد المقابلات بين الليل والنهار نحو خمس وخمسين مقابلة.

وجاءت المقابلة بينهما في ثلاث صور:

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٤/ ٣٠٣).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٢٢٥).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٥/ ٣١٨).

(٤) انظر: الصحاح، الجوهري (٥/ ١٨١٥).

(٥) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٥/ ٣١٨).

(٦) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (١٠/ ٣٩٦).

(٧) انظر: العين، الفراهيدي (٨/ ٣٦٣).

(٨) انظر: العين، الفراهيدي (٨/ ٣٦٣).

الأولى: المقابلة بين النهار والليل بألفاظهما المختلفة، وهو الأغلب.

نحو قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ [سورة الأنعام: ١].

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥﴾ [سورة نوح: ٥].

فقوله: ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ يقابله ﴿ٱلنَّهَارِ﴾.

وقوله: ﴿لَيۡلٗا﴾ يقابله ﴿وَنَهَارٗا﴾.

الثانية: مقابلة الليل بما يدل على النهار.

فيذكر في هذه الصورة الليل ويقابله ما يدل على النهار؛ كجزء من أجزائه؛ كالصبح، والبكرة، والضحى، وغير ذلك.

نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤﴾ [سورة المدثر: ٣٣-٣٤].

وقال جل وعلا: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾ [سورة الإنسان: ٢٥-٢٦].

وقال عز وجل: ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩﴾ [سورة النازعات: ٢٩].

فقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ يقابله ﴿وَٱلصُّبۡحِ﴾، والصبح من أجزاء النهار.

وقوله: ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ يقابله ﴿ٱلَّيۡلِ﴾، فالبكرة والأصيل من أجزاء النهار.

وقوله: ﴿لَيۡلَهَا﴾ يقابله ﴿ضُحَىٰهَا﴾، والضحى من أجزاء النهار.

الثالثة: مقابلة النهار بما يدل على الليل.

ففي هذه الصورة يذكر النهار يقابله ما يدل على الليل؛ كالبيات.

ولم ترد هذه الصورة إلا في موضعٍ واحد، هو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة يونس: ٥٠].

فقوله: ﴿بَيَٰتًا﴾ يقابله ﴿نَهَارًا﴾ والبيات نوم الليل، فالمقابلة هنا بين النهار المصرح به، وبين الليل المشار إليه بالبيات.

ويلحظ في آيات المقابلة بين الليل والنهار: تقديم الليل على النهار، وسبب ذلك أن الليل هو الأصل، فالأصل في السماء الظلمة، والإنارة فيها حادثة [(١)].

وذلك لأن الظلمة عدم، والنور وجودي، وهو ضد الظلمة، والعدم سابق للوجود، فالحالة السابقة لوجود الأجرام النيرة هي الظلمة [(٢)].

ولو تأمّلنا الآيات التي ورد فيها المقابلة بين النهار والليل، لوجدناها إما تبين وجه الاختلاف بينهما، أو تشير إلى محل اتفاقٍ بينهما، أو توضح علاقة أخرى بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف الليل والنهار.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه الليل والنهار.

المطلب الثالث: علاقات أخرى بين الليل والنهار.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٢/ ٣٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٧/ ٥٩).

المطلب الأول
اختلاف الليل والنهار

بيان أوجه الاختلاف بين الليل والنهار هو أحد مقاصد المقابلة بين الليل والنهار.

وعند تأملها آيات المقابلة بينهما نجدها أبرزت النقاط الآتية:

أولًا: اختلاف الليل والنهار آية.

عدّ القرآن الكريم اختلاف الليل والنهار آية من آيات الله العظام، ودعا العباد إلى التفكر فيها، والاعتبار بها.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [سورة البقرة: ١٦٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠].

وقال تبارك وتقدس: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ [سورة يونس: ٦].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾ [سورة الجاثية: ٤-٥].

فاختلاف أوصاف الليل والنّهار من النور والظلمة، والزيادة والنقصان، والحرارة والبرودة، من آيات الله الدالة على عظيم قدرته (١).

وهو اختلاف في غاية الدقة والإحكام، يسير بحساب دقيق محكم، ولا يكون إلا بتقدير العزيز العليم (٢).

وهذا الاختلاف الواضح البيِّن بين الليل والنهار، هو آية بينة على وحدانية الله، وأنه لا شريك له في ملكه، وتجب العبادة له دون غيره، لمن عَقَلَ وتدبَّر (٣).

وهذا الاختلاف مستمرٌ؛ فلا يخلو زمانٌ على وجه الأرض من بزوغ فجر، أو إقبال ظلام.

وهذا الاختلاف له فوائد كثيرة لا تعد ولا تحصى، فهو يُيَسِّرُ حياة الناس، فاحتياجاتهم تتغاير بتغاير الأزمان والأحوال، وما كانت حياتهم لتطيب لو كان وقتهم نهارًا فقط، أو ليلًا فقط، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝٧١ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن

---

(١) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٢/ ٣٢)، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (١/ ١٠٥).

(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٥/ ١٥٥).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٣/ ٢٦٨).

جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة القصص: ٧١-٧٢] (١).

وتنكير لفظ ﴿لَآيَٰتٍ﴾ يدل على كثرتها، فلا يعلم قدرها وتنوعها إلا الله عز وجل (٢).

ومن تفكر في هذه الآيات وكرر النظر إليها كان جوابه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [سورة آل عمران: ١٩١].

فنتج عن التفكر أن الكون لم يخلق باطلًا، بل ليكون حقًّا، قوامه الحقّ، وقانونه الحق، ودلائله حق، فهو يسير وفق تقدير عجيب، وليس متروكًا للفوضى، وهو يمضي لغاية، فليس متروكًا للمصادفة، وهو محكوم في وجوده وحركته، فغايته الحق (٣).

ويلحظ أن الآيات الكريمات ختمت ببيان القوم الذين ينتفعون بهذه الآيات، ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ﴿لَآيَٰتٍ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.

فإنما ينتفع بهذه الآيات من أعمل عقله، لا هواه، ولم يغلبه سطوة الموروث الذي ورثه عن الآباء والأجداد، ولا كان التقليد ديدنه (٤).

فأولي الألباب (أهل العقول) ينتفعون بهذه الآيات؛ لأنهم ينظرون إليها

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (٦/ ٩٦١).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٢/ ١٢٧).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (١/ ٥٤٦).

(٤) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (١/ ٤٩١).

بتفكر وتأمل، لا مجرد إبصار عابر.

وأهل التقوى الذين يخافون الله يرون في كل ما في السموات والأرض من الخلق والتقدير دلائل باهرة على قدرة الله، وعظيم خلقه، وأنه وحده المستحق للعبادة، ولا معبود بحق سواه.

والخوف من الله عز وجل ـ الذي هو لب التقوى ـ حافزٌ للبحث عن الحقيقة، وطلب الأدلة والبراهين على سلامة المعتقد، وصحة العبادة.

ولكن الإلف والمشاهدة اليومية قد تفقد البعض الإحساس بقيمة هذه الآيات وأهميتها، فلا تتحرك مشاعرهم لرؤيتها، ولا تتفكر عقلوهم فيها، خاصةً مع تطور علوم الفضاء وحساباته، الذي ينظر إلى كل ذلك نظرة مادية بحتة.

فالأمر عندهم لا يعدو كونه حسابات تعرف بها الأوقات، ويعرف بها زمن الأحداث فحسب، دون تفكر في الحِكَم والغايات، ولا إعمال للجانب الإيماني القائم على أن الله عز وجل لم يخلق شيئًا عبثًا، وإنما هو خلقه قائم على حكمة وتقدير (١).

وما علموا أن التفكر في هذا الخلق العجيب عبادةً لله من أَجِلِّ العبادات، يجعل المؤمن يقرأ هذه المعلومات قراءة مختلفة، مِلْؤُها الإيمان، ورائدها الوحي، مستصحبًا تذكر عَظَمَة الخالق الذي خلق هذا الكون البديع في أحسن تقدير، وأوجده على خير مثال.

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (٦/ ٩٦٠).

ويلحظ أن ذكر آية اختلاف الليل والنهار جاءت مقترنة بخلق السماوات والأرض، والليل والنهار هو جزء من هذا الكل، والسماوات والأرض من أعظم الآيات؛ فالسماء سقفٌ بغير عمد، مليئة بالعجائب، فيها من الكواكب والنجوم ما لا يعلمه إلا الله، وما نعلمه من شأنها لا يعدو قطرة في المحيط، والأرض جمعت تضاريس مختلفة بين سهل وجبل، وبحار وأنهار، وفصولها مختلفة من الحار والبارد، ومنها ما هو بين ذلك، وفيها من الخيرات ما لا يعلمه إلا الله، مليئة بالمعادن والكنوز؛ كالذهب والفضة والرصاص والحديد، ما لا يحصيه إلا من خلقها سبحانه وتعالى، ولا يعلم عدد الكائنات الحية التي تعيش عليها إلا خالقها عز وجل.

وقد أسند الله عز وجل اختلاف الليل والنهار إليه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٨٠].

أي: هو الذي جعلهما مختلفين (١).

فكما أن الإحياء والإماتة من خصائصه سبحانه وتعالى، فكذلك اختلاف الليل والنهار من خصائصه عز وجل، وبأمره وتقديره.

فهو الذي جعلهما يتعاقبان، ويختلفان في السواد والبياض، وفي الزيادة

(١) انظر: معاني القرآن، الفراء (٢/ ٢٤٠).

والنقصان [1].

فالليل والنهار آيتان متقابلتان في دورة الفلك، ومتقابلتان في الصورة، ومتقابلتان في الخصائص، ومتقابلتان في الآثار [2].

ثانيًا: الظلمة والنور.

من أوجه التضاد والاختلاف بين الليل والنهار: الظلمة والنور. فيتميز الليل بظلامه، ويتميز النهار بنوره وضيائه.

قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الإسراء: ١٢].

ذكرت الآية الكريمة أن الليل والنهار اتفقا في شيء، واختلافا في آخر.

فاتفقا في أن كل منهما آية، فهما آيتان يدلان على أن خالقهما واحد ليس كمثله شيء [3].

واختلفا في أن لكل منها علامته المميزة له عن الآخر؛ فعلامة الليل إظلامه، وعلامة النهار إضاءته [4].

ويجوز أن يراد بآية الليل القمر؛ لملازمته له، وأن يراد بآية النهار الشمس،

---

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٥/ ٤٢٥).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٩٢١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٢٣٠).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري (١٧/ ٣٩٥).

ويكون معنى المحو أن القمر مطموس لا نور في جرمه، ولكنه يكتسب الإنارة بانعكاس شعاع الشمس عليه، ومعنى كون آية النهار مبصرة أن الشمس جُعل ضوؤها سببَ إبصار الناس الأشياء (١).

والحكمة من جعل الليل والنهار مختلفين؛ أحدهما مظلم، والآخر مضيء أمران:

الأول: قضاء الحوائج والمصالح، من ابتغاء المعايش، وطلب الرزق في النهار، والسكون والراحة في الليل (٢).

الثاني: حساب الأيام التي تتكون من ليلٍ ونهار، ومعرفة عدد السنين، وابتدائها وانقضائها (٣).

ولولا ذلك لما علم أحدٌ حساب الأوقات، ولتعطلت مصالح العباد (٤).

ويلحظ أن الآية الكريمة أطلقت على ظلمة الليل محوًا، والمحو: يدل على الذهاب بالشيء (٥).

وقابلت الآية بين إبصار النهار ومحو الليل؛ لأن النور يُظهر الأشياء، والظلمة تذهب فيها معالم الأشياء فلا تظهر، فسمّى اختفاء الأشياء محوًا.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٤٤).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٤٥٤).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (١٧/ ٣٩٥).

(٤) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ٦٥٢).

(٥) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ٣٠٣).

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾ [سورة الشمس: ٣-٤].

الضمير في ﴿جَلَّىٰهَا﴾ و﴿يَغْشَىٰهَا﴾ يعود للشمس [١].

ففي النهار تتجلى الشمس أتم الإنجلاء، والليل يغشاها فَيُذْهِب ضَوْءَها، وتظلم الآفاق [٢].

وقال جل وعلا: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾ [سورة الليل: ١-٢].

فأقسم بالليل إذا غشي النهار بظلمته فأذهب ضوءه، أو غشي كل شيء بظلمته؛ فيصير له كالغشاء. وأقسم بالنهار إذا أضاء وأظهر للأبصار ما أخفته ظلمة الليل [٣].

وقال عز وجل: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة النازعات: ٢٩].

أضاف الليل، والضحى في هذه الآية إلى السماء؛ لأن الظلمة والنور متعلقان بالشمس، والشمس محلها السماء [٤].

والأغطش الذي لا يبصر [٥]، والمعنى: جعل ليلها مظلمًا أسود حالكًا، ونهارها مضيئًا مشرقًا نيِّرًا واضحًا [٦].

---

(١) انظر: إعراب القرآن، النحاس (٥/ ١٤٥).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (٢٤/ ٥٢)، الكشاف، الزمخشري (٤/ ٧٥٨).

(٣) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (١٢/ ٨٣٠٧).

(٤) انظر: البسيط، الواحدي (٢٣/ ١٩٤).

(٥) انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة (٢/ ٢٨٥).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٨/ ٣١٦).

وإنما قابل الليل بالضحى؛ لأنه وقت ارتفاع النهار وقوة إضاءته، فناسب أن يقابل بالليل عند اشتداد ظلمته (١).

فالنهار يجلي الأشياء بضيائه، والليل يغطي الأشياء بظلامه.

ثالثًا: السكون والحركة.

السكون والحركة من أوجه التضاد والاختلاف بين الليل والنهار؛ فالليل محل السكون والدعة، والنهار محل الحركة والانتشار وطلب الأرزاق.

قال الله عز وجل: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦﴾ [سورة الأنعام: ٩٦].

فجعل الله عز وجل الليل سكنًا، أي: شيئًا يسكن الناس فيه؛ لأنهم يكدحون في النهار في أعمالهم، ثم يروحون في تعب، فيجدون ظلام الليل مناسبًا للهدوء والراحة، ينامون فيه؛ لينقطع عنهم تعب الكد بالنهار (٢).

وقال تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣﴾ [سورة القصص: ٧٣].

فمن رحمة الله عز وجل بعباده أن خالف بين الليل والنهار، فجعل الليل ظلامًا؛ ليحصل فيه السكون، والهدوء، وراحة الأبدان من التعب في النهار، وجعل النهار ضياء؛ ليتمكن الناس من الإبصار، وتصريف معايشهم، وبيتغون

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي (١٥/ ٣٧٢).

(٢) انظر: العذب النمير، الشنقيطي (١/ ٥٤١).

رزقهم الذي قسمه الله بينهم [1].

وهذا من باب اللف والنشر، فذكر الليل والنهار أولًا، ثم ذكر ما يخص كل واحدٍ منهما على الترتيب [2].

وكون الليل محل السكون، والنهار محل الحركة وطلب الرزق هو الأغلب؛ والامتنان جاء هنا على الأعم الأغلب من الأحوال، ولا يمنع ذلك أن يوجد من يسكن بالنهار، ويبتغي فضل الله بالليل؛ كمن تقتضي طبيعة عمله العمل ليلًا؛ كالحراس، أو من عملهم دائمٌ على مدار الساعة، ومثل ذلك الحيونات الليلية التي تنام في النهار، وتطلب رزقها بالليل؛ كالبومة والخفاش، وهذا كله قليل نادر، والنادر لا يعتد به [3].

وقد جعلت الآية الحكمة من اختلاف الليل والنهار ثلاثة أمور:

الأول: السكون في الليل.

الثاني: ابتغاء فضل الله في النهار.

الثالث: شكر العباد لله عز وجل؛ لأن اختلاف الليل والنهار نعمة تستوجب الشكر [4].

فالليل سكينة وقرار، والنهار نشاط وعمل، وتوجه إلى فضل الله، وهذا كله

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٩/ ٦١٣).
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٢٥٢).
(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٢٩٧).
(٤) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ٤٢٩).

بفضل ونعمة ورحمة من الله عز وجل، وجعل من سنن الحياة تقلبها بين ليل ونهار، وراحة وعمل، ونوم ويقظة، ولو دامت على حالٍ واحدة لصعب أمر الحياة، وهذا تذكيرٌ لهم لأمرٍ يرونه كل يوم، ولكن ينسيهم الإلف وتكرار المشاهدة الاعتبار بهذه الآية العجيبة (١).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ [سورة النبأ: ٩-١١].

وقال تبارك وتقدس: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ۝٤٧﴾ [سورة الفرقان: ٤٧].

وصفت هذه الآيات ثلاثة أشياء بثلاث صفات؛ وصفت النوم بالسبات، والليل باللباس، والنهار بالمعاش.

فأما **النوم**: فأصل السبات القطع، فالنوم فيه انقطاعٌ عن العمل، فيسكن الجسد، وترتاح الجوارح.

وأما **النهار**: فاللباس: ما يلبسه الإنسان من الثياب، فشبّه الليل باللباس؛ لأن كلًّا منهما يستر ما تحته؛ فاللباس يستر جسد الإنسان، والليل يستتر فيه الإنسان بظلامه حتى لا يراه أحد، وكلًّا منهما يحيط بالإنسان، فيكسبه الراحة والاطمئنان.

وأما **النهار**: فالمعاش في الأصل: الحياة، ويطلق اسمًا لما به عيش الإنسان

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٧٠٨).

من طعام وشراب وغير ذلك. فالنهار حياة؛ لأنه محل اليقظة، وانتشار مظاهر الحياة، والنهار سبب للعمل الذي هو سبب لحصول المعيشة، بخلاف الليل الذي هو محل للسبات والانقطاع عن العمل (١).

ووصف النهار أيضًا بالنشور؛ لأنه يحصل فيه الانتشار وابتغاء الرزق، وينتشر الناس في طلب حاجاتهم (٢).

وهذا الانتشار والحركة بعد النوم والسكون أشبه البعث من الموت، فلذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الأنعام: ٦٠].

أي: يُنِيمُكَم فَيَتَوَفَّى نفوسَكم التي بها تميزون، ثم يُنَبِّهُكم من نومكم في النهار، وهكذا تستمر الحياة إلى أن ينقضي الأجل (٣).

فجعل الليل محلًا للوفاة الصغرى التي هي النوم، وجعل النهار للبعث بعد النوم، وكسب الأعمال.

فالليل هو محل النوم والراحة والسكون، والنهار هو محل الحركة وطلب الرزق، وكسب الأعمال باختلاف أنواعها.

وقال عز وجل: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٢٠-٢٢).

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٨٠٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٢/ ٢٥٧).

ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ [سورة الروم: ٢٣].

فمن الأدلة والحجج على توحيد الله عز وجل، أن خالف بين الليل والنهار، فجعل النهار لابتغاء الرزق والمعاش، وجعل الليل للنوم والسكن[1].

وحمل بعض المفسرين معنى الآية على تعميم الزمان، وأن النوم وابتغاء الفضل كلاهما يكونان في الليل والنهار، وإن كان الأغلب أن يكون النوم في الليل، وابتغاء الفضل في النهار[2].

والأول أظهر؛ لأنه المعنى المتكرر في القرآن، والأخذ بالمعنى المتكرر أولى[3].

وإسناد التنفس إلى الصبح في قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة التكوير: ١٨]. إشارة إلى انبعاث الحياة فيه من جديد، فبعد الظلام الذي يحبس عن الحركة، ويدعو للنوم، يأتي الصبح بضيائه ليبعث النشاط، ويثير الحركة، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ [سورة الأنعام: ٦٠][4].

وهناك آيات قابلت سكون الليل بنور النهار وضيائه؛ لأن النور والضياء سبب للحركة، وظلمة الليل سبب للسكون والراحة.

---

(١) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٧٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٣٣٣).

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ٤٧٣).

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (١٦/ ١٤٧٣).

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة يونس: ٦٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة النمل: ٨٦].

وقال تبارك وتقدس: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة غافر: ٦١].

ففي هذه الآيات الثلاث لم يذكر وصف الليل (الظلمة) وذكرت علته ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾، وذكر وصف النهار ﴿مُبْصِرًا﴾، ولم يذكر العلة (الحركة والانتشار) (١).

وأسند الإبصار في هذه الآيات إلى النهار؛ لأن ضوء النهار سبب للإبصار، فالإبصار يعتمد على النور، فإذا انعدم النور انعدم الإبصار (٢).

وتقدير الآية: هو الذى جعل لكم الليل مظلمًا؛ لتسكنوا فيه، والنهار مبصرًا لتتحركوا فيه لمصالحكم (٣).

فالله عز وجل جعل الزمان منقسمًا إلى قسمين:

أحدهما: مظلم، وهو الليل؛ لأجل يسكن العباد فيه عن الحركة والتعب،

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٩/ ١٥٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٤/ ١٨٥).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٤/ ١٦٢).

ويريحون أنفسهم عن الكَدِّ والكسب.

والثاني: مبصر؛ لأجل يسعون فيه بما يعود على نفعهم وتوفير معايشهم، ويحصلون ما يحتاجون إليه في وقت مضيء منير، لا يخفى عليهم فيه كبير ولا حقير [(١)].

فالظلمة سبب للنوم والراحة، ولو استمر الضياء لما قرّوا، ولما سكنوا، والنور والضياء سبب لانتشار الناس في معايشهم، ومصالح دينهم ودنياهم [(٢)].

وفي قوله جل وعلا: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ [سورة الأنعام: ٩٦].

قابل لحظة بزوغ الضياء (الإصباح) بسكون الليل؛ للإشارة إلى أن هذا الضياء الذي أخرجه من ظلمة الليل، ليس مستمرًا، بل هو محدودٌ بوقت، ثم تعود الظلمة كما كانت؛ ليسكن الناس بعد النَّصَب والعمل، فتستريح أجسامهم، ويستعيدوا نشاطهم في اليوم التالي [(٣)].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ [سورة الضحى: ١-٢].

فقابل بين الضحى الذي هو صدر النهار وحين ارتفاع شمسه وقوة شعاعها، وبين الليل حال سكونه وهدوئه.

فذكر النهار ونوره يشير إلى الحركة والنشاط الذي فيه، وذكر سكون الليل

---

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٢/ ٥٢٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٣٦٩).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٧/ ٣٩١).

يشير إلى ظلمته وعتمته.

ويُلحظ أن آيات المقابلة بين الليل والنهار لم تُشِر إلى اختلافهما في البرودة والحرارة، مع أن هذا الفرق واضحٌ بَيِّن.

وهذا الاختلاف بين الليل والنهار من أعظم النعمة، فقد تعلقت به مصالح العباد، فالتعاقب بين الضياء والظلمة، والحرارة والبرودة، يجعل الأرض صالحة للعيش عليها، فتنبت الكلأ وتنضج الثمار، ويتيح للناس فرصة السكون والراحة في الليل، الذي يعين على النشاط والقيام بالأعمال في النهار، والضياء في النهار يعين الناس على قضاء حوائجهم، وتحصيل معايشهم، والتفريق بين الأشياء، فحاجتهم للضياء ضرورية، ولولا الضياء لكانت تصرفاتهم مضطربة مختبطة (١).

وهذا الاختلاف بين الليل والنهار وحال أهلهما فيهما، هو من دلائل أن المعبود بحق هو من خلقهما وخالف بينهما (٢).

ومن تأمل هذا الاختلاف أيقن بقدرة خالق الليل والنهار على إعادة الحياة إلى الأموات، ليحاسبهم على أعمالهم، ولا يكون ذلك إلا من قوم مؤمنين (٣).

وأثمرت المقابلة بين الليل والنهار الفوائد الآتية:

- اختلاف الليل والنهار آية من آيات الله العظام، ينبغي التفكر فيها، وأخذ العبرة منها.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٤/ ١٨٤).

(٢) انظر: تفسير المراغي (١١/ ١٣٣).

(٣) انظر: الوسيط، سيد طنطاوي (١٠/ ٣٦١).

- الاختلاف بينهما له فوائد كثيرة لا تعد ولا تحصى.
- الاختلاف بينهما من خصائصه عز وجل، وبأمره وتقديره.
- الليل والنهار ضدان، انعكست هذه الضدية على خصائصهما وآثارهما، فهي متضادة.
- من أوجه التضاد والاختلاف بين الليل والنهار: الظلمة والنور، والسكون والحركة.
- النهار يجلي الأشياء بضيائه، والليل يغطي الأشياء بظلامه.
- الليل محلٌ للسكون والراحة، والنهار محلٌ للحركة والانتشار وطلب الأرزاق.
- سكون الليل ونومه كالموت، وحركة النهار ونشاطه كالبعث بعد الموت.
- ظلمة الليل سبب للنوم والراحة، ونور النهار سببٌ للانتشار والحركة.
- لم تُشِر آيات المقابلة بين الليل والنهار إلى اختلافهما في البرودة والحرارة.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
ما يشترك فيه الليل والنهار

أفادت آيات المقابلة بين الليل والنهار أن بينهما أمورًا يشتركان فيها، وعند تأمل النقاط المشتركة بينهما، نجد أنها على نوعين:

الأول: أمور اشتركا فيها باعتبارهما مخلوقين لله عز وجل.

الثاني: أمور اشتركا فيها باعتبارهما ظرفي زمان، فَذُكِرَا معًا لدلالة على عموم زمن الفعل فيهما جميعًا، أو للدلالة على استمرارية الفعل.

والليل والنهار في أصلهما صفتان لزمانين معلومين (1).

فأما الأمور المشتركة بينهما باعتبارهما مخلوقين لله عز وجل، فهي:

١. أنها آياتان من آيات الله البيِّنة.

قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الإسراء: ١٢].

(١) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٧/ ٤٧٥٣).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة فصلت: ٣٧].

نصت هتان الآيتان على أن الليل والنهار آياتان، وفي ذلك إشارة إلى الحاجة إلى التأمل والنظر فيهما، واستشكاف ما يدلان عليه من معانٍ وحكم [١].

وقد جعلناهما الله عز وجل علامتين تدلان على أن لهما إلهًا واحدًا [٢]، متصف بكمال العلم والقُدرة [٣]، ويدلَّان على وحدانيته وعظيم سلطانه [٤]، وحسن تدبيره [٥].

وأما وجه كونهما آيتين:

- اختلافهما اختلاف تضاد، كل واحدة منهما تضاد صاحبتها، وتنسخ كل واحدة منهما الأخرى حتى لا يبقى لها أثر [٦].
- تعاقبهما على وجه التتابع، فلا يذهب أحدهما إلا بعد مجيء الآخر، بأسلوب سلس عجيب [٧].

---

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (٧/ ١٦).
(٢) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٢٤).
(٣) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٦/ ٨٧).
(٤) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٥٢٧).
(٥) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (٧/ ١٥).
(٦) انظر: المصدر السابق.
(٧) انظر: إعراب القرآن، النحاس (٢/ ٢٦٨).

- اختلافهما في الزيادة والنقصان، فيأخذ هذا من ذاك، ويأخذ ذاك من هذا [١].
- استمرار حالهما على هذه الوتيرة العجيبة دون خلل أو اضطراب [٢].
- مصالح الدنيا لا تكتمل إلا بتعاقبهما، فلولا الليل لما حصل السكون والراحة، ولولا النهار لما حصل الكسب والتصرف في وجوه المعاش [٣].
- أنهما جزء من هذه الحياة، التي تعج بالأضداد، وكلها انتقال من حالٍ إلى حال، ولا تثبت على حال، فنور ثم ظلمة، وبالعكس، وازدياد نور ونقصان [٤].
- فيهما دلالة على الإحياء والبعث؛ فالليل بسكونه يشبه الموت، والنهار بحركته يشبه البعث، ومجيء النهار بعد ذهاب الليل وزوال أثره، يدل على إمكان البعث بعد الموت [٥].

٢. أنهما نعمتان عظيمتان من نعم الله.

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠/ ٢٢٧).
(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٥/ ١٥٩).
(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٠/ ٣٠٦).
(٤) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٧/ ٢٠).
(٥) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (٨/ ٣٨).

يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة القصص: ٧١-٧٣].

السرمد: الدائم المتصل، من السرد وهو المتابعة (١).

تتحدث هذه الآيات عن الليل والنهار، وتبيّن أهمية كلٍّ منهما، وتلفت الانتباه إلى أمرٍ يتكرر يوميًّا، ومع تكرّره واستمراره اعتاد عليه الناس، ولم يعد يدهشهم ضياء النهار، ولا ظلمة الليل، ولا يقفون متفكيرين فيهما، ولا يخطر ببالهم: كيف سيكون حالهم لو اختلف الأمر، فاستمر النهار بلا انقطاع، أو دام الليل بظلامه لا يخالطه ضياء؟

إذ الإلف والعادة يُفقدان الأشياء جمالهما ورونقها، وينقصان من قَدْرها وأهميتها، فلا يُشعر بقيمة الشيء إلا حين فقده.

فأمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يوقفهم على أمر الليل والنهار وما فيهما من المصالح والمرافق، وأنه لو مَدَّ أحدهما بصورة دائمة، لما وُجِدَ من يأتي بالآخر (٢).

فإذا كان المشركون يقرّون بأنه لا يقدر على إيتاء الليل والنهار غيره سبحانه، فَلِمَ تشركون به غيره؟ (٣).

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ٤٢٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٣٤٩).

(٣) انظر: الجماع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣/ ٣٠٨).

وقد دلّت الآيات الكريمات على أن الحكمة من اختلاف الليل والنهار ثلاثة أمور:

الأول: السكون في الليل.

الثاني: ابتغاء فضل الله في النهار.

الثالث: شكر العباد لله عز وجل؛ لأن اختلاف الليل والنهار نعمة تستوجب الشكر [1].

والأنفع والأصلح للعباد تعاقب الليل والنهار، ولو دام أحدهما دون الآخر لهلك الخلق [2].

فَجَعْلُ الليل مظلمًا مناسبٌ للسكون والهدوء وعدم الحركة؛ ليستريح الناس من كَدِّ الأعمال، والتعب في النهار.

وَجَعْلُ النهار مضيئًا منيرًا مناسبٌ لانتشار الناس في حوائجهم واكتساب معايشهم في نور ساطع، من غير حاجة إلى مصباح أو غيره، بل هو ضوء عامٌّ أتاح الله لجميع الناس بلا ثمن، يسعون فيه إلى معايشهم، وهذا من عظائم قدرته، ومن عجائب مِنَنِهِ وإنعامه جل وعلا على خلقه [3].

وتجد الناس يشتاقون إلى الصبح حين يطول بهم الليل قليلًا في أيام الشتاء، ويحنون إلى ضياء الشمس وحرارتها حين تتوارى عنهم، فكيف بهم لو فقدوا

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ٤٢٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٤/ ١٥٢).

(٣) انظر: العذب النمير، الشنقيطي (٣/ ٣٨٢).

الضياء أبدًا؟

والناس يشق عليهم الأمر حين يطول عليهم النهار في الصيف، ويضيقون ذرعًا بحرارته، ويحنون إلى الليل، ويجدون في ظلام الليل سكونًا وراحة.

فكيف بالناس لو ظلَّ النهار سرمدًا إلى يوم القيامة؟(١).

فلو دام الليل لذهبت منفعته، ولو دام النهار دائمًا لانقلبت منفعته مضرة(٢).

فالتعاقب بينهما نعمة عظيمة تستوجب شكر المنعم بها بأنواع العبادات في الليل والنهار(٣).

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢﴾ [سورة الفرقان: ٦٢].

فالحكمة في جعل الليل والنهار يخلف أحدهما الآخر أمران:

١. التذكر والتفكر في شأنهما، ودلالتهما على خالقهما.

٢. شكر من أنعم بهما وجعلهما مختلفين متعاقبين.

فالمتفكر في اختلافهما وتعاقبهما يوقن أن خالقًا أبدعهما، وأنه عظيم القدرة، وبذلك لا يستحق غيره الإلهية، فوجب الشكر له سبحانه(٤).

ويلحظ في الآيات الكريمات أنه تعالى قابل في الآية الأولى بين الليل

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٧٠٨).

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (٧/ ١٥).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٢٥٢).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٩/ ٦٥).

والضياء؛ لأن أبرز ما يتميّز به النهار: الضياء، فكان كافيًا في مقابلته بالليل، فتدل على أن محل المقابلة ظلمة الليل وضياء النهار.

وفي الآية الثانية قابل بين النهار وسكون الليل؛ لأن أبرز ما يتميّز به الليل أنه محلٌّ للسكن والراحة، فمحل المقابلة هنا بين سكون الليل وحركة النهار.

وفي الآية الثالثة قابل بين الليل والنهار، ووجه المقابلة بينهما ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ و ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾، والسكون صفةٌ لليل، وابتغاء الفضل صفة للنهار.

فوجه المقابلة بين الليل والنهار في هذه الآيات الثلاث من حيث الظلمة والضياء، والسكون والابتغاء.

وفي مقابلة الليل بالضياء، والنهار بسكون الليل لفتة بديعة؛ وهي أنه في كلا المقابلتين تصريحٌ وإضمار.

فعندما قابل الليل بالضياء: صرّح بضياء النهار، وأضمر ظلمة الليل.

وعندما قابل النهار بسكون الليل: صرح بسكون الليل، وأضمر الحركة وطلب الرزق في النهار.

وهذا من بديع نظم القرآن وجماله.

٣. أنهما خاضعان لأمر الله وتقديره.

لقد قرر القرآن الكريم أن الليل والنهار يخضعان لأمر الله عز وجل وتقديره، وذلك من خلال تأكيده على النقاط الآتية:

- **خَلْقُه لليل والنهار.**

وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

﴿ ... ٣٣﴾ [سورة الأنبياء: ٣٣].

وكونها مخلوقين كافٍ في الدلالة على خضوعهما لأمر الله وتقديره.

والتعبير في هذه الآية بـ(الخَلْق) دون (الجَعْل) يدلُّ على أن المِنَّة والعبرة في إيجاد الليل والنهار، والشمس والقمر، لا في إيجادها على حالة خاصة (١).

- **تسخيره الليل والنهار.**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣﴾ [سورة إبراهيم: ٣٣].

وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٢﴾ [سورة النحل: ١٢].

جاء ذكر تسخير الليل والنهار في معرض الحديث عن آلاء الله ونعمه، التي من جملتها تسخيره للسماء بما فيها من شمس وقمر، وليل ونهار، والأرض بما فيها نباتٍ وشجر، وفُلْكٍ وأنهار، كل ذلك تكريمًا لبني آدم.

السماوات ينزل منها الماء، والأرض تتلقاه، والثمرات تخرج من بينهما، والبحر تجري فيه الفلك بأمر الله مسخرة، والأنهار تجري بالحياة والأرزاق، والشمس والقمر مسخران دائبان لا يفتران، والليل والنهار يتعاقبان.

كل هذه المخلوقات مسخر للإنسان، المخلوقات العظيمة سخرها الله عز

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٧/ ٥٩).

وجل لمخلوق الصغير؟ ثم هو بعد ذلك يكفر ولا يشكر![1]. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤].

وتنوع المسخرات ينتج عنه تنوع النعم والمنافع الناتجة عن هذا التسخير، فهي نعم لا تعدّ ولا تحصى، لذلك قال في الآية التي تليها: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤].

وتنوع المسخرات يدلّ على عظيم سلطانه مسخرها، وشموله قدرته لكل شيء؛ حيث سخّر هذه الأشياء؛ مع شدتها، وصلابتها، وغلظها، وأهوالها. ومن قدر على تسخير ما ذكر يستحق أن يتصرف له العبادة وحده لا شريك له.

وختم هذه المسخرات بالليل والنهار؛ لعظيم أثرهما على تلك المسخرات، فلو اختل نظام الليل والنهار، لأثر سلبًا على المنافع الناجمة عن المسخرات الأخرى.

وتسخير الليل والنهار باختلافهما وتعاقبهما، فيذهب هذا، ويجيء ذاك، مما فيه منافعهم وصلاح أسباب معاشهم[2].

ويدخل في معنى التسخير ما علّمنا سبحانه من الأسباب والحيل التي من خلالها نسطيع الانتفاع بهذه المسخرات[3].

- **تقديره الليل والنهار.**

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢١٠٧).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٦/ ١٤).

(٣) انظر: تأويلات أهل السنة (٦/ ٣٩٧).

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة المزمل: ٢٠].

فمعنى ﴿يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي: أن الله عز وجل يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها، ويختص بذلك دون غيره، وأنتم لا تعلمون ذلك على الحقيقة [١].

فيعلم على وجه الدقة مقدار ثلث الليل، ونصفه، وثلثيه، وسائر أجزائه ومواقيته [٢].

وفي ذلك إشارة إلى اختلاف أزمنة أنصاف الليالي وأثلاثها، وأن هذا الاختلاف بتقدير الله عز وجل، فهو المتصرف في الكون [٣].

- **تقليبه الليل والنهار.**

قال الله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النور: ٤٤].

فيقلب الله عز وجل موضع الليل نهارًا، وموضع النهار ليلًا، فيذهب بهذا

---

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٥/ ٣٨٥).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ص ٣٦٤).

(٣) انظر: معارج التفكر، عبدالرحمن حبنكة الميداني (١/ ١٨٩).

ويأتي بذاك [1].

ومن تقليب الليل والنهار: ما يعتريهما من حَرٍّ وبرد، أو نور وظلمة [2].

ومما يدخل في ذلك أيضًا: تغيير هيئة الليل والنهار بالطول والقصر [3].

ولا يمتنع أن تكون كل هذه معاني مرادة؛ لأن السياق سياق إنعام واعتبار، والعموم فيه أولى وأقوى [4].

وفي تقلب الليل والنهار إشارة إلى تقلب أحوال الزمان، فقد يصير المؤمن كافرًا، والكافر مؤمنًا، ويصير المغلوب غالبًا، والغالب مغلوبًا، ويصير الكثير قليلًا، والقليل كثيرًا، فإن دوام الحال من المحال [5].

فأما الأمور المشتركة بينهما باعتبارهما ظرفي زمان، فهي:

١. علم الله عز وجل بحال عباده.

قال الله عز وجل: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الرعد: ١٠].

وردت هذه المقابلة في سياق الحديث عن سعة علم الله عز وجل الذي وسع كل شيء.

---

(١) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٨/ ٥١٣٤).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٢٩٨).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٨/ ٢٦٤).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٤/ ٤٠٦).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٧/ ٣١٥).

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الرعد: ٩- ١٠].

مشهدٌ عجيب تصوره هذه الآيات، يصوّر أبعادًا من علم الله عز وجل، الذي يشمل الحمل المكنون في بطن أمه، ويكشف السرّ المخبوء في الصدور، لا تحجب ظلمة الليل من يستخفي تحتها، فهو كمن يسير في وضح النهار.

فالغيب والشهادة سواء عنده سبحانه؛ يعلم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه، بل إن علم الغيب من خصائصه سبحانه، لا يشاركه فيه أحد (١).

وقد نصت الآية على أن الإسرار بالقول والجهر به سواءٌ عند الله عز وجل، فقال: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾، فيسوي في علمه سبحانه مُسِرّ القول، والجاهر به، لا يخفى عليه شيء من أقوالهم (٢).

وصدقت عائشة رضي الله عنها حين قالت: ((الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت خولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو زوجها، فكان يَخْفَى عليَّ كلامها، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ [سورة المجادلة: ١])) (٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩/ ٢٨٩).

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٦/ ٣٥٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤١٩٥)، مسند عائشة رضي الله عنها، والنسائي في المجتبى (٣٤٦٠)، كتاب الطلاق، باب الظهار، وابن ماجه في سننه (١٨٨)، باب فيما أنكرت الجهمية. وأصله في البخاري =

ويستوي عند الله عز وجل سواد الله وظلمته، وبياض النهار وضياؤه، فيعلم حال المختفّي في قعر بيته في ظلام الليل، ومن يمشي في الطريق في وضح النهار، فكلاهما في علم الله سواء [1]؛ لأنه لا يستسرّ عنده شيء ولا يخفى [2]، بل ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [سورة طه: ٧].

فسواء عنده سبحانه ما أضمرت به القلوب، أو نطقت به الألسن، وسواء عند سبحانه من أقدم على القبائح مستترًا بظلمات الليل، أو أتى بها ظاهرًا في النهار، فإن علمه تعالى محيط بالكل [3].

فالليل والنهار يستويان في علم الله عز وجل، ولا تختلف ظلمة الليل عن ضياء النهار في ذلك.

وهناك معنًى آخر يفيده ذكر الليل والنهار معًا، وهو أن علم الله عز وجل مستمرٌ لا ينقطع، لذلك ناسب أن يتبعه بعد ذلك بذكر الملائكة الحفظة الذي يتعاقبون بالليل والنهار، فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الرعد: ١١].

فالمعقبات: الملائكة الحفظة الذي يتعاقبون على بني آدم، يراقبون كل واحدٍ

=

مختصرًا ومعلقًا برقم (٧٣٨٥)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٣٥].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ٤٣٧).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٦/ ٣٦٦).

(٣) انظر: لباب التأويل، الخازن (٣/ ٧).

منهم في أحواله من إسرار وإعلان، وسكون وحركة (1)، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الإنفطار: ١٠-١٢].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **((يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل، وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ـ وهو أعلم بهم ـ: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون))** (2).

فعلم الله عز وجل بحال الإنسان مستمرٌ لا ينقطع، كما أن الملائكة الكرام الكتبة الحفظة مستمرون لا ينقطعون.

٢. العذاب.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة يونس: ٤٨-٥١].

كان المشركون يستعجلون النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب، استهزاء به، وتكذيبًا له، فأمر الله عز وجل نبيه أن يجيبهم أنه ليس له من الأمر شيء، وأن النفع

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٣/ ١٠١).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر (٥٥٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر (٦٣٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والضر بيدي الله عز وجل، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك أن يُنْزِل بالمشركين العذاب، ولا أن يرفع عن المؤمنين المعاناة، وأن أمر ذلك كله لله عز وجل [1].

ثم أمره سبحانه أن يوجه إليهم سؤالًا يتضمن تهديدًا ووعيدًا: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

فموعد نزول العذاب جزء من علم الغيب، الذي لا يعلمه إلا الله، وكل أوقات الزمان صالحةٌ لنزول العذاب؛ فقد يحلّ ليلًا وهم نائمون، وقد ينزل نهارًا وهم مستيقظون.

ولا تمنع ظلمة الليل عنهم العذاب، ولا ينفعهم ضياء النهار في تجنبه.

فعلامَ الاستعجال وهو عذاب لا خير فيه؟! [2].

وقابلت الآية النهار بالبيات، وهو في معنى الليل؛ لأن البيات كل ما كان بليل [3].

وسرّ مقابلة النهار بالبيات: أن البيات فيه إشعارٌ بالغفلة، وعدم توقع العذاب، وهذا قدرٌ زائدٌ قد لا يدل عليه لفظ (الليل)، بخلاف لفظ (النهار) فإنه يدلّ على الاشتغال بالمصالح والمعاش، ففي النهار غفلة بالمعاش، وبالليل غفلة

---

(١) انظر: تفسير المراغي (١١/ ١١٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٣/ ١٧٩٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٢٤).

بالنوم [1].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٢-٤٣].

لما كان الليل والنهار كلاهما زمنٌ محتمل لنزول العذاب، أمر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول لمستعجلي العذاب: من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نمتم، وبالنهار إذا انشغلتم بمعاشكم، من أمر الرحمن إن نزل بكم، ومن عذابه إن حلّ بكم [2].

وهذا الاستفهام إنكاري، يحمل معنى التهديد وإقامة الحجة؛ لأنهم لو أجابوا عن هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ يمنعهم من أمر الله [3].

وإنما ذكر الليل والنهار معًا؛ لأن لكل واحد من الوقتين آفات تختص به، فذكرهما معًا يفيد تعميم المصائب وتنوعها [4].

ثم أردفه بسؤال إنكاريٍّ آخر: أَلَهُم آلهةٌ تمنعهم من العذاب، فهم يعوّلون عليها ويثقون بحفظها؟

ثم بيّن لهم حقيقة الآلهة التي يعبدون، وأنها عاجزةٌ عن نصر نفسها، ولا

---

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (٦/ ٣١).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٨/ ٤٤٦).

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (٢/ ٢٣).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٢/ ١٤٧).

ينصرها الله، فكيف يتوهم أن تنصر غيرها؟! (1).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة يونس: ٢٤].

شَبَّه حال الدنيا في سرعة انقضائها وانخداع المغرور بها؛ كزرع نبت في الأرض من اختلاط ماء السماء بها، وسريانه في نباتها حتى إذا أخذت زخرفها ولمعت لمعان الذهب، وازينت بالغروس من كل لون، وفرحوا بها، وظنوا أنهم تمكنوا فيها؛ أتاها أمر الله فأزال زرعها بوباء أو بآفة، فصارت كأنها قد حصدت بمنجل، وأصبحت قفرًا خاليًا كأن لم يكن فيها زرع ولا نبات (2).

فهذه حال المغتر بالدنيا ولذاتها وشهواتها، الذي بلغ الغاية في الزهو والإعجاب بها، ثم زالت عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلئ القلب من همها وحزنها وحسرتها (3).

وفي ذكر الليل والنهار معًا تنبيهٌ على أن الخوف وارتفاع الأمن يمكن أن يكون في أي وقت، فالزمان بليله ونهاره صالحٌ أن يحل فيه سخط الرب، وينزل

---

(1) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٦/ ٦٩).

(2) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٧/ ٣٥٤٩).

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٣٦١).

عذابه [1].

فالليل والنهار ظرفا زمان، ينزل فيها عذاب الله، وأمره في أي ساعة من ليلٍ أو نهار، لا يمنع ظلام الليل من نزوله، ولا يؤخر ضياء النهار حلوله.

٣. العبادة.

أداء العبادة من الأمور المشتركة بين الليل والنهار، فهناك عبادات تؤدى في الليل والنهار؛ كالصلوات الخمس والصدقة وذكر الله، وهناك عبادات تختص بالليل؛ كقيام الليل، وأخرى تختص بالنهار؛ كالصيام.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧٤].

فقد نصت الآية على أن كلًّا من الليل والنهار محلٌ للإنفاق في سبيل الله عز وجل.

ولعل في تقديم الليل على النهار، والسر على العلانية، إشارةٌ بمزية الإخفاء على الإظهار [2]، والليل مظنة صدقة السر، فقدم الوقت الذي كانت الصدقة فيه أفضل، والحال التي كانت فيها أفضل [3].

وامتثالًا للآية فينبغي على العبد أن لا يخصص وقتًا ولا كيفية للإنفاق، بل

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ١١٤).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (١/ ٢٦٥).

(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٢/ ٧٠١).

يعم الزمان؛ فينفق ليلاً ونهارًا، وينوع الكيفية؛ فيجعل بعضها سرًّا، وبعضها وعلانية [(١)].

ومن فوائد ذكر الليل والنهار في الصدقة: بيان عموم الأزمان لها، فليس للصدقة وقت معلوم تقبل فيه، وآخر ترد وترفض، بل هي خير كلها، فالمقصود منها النفع العام، وهو متحقق فيها ليلًا ونهارًا، فالعبرة بالفعل ونيته ونتيجته لا بزمانه ولا بوقته [(٢)].

ومن العبادات التي تؤدى في الليل والنهار: الصلاة وذكر الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [سورة طه: ١٣٠].

والمراد بالتسبح هنا: الصلوات الخمس المكتوبة، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((كلّ تسبيح في القرآن فهو صلاة)) [(٣)].

فقوله تعالى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ يعني صلاة الصبح، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: صلاة العصر، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾ أي: صلاة العشاء، ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾: صلاة الظهر والمغرب [(٤)].

فالصلوات الخمس شملت الليل والنهار، فبعضها يصلى بالليل، وبعضها

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي (٢/ ١١٨١).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٢/ ١٠٣٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في جامعه (١٩/ ١٩١).

(٤) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٧/ ٤٧١٨).

يصلى بالنهار، ولا تؤخر صلاة النهار إلى الليل، ولا صلاة الليل إلى النهار [(١)].

وقال سبحانه: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ۝٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ [سورة ق: ٣٩-٤٠].

فقوله: ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ أي: صلاة الفجر، ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ أي: صلاتي الظهر والعصر.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ أي: صلاتي المغرب والعشاء [(٢)].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ۝٢٦﴾ [سورة الإنسان: ٢٥-٢٦].

فقوله: ﴿بُكۡرَةً﴾ أي: صلاة الصبح، ﴿وَأَصِيلًا﴾ أي: صلاتي الظهر والعصر.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ يعني: صلاتي المغرب والعشاة [(٣)].

ويلحظ أن المقابلة في هذه الآيات كانت بين الليل وأجزاء من النهار، والسبب في ذلك: أنها تشير إلى الصلوات الخمس، فاحتاجت إلى شيء من التفصيل في الأوقات. والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ابن قاسم (٢٢/ ٨٤).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (٢٠/ ٤١٦).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٩/ ١٥٠).

ﵟذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ﵞ [سورة هود: ١١٤].

المراد بـﵟطَرَفَيِ ٱلنَّهَارِﵞ غُدوّه وعَشِيّه، أي: صلاة الفجر، وصلاة الظهر، وصلاة العصر.

وقوله: ﵟوَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِﵞ يعني: صلاتي المغرب والعشاء(1).

فالليل والنهار كلاهما ظرف زمانٍ تقام في الصلاة، ولكن القرآن الكريم فرّق بين صلاة الليل والصلاة النهار من حيث حضور القلب والخشوع فيها، فقال جل وعلا: ﵟإِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ﵞ [سورة المزمل: ٦-٧].

فالصلاة في الليل بعد النوم أقرب إلى تحصيل مقصود القرآن، حيث يتواطأ على القرآن القلب واللسان، وتقل الشواغل، فيفهم ما يقول، وهذا بخلاف النهار، فإنه لا يحصل به هذا المقصود، فإن فيه ترددًا على الحوائج والمعاش، يوجب اشتغال القلب، وعدم تفرغه التفرغ التام(2).

فبينت هذه الآية الحكمة من الأمر بقيام الليل؛ لأن قيامه أشد وقعًا، وأرسخ قولًا؛ لأن النهار زمن فيه شغل عظيم، عبَّر عنه بالسبح الطويل(3).

والعبادة التي يصاحبها حضور القلب، تكون عبادةً راسخة، بعيدة عن

---

(1) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٨٢).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٨٩٣).

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٢٦٤).

عوارض النفس وشهواتها، ومشاغل الفكر، ودواعي الرياء والسمعة، وفيها مغالبة للنفس وشهواتها (١).

والليل بظلمته وسكونه يهيء جوًّا إيمانيًا، يجعل المصلي يقرأ بقلبه قبل لسانه، يتدبر كل ما يلفظ به، سريع التأثر بما يقرأ، أصدق في المناجاة والدعاء، وأكثر هدوءًا وطمأنينة.

فطوبى لمن خصص جزءًا من الليل، طال أم قصر، يفرغ قلبه من شواغل الدنيا، ويقبل على ربه، يقف بين يديه يناجيه، ويتلو كتابه بتمهلٍ وهدوء، فسوف يجد أثر هذه اللحظات في حياته، وبعد مماته.

وقد خصص الله عز وجل النهار ببعض العبادات، التي من أجلها وأعظم الصيام.

فقال عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١٨٧].

فأباح الله عز وجل في هذه الآية الكريمة الجماع والأكل والشرب في ليالي الصيام، من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، فإذا طلع الفجر وجب على الصائم

---

(١) انظر: معارج التدبر، عبدالرحمن حبنكة (١/ ١٦٥).

الإمساك عن هذه الأشياء [1].

والمقصود بالخيط الأبيض والخيط الأسود: بياض النهار وسواد الليل.

فعن عدي بن حاتم [2] رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله: ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ أهما الخيطان؟ قال: ((**إنك لعريض القفا، إن أبصرت الخيطين**)). ثم قال: ((**لا، بل هو سواد الليل، وبياض النهار**)) [3].

و في مقام الحديث عن الملائكة وصفاتهم قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الأنبياء: ١٩-٢٠].

وقال جل وعلا: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة فصلت: ٣٨].

---

(١) انظر: أحكام القرآن، الجصاص (١/ ٢٣٧).

(٢) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، ولد الجواد المشهور، أبو طريف، له صحبة، أسلم في سنة تسع وقيل سنة عشر، وكان نصرانيا قبل ذلك، توفي زمن المختار.
انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/ ١٦٢)، الإصابة، ابن حجر (٦/ ٤٠١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ (٤٥١٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر (١٠٩٠).

فالملائكة الكرام يسبحون ربهم ليلًا ونهارًا، لا ينقطعون عن التسبيح، ولا يملون، ولا يصبيهم الإعياء والتعب (١)، فتسبيحهم متصلٌ دائمٌ في جميع أوقاتهم، لا يتخلله فترة بفراغٍ، أو شغل آخر (٢).

فالتسبيح يجري منهم مجرى النَّفَس منَّا، فكما لا يشغلنا عن النَّفَس شيء، فكذلك هم لا يشغلهم عن التسبيح شيء (٣).

وليس عند الملائكة ليلٌ ولا نهار؛ وإنما المراد بذكر الليل والنهار هاهنا: هو الدوام على التسبيح، فذكر الليل والنهار هنا للدلالة على الاستمرار، فتسبيحهم مستمرٌ لا ينقطع (٤).

٤. الدعوة.

الدعوة إلى الله عز وجل، هي أحد القضايا التي تعرضت لها آيات المقابلة بين الليل والنهار.

قال الله عز وجل مخبرًا عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ [سورة نوح: ٥-٦].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٨/ ٤٢٣).

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ١٠٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٣٨٨).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٣٧٣).

فنوح عليه السلام يشكي إلى ربه حاله مع قومه، وأنه كان مجتهدًا في دعوتهم، من غير فتور، مستثمرًا جميع الأوقات (١).

فقد بذل عليه السلام وقته للدعوة، فكانت شغله الشاغل، يُنَوِّعُ في الأوقات والأساليب، ويستثمر أي وقت يتوسم أنهم فيه أقرب إلى فهم دعوته، سواءً كان في الليل أو النهار، لكنهم قابلوا ذلك بالإعراض والفرار (٢).

فذكر الليل والنهار للدلالة على استمرار دعوته، وتنوع أوقاتها (٣).

وهكذا ينبغي أن يكون حال الداعية؛ يتحين الفرص، ويستثمر الأوقات، وينوع الأساليب، رجاء قبول دعوته، وانتفاع المدعو بها، محتسبًا ذلك كله عند الله عز وجل.

٥. المكر.

المكر من القضايا التي استعمل فيها القرآن الكريم الليل والنهار على سبيل الظرفية.

قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣﴾ [سورة سبأ: ٣٣].

فالليل والنهار لا يمكران بأحد، ولكن يمكر فيهما (١).

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ٦١٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ١٩٤).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٥/ ٣٧٣).

فكما أن الدعاة لا يألون جهدًا في الدعوة إلى الله، واستثمار الأوقات كلها، فكذلك أهل الباطل، يجتهدون في دعوة الناس إلى الشرك واتخاذ الأنداد، ويستغلون جميع الفرض والأوقات، فمكرهم مستمرٌ ليل نهار.

فإضافة المكر إلى الليل والنهار للدلالة على كثرة المكر، ودوامه بالليل والنهار[2].

٦. السفر.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [سورة الصافات: ١٣٧-١٣٨].

فبعد أن قصَّ الله عز وجل قصة لوط عليه السلام مع قومه وهلاكهم، قال لأهل مكة: إنكم لتمرون في أسفاركم إلى الشام على آثارهم وديارهم وموضع هلاكهم في النهار وفي الليل، أفلا تتعظون، وتخافون أن يصيبكم مثل ما أصابهم، ولا تعقلون ما يراد بكم[3].

وإنما ذكر الليل والنهار معًا؛ لأن السفر إما أن يكون في الليل أو النهار[4].

وإنما خصَّ الصباح من أوقات النهار؛ لأنه الوقت الذي أنزل الله عز وجل

=

(١) انظر: معاني القرآن، الأخفش (٢/ ٤٤٥).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (٢/ ١٦٧).

(٣) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٩/ ٦١٥٩).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٦/ ٣٥٥).

بهم العذاب، فنصَّ عليه تذكيرًا بعذابهم [1].

٧. السكون والحركة.

قال الله عز وجل: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة القصص: ٧٣].

جوَّز بعض المفسرين أن يكون الضمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾ عائدًا إلى الزمان ليلًا ونهارًا، وأن السكون وابتغاء فضل الله عز وجل يكون في الليل والنهار [2].

وجعل بعض العلماء تخصيص الليل بالسكون، والنهار بابتغاء فضل الله هو من باب الأخذ بالأغلب، وإلَّا فهناك من يسكن بالنهار، ويبتغي فضل الله بالليل [3].

وهذا الأمر ـ وإن كان واقعًا خصوصًا في هذا العصر ـ إلا أن الأليق بظلمة الليل السكون والراحة، والأليق بضياء النهار الحركة وابتغاء فضل الله عز وجل، فلهذا خَصَّ الله كل واحدٍ بما هو الأنسب له [4].

وأما قوله جل وعلا: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٣].

فحمل بعض المفسرين السكون هنا بمعنى الحلول والاستقرار، وكل

---

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي (١٦/ ٢٩٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٤/ ١٥٣).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٢٩٧).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٥/ ١٣).

المخلوقات استقرت في الليل والنهار، فمعنى الآية: وله ملك كل شيء[1].

فكل ما على الأرض يمر عليه الليل والنهار، ويحل به[2].

وحمله بعضهم على أن السكون هنا ضد الحركة، وأن ملك الله عز وجل شاملٌ لما يسكن في الليل وينتشر في النهار، وما يسكن في النهار، وينتشر الليل[3].

والمعنى الأول أولى؛ لأمرين[4]:

الأول: أنه أعمّ وأشمل، ويدخل فيه جميع المخلوقات، وهو الأنسب في إثبات الملك لله عز وجل.

الثاني: أن المخلوقات المتحركة أكثر من السواكن، وذكر الليل والنهار قصد به التعميم؛ فإن الليل والنهار حاصران للزمان، وهذا التعميم لا يناسبه التخصيص بغير المتحرك.

والآية الكريمة تدلُّ على ملك الله تعالى لكل ما في السماوات والأرض عامة، بلا استثناء، ويعلم ما في كل الأماكن، وفي عموم الأزمان، بلا استثناء ليل ولا نهار[5].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١١/ ٢٨١)، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (٨/ ٣٩).

(٣) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ٤٣٧).

(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٢٧٢).

(٥) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٥/ ٢٤٥٢).

وأثمرت المقابلة بين الليل والنهار عن وجوه الاشتراك الآتية:

- يشترك الليل والنهار في بعض الأمور؛ إما باعتبارهما مخلوقات لله عز وجل، أو باعتبارهما ظرفي زمان.
- من القواسم المشتركة بين الليل والنهار باعتبارهما مخلوقات لله عز وجل:
  - أنهما من آيات الله الباهرة.
  - أنهما نعمتان عظيمتان.
  - أنهما خاضعان لأمر الله وتقديره.
- ومما يشتركان فيه باعتبارهما ظرفي زمان:
  - شمول علم الله عز وجل لكل الزمان، ليلًا ونهارًا.
  - احتمال نزول العذاب في كل منهما.
  - كل منهما وقتٌ للعبادة، وهناك عبادات مشتركة بينهما، وينفرد كل واحد منهما بعبادات تخصه.
  - كل منهما زمنٌ للدعوة إلى الله، وعلى الداعية اغتنام الوقت المناسب، ليلًا كان أو نهارًا.
  - كلاهما زمنٌ يجتهد فيه أهل الباطل للدعوة إلى باطلهم، والمكر بالمؤمنين.
  - كلاهما زمنٌ للسفر، وأخذ العبرة والاتعاظ.
- إذا ذكر الليل والنهار معًا باعتبارهما ظرفي زمان، يفيد سعة الوقت

للعمل، فكلٌّ منها صالح للقيام بالعمل في زمنه، وقد يدلُّ على الاستمرارية، وأن العمل دائمٌ لا ينقطع.

❁ ❁ ❁

المطلب الثالث
علاقات أخرى بين الليل والنهار

تحدثت آيات المقابلة بين الليل والنهار عن علاقات أخرى غير الاختلاف والاتفاق، ورسمت بعض معالمها.

ومن تلك العلاقات:

أولًا: التعاقب.

العلاقة بين الليل والنهار علاقة تعاقب، فهما يتعاقبان، فإذا جاء هذا ذهب ذاك، وإذا جاء ذاك، ذهب هذا، وهكذا دواليك.

قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الفرقان: ٦٢].

فكل واحدٍ منهما يَخْلُف صاحبه، فإذا ذهب هذا جاء ذاك، وإذا جاء ذاك ذهب هذا [١].

وقد فسّر بعض المفسرين اختلاف الليل والنهار بمعنى التعاقب [٢]، في نحو

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٩/ ٢٩١).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٣/ ٢٧٢)، تفسير السمعاني (١/ ١٦٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠].

وحقيقة هذا التعاقب: هي إدبار وإقبال؛ فيُدبر هذا، ويُقبل ذاك.

قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة المدثر: ٣٣-٣٤].

ولحظة إدبار الليل وإسفار الصبح لحظة واحدة، ولكن القرآن قسمها بين الليل والصبح لاشتراكهما فيها، فلحظة الانفكاك بينهما لحظة متدرجة تمتد زمنًا.

واستعمل في الليل (إِذْ) الدالة على الماضي؛ لأنه ولى وذهب وأصبح جزءً من الماضي، واستعمل في الصبح (إذا) الدالة على المستقبل؛ لأنه مولودٌ جديدٌ يخطو خطواته الأولى نحو المستقبل (١).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة التكوير: ١٧-١٨].

فأقسم بالليل مدبرًا، وبالنهار مقبلًا (٢)، فالظلام يعقبه ضياء، والضياء يعقبه ظلام، وهو من مظاهر القدرة الإلهية (٣).

قال الله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النور: ٤٤].

فيقلب الله عز وجل موضع الليل نهارًا، وموضع النهار ليلًا، فيذهب بهذا

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (١٥/ ١٣٠٠).
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٤/ ٢٥٧).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ١٥٤).

ويأتي بذاك [1].

وهذا التعاقب بين الليل والنهار والتقليب لهما، فيه عبرة وعظمة لذوي البصائر، الذين يبصرون بقلوبهم وعقولهم قبل عيونهم، فالبصير ينظر إلى هذه المخلوقات نظر اعتبار وتفكر وتدبر لما أريد بها ومنها، والمعرض الجاهل نظره إليها نظر غفلة، بمنزلة نظر البهائم [2].

ثانيًا: المسابقة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

فالطلب الحثيث يشير إلى منافسة وسباق بين الليل والنهار [3]؛ كل واحد منهما يطلب اللحاق بصاحبه [4].

ولكن هذا السباق واللحاق محكومٌ بتدبير محكمٍ لطيفٍ، من اللطيف الخبير، بحيث لا يسبق أحدهما الآخر.

قال الله جلَّ وعلا: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة يس: ٤٠].

---

(١) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٨/ ٥١٣٤).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٥٧١).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٣/ ١٢٩٧).

(٤) انظر: النكت والعيون، الماوردي (٢/ ٢٣٠).

أي: لا يفوت الليلُ النهارَ، فيذهب قبل مجيئه [1]، فهما ضدّان يتعاقبان مع اتصالٍ بينهما دون انقطاع، ولا يخلو زمانٌ دون ليلٍ أو نهار حتى تقوم الساعة.

واختلال هذا التدبير الدقيق بأن تصير الأوقات كلها نهارًا، أو تصير كلها ليلًا، مؤذن بقيام الساعة ونهاية الدنيا، فليس في الآخرة ليل يدخل على النهار، ولا شمس ولا قمر، وذلك تدبير آخر، تبارك الله أحسن الخالقين [2].

وقد ذكرت الآية الكريمة أن هذه المسابقة تَتِمُّ في مسارٍ دائري؛ لأن الفَلَك في كلام العرب هو كل شيء دائر [3].

وقد جعل بعض المفسرين [4] الضمير في قوله تعالى: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ عائدًا إلى الشمس والقمر، فالسباحة للشمس والقمر خاصة دون الليل والنهار.

وجعله بعض المفسرين [5] عائدًا إلى جميع المذكور في الآية: الليل والنهار والشمس والقمر.

ويؤيد هذا القول: أن الله عز وجل قدّم الليل والنهار تارةً، وقدّم الشمس والقمر تارة، وقال في الجميع ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، فيدلّ ذلك أن حكم السباحة

---

(١) انظر: غريب القرآن، ابن قتيبة (ص ٣١٤).

(٢) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٩/ ٦٠٣٧).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (١٨/ ٤٣٨).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري (١٨/ ٤٣٨)، تفسير السمرقندي (٣/ ١٢٤)، الكشاف، الزمخشري (٣/ ١١٥).

(٥) انظر: معاني القرآن، الفراء (٢/ ٢٠١)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١١/ ٢٨٦)، التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (٩/ ٨٧٠)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٧/ ٦٠).

شاملٌ لجميع المذكورات. والله أعلم.

ومعنى ﴿يَسْبَحُونَ﴾ أي: يجرون بسرعة كالسابح في الماء [١].

فظلمة الليل وضياء النهار يغطي كل منهما نصف الكرة الأرضية، على شكل نصف دائرة، ثم هما (الظلمة والضياء) يَسْبَحَان ويدوران مع دوران الأرض، فحركتهما دائرة، في سباقٍ يشبه سباق السبَّاحين، يحاول أحدهما أن يدرك الآخر، ولكن هيهات هيهات.

ثالثًا: الغشيان.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الرعد: ٣].

فأخبر الله عز وجل أن ظلمة الليل تغطي ضوء النهار، فَتُذْهِبه [٢].

فشبّه ظلمة الليل بالغطاء، وهذا الغطاء يحيط بنور النهار، فيُخْفِيه.

والعكس صحيح؛ فالنهار أيضًا يغشى ظلمة الليل بنوره، فيُذْهِبها [٣]، وهذا

(١) انظر: البسيط، الواحدي (١٥/ ٦٧).

(٢) انظر: النكت والعيون، الماوردي (٢/ ٢٣٠).

(٣) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ٥٢١).

وإن لم يكن مذكورًا في الآيتين، إلا أن سياق الكلام يدلّ عليه (١).

وعملية الغشيان هذه عملية مستمرة، لذا قال سبحانه: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي: سريعًا في طلبه أبدًا ما دامت الدنيا باقية (٢).

رابعًا: التكوير.

قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾ [سورة الزمر: ٥].

ومعنى التكوير: يغشي هذا على هذا، وهذا على هذا (٣)، كأنما لُفَّ عليه كما يُلَفُّ اللباس على اللابس (٤).

وقيل: معناه: يعيد من هذا على هذا، كَكَوْر العمامة؛ يلتوي بعضها على بعض، فالذي يطول من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزء فيستره، والذي يقصر منهما يلج في الذي يطول فيستتر فيه (٥).

وفسّر بعضهم التكوير: بأن ينقص من الليل فيزيد في النهار، وينقص من النهار فيزيد في الليل (٦).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٢/ ٣٤٢).

(٢) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ٥٢١).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٢١/ ٢٥٣).

(٤) انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ١١٢).

(٥) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٥١٩).

(٦) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٨/ ٢٢٢).

وجعل بعض أهل اللغة التكوير مأخوذٌ من الدَوْر، فتكوير الشيء إدارته [١]، أي: يُدِير هذا على ذاك، ويُدير ذاك على هذا [٢].

فحركة الليل والنهار حركة دائرية، وفي هذا إشارة إلى كروية الأرض [٣].

وقد حكى ابن تيمية [٤] الإجماع على أن الأفلاك مستديرة [٥].

ولما كانت الأرض كروية تدور حول نفسها في مواجهة الشمس، فالجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهارًا، وكلما تحركت الأرض بدأ الليل يغمر السطح الذي كان عليه النهار. وهذا السطح مكور، فالنهار كان عليه مكورًا، والليل يتبعه مكورًا كذلك. ثم يعود النهار من الناحية الأخرى يتكور على الليل، وهكذا في حركة دائبة مستمرة [٦].

خامسًا: السلخ والفلق.

قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ [سورة يس: ٣٧].

---

(١) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٧٢٩).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ١٤٦).

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (٢٣/ ٢٤٧).

(٤) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية الحراني، شيخ الإسلام، أبو العباس، إمام مجدد، وعالم بحر، توفي سنة (٧٢٨هـ).
انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي (٤/ ١٩٢)، شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي (٨/ ١٤٢).

(٥) انظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية (ص ٢٦١)، بيان تلبيس الجهمية، له (٤/ ٥).

(٦) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٣٠٣٨).

فشبّه إزالة ضوء النهار وكشفه عن مكان الليل بإزالة جلد الشاة عنها [١].

فسلخ النهار: إخراجه من الليل بحيث لا يبقى شيء من ضوء النهار، وتحل الظلمة مكانه [٢].

وذهاب نور النهار وإقبال ظلمة الليل يكون بشكل متدرج، شيئًا فشيئًا ، كما أن جلد الشاة يسلخ عنها شيئًا فشيئًا.

والانسلاخ عكس الإيلاج، فالانسلاخ يفيد الخروج والانفصال، والإيلاج يشير إلى التداخل.

ولما كان الليل والنهار يغطي كلٌ منها الآخر، جاز تمثيل النهار بجلد الشاة الذي يغطي ما تحته، فالنهار يغطي الليل، وإزلة ضوء النهار ـ المشبه بسلخ الجلد عن جسد الشاة ـ يُظهر ما تحته من الظلمة [٣].

وفي المقابل قال سبحانه وتعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦﴾ [سورة الأنعام: ٩٦].

فالله عز وجل يفلق ظلمة الليل بضياء الصبح الذي يفلقه شيئًا فشيئًا، حتى تذهب ظلمة الليل كلها، ويخلفها الضياء والنور العام، كما يفلق الحب والنوى ليخرج منه النبات شيئًا فشيئًا [٤].

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ١٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٤/ ٢٨٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٣/ ١٨).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٢٦٦).

فالسلخ سحب لنور النهار لتحل محله ظلمة الليل، والفلق إخراج لنور النهار من خلال ظلمة الليل، وكلهما بتدرج لطيفٍ بديع.

سادسًا: الإيلاج.

وقد جاء ذكر الإيلاج في خمسة مواضع من القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ٢٧].

وقال عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [سورة الحج: ٦١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة لقمان: ٢٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة فاطر: ١٣].

وقال جل وعلا: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الحديد: ٦].

والولوج في اللغة: الدخول، والإيلاج: الإدخال[1].

ومعناه هنا: تُدخل ما نقص من ساعات الليل في ساعات النهار، فتزيد

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٦/ ١٤٢)، الوسيط، الواحدي (٥/ ١٦١).

ساعات النهار، وتنقص ساعات الليل، وتدخل ما نقص من ساعات النهار في ساعات الليل، فتزيد ساعات الليل، وتنقص ساعات النهار (١).

فالزيادة في أحدها نقصٌ في الثاني، والناقص يدخل في الزائد.

فاستعير الإيلاج للدلالة على زيادة الزمان بحسب المطالع والمغارب (٢).

وجعل بعضهم معناها: أن يغطي أحدهما الآخر، فالمُغَطَّى مستترٌ تحت المُغَطِّي، فإذا طلع النهار استتر الليل تحته، وإذا أقبل الليل استتر النهار تحته (٣).

وعلى هذا يكون الإيلاج بمعنى الغشيان، والمُولَج هو المختفي، وهذا الاختفاء يحصل شيئًا فشيئًا، فأشبه إيلاج شيءٍ في شيء تدريجًا، فإن تقلص ظلمة الليل يحصل تدريجًا، وكذلك تقلص ضوء النهار يحصل تدريجًا (٤).

وحمله آخرون على معنى التعاقب (٥)، ووجه ذلك أن هذا التعاقب لا يحصل دفعة واحدة، وإنما يحصل شيئًا فشيئًا، فدخول النور على الظلمة شيئًا فشيئًا، ودخول الظلمة على النور شيئًا فشيئًا (٦).

وعلى كلٍّ فهو آية من آيات الله الدالة على عظيم قدرته، فهو يتصرف في

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٦/ ٣٠٢).

(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي (٢/ ١١٢).

(٣) انظر: الوسيط، الواحدي (٥/ ١٦١).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٧/ ٣١٥).

(٥) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق د. عادل الشدي (١/ ٤٩٩)، الكشاف، الزمخشري (١/ ٣٥٠).

(٦) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٣/ ١١٧١).

المتضادات كيف يشاء سبحانه.

وأثمرت المقابلة بين الليل والنهار في هذا السياق الفوائد الآتية:

- الليل والنهار ضدان يتعاقبان ولا يجتمعان.
- يتسابقان ويتبع أحدهما الآخر بانتظام مستمر إلى أجل كتبه الله عز وجل.
- إذا جاء أحدهما غطَّى على الآخر، كما يغطي الثوبُ الثوبَ، واستولى على مكانه.
- خروج أحدهما من الآخر خروج سلس؛ كخروج الجلد المسلوخ عن الشاة المسلوخة.
- قد يتداخلان، فيأخذ أحدهما من زمن الآخر، فإذا طال اليل قصر النهار، وإذا طال النهار قصر الليل.

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع
المقابلة بين العمى والبصر

العمى والبصر من الأضداد التي قابل القرآن الكريم بينها.

وقبل الحديث عن المقابلة بينهما، نبدأ بتعريف كلٍّ منهما.

فأما العمى:

فأصل مادة (ع م ي) تدل على ستر وتغطية (١).

والعَمَى: ذهاب البصر من العينين كلتيهما، يقال: عَمِيَ يَعْمَى عَمىً (٢).

والعَمَى أيضًا: ذهاب نظر القلب (٣). يقال: رَجُلٌ عَمٍ، ورجالُ عُمْيٌ، وقَومٌ عَمُون (٤).

ويقولون في هذا المعنى: ما أعماه، ولا يقولون في عمى البصر ما أعماه؛ لأن ذلك نعت ظاهر يدركه البصر (٥).

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ١٣٣).

(٢) انظر: العين، الفراهيدي (٢/ ٢٦٦).

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٢/ ٢٦٤).

(٤) انظر: العين، الفراهيدي (٢/ ٢٦٦).

(٥) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ١٥٥).

وعَمِي عليه الأمر، إذا التبس [(١)].

والتَّعمِيَة: أن تُعَمِّي على إنسانٍ شيئًا، فتُلبسه عليه لَبْسًا [(٢)].

والمَعَامي: الأرضُ المجهُولة [(٣)].

فالعَمَى يطلق على افتقاد البصر والبصيرة [(٤)].

وكل عَمًى مذموم في القرآن الكريم، فهو عمى القلب [(٥)].

وأما البصر:

فأصل مادة (ب ص ر) تدل على وضوح الشيء [(٦)].

والبَصَر: العين [(٧)]. وأبصرت الشيء: رأيته [(٨)].

والبَصَرُ أيضًا: العِلْمُ، والبَصِير: العالم [(٩)]. وبَصَرُ القَلْب: نَظَرُهُ وخَاطِرُه [(١٠)].

والبَصِيرَةُ: اسمٌ لمِا اعتُقِدَ في القلب من الدِّين وحَقيق الأمر [(١١)].

---

(١) انظر: الصحاح، الجوهري (٦/ ٢٤٣٩).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ١٣٤).

(٣) انظر: العين، الفراهيدي (٢/ ٢٦٧).

(٤) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٥٨٨).

(٥) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ١٥٥)، المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٥٨٨).

(٦) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ٢٥٣).

(٧) انظر: العين، الفراهيدي (٧/ ١١٧).

(٨) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٥٩١).

(٩) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٥٩١).

(١٠) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٨/ ٣١٦).

(١١) انظر: العين، الفراهيدي (٧/ ١١٧).

يقال: بَصُرُت، أَي: علمتُ، من البَصيرة. وأبصَرتُ بالعَيْن (١).

وجمع البصر أَبْصَار، وجمع البصيرة بَصَائِر، ولا يقال للجارحة بصيرة (٢).

والبصير: خلاف الضرير (٣)، وقد يقال للضرير على سبيل العكس (٤).

وأطلق البصر في القرآن الكريم على بصر العين، وبصر القلب (٥).

وقد بلغ عدد المقابلات بين العمى والبصر نحو عشر مقابلات.

وجاءت المقابلة بينهما في صورتين:

الأولى: المقابلة بين العمى والبصر بألفاظهما المختلفة، وهو الأغلب.

نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة فاطر: ١٩].

وقوله سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٠٤].

فقوله: ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ يقابله ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾.

وقوله: ﴿أَبْصَرَ﴾ يقابله ﴿عَمِيَ﴾.

الثانية: مقابلة حاسة البصر التي هي العين بنفي البصر.

ففي هذه الصورة يذكر في الآية أو الآيات آلة البصر التي هي العين يقابله

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٢/ ١٢٣).

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ١٢٧).

(٣) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٥٩١).

(٤) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ١٢٧).

(٥) انظر: الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري (ص ١٢٤).

نفي البصر.

نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩].

فقوله: ﴿أَعْيُنٌ﴾ يقابله ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾.

ولو تأمّلنا الآيات التي ورد فيها المقابلة بين العمى والبصر، لوجدناها إما تبين وجه الاختلاف بينهما، أو تشير إلى محل اتفاقٍ بينهما، أو توضح علاقة أخرى بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف العمى والبصر.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه العمى والبصر.

المطلب الثالث: علاقات أخرى بين العمى والبصر.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف العمى والبصر

لقد أكّدت آيات المقابلة بين العمى والبصر الفرق بينهما، وأنها لا يستويان.

قال الله عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الأنعام: ٥٠].

وقال جل وعلا: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة هود: ٢٤].

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الرعد: ١٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة فاطر: ١٩].

وقال تعالى وتقدس: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة غافر: ٥٨].

هذه الصورة الواضحة في الموازنة بين الأعمى والبصير، قصد بها ضرب

المثل للمؤمن والكافر، فإن عدم المساواة بين الأعمى والبصير ظاهر لا يخفى على أحد، فلا يساوي عاقلٌ بين الأعمى الذي لا يرى شيئًا، والبصير الذي يرى الأشياء، فكذلك الحال بين المؤمن والكافر. فالمؤمن يبصر رشده، والكافر أعمى عن الحق (1).

قال قتادة: «هذا مَثَلٌ ضربه الله للكافر والمؤمن، يقول: كما لا يستوي هذا، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن» (2).

فهذه الآية من باب تمثيل المعنويات بالحسيات؛ فشبّه الكافر بالأعمى، وشبّه المؤمن بالبصير؛ للتنبيه على قبح الكفر، وحسن الإيمان (3).

ووجه تشبيه الكافر بالأعمى والمؤمن بالبصير: أن الكافر قد عَمِي عن حجج الله، فلا يتبيَّنها فيتبعها. والمؤمن قد أبصرَ آيات الله وحججه، فاقتدى بها واستضاء بضيائها (4).

فالعمى عمى القلب، والبصر بصر القلب (5)، فالكافر أعمى عن الهدى، والمؤمن بصيرٌ بالهدى (6).

والإيمان نور؛ نورٌ في القلب، ونورٌ في الجوارح، ونورٌ في الحواس. نورٌ

---

(1) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٤/ ٢٦٧).

(2) انظر: تفسير عبدالرزاق الصنعاني (٣/ ٦٩).

(3) انظر: تفسير ابن عرفة (٣/ ٣٣٣).

(4) انظر: جامع البيان، الطبري (١١/ ٣٧٢).

(5) انظر: النكت والعيون، الماوردي (٤/ ٤٦٩).

(6) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٥٥٦).

يكشف حقائق الأشياء والقيم والأحداث، وما بينها من ارتباطات ونسب وأبعاد. فالمؤمن ينظر بهذا النور، فيرى تلك الحقائق رؤية صادقة، تعينه على السير في الطريق على نور وعلى ثقة وفي اطمئنان.

والكفر عمًى؛ عمًى في القلب، وعمًى عن رؤية دلائل الحق، وعمًى عن رؤية حقيقة الوجود، وحقيقة القِيَم والأشخاص والأحداث والأشياء.

والكافر يعيش في ظلمات، تجعله لا يرى الأشياء على حقيقتها، ولا يفهمها فهمًا صحيحًا[1].

والبصر لا يفيد إلا في ضوء، فضوء الإيمان يعين على رؤية الأشياء بوضوح كما هي، والكفر ظلمات والكافر أعمى، فأنى لمثله أن يرى، وقد اجتمع عليه مانعٌ فوق مانع[2].

ونفي المساواة بين المؤمن والكافر من وجوه:

أولًا: الفضل والمكانة؛ فمكانة المؤمن عند الله أعظم وأجل من الكافر المشرك.

ثانيًا: العلم؛ فالكافر لا يتأمل حجج الله بعينيه، فيتدبرها ويعتبر بها، فيعلم وحدانيته وقُدرته على خلق ما شاء، ويؤمن به ويصدّق. والمؤمن يرى بعينيه حجج الله، فيتفكَّر فيها ويتعظ، ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه، وعظيم

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٥/ ٢٩٣٩).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٦/ ٢٣٢).

سلطانه وقُدرته على خلق ما يشاء [1].

وقد فسّر بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ بالعالم والجاهل [2].

ثالثًا: العمل؛ فالمؤمن يحسن العمل، فينتفع به في الدنيا والآخرة، والكافر يسيء العمل، ولا ينتفع به في الدنيا ولا الآخرة.

وقد حمل بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ على المحسن والمسيء [3].

رابعًا: الثواب والعاقبة؛ فعاقبة المؤمن الجنة ونعيمها، وعاقبة الكافر النار وجحيمها [4].

فالأضداد لا تتساوى في حكم الله، وفي فِطَر عباده، فكما لا تتساوى الأضداد الحسية، فكذلك لا تتساوى المتضادات المعنوية، بل هي أولى.

فلا يستوي المؤمن والكافر، ولا المهتدي والضال، ولا العالم والجاهل، ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولا أحياء القلوب وأمواتها، فبينهم من التفاوت والفرق ما لا يعلمه إلا الله تعالى [5].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢١/ ٤٠٥).

(٢) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٨/ ١٠٤)، معالم التنزيل، البغوي (٦/ ٤١٨).

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ١٧٤).

(٤) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٣/ ٢١١).

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٦٨٨).

وأثمرت المقابلة بين العمى والبصر عن الفوائد الآتية:

- الفرق بين الكافر والمؤمن، كالفرق بين الأعمى والبصير.
- الكافر عَمِي قلبه عن رؤية الآيات والبينات، وعن فهمها واتباعها، والمؤمن يرى بنور بصيرته آيات الله ودلائله، ويهتدي بها.
- الإيمان له نورٌ يساعد المؤمن على رؤية الأشياء على حقيقتها، والكافر تمنعه ظلمات الكفر عن رؤية الحق وفهمه.
- لا يستوي المؤمن والكافر في الفضل، ولا في العلم، ولا في العمل، ولا في العاقبة.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
ما يشترك فيه العمى والبصر

العمى والبصر كغيرهما من الأضداد لها جوانب تشترك فيها، ومن تلك الجوانب:

أولًا: عاقبة العمى والإبصار تعود على صاحبها.

قال الله عز وجل: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٠٤].

المراد بالعمى والبصر في هذه الآية عمى القلب وبصره.

والبصيرة: نور القلب الذي به يستبصر، كما أن البصر نور العين الذي به تبصر[(١)].

فالبصيرة تنير القلب حتى يرى الحق حقًّا، والباطل باطلًا، والنافع نافعًا، والضار ضارًّا، والحَسَنَ حَسَنًا، والقبيح قبيحًا[(٢)].

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ٥٥).

(٢) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الشنقيطي (٢/ ٦١).

والمراد بالبصائر هنا: القرآن الكريم الذي فيه البيان [1].

فمن عرف دلائل القرآن وآمن بها، وعمل بها، فلنفسه عمل، ونفعه له، ومن عمي عنها ولم يعرفها، ولم يؤمن بها، فبنفسه ضر، ووبال العمى عليه [2].

فمنفعة الإبصار، ومضرة العمى تعود على صاحبها؛ لأن الله عز وجل غني عن خلقه [3].

والمراد بهذه الآية تمثيل المهتدي بالمبصر، والضال بالأعمى [4].

ويحتمل أنها تمثيل للعالم بالمبصر، والجاهل بالأعمى [5].

والأظهر أن التمثيل شاملٌ للكل؛ المؤمن والكافر، والضال والمهتدي، والعالم والجاهل.

فمن علم دلائل القرآن، فهو عالم، وإذا آمن بها فهو مهتدي، ويعمل بها المؤمن.

ومن جهل دلائل القرآن، فهو جاهل، وإذا كفر بها فهو ضال، ولم يعمل بها؛ لأنه كافر.

فعاقبة إبصار القلب هدى وإيمان، ينتفع بها صاحبها، وعاقبة عمى القلب

---

(١) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ٤٧٣).

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي (٣/ ١٧٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٢/ ٢٧٩).

(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٣٣١).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٣/ ١٠٥).

ضلال وكفر، يشقى بها صاحبها، كما أن مبصر العين ينتفع ببصره، فيعرف طريقه، ويتجنب غوائله، وأعمى العين يتضرر بعماه، ويوقعه في المخاطر.

ثانيًا: الجزاء من جنس العمل، فمن أبصر الهدى في الدنيا أبصر في الآخرة، ومن عمي عن الهدى في الدنيا عمي في الآخرة.

قال الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [سورة طه: ١٢٤-١٢٦].

تفيد الآيات الكريمات أن من أعرض عن القرآن ولم يؤمن به، فإنه يحشر يوم القيامة أعمى، جزاء وفاقًا.

وقد اختلف المفسرون في المراد بالعمى في هذه الآية، والأقرب للسياق أن المراد به عمى البصر (١).

وحمله بعض المفسرين على عمى القلب وعمى البصر معًا، فهو يحشر يوم القيامة أعمى عن حجته وعن رؤية الأشياء، بعد أن كان في الدنيا ذا بصر بالحجة والأشياء (٢).

وقد ذكر هذا المعنى في أكثر من موضع.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا

---

(١) انظر: البسيط، الواحدي (١٤/ ٥٥٣)، تأويلات أهل السنة، الماتريدي (٧/ ٣١٨).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٨/ ٣٩٦)، المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٥٨٩).

﴿٧٢﴾ [سورة الإسراء: ٧٢].

حمل بعض المفسرين العمى في الآية في الموضعين على عمى القلب (١)، وبناء عليه يكون المعنى: من كان في دنياه أعمى عن النظر في آيات الله، فهو في يوم القيامة أشد حيرة وعمًى (٢).

وقيل: هو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يشاهدها أعمى، وأضل طريقًا منه في أمر الدنيا التي عاينها ورآها (٣).

وقيل: هو في الآخرة أعمى البصر (٤)، كما قال سبحانه: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة الإسراء: ٩٧].

فهم يحشرون يوم القيامة ﴿عُمْيًا﴾ لا يبصرون ﴿وَبُكْمًا﴾ لا ينطقون، ﴿وَصُمًّا﴾ لا يسمعون. وهذا يكون جزاء لهم، كما كانوا في الدنيا بُكمًا وعُميًا وصُمًّا عن الحق، فجوزوا في محشرهم بجنس حالهم في الدنيا (٥)، فهم عطّلوا حواسهم في الدنيا، ولم ينتفعوا بها، فأذهبها الله عنهم في الآخرة وهم في أحوج ما يكون

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٢٥٣)، البسيط، الواحدي (١٣/ ٤١٦).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ٤٧٤).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (١٧/ ٥٠٥).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠/ ٢٩٨)، التسهيل في علوم التنزيل، ابن جزي (١/ ٤٥١).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥/ ١٢٣).

إليها[1].

فمن كان أعمى عن الحق في الدنيا، يكون في الحشر محرومًا من النظر [2].

والسوق والحشر مع انعدام الرؤية، وانقطاع السمع، وعدم القدرة على الحديث، يثير الرعب، ويبلغ به مداه، كما يفعل مع المساجين في بعض السجون، فكيف به في ذلك اليوم العظيم المهيب.

ولم تشر آيات المقابلة بين الأعمى والبصير إلى حال من أبصر الحجة واهتدى يوم القيامة، ربما اكتفاء بذكر حال ضده، فبضدّها تتبيّن الأشياء، فإنه يحشر يوم القيامة مبصرًا، يرى طريقه إلى الجنة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحديد: ١٢].

فيوم القيامة يذهب مصدر الضوء الشمس والقمر، ويصير الناس في ظلمة عظيمة، فحينئذٍ يخصّ الله عز وجل المؤمنين والمؤمنات بنورٍ يسعى أمامهم وعن أيمانهم يرشدهم إلى الجنة، كل على قدر إيمانه، تبشرهم الملائكة بجنات تجري من تحتها الأنهار [3].

وأثمرت المقابلة بين العمى والبصر في هذا السياق الفوائد الآتية:

- عاقبة العمى والإبصار تعود لصاحبها، فمن أبصر دلائل الحق وآمن

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٥١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٢١٧).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٨٣٩).

بها، وعمل بمقتضاها، انتفع بذلك في الدنيا والآخرة. ومن عَمِيَ عن رؤية الحق، ولم يؤمن به، أضر بنفسه، وكانت عاقبته على نفسه.

- من كان أعمى عن الحق في الدنيا، حُشِرَ يوم القيامة أعمى لا يرى شيئًا، جزاءً من جنس حاله في الدنيا، فلما لم ينتفع بحواسه في الدنيا، حُرِم منها في الآخرة.

❁ ❁ ❁

المطلب الثالث
علاقات أخرى بين العمى والبصر

أشارت آيات المقابلة بين العمى والبصر إلى علاقة أخرى بينهما، وهي: العلاقة بين آلة البصر (العين) وعمى القلب.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩].

فلا يلزم من وجود حاسة العين، أن يبصر القلب، فقد يصاب القلب بالعمى، مع وجود آلة البصر.

فهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم، وصفهم بأنهم لهم قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله، ولا يتدبرون أدلة وحدانيته سبحانه، فيعلموا توحيد ربِّهم، ويعرفوا حقيقة نبوّة أنبيائهم. ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته، فيتأملوها ويتفكروا فيها، فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم، وفسادِ ما هم عليه مقيمون، من الشرك بالله، وتكذيب رسله؛ فوصفهم الله بتركهم إعمالها في الحقّ،

بأنهم لا يبصرون بها. ولهم آذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله، فيعتبروها ويتفكروا فيها، بل هم عنها معرضون (١).

والسبب في ذلك أنهم ينظرون إلى الظاهر، ولا ينظرون إليها نظر فهم وتفكر، فتدلّهم إلى ما فيها من دلائل وعبر (٢).

فهم يستعملون هذه الحواس في غير ما ينفعهم، وأما الذي ينفعهم فهم عنه معرضون، وله تاركون، فصاروا بمنزلة من لا يعقل، ولا يبصر، ولا يسمع (٣)، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [سورة البقرة: ١٧١].

ولم يكونوا صُمًّا بُكْمًا عُمْيًا إلا عن الهدى (٤)، فلم ينتفعوا بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله لهم، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٦].

فلم يكن هناك قصور في أسماعهم ولا أبصارهم ولا أذهانهم حتى يظن أنهم تركوا الحق جهلًا منهم، وعدم تمكن من العلم به، ولا خلل في عقولهم، بل كان لهم حواس كاملة سليمة من العيب، ولكن لم تغنِ عنهم هذه الحواس شيئًا؛

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٣/ ٢٧٨).
(٢) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (٥/ ٩٦).
(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٢/ ٣٩٢).
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/ ٥١٣).

لأنهم جحدوا آيات الله الدالة على توحيده وإفراده بالعبادة (1).

وحقيقة أمرهم أنهم غافلون؛ غافلون عن مصالحهم ومنافعهم، وغافلون عن آيات الله، ودلائله على توحيده، وصدق رسله (2).

فالعمى الذي أصاب هؤلاء القوم لم يكن في أبصارهم، وإنما كان في قلوبهم.

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الحج: ٤٦].

فالدلائل والعبر الموجودة في الأرض كثيرة جدًّا، ولكنهم لا يعتبرون بها، ولا يتدبروها، والسبب في ذلك: أنهم وإن كانوا ذوي أبصار تنظر وترى، ولكنها عميت عن الحق، ولم تنظر نظرة اعتبار واستبصار، فعميت قلوبهم عن الإدراك وكانت غير مبصرة للحق (3).

فهم لديهم الحواس، ولكنها لا تعمل بالطريقة الصحيحة، وفي المكان الصحيح، فانعدمت ثمرتها، فلهم قلوب لا يعقلون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها.

فمشكلتهم الحقيقية هي عمى قلوبهم عن الحق، فهي لا تشاهده، كما لا

---

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٧٨٣).

(2) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٤/ ٢٦٤٩).

(3) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٩/ ٥٠٠٠).

يشاهد الأعمى المرئيات، فهم لديهم آلة البصر التي يشاهدون بها، ولكن البلية في عمى قلوبهم (١).

وعند الموازنة بين عمى البصر وعمى القلب، فإن عمي البصر لا يعتد به، وإنما العمى الحقيقي المؤثر هو عمى القلب (٢).

وعمى الأبصار، يعوض عنه بالسمع، ووصف الأشياء وصفًا دقيقًا، فله بدائل، أما عمى القلب فليس له بدائل (٣).

ففقد البصر لا يعدّ عمًى أمام فقد البصيرة (٤)، فالعمى الضار في الدين، هو عمى القلب، لا عمى البصر (٥).

ولذا قال جل وعلا: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة يونس: ٤٢-٤٣].

فالمشركون قد يستمعون إلى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن، ولكن دون جدوى لذلك الاستماع، فهم ـ وإن استمعوا إليك ـ صُمٌّ عن إدراك ما تلقيه إليهم، ليس لهم وعي ولا قبول.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٥٤١).

(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي (٩/ ١٥٩).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١٦/ ٩٨٦٣).

(٤) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٥٨٨).

(٥) انظر: لباب التأويل، الخازن (٣/ ٢٦٠).

وهم ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهم عُمْيٌ عما يدعو إليه من الهدى؛ لأنهم فقدوا البصيرة[1].

فليس ينفعهم سماع النبي صلى الله عليه وسلم، ولا النظر إليه، إذا لم يتبعوه، ويهتدوا بهداه، وإلا فهم عُمْيُ القلوب والبصائر.

فالمقصود من المقابلة بين البصر والعمى في هذا السياق: الموازنة بين عمى القلب، وعمى البصر.

وأثمرت المقابلة بين العمى والبصر الفوائد الآتية:

- لا يلزم من وجود آلة البصر، أن يبصر القلب، فقد يصاب القلب بالعمى، مع وجودها.
- النظر بالعين فقط لا يكفي في فهم حقائق الأشياء، فلا بد أن يصحبه تفكر وتدبر، وفهم للدلائل، حتى يرى القلب ما لا تراه العين.
- الحواس التي لا ينتفع بها هي كالمعدوم، فليس لها قيمة إذا لم ينتفع بها.
- عمى البصر ليس بعمى إذا قوبل بعمى القلب، فعمى القلب أشد خطرًا، وليس له بديل.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٦/ ٦٣).

المبحث الخامس
المقابلة بين الذكر والأنثى

الذكر والأنثى من الأضداد الحسية التي عني القرآن الكريم بالمقابلة بينهما.

فأما الذكر:

فأصل مادة (ذ ك ر) تدل على معنين:

الأول: الذَّكَر خلاف الأنثى.

الثاني: الذِّكِر خلاف النسيان [1].

فالذَّكَر: خلاف الأُنْثى. والتذكير خلاف التأنيث [2].

وجمع الذَّكَر: ذكور، وذكران، وذُكُورةُ [3].

والذَّكر: العضو المعروف، وجمعه ذِكَرَة، ويسمى ما يليه: مذاكير [4].

وامرأة مُذَكَّرَة: تشبه الرجل في شمائلها [5].

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢ / ٣٥٨).

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٦٦٤).

(٣) انظر: العين، الفراهيدي (٥/ ٣٤٦).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٠/ ٩٥).

(٥) انظر: العين، الفراهيدي (٥/ ٣٤٧).

ويقال: رجلٌ ذَكَر إِذا كَانَ قويًّا شجاعًا أَنِفًا أَبِيًّا [١].

ويقال: سيف مُذَكَّر، أي: صارم، تشبيها بالذّكر [٢].

وأما الأنثى:

فأصل مادة (أ ن ث) تدل على خلاف الذَّكَر [٣].

فالأُنْثَى: خلاف الذَّكَرِ من كُلِّ شيءٍ [٤].

ويجمع على إناث [٥].

والتأنيث: خلاف التذكير [٦].

وَيُقَال: هَذِه امْرَأَة أُنثى، إِذا مُدحت بِأَنَّهَا كَامِلَة من النِّساء [٧].

وَأَرْضٌ أَنِيثَةٌ: حَسَنَةُ النَّبَاتِ [٨].

وقيل: الأَنيث، اللّين السَّهل. وإنما سُميت المَرْأَة: أُنْثَى؛ لأَنَّهَا أَلْين من الرّجُل [٩].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٠/ ٩٥).

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٣٢٩).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ١٤٤).

(٤) انظر: العين، الفراهيدي (٨/ ٢٤٤).

(٥) انظر: الصحاح، الجوهري (١/ ٢٧٢).

(٦) انظر: الصحاح، الجوهري (١/ ٢٧٢).

(٧) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٥/ ١٠٦).

(٨) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ١٤٤).

(٩) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٥/ ١٠٧).

ولمّا كانت الأنثى أضعف من الذكر، اعتبر فيها الضعف، فقيل لما يضعف عمله: أنثى [1].

والأنيث من الرّجال: المخنَّث، شبه المَرْأَة [2].

والمؤنَّث: ذَكَرٌ في خُلق أنثى [3].

وقد بلغ عدد المقابلات بين الذكر والأنثى نحو خمس وأربعين مقابلة.

وجاءت المقابلة بينهما في أربع صور:

الأولى: المقابلة بين الذكر والأنثى بألفاظهما المختلفة، وهو الأكثر.

نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة النساء: ١٢٤].

وقوله سبحانه: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٤٣].

فقوله: ﴿ذَكَرٍ﴾ يقابله ﴿أُنثَىٰ﴾.

وقوله: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ يقابله ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾.

الثانية: مقابلة ما هو في معنى الذكر بالأنثى.

---

(١) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٩٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٥/ ١٠٧).

(٣) انظر: العين، الفراهيدي (٨/ ٢٤٤).

ففي هذه الصورة يذكر ما هو في معنى الذكر؛ كالابن يقابله الأنثى.

نحو قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠)﴾ [سورة الإسراء: ٤٠].

فقوله: ﴿بِالْبَنِينَ﴾ يقابله ﴿إِنَاثًا﴾.

الثالثة: مقابلة ما هو في معنى الأنثى بالذكر.

ففي هذه الصورة يذكر ما هو في معنى الأنثى؛ كالأزواج يقابله الذكر.

نحو قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦)﴾ [سورة الشعراء: ١٦٥-١٦٦].

فقوله: ﴿الذُّكْرَانَ﴾ يقابله ﴿أَزْوَاجِكُم﴾.

الرابعة: مقابلة ما هو في معنى الذكر بما هو في معنى الأنثى.

فتكون المقابلة في هذه الصورة يذكر بين ما هو في معنى الذكر وما هو في معنى الأنثى؛ كالرجال والنساء، والرجل والمرأة، والبنين والبنات، والأخ والأخت.

نحو قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧)﴾ [سورة النساء: ٧].

وقوله سبحانه: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢)﴾ [سورة النساء: ١٢].

فقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ﴾ يقابله ﴿وَلِلنِّسَاءِ﴾.

وقوله: ﴿رَجُلٌ﴾ يقابله ﴿ٱمْرَأَةٌ﴾.

وقوله: ﴿أَخٌ﴾ يقابله ﴿أُخْتٌ﴾.

ويدخل في هذه الصورة ذكر أوصافٍ بصيغة المذكر والمؤنث معًا؛ كالمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والكافرين والكافرات، والمنافقين والمنافقات، وهكذا..

نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥].

وقوله عز وجل: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٣].

ولو تأمّلنا الآيات التي ورد فيها المقابلة بين الذكر والأنثى، لوجدناها إما تبين وجه اختلاف بينهما، أو تشير إلى موضع اتفاقٍ بينهما، أو توضح جانبًا من جوانب العلاقة بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف الذكر والأنثى.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه الذكر والأنثى.

المطلب الثالث: علاقات أخرى بين الذكر والأنثى.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف الذكر والأنثى

من حكمة الله عز وجل في خلقه أن جعلهم أزواجًا. قال الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الذاريات: ٤٩].

فما من شيء من خلق الله، إلا جعل الله له زوجًا من جنسه شبيهًا له من وجه، مخالفًا له من وجه آخر، وجعل كل واحد منهما زوجًا للآخر [١].

قال مقاتل بن سليمان [٢]: «يعني الليل والنهار، والدنيا والآخرة، والشمس والقمر، والبر والبحر، والشتاء والصيف، والبرد والحر، والسهل والجبل، والسبخة والعذبة» [٣].

فمن تمام خلق الله وكماله أن خلق من كل شيءٍ زوجين، أي: ضدين، ذكرًا

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٢/ ٤٤٠).

(٢) مقاتل بن سليمان الأزدي، أبو الحسن البلخي، كان حافظًا للتفسير، لكنه لا يضبط الإسناد، لذلك ضعفه أهل الحديث، توفي سنة (١٥٠هـ).

انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر (١٠/ ٢٤٩)، طبقات المفسرين، الداودي (٢/ ٣٣٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ١٣٣).

وأنثى، وحلوًا وحامضًا، وطويلًا وقصيرًا، وأمثال ذلك حتى تتكامل الأشياء، وتتزن الحياة، فكفى به حكيمًا عليمًا.

فالنظام الزوجي المتقابل هو أس الحياة، ويظهر في جميع مظاهر الحياة، منه ما بلغ إليه علم البشر، ومنه ما يزال غيبٌ بالنسبة لهم.

والذكر والأنثى من أهم الأزواج التي خلقها الله عز وجل، فاقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن جعل ذلك سببًا لبقاء نوع الحيوانات كلها؛ فبتزاوج الذكر والأنثى يحصل التكاثر والتناسل [1].

ولأجل التكامل والتعاضد جعل الله عز وجل الذكر والأنثى مختلفين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [سورة آل عمران: ٣٦].

جاءت هذه الجملة القرآنية في سياق قصة امرأة عمران حينما ولدت مريم عليها السلام، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة آل عمران: ٣٥-٣٦].

لما حملت امرأة عمران نذرت أن تجعل ما في بطنها خادمًا يخدم في معبدهم.

فلما جاءها المخاض ووضعت ما في بطنها بان أنثى وليس ذكرًا، ولم يكن

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٨١٢).

من عادتهم أن يكون المحرر أنثى، وإنما ذلك خاصٌّ بالذكور [1].

فقالت معتذرة إلى ربها ـ لأنها ولدت أنثى وكانت تظنه ذكرًا ـ: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾؛ لأن الذكر أقوى على الخدمة وَأَقْوَمُ بها من الأنثى، والأنثى يعتريها بعض الأحوال ـ كالحيض والنفاس ـ فيمنعها من الخدمة [2].

فقال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ فهو سبحانه أعلم بحال المولود الذي وضعته، وما يكون من شأنه، وأنه سوف يجعلها وابنها آية للعالمين، وإنما تحسرت لأنها لا تعلم الغيب، ولا تدري ما يؤول إليه حال هذه المولودة، فهي لا تعلم قدر هذه الموهوبة [3].

ويرى بعض المفسرين أن (ال) في (الذكر) و (الأنثى) للعهد، أي: ليس الذكر الذي كانت تطلبه وترجوه، كالأنثى التي وهبها الله [4].

وحمل بعض المفسرين قولها: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ على سبيل التسلية، فهي تسلي نفسها: أن الذكر الذي طلبتُه ورجوتُه ليس مثل الأنثى التي وهبها الله، فلعل هذه الأنثى تكون خيرًا من الذكر؛ لأن الله هو الذي اختارها ووهبها، واختيار الله خير للعبد [5].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (١/ ٤٠١).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٦/ ٣٣٤).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٨/ ٢٠٤).

(٤) انظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ٣٥٦).

(٥) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٣/ ١١٧)، الدر المصون، السمين الحلبي (٣/ ١٣٥).

واسْتُدِلَّ بقوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ على تفضيل الذكر على الأنثى، واستدل به على عكسه: تفضيل الأنثى على الذكر.

فمن حمل (ال) على الجنس: جعل الذكر أفضل من الأنثى؛ لأنه أقدر على تحمل أعباء الخدمة والعبادة، وأبعد عن التهمة بالاختلاط، أو العيب بالخدمة(١).

وأن قوله: ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ بمعنى: ليست الأنثى كالذكر؛ وإنما بدأت بذكر الأهم في نفسها وما كانت تتمناه(٢).

ومن حمل (ال) على العهد: جعل الأنثى الموهوبة (مريم عليها السلام) أفضل من الذكر الذي كانت أمها تطلبه وتتمناه، فمريم عليها السلام أفضل وأكمل من كثيرٍ من الذكور(٣).

وعلى هذا المعنى تكون جملة ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ على بابها في تفضيل هذه الأنثى على الذكر الذي كانت تتمناه، فهي مفاضلة خاصة بين ذكرٍ وأنثى، وليست مفاضلة عامة بين الجنسين(٤).

فذلك الذكر الذي كانت تتمناه لن يصل إلى مرتبة هذه الأنثى التي وهبها الله، فإن لها شأنًا عظيمًا(٥).

---

(١) انظر: مفاتح الغيب، الرازي (٨/ ٢٠٤)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٢/ ٢٩).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٤٢٥).

(٣) انظر: مفاتح الغيب، الرازي (٨/ ٢٠٤)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٢/ ٢٩).

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (٢/ ٤٣٦).

(٥) انظر: تفسير الشعراوي (٣/ ١٤٣٦).

ويحتمل أن يكون المراد: نفي المماثلة بين الذكر للأنثى، وأن هذا الجنس ليس كهذا الجنس (١).

ولا شك أن الذكر ليس كالأنثى، والأنثى أيضًا ليست كالذكر؛ فكل جنسٍ يختلف عن الآخر، وبيان الاختلاف لا يدل على التفضيل، كما لو قيل: (الحمرة غير الخضرة، والخضرة ليست كالحمرة) فليس في هذا تفضيل (٢).

وجملة ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ تنص على الاختلاف بين الذكر والأنثى فحسب، وإنما فَهِمَ المفسرون التفضيل من خلال السياق، واختلفوا فيه؛ فمنهم من جعله تفضيلًا لجنس الذكر على الأنثى، ومنهم من حمله على تفضيل الأنثى الموهوبة على الذكر المتمنى.

والاختلاف بين الذكر والأنثى في الخَلْق والخُلُق، ترتب عليه اختلافٌ في القُدُرات؛ فالذكر يقدر على أشياء لا تقدر عليها الأنثى، والأنثى تقدر على أشياء لا يقدر عليها الذكر، لذلك خلق الله عز وجل من كل شيء زوجين: ذكرًا وأنثى، ليكمل أحدهما الآخر، وينتفع كل من الجنسين بالآخر، فلا غنى لأحدهما عن الآخر.

وترتب على هذا الاختلاف بين الجنسين اختلافٌ في التكاليف والأحكام، اختلافٌ يراعي حال الجنسين.

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي (٢/ ١٣٠).

(٢) انظر: الفصل في الملل، ابن حزم (٤/ ١٠٣).

لذلك نهى الله عز وجل كلا الجنسين أن يتمنى ما خصَّ الله به الجنس الآخر من الأحكام.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النساء: ٣٢].

فقد روي عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: ((يا رسول الله، يغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث، فأنزل الله هذه الآية)) (١).

فقد نهى الله عز وجل الرجال والنساء أن يتمنى كل فريق منهم الذي فضل الله به الفريق الآخر، من منازل الفضل ودرجات الخير، وليرض كل أحدٍ بما قسم الله له من نصيب، وليسأل الله من فضله (٢).

فللرجال أعمالٌ يقومون بها دون النساء ـ كالجهاد والإنفاق وطلب الرزق ـ يؤجرون عليها، وللنساء أعمالٌ يَقُمْنَ بها دون الرجال ـ كالحمل وحسن التبعل والقيام بشؤون البيت وتربية الأولاد ـ يؤجرن عليها، فلكل واحدٍ من الجنسين

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٤/ ٣٢٠) (٢٦٧٣٦)، مسند أم سلمة، والترمذي في جامعه (٥/ ٨٧) (٣٠٢٢)، كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء، وقال: « هذا حديث مرسل »، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٣٥) (٣١٩٥)، وقال: « صحيح الإسناد على شرط الشيخين إن كان سمع مجاهد من أم سلمة ».

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٨/ ٢٦٥).

حظه من الأعمال والثواب (١).

فالله تعالى كَلَّفَ كُلًّا من الرجال والنساء أعمالًا، فما كان خاصًّا بالرجال يؤجرون عليه ولا يشاركهم فيه النساء، وما كان خاصًّا بالنساء يؤجرون عليه ولا يشاركهن فيه الرجال، وليس لأحدهما أن يتمنى ما هو مختص بالآخر (٢).

وهناك بعض الأحكام راعت في الشريعة اختلاف الذكر والأنثى، ففرقت بينهما في الحكم، ومن ذلك.

١. الميراث.

قال الله عز وجل: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ ۞وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [سورة النساء:

(١) انظر: البسيط، الواحدي (٦/ ٤٧٧)، المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٤٥).

(٢) انظر: المنار، محمد رشيد رضا (٥/ ٤٨).

١١-١٢].

وقال جل وعلا: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٧٦].

فهذه آيات الميراث الثلاث التي فصّل القرآن الكريم فيها أحكام الميراث، ولو تدبرناها وتأملناها لوجدناها أنها ساوت بين الذكر والأنثى في أحوال، وفضلت بينهما في أحوال.

فمن المساواة:

- المساواة بين والدي الميت في الميراث إن كان له ولد، فلكل واحدٍ منهما السدس، ولا يزيد ميراث الأب عن ميراث الأم إلا على وجه التعصيب حينما لا يكون هناك ولد ذكر، فعندئذٍ ينتقل ميراث الأب من فرض السدس إلى التعصيب، فيرث ما بقي من التركة بعد أخذ أصحاب الفروض نصيبهم.
- المساواة بين الإخوة لأم في الميراث، فالميت الذي ترك أخ وأخت لأم، فإن لكل واحدٍ منها السدس، وإن كانوا أكثر من اثنين اشتركوا في الثلث على وجه التساوي، دون تفريق بين ذكر أو أنثى.

وأما المفاضلة:

- فالأولاد: ترث الأنثى نصف نصيب الذكر، إن كان معها أخٌ ذكر

يشاركها.

- والأزواج: ترث الزوجة نصف نصيب الزوج في الحالين، إن كان للزوج الآخر ولد، أو لم يكن له ولد.
- والأخوة الأشقاء أو لأب: ترث الأخت نصف نصيب الأخ إن كانوا مجتمعين.

وابتدأ تفصيل أحكام المواريث بقوله سبحانه: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ تنبيهًا لهم من أول الأمر على أن الذكر صار له شريك في الإرث وهو الأنثى [1].

ولم يقل سبحانه: (للأنثيين مثل حظ الذكر)، أو: (للأنثى نصف حظ الذكر)، وإنما قال عز وجل: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾. فجعل المقياس هو حظ الأنثى، ويكون حظ الرجل هنا منسوبًا إلى الأنثى.

وإنما جعل الله عز وجل نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى؛ لأن الله عز وجل أوجب على الذكر الإنفاق على الأنثى، سواء كانت زوجةً أو أمًّا أو أختًا، أو بنتًا، أو غير ذلك، فَكُلْفَة النفقة عليهن، فزاد نصيبه مراعاةً لذلك.

أما الأنثى فليس عليها نفقة، بل نفقتها واجبة على قَرَابَتِهَا من الذكور، حتى لو كانت غنية، فنصيبها لها، ولا يلزمها أن تنفق منه على غيرها [2].

٢. الشهادة.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٤/ ٢٥٧).

(٢) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي (١/ ٢٢٤)، تفسير الشعراوي (٤/ ٢٠٢٥).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢].

فقد أمر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة بالإشهاد في الدين فقال سبحانه:

﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾.

فأمر بإشهاد رجلين، فإن لم يجدوا رجلين، فليشهدوا رجلًا وامرأتين، فيستشهدوا امراتين مكان رجل، كي تذكر الذاكرة الناسية إن نسيت (١).

فَعَلَّلَ جَعْلَ شهادة المرأتين بشهادة الرجل الواحد بما يشير إلى نقصٍ في الضبط عند النساء (٢).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (١/ ٣٦٤).

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (٢/ ٢٣٥).

ويرى بعض المفسرين أن قوله تعالى: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ يدل على أن التذكير يكون منهما جميعًا؛ لأن النسيان محتملٌ منهما جميعًا، فربما ذَكَرَت إحداهما بعض الأمر ونسيت بعضه، و الأخرى ذَكَرَت ما نسيت الأولى، ونسيت غيره، فالمذاكرة بينهما لتكتمل الصورة، وتتبيّن الحقيقة [(١)].

والآية الكريمة عللت استشهاد امرأتين مكان رجل؛ لأجل إذكار إحداهما الأخرى إن نسيت، والنسيان يعود إلى ضعف في العقل.

وإلى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((**أما نقصان العقل: فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل**)) [(٢)].

فبيَّن صلى الله عليه وسلم أن سبب كون شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد: ضعف العقل، لا لضعف الدين، فعدل النساء بمنزلة عدل الرجال، وإنما عقلها ينقص عنه.

وعلى الرغم من ذلك فهناك شهادات تقبل فيها شهادتهن منفردات، وذلك في الأمور التي لا يطلع عليها غيرهن، مما تراها بعينها، أو تلمسها بيدها، أو تسمعها بأذنها من غير توقف على عقل؛ كالولادة، والاستهلال، والارتضاع، والحيض، والعيوب تحت الثياب [(٣)].

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآني، عبدالكريم الخطيب (٢/ ٣٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠٤)، كتاب الطهارة، باب ترك الحائض الصوم، ومسلم في صحيحه (١٣٢)، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: الطرق الحكمية، ابن القيم (١/ ٤٠٠).

=

٣. العلاقة الزوجية.

إن من أعظم المقاصد والحكم التي من أجلها جعل الناس جنسين: ذكر وأنثى، هو التزاوج والتناسل.

قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الروم: ٢١].

وجعل ذلك فطرة جبلية، حتى الأنبياء عليهم السلام لا يتخلفون عنها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [سورة الرعد: ٣٨].

ولما كان الزواج علاقة مشتركة بين طرفين (ذكر وأنثى)، جعل الله عز وجل لكل واحدٍ منها حقوقًا، وألزمه بواجبات.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨].

جاء هذا الحكم الشرعي في أثناء الحديث عن الطلاق وأحكامه وما يترتب عليه، وفي مثل هذه الظروف التي تفسد فيها العلاقة، وتزداد فيها الظغينة، ويعلو فيها صوت الانتقام، ذكّرهم الله عز وجل بالحقوق، فأخبرهم أن للنساء على الرجال حقوقًا، كما أن للرجال عليهنّ حقوقًا.

قال الضحاك: « إذا أطعن الله وأطعن أزواجهن، فعليه أن يُحسن صحبتها،

=

وقد أطال ابن القيم في الحديث عن شهادة المرأة متى تقبل منفردة، ومتى لا تقبل، وذكر أقوال العلماء في ذلك. فليرجع إليه.

ويكف عنها أذاه، ويُنفق عليها من سَعَته »[1].

والمراد بالمماثلة هنا: مماثلة واجبٍ بواجب، وحقٍّ بحقّ، فكما أن لهن حقوقًا، فعليهن أيضًا حقوق، وليس المراد أن نفس الواجب في حق الرجل واجبٌ في حق المرأة[2].

والآية تعم جميع حقوق الزوجية[3].

وهذا من عدل الإسلام وحسن شريعته، فقد أثبت للمرأة حقوقًا في عصرٍ ومجتمع كان لا يعترف لها بأي حق، حتى حق الحياة لم يكونوا يعترفوا لها به، فقد كان من أقبح عادات العرب في جاهليتها وأد بناتهم، فيدفنونهن أحياء.

فجاء الإسلام بسماحته فأثبت للزوجة على زوجها حقوقًا، كما أن له حقوقًا عليها.

فهناك تكافؤ بين الطرفين، كلٌّ منهما له حقوق، وعليه واجبات، ولكن هذه الحقوق والواجبات التي على الطرفين لا تتساوى، فالواجبات على المرأة تختلف عن الواجبات على الرجل.

ولما كانت الأسرة تتكون من شخصين فأكثر، كان لا بد لها من قائد ورئيس، وقد جعل الله عز وجل الرجل هو القائد والرئيس لهذه الأسرة فقال سبحانه: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٤/ ٥٣١).

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ٢٧٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٣٠٥).

فالرجل ـ في الأعم الأغلب ـ أقدر على إدارة البيت، والقيام بشؤونه من المرأة، فهو يمتاز عنها بالعقل وقلة الإندفاع، لذلك جعل الله عز وجل أمر الطلاق بيد الرجل، فالرجل الحازم العاقل يفكر مليًّا قبل أن يتخذ أي قرار، خاصةً لو كان القرار مهمًا ويترتب عليه أمورًا عظيمة كالطلاق، فلا يتعجل فيه، بخلاف المرأة التي قد تغلبها العاطفة، ويؤثر فيها الحالة النفسية التي تمر بها، فتطلب الطلاق لأدنى سبب، حتى لو كان يسيرًا، فكيف لو كان الطلاق بيدها.

لذلك جعل الله عز وجل القوامة بيد الرجل، فقال تبارك وتعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [سورة النساء: ٣٤].

و﴿قَوَّٰمُونَ﴾ جمع قيّم، وقيّم القوم: الذي يقوِّمهم ويسوس أمرهم (١).

وأطلق لفظ (القوَّام) على الرجال دون النساء؛ لأنهم قوامون على النساء بالأمور التي ليس للنساء أن يقمن بها (٢).

ومن ذلك اسم الله **(القيوم)**، ومعناه: القائم على كل شيء، يكلؤه ويرزقه ويحفظه (٣).

وقد عللت الآية كون الرجال قائمون بأمر النساء بأمرين:

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٩/ ٢٦٧).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤/ ١٢٤).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٥/ ٣٨٨).

الأول: ما ميّز الله به كل جنس على الآخر [1].

فالأمر له تعلّقٌ بنوع الجنس، وما يتصف به من صفات خَلْقية وخُلُقية، وجنس الرجال ـ بما وهبه الله من مميزات جسدية وعقلية، ومعرفة واهتمام بأمور المعاش ـ أقدر على تحمل أعباء هذه المسؤولية من جنس النساء.

الثاني: النفقة.

فقد أوجب الله عز وجل على الرجال النفقة على النساء، حتى لو كن غنيات، فالنفقة تلزم الرجل على المرأة، سواءً كان أَبًا أو زوجًا أو ابنًا أو أخًا أو غير ذلك ممن تلزمهم نفقتها.

وغالبًا ما تكون السلطة والقوة للمنفق، ويكون جانب المنفق عليه هو الأضعف، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى**)) [2].

---

(١) عامة المفسرين يفسرون قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بأن الله فضل جنس الرجال على النساء.

والذي يظهر لي أن لفظ الآية أعم، ولو كان المقصود بتفضيل جنس الرجال على جنس النساء مطلقًا، لقال: (بما فضل الله الرجال على النساء)، ولكن عدول الآية عن التصريح بالجنس إلى الإبهام ﴿بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يشعر بأن التفضيل هنا نسبي، فقد فضل الله عز وجل الرجال على النساء بأشياء، وفضل النساء على الرجال بأشياء، وسياق الآية يشير إلى أن ما فضّل به الرجال أكثر ملائمة لمهمة القوامة، فالرجال بها أحق، وهم لها أولى.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٢٧)، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ومسلم في صحيحه (١٠٣٤)، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، عن حكيم بن حزام رضي الله عنه. وروي أيضًا عن غيره من الصحابة.

فجعل الله عز وجل الرجال قائمين بأمر نسائهم؛ فيؤدبونهن ويأخذون على أيديهن إذا أخطأن، وينفقوا عليهن، ويدفعوا لهن المهور، ويقومون بقضاء حاجاتهن، وكفايتهن مؤنهن.

وفي ذلك تفضيل من الله تبارك وتعالى للرجال على النساء، لكنه تفضيلٌ بمقابل تحمل مسؤولية، مسؤولية القيام بشؤون المرأة وحمايتها وحفظها.

فتحمل هذه المسؤوليات جعل الرجال قوامين على النساء، نافذي الأمر عليهن بالمعروف، فيما أوكل الله إليهم من أمورهن [1].

وقد أثبت علم الطب الحديث أن هناك اختلافٌ جسديٌّ ونفسيٌّ بين الذكر والأنثى، وأن خلايا جسم الإنسان تتكون من (٤٦) جُسَيْمًا مُلَوَّنًا، تشكل (٢٣) زوجًا مسؤولًا عن بنيان الجسم وصفاته، واحدٌ من تلك الأزواج مسؤول عن جنس الإنسان (ذكر أو أنثى)، وهذا ينطبق على جميع خلايا الجسم: خلايا الجلد، وخلايا الشعر، وخلايا المخ، وخلايا العظام، وكل خلايا الجسم، والجسم يفرز هرمونات تختلف بين الذكور والإناث [2]، فسبحان الخلاق العظيم.

وفي صورة من صور مراعاة الاختلاف بين الجنسين اختلاف لفظ اليمين الخامسة في اللعان.

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٨/ ٢٩٠).

(٢) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد البار (ص ١٢٧).

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾﴾ [سورة النور: ٦-٩].

فجعل أيمان الرجل تنتهي باستحقاقه اللعنة إن كان كاذبًا، وأيمان المرأة تنتهي باستحقاقها الغضب إن كانت كاذبة.

وجعل اللعنة في جانب الرجال؛ لأنهم أقوى جَلَدًا وإدراكًا لمعنى الطرد، ولا يؤثر فيهم الغضب بمقدار ما يؤثر الطرد الحسي، لا مجرد الغضب النفسي.

وجعل الغضب في جانب النساء؛ لأنه يؤثر في نفوسهن، ومجرد الإعراض يؤثر في نفوسهن أعظم تأثير (١).

وأثمرت المقابلة بين الذكر والأنثى عن الفروق الآتية:

- الاختلاف بين الذكر والأنثى اختلافٌ في الخَلْق والخُلُق، وفي القدرات العقلية والبدنية؛ ليكمل أحدهما الآخر.
- المفاضلة بين الجنسين مفاضلة نسبية، فكل جنس له من المميزات التي تجعله أفضل من الآخر.
- راعى الإسلام الاختلاف بين الجنسين، ففرق بينهما في بعض الأحكام والتكاليف.

---

(١) انظر: زهرة التفاسير (١٠/ ٥١٥١).

- نهى الله عز وجل كلًّا من الجنسين أن يتمنى ما فضل الله به الجنس الآخر، وليرض كل أحدٍ بما قسم الله له، وليفرح بها.
- أبطل الإسلام عادة أهل الجاهلية في استئثار الرجال بالميراث دون النساء، فجعل الميراث للرجال والنساء، كلٌّ له نصيبه ومقداره.
- جعل الإسلام شهادة الرجل بشهادة امرأتين؛ لأن قدرات الرجل العقلية أفضل من قدرات المرأة، وطلب شهادة امرأتين حتى تذكر أحداهما الأخرى.
- جعل الإسلام لكل من الزوجين حقوقًا على الآخر، وإن اختلف تفاصيلها، وجعل الرجل هو رئيس الأسرة والقائم بشؤونها، وجعل أمر الطلاق بيده، في مقابل تحمل أعباء النفقة والحفظ والرعاية للأسرة، فهو تشريفٌ في مقابل تكليف.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
ما يشترك فيه الذكر والأنثى

إن من مقاصد المقابلة بين الذكر والأنثى بيان القدر المشترك بينهما، فإذا كانت المقابلة بينهما في سياق الحديث عن أمرٍ مشتركٍ بينهما، فالمقصود من المقابلة تعميم الحكم على الجنسين [1].

وقد أظهرت آيات المقابلة بين الذكر والأنثى بعض القضايا التي يشتركان فيها، ومن ذلك:

١ . الذكر والأنثى مخلوقان لله.

قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [سورة الليل: ١-٣].

فأقسم الله عز وجل في هذه الآيات بصورتين من صور التضاد (الليل والنهار، والذكر والأنثى)؛ ليدلل على اختلاف أعمال العباد وتباينها، كاختلاف الأضداد وتباينها.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥/ ٣١).

ويلحظ أن الله عز وجل حينما ذكر الليل والنهار ذكر وجه الاختلاف والتضاد بينهما، فالليل يغطي الأشياء بظلامه، والنهار يجلي الأشياء بنوره وضيائه. واكتفى بذكر الذكر والأنثى دون ذكر وجه الاختلاف بينهما؛ لأن الاختلاف بينهما ظاهرٌ بيّنٌ، يغني ذكرهما معًا عن الإشارة إليه.

ويلحظ أيضًا أن القسم هنا جاء بخلق الذكر والأنثى؛ نظرًا لما في هذا الخلق من الاختلاف والتضاد، والله عز وجل إنما يقسم بما عَظُم شأنه عنده.

ومما يزيد الأمر إبهارًا وتعجبًا أن خلق الذكر والأنثى على اختلافهما من مصدر واحد، وهي النطفة.

قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة النجم: ٤٥-٤٦].

المراد بالزوجين هنا: الذكر والأنثى من الإنسان؛ لأن سياق الكلام للاعتبار ببديع صنع الله، وذلك أشد اتفاقًا في خلقة الإنسان، ولأن اعتبار الناس بما في أحوال أنفسهم أقرب وأمكن (١).

وهذا من أعظم الأدلة وأبينها على كمال قدرة الله عز وجل، وانفراده بالخلق والتقدير، حيث أوجد تلك الحيوانات، صغيرها وكبيرها من نطفة ضعيفة من ماء مهين، ثم نماها وكملها حتى بلغت ما بلغت، ثم صار الآدمي منها إما إلى أرفع

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٧/ ١٤٥).

المقامات في أعلى عليين، وإما إلى أدنى الحالات في أسفل سافلين [١].

وقال جل وعلا: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة القيامة: ٣٧-٤٠].

فالله عز وجل خلق الإنسان من هذه النطفة اليسيرة، وجعل من هذا المني لونين من الخلق: ذكر وأنثى [٢].

فهذه الآيات الكريمات صريحة في أن خلق الذكر والأنثى من النطفة، وقد أثبت علم الطب الحديث أن الذكورة والأنوثة في الجنين يحددها الحيوان المنوي الذي يختاره الله عز وجل لتلقيح بيوضة المرأة [٣].

فسبحان الله الذي خلق هذا الإنسان العجيب على اختلاف جنسه وأشكاله وألوانه من نطفة تراق، لا تختلف كثيرًا في ظاهرها عن إفرازات الجسد الإنساني الكثيرة؛ كالعرق والدمع والمخاط!

فتتحول هذه النطفة بتقدير الله عز وجل وتدبيره إلى الإنسان، منه الذكر ومنه الأنثى.

أين كان كامنًا في تلك النطفة المراقة مع ملايين النطف أمثالها؟!

أين كان كامنًا بعظمه ولحمه وجلده، وعروقه وشعره وأظافره، وسماته

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٨٢٢).

(٢) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٣/ ٥٢٤).

(٣) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد البار (ص ١١٣).

وملامحه، وأخلاقه وطباعه؟!

أين كان في هذه الخلية الميكروسكوبية السابحة هي وملايين من أمثالها في النقطة الواحدة من تلك النطفة التي تمنى؟!

وأين على وجه التخصيص كانت خصائص الذكر وخصائص الأنثى في تلك الخلية؟! [1].

وتحديد جنس النطفة التي يخلق منها الإنسان، أمره لله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الشورى: ٤٩-٥٠].

فأخبر الله تبارك وتعالى أن الأمر بيده سبحانه، فهو مالك السماوات والأرض، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء لمن يشاء، ويمنع من يشاء عمَّن يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء؛ فيعطي البنات فقط لمن يشاء، ويعطي البنين فقط لمن يشاء، ويعطي من يشاء من الناس ذريةً ذكورًا وإناثًا، ويمنع الذرية عمن يشاء فلا يولد له.

فجعل الناس في إعطائهم الذرية أربعة أقسام:

- منهم من يعطيه البنات فقط.
- ومنهم من يعطيه البنين فقط.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٤١٧).

- ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورًا وإناثًا.
- ومنهم من يمنعه هذا وذاك، فيجعله عقيمًا لا نسل له [1].

فأمر الولد والذرية لله عز وجل.

وقبائح أهل الجاهلية، وأسوأ فعالهم: أنهم كانوا ينسبون البنات لله عز وجل، ويخصُّون أنفسهم بالبنين.

قال الله عز وجل: ﴿أَفَأَصْفَٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الإسراء: ٤٠].

وقال جلَّ وعلا: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة النجم: ٢١-٢٢].

فالله عز وجل ينكر على المشركين هذا الزعم، ويوبيخهم عليه، فكيف يزعمون أن الله عز وجل اختصهم بالذكور من الأولاد، واتخذ لنفسه البنات، وهم لا يرضون لأنفسهم ذلك [2].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النحل: ٥٧-٥٩].

فمن جهلهم وخبث فعلهم، وقبح فِرْيتهم على ربهم، أنهم يجعلون له

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/ ٢١٦).

(٢) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٦/ ٤٢٠٧).

البنات، ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى سبحانه وتعالى.

ولكنهم من خبثهم أضافوا إليه ما يكرهونه لأنفسهم ولا يرضونه لها، فكان أحدهم إذا بشر بولادة بنت، ظلّ وجهه مسودًا من كراهته لها، وامتلأ غمًّا بها (1).

وقد ردَّ الله عز وجل هذه الفرية من وجوهٍ عدة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الزخرف: ١٥-١٩].

- فالخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.
- والولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، فمحال أن يكون لله تعالى ولد.
- والأنثى ينصب اهتمامها على مظهرها وزينتها، فهي من صغرها وهي تتجمل وتتزين، وهي في ذات الوقت لا تحسن المحاجة في الخصومة، ولا تبين عن حجتها، فما الفائدة من اتخاذهن؟!.
- ثم هم لم يشهدوا خلق الملائكته، فكيف علموا أنهم بنات؟! (2).

وقد نسب لله عز وجل كلا الجنسين، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ

(1) انظر: جامع البيان، الطبري (١٧/ ٢٢٧).
(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٧٦٣).

وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ [سورة الأنعام: ١٠٠-١٠١].

فكيف يكون لله عز وجل ولدٌ ـ ذكرٌ أو أنثى ـ ولم تكن له زوجة، فإن الولد لا يكون إلا من زوجين (١).

تعالى الله عز وجل عمّا يكون الظالمون علوًا كبيرًا.

والحكمة من خلق الإنسان على صنفين (ذكر وأنثى) هو التناسل والتكاثر.

قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١].

الناس كلهم مرجعهم في الخلق إلى نفسٍ واحدةٍ، وهي آدم عليه السلام، الذي خلقه الله من تراب، ثم خلق منه زوجه حواء، ثم خلق الله عز وجل بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم عن طريق المعاشرة الزوجية، ونشرهم في الأرض أممًا وقبائل.

كما قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

فصار خلق بني آدم نتيجة لعلاقة حميمة بين ذكر وأنثى، يتكاثر بها نسلهم، وينتشرون في الأرض.

وهم وإن اختلفت أشكالهم وألوانهم كلهم متساوون في النسب؛ لأن كلكم

(١) انظر: الجواب الصحيح، ابن تيمية (٤/ ٤٦٩).

مخلوق من آدم وحواء، يرجعون بالنسب إليهما [1].

ولم يجعلهم شعوبًا وقبائل ليتفاخروا، وإنما جعلناهم كذلك ليتعارفوا، فإنّ أرفعهم منزلة عند الله أتقاهم [2].

وإنما أخبرهم أنه خلقهم من نفس واحدة، وأنه بثهم في أقطار الأرض، مع رجوعهم إلى أصل واحد؛ ليعطف بعضهم على بعض، ويرحم بعضهم بعضًا [3].

٢. استواء الذكر والأنثى في أكثر أحكام الشريعة.

الأصل في أحكام الشريعة الإسلامية أنها عامّةٌ للرجال والنساء، ولم يفرق الإسلام بين الجنسين إلا في بعض الأحكام مرعاةً لطبيعة كل جنس: الجسدية والنفسية.

وأما من حيث أصل التكليف فالرجال والنساء مكلفون بأحكام الشريعة، ومطالبون بالالتزام بها.

فأي خطاب بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فإنه خطاب شاملٌ للجنسين، وتأكيدًا لهذا المعنى فقد ذكر الله أوصافًا تتعلق بالمؤمنين، ذكرها بصيغة الذكور وصيغة الإناث، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ

(١) انظر: البسيط، الواحدي (٢٠/ ٣٦٣).
(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٥/ ٣٧).
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ١٦٣).

ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥].

قالت أم سلمة [١] رضي الله عنها: يا رسول الله، ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال. قالت: فلم يَرْعَنِي منه يومًا إلا ونداؤه على المنبر: يا أيها الناس. قالت: وأنا أسرّح رأسي، فلففت شعري، ثم دنوت من الباب، فجعلت سمعي عند الجريد، فسمعته يقول: ((**إن الله عز وجل يقول:** ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ **الآية**)) [٢].

فلما كان الحكم مشتركًا بين الجنسين، كان الوصف شاملًا للجنسين.

بل ذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود بهذه الأوصاف النساء، وأن ذكر الرجال للإشارة إلى أن الجنسين في هذه الشرائع سواء؛ ليعلموا أن الشريعة لا تختص بالرجال، فشريعة الإسلام الأصل في شرائعها أن تعمَّ الرجال والنساء إلا ما نصَّ على تخصيصه بأحد الجنسين، وأسهبت الآية في تعداد الصفات المذكورة؛ لئلا يتوهم التسوية في خصوص صفة واحدة [٣].

---

(١) أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية، أم المؤمنين، اسمها هند، وكانت زوج ابن عمها: أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة فمات عنها، فتزوجها النبي ﷺ، وكانت ممن أسلم قديمًا هي وزوجها، وهاجرا إلى الحبشة، فولدت له سلمة، ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة فولدت له عمر ودرة وزينب، ماتت سنة (٦٢هـ)، وهي آخر أمهات المؤمنين موتًا.

انظر: الاستيعاب، ابن عبدالبر (٤/ ١٩٣٩)، الإصابة، ابن حجر العسق لاني (٨/ ٢٢١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٤/ ١٩٩) (٢٦٥٧٥)، مسند أم سلمة رضي الله عنها، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٤/ ١٠٤) (١٨٧١)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، سورة الأحزاب (١٠/ ٢١٩) (١١٣٤١)، والطبري في جامعه (٢٠/ ٢٧٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٢/ ٢٠).

ثم أتبع الله عز وجل هذه الآية بقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦].

فهذا حكم شاملٌ لكلا الجنسين، وعامٌّ في جميع الأمور، فإذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد، ولا رأي، ولا قول(١).

وهناك بعض الأحكام الجزئية نصت الآيات فيها على شمول الحكم للرجال والنساء، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة الحجرات: ١١].

وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة النور: ١١-١٢].

فنصَّ على ذكر (النساء) بالذكر مع أن لفظ (القوم) يشملهن بطريق التغليب، ونصَّ على ذكر (المؤمنات) مع أن لفظ (المؤمنين) يشملهن؛ لتأكيد أن الأصل المساواة بين الرجال والنساء في الأحكام، إلا ما خصَّه الدليل(٢).

وكذلك أيضًا العقوبات الشرعية (الحدود) الحكم فيها عامٌّ للرجال والنساء.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٤٢٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/ ٢٤٧).

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة المائدة: ٣٨].

وقال جل وعلا: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة النور: ٢].

ومن المقاصد التي حوتها آيات المقابلة بين الذكر والأنثى: إبطال كثير من عادات الجاهلية التي تفرق بين الذكور والإناث بدون وجه حق.

ومن تلك العادات الجاهلية:

- **حرمان النساء من الميراث.**

وقد كان العرب في الجاهلية لا يورثون الضعفاء؛ كالنساء والصبيان، ويجعلون الميراث للرجال الأقوياء؛ لأنهم أهل الحرب والقتال والنهب والسلب[1].

فأبطل الله عز وجل هذه العادة بقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ [سورة النساء: ٧].

وإنما كرر إثبات النصيب في الإرث مرة في حق الرجال، ومرة في حق النساء، لإثبات أن لهن الحق في الميراث كالرجال، وسواء وجد معهن الرجال أم لا، فالحق لهن ثابت، وفيه إشارة إلى تفاوت نصيب الفريقين[2].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ١٦٥).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٢/ ١٤٦).

- **تحريم بعض المطعومات على النساء.**

كان من عادة أهل الجاهلية إذا ولدت الناقة فصيلًا ذكرًا، حرموا لحم الفصيل ولبن الناقة على النساء دون الرجال، وإن وضعت فصيلًا ميتًا اشترك الرجال والنساء في لحم الفصيل ولبن الناقة [1].

قال الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٣٩].

فهؤلاء الكفار كانوا يحرمون ما في بطون في أنعام محددة على نسائهم، ويجعلونه خالصة لذكورهم، ولا يُشْرِكُون معهم نساءهم إلا إذا كان الجنين ميتًا [2].

فقد كانوا يتبعون أهواءهم، فيحلون بعض ما حرّم الله، ويحرّمون بعض ما أحلّ الله.

وعلى سبيل المحاجة والمجادلة أمر الله عز وجل نبيه أن يحاجّ المشركين فقال سبحانه: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ

---

(١) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ٤٨٧).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٢/ ١٤٨).

ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ [سورة الأنعام: ١٤٣-١٤٤].

فالله جلَّ في علاه أمر نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين: إنما الأنعام ثمانية أزواج (ذكر وأنثى من الضأن والماعز والبقر والإبل)، فمن أين جاء التحريم؛ أمن قِبَل الذكر، أم من قِبَل الأنثى، أما اشتملت عليه الأرحام، وهي لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى؟

فإن قالوا: من قِبَل الأنثى جاء التحريم، حُرِّمَ عليهم كل أنثى.

فإن قالوا: من قِبَل الذَّكَر، حُرِّمَ عليهم كل ذكر، والأرحام لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فَلِمَ تحرِّمون بعضًا، وتحلّون بعضًا (١).

فما هي علة التحريم؛ هل هي الذكورة، أم الأنوثة، أم اشتمال الرحم عليه؟

فينبغي أن يشمل التحريم كل ما تنطبق عليه العلة. أما تحليل بعض وتحريم بعض فلا يستقيم، فإن كان لكم به حجة وعلم، فأخبرونا بها إن كنتم صادقين (٢).

فليست الذكورة والأنوثة سببًا في تحريم أنواعٍ من الطعام، سواءٌ في ذلك الطاعم أو المطعوم.

٣. استواء الذكر والأنثى في الثواب والعقاب.

فكما أن الأصل في الأحكام الشرعية أنه لا يفرق بين الذكور والإناث، فكذلك المجازاة على الأعمال خيرها وشرّها، يستوي فيه الذكور والإناث.

(١) انظر: البسيط، الواحدي (٨/ ٤٩٤).

(٢) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ١٥١).

قال الله عز وجل: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٩٥].

وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة النساء: ١٢٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النحل: ٩٧].

وقال تبارك وتقدس: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة غافر: ٤٠].

فلا اعتبار في مجازاة الأعمال بالذكورة والأنوثة، وإنما الاعتبار بالأعمال والنيات[(١)].

وكما أن الأصل بين الجنسين واحد، فكل واحدٍ منهما من الآخر، فكذلك هما مشتركان في الأجر وتقبل العمل[(٢)].

فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملًا موفرًا، كلهم على حدٍّ سواء في

(١) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق عادل الشدي (٢/ ١٠٥٥).

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٣/ ٤٧٨).

الثواب والعقاب[1].

فالمساواة بين الجنسين ليست في الثواب فقط، بل في العقاب أيضًا.

وقد تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم في عدة مواضع، قابل فيها القرآن الكريم بين أهل الإيمان وأهل الكفر والنفاق، وفي كل مقابلة ينص على الجنسين (الذكور والإناث)، ويجعل الجزاء لهم جميعًا، سواء كان ثوابًا أو عقابًا.

قال الله عز وجل في سورة التوبة: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٧-٦٨].

ثم قال بعدها بآيات: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة التوبة: ٧١-٧٢].

وقريبٌ منه ما قاله الله عز وجل في سورة الفتح: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ١٦٢).

ٱلسَّوْءِۚ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [سورة الفتح: ٥-٦].

وقال تبارك وتعالى في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحديد: ١٢-١٣].

وقال عز وجل في سورة ختام سورة الأحزاب: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٣].

فتبيّن هذه الآيات الكريمات أن العبرة في المجازاة هي الأعمال والنيات، فالإيمان يثاب عليه أصحابه، ذكورهم وإناثهم، وكذلك النفاق والشرك، يعاقب عليها أصحابها، ذكورهم وإناثهم.

وإنما نُصَّ على المؤمنات والمنافقات والمشركات؛ لبيان أن الأحكام يستوي فيها جميع المتصفين بهذه الصفات، ذكورهم وإناثهم، فليس الثواب أو العقاب خاصٌّ بجنس دون جنس.

بل إن الجنسين يعضد بعضهم بعضًا، في الإيمان، أو الكفر والنفاق، ويشجع بعضهم بعضًا، فالفكر والاعتقاد لا علاقة له بالجنس، ففي كل ملةٍ ودين هناك رجال ونساء يؤمنون به، ويتآزرون عليه، لذلك كان من العدل والإنصاف أن يكونوا في الجزاء سواء، ولا أثر للجنس في ذلك.

وذكر النساء في الآيات إشارة إلى أن لهن شأنًا في الخير والشر، والإيمان

والكفر (١).

٤. استواء الذكر والأنثى في الاستضعاف.

يمتاز الذكر بالقوة والخشونة، وتتصف الأنثى بالضعف والليونة.

هذا هو الأصل، إلا أن الأحوال قد تتبدل، ففي أوقات الحروب، وأزمان الاضطهاد فإن الضعف يعمّ الجميع، فيتصف به الذكور والإناث.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [سورة النساء: ٧٥].

فهذا عتابٌ من الله عز وجل لمن قعد عن الجهاد في سبيل الله، ولم يقم لنصرة الذين استضعفوا لعدم وجود من ينصرهم، فضعفوا، وهانوا على أولئك الظالمين، فمنهم الرجال الذين سلبوا كل حول وقوة، وصاروا أذلاء، ومنهم النساء اللائي لا قدرة لهن بحكم الأنوثة، ومنهم الذرية الضعاف (٢).

هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة؛ لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم، والفتنة في دينهم.

فأمر بالقتال في سبيل نصرة هؤلاء المستضعفين؛ لإنقاذهم من فتنة المشركين، وإنقاذ الولدان من أن يشبوا على أحوال الكفر أو جهل الإيمان (٣).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٢/ ١٣٢).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٤/ ١٧٦٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥/ ١٢٣).

وقد توعد الله عز وجل الذي يفتنون المؤمنين في دينهم فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾ [سورة البروج: ١٠].

فقد كان فئة من المؤمنين السابقين على الإسلام، ابتلوا بأعداء طغاة ظلمة قساة، أرادوهم أن يتركوا عقيدتهم ويرتدوا عن دينهم، فأبوا وتمسكوا بعقيدتهم. فشق الطغاة لهم شقًّا في الأرض، وأوقدوا فيه النار، وكبوا فيه جماعة المؤمنين فماتوا حرقًا، في مشهدٍ مؤلمٍ عصيب[1].

فهؤلاء الكفار لم يعذبوا المؤمنين والمؤمنات، ويحرقونهم بالنار، إلا ليردوهم عن دينهم، فهم لا ينكرون منهم إلا الإيمان بالله.

فتوعدهم الله عز وجل إن لم يتوبوا من كفرهم وفعلهم الذي فعلوا بالمؤمنين والمؤمنات، فإن لهم عذابًا في الآخرة وعذابًا في الدنيا[2].

وإيذاء المؤمنين رجالًا ونساء سنة متّبعة بين الكفار والمنافقين، فلا يزالون على مرّ الدهور، واختلاف البلدان، يؤذون المؤمنين والمؤمنات بمختلف الصور والأشكال.

وتزداد هذه الأذية إذا كان المؤمن أو المؤمنة في محل ضعف؛ كأن يكون في موضع غربة، أو يكون فقيرًا، وقد يكون الأذى بالفعل، وقد يكون بالقول.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٨٧١).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٤/ ٣٤٤).

قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٨].

المراد بالأذى هنا: أذى القول، فمن وسائل أعداء أهل الإيمان أن يرموهم بِالتُّهَمِ، وينسبون إليهم ما هم بريئون منه، تشويهًا لصورتهم أمام الناس، وتنفيرًا للناس عنهم.

وقد توعدهم الله عز وجل بأنهم بهذا الفعل قد تحملوا وزر كذب وفرية شنيعة، يستحقون بها عذابًا شديدًا (١).

وإنما عطف المؤمنات على المؤمنين للتصريح بمساواتهم في الحكم، وإن كان ذلك معلومًا من الشريعة، ولأنهن أضعف جانبًا من الرجال (٢).

ومراعاةً لحال هؤلاء المستضعفين من المؤمنين من الجنسين، أخر الله عز وجل فتح مكة.

قال الله جل وعلا: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة الفتح: ٢٥].

نزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وكان صلح الحديبية سنة ستٍّ من

(١) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٩/ ٥٨٦٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٢/ ١٠٥).

الهجرة.

فعلَّل الله عز وجل صرف المؤمنين عن مقاتلة أهل مكة واستئصالهم في عام الحديبية: أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يُخْفُون إيمانهم، فلو سلَّط الله المسلمين على أهل مكة، لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن كفّهم رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم، لئلا يعيبكم الكفار بأنكم قتلوا أهل دينكم، أو تألم نفوسكم من قتل المؤمنين (١).

فالقرآن الكريم لم يفرق بين الرجال والنساء في حال الاستضعاف، وجعل حكمهم واحدًا.

ويظهر مما سبق أن المقابلة بين الذكر والأنثى فيما يشتركان فيه؛ لدلالة على شمول الحكم والقضية للجنسين، وأنه لا اعتبار للجنس في ذلك.

وأثمرت المقابلة بين الذكر والأنثى في هذا السياق الفوائد الآتية:

- كلاهما مخلوق لله عز وجل، وكلاهما خلق من نطفة.
- أن وهب الذرية ذكورًا وإناثًا بأمر الله وتقديره، فيهب لمن يشاء ما شاء، ويمنع ما يشاء عمّن شاء، سبحانه وتعالى.
- لا يجوز ولا يصح نسبة الولد ـ ذكرًا كان أو أنثى ـ لله عز وجل.
- التناسل والتكاثر يكون من الزوجين معًا، الذكر والأنثى.
- الأصل في الشريعة الإسلامية استواء الذكر والأنثى في الأحكام، ولم

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (٢/ ٢٩٠).

يفرق الإسلام بين الجنسين إلا في بعض الأحكام مرعاةً لطبيعة كل جنس.

- لا اعتبار في المجازاة على الأعمال خيرها وشرّها بالذكورة والأنوثة، فكل يجازى بعمله في الدنيا والآخرة، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.
- لا يفرق في حال الاستضعاف بين الذكر والأنثى، فكلاهما مُسْتَضْعَفٌ يجب نصره، ورفع الظلم عنه.

❁ ❁ ❁

المبحث السادس
المقابلة بين الطيب والخبيث

من الأضداد الحسية التي قابل القرآن بينها: الطيب والخبيث، وقبل الحديث عن صيغ المقابلة بينهما، وموضوعاتها، حريٌّ بنا البدء بتعريف كل منها.

فأما الطيب:

فأصل مادة (ط ي ب) تدل على خلاف الخبيث [١].

فالطَّيِّب: ضد الخبيث، والطَّيِّبُ: الحلال [٢].

يقال: طابَ يَطيبُ طِيبًا فهو طَيِّبٌ [٣].

ويقال: مَا أطيَبَه وأَيطَبَه وأَطيبْ بِهِ وأَيْطِبْ بِهِ، كلَّه جَائِز [٤].

والطِّيْبُ: ما يُتَطَيَّب به [٥]. واستطابه: وجده طيِّبًا [٦].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٤٣٥).

(٢) انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد (١/ ٣٦٣)، الصحاح، الجوهري (١/ ١٧٣).

(٣) انظر: العين، الفراهيدي (٧/ ٤٦١)، المفرادت، الراغب (ص ٥٢٧).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٤/ ٢٩).

(٥) انظر: الصحاح، الجوهري (١/ ١٧٣).

(٦) انظر: الصحاح، الجوهري (١/ ١٧٣).

وسمي الاستنجاء استطابةً؛ لأن الرجل يطيب نفسه مما عليه من الخبث بالاستنجاء [1].

والطَّيِّبِ: ما تستلذّه النفس والحواسّ [2].

والطَّيِّباتُ من الكلام: أَفْضَلُهُ وأَحْسَنُهُ [3].

وأما الخبيث:

فأصل مادة (خ ب ث) تدل على خلاف الطيب [4].

يقال: خَبُثَ الشيءُ خَبَاثةً وخُبْثًا فهو خَبيثٌ، أي: ليس بطيب [5].

وأَخْبَثَ فهو مُـخْبِث: صارَ ذا خُبْثٍ وشَرٍّ [6].

والخابث من كل شيء: الرديء، وكل شيء فاسد ينعت بالخبيث، كقولهم: خبيث الطعم واللون [7].

والخَبَثُ: ما تنفيه النار من رديء الفضة والحديد إذا أُذيبا [8].

فالخُبْثُ والخَبِيثُ: ما يكره رداءةً وخساسة، محسوسًا كان أو معقولًا [9].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٤٣٥).

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٥٢٧).

(٣) انظر: العين، الفراهيدي (٧/ ٤٦١).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ٢٣٨).

(٥) انظر: العين، الفراهيدي (٤/ ٢٤٨).

(٦) انظر: العين، الفراهيدي (٤/ ٢٤٩).

(٧) انظر: العين، الفراهيدي (٤/ ٢٤٩).

(٨) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٧/ ١٤٦).

(٩) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٢٧٢).

وقد بلغ عدد المقابلات بين الطيب والخبيث إحدى عشرة مقابلة.

وجاءت المقابلة بينهما في صورتين:

الأولى: المقابلة بين الطيب والخبيث بصيغهما المختلفة، وهو الأغلب.

نحو قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٧٩].

وقوله سبحانه: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة المائدة: ١٠٠].

فقوله: ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ يقابله ﴿ٱلطَّيِّبِ﴾.

وقوله: ﴿ٱلْخَبِيثُ﴾ يقابله ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾.

الثانية: مقابلة الطيب بأنواع من الخبيث.

ففي هذه الصورة يذكر الطيب ويقابله ذكر أنواع من الخبيث؛ كالميتة والخنزير وغير ذلك من الذبائح المحرمة.

نحو قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النحل: ١١٤-١١٥].

وقال جل وعلا: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [سورة المائدة: ٣-٥].

فقوله: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ يقابله ﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ...﴾ إلى آخر ما ذكر من الذبائح المحرمة.

وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ...﴾ إلى آخر ما ذكر من الذبائح المحرمة، ثم قابلها بقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾، ثم ذكر أنواع من الطيبات الحلال.

ولو تأمّلنا الآيات التي ورد فيها المقابلة بين الطيب والخبيث، لوجدناها تتحدث عن أوجه الاختلاف بين الطيب والخبيث، وبعض المعالم في العلاقة بين الطيب والخبيث، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الاختلاف بين الطيب والخبيث.

المطلب الثاني: العلاقة بين الطيب والخبيث.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف الطيب والخبيث

من أغراض المقابلة بين الطيب والخبيث: بيان اختلاف الطيب والخبيث، ونفي المساواة بينهما.

ووجوه الاختلاف بين الطيب والخبيث ثلاثة [1]:

١. **الحقيقة**: فحقيقة الطيب تختلف عن حقيقة الخبيث ولا تساويها، فالإيمان يختلف عن الكفر ولا يساويه، والطاعة تختلف عن المعصية ولا تساويها.

٢. **الحكم**: يختلف الطيب والخبيث في الحكم، فلكل منها حكم يليق به؛ فالطيب حلال، والخبيث حرام.

٣. **العاقبة**: عاقبة الطيب حميدة، وعاقبة الخبيث ذميمة، فعاقبة الإيمان تختلف عن عاقبة الكفر، وعاقبة الطاعة تختلف عن عاقبة المعصية.

فأما الاختلاف في الحقيقة:

---

(١) انظر: المنار، محمد رشيد رضا (٧/ ١٠٣).

فقال الله عز وجل: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة المائدة: ١٠٠].

أفادت هذه الآية الكريمة أن الطيب والخبيث لا يستويان، وأن بينهما بونًا شاسعًا، وفرقًا ظاهرًا[(١)].

ونفي المساواة لا يختص بالمحسوسات فقط، بل يشمل المعقولات والأمور المعنوية أيضًا[(٢)]، لذلك فسَّر بعض المفسرين الطيب والخبيث بالمؤمن والكافر، والمطيع والعاصي[(٣)].

وقيل: الحلال والحرام، والجيد والرديء[(٤)].

وهذه إنما قيلت على سبيل ضرب المثل، والصحيح أن لفظ الآية عامٌّ في جميع الأمور التي يمكن أن توصف بالطيبة والخبث؛ من الأقوال، والأعمال، والعلوم، والأموال، والأطعمة، وغير ذلك[(٥)].

وفي الآية إشارةٌ إلى أن الخبيث أكثر من الطيب في أكثر الأحوال، لذلك بَيَّنَت الآية أن الطيب القليل خيرٌ من الخبيث الكثير، فالكثرة والقلة ليست معيارًا صحيحًا للحكم على الأشياء جودةً ورداءةً، والجيد وإن قَلَّ خيرٌ من الرديء وإن

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ٦٨٢).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٢/ ٤٤٢).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (١١/ ٩٦).

(٤) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي (١/ ٥٩٠).

(٥) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٢٤٤).

كثر[1].

وكما أن الكثرة لا تدل على الجودة، فكذلك القلة لا تدل على الجودة أيضًا، فقد يستدل بعض أهل البدع على صحة مذهبهم بقلة عددهم، وهذا استدلال باطل، فالصحة والبطلان أو الجودة والرداءة لا تعرف بالكثرة أو القلة، وإنما تعرف بتوفر شروطها ومواصفاتها.

ومن أوجه الاختلاف في الحقيقة الاختلاف في الصفات.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٤-٢٧].

فبعد أن ذكر سبحانه وتعالى حال أهل السعادة (أهل الإيمان) وحال أهل الشقاوة (أهل الكفر)، أتبعه بضرب مثلٍ محسوس، تقريبًا لمعانٍ معقولة، فشبّه الكلمة الطيبة (كلمة الإيمان) بالشجرة الطيبة، وشبّه الكلمة الخبيثة (كلمة الكفر) بالشجرة الخبيثة.

ووصف الشجرة الطيبة بثلاث صفات:

١. ثبات الأصل.

---

(١) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق د. هند سردار (٢/ ٤٥٩).

٢. علو الفروع.

٣. طيب الثمار.

فشبّه الإيمان في رسوخه وثباته في قلب المؤمن علمًا واعتقادًا؛ بالشجرة الطيبة في ثباتها.

وشبّه فروع الإيمان من العمل الصالح والكلم الطيب، والأخلاق الحميدة، في صعودها إلى السماء، بفروع الشجرة الطيبة العالية، التي تحلق عاليًا في السماء.

وشبّه الإيمان يجني المؤمن ثمرته في الدنيا والآخرة، بالثمر الطيب الذي يخرج من الشجرة الطيبة (١).

وشبّه كلمة الكفر في خوائها وضعفها؛ بالشجرة الخبيثة التي اقتلعت من فوق الأرض، ليس لها أصل. فكذلك الكفر، ليس له أصل ولا حجة (٢).

وكلمة الكفر ثمرتها: اضطراب في الاعتقاد، وضيق في الصدر، وكدر في التفكير، وضر متعاقب.

وهي ضِدّ الكلمة الطيبة (كلمة الإيمان) في جميع صفاتها (٣).

فشتان بين الطيب والخبيث، وأنى يستويان.

فالطيبات من المحسوسات والمعقولات تختلف في حقيقتها وصفاتها عن

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٤٢٥).

(٢) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٤٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٣/ ٢٢٤).

الخبائث في حقيقتها وصفاتها.

والطيب تميل إلى النفوس بفطرتها، والخبيث تنفرمنه الطباع السوية، والطيب نافعٌ للناس، والخبيث بعكس ذلك.

وأما الاختلاف في الحكم:

فقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].

وقد وصفت هذه الآية الكريمة النبي صلى الله عليه وسلم بعدة أوصاف، منها: أنه يحلّ الطيبات للناس، فيحلّ لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من البهائم ونحو ذلك، مما كانوا ضيقوا به على أنفسهم، ويحرم عليهم الخبائث؛ كلحم الخنزير والربا، وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله تعالى.

فمما تميزت به شريعة محمد صلى الله عليه وسلم أنها أحلّت الطيبات ولم تحرّم منها شيئًا، كما حُرِّم في شرع غيره، وحَرَّمت الخبائث ولم تحلّ منها شيئًا كما استحل في شرع غيره[1].

فكل ما أحلّ الله تعالى، فهو طيبٌ نافعٌ في البدن والدين، وكل ما حرمه،

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/ ٤٤١).

فهو خبيثٌ ضارٌّ في البدن والدين [1].

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ [سورة البقرة: ١٧٢-١٧٣].

وقال عز وجل: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٥﴾ [سورة النحل: ١١٤-١١٥].

فامتنَّ الله عز وجل على المؤمنين بإباحة ما في الأرض من الطيبات [2]، وأمرهم بالأكل منها، ووصفها بأنها حلال، وأطلق الإباحة فيها، ثم أعقبها بذكر المحرم بكلمة (إنما) المفيدة للحصر [3].

وفي سورة المائدة بدأ بذكر المحرمات النجسة، ثم أتبعه ببيان حلّ الطيبات.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/ ٤٨٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢/ ١١٤).

(٣) انظر: الجامع الأحكام القرآن، القرطبي (٢/ ٢١٦).

عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [سورة المائدة: ٣-٥].

فذكر الطيبات وبيّن أن حكمها التحليل، فدلَّ على أن طيبها علة التحليل، وأفاد أن الخبائث ـ التي هي ضد الطيبات ـ حرام(١).

وقد مضى مزيد حديث عن هذه القضية في مبحث المقابلة بين الحل والحرمة(٢).

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٦٧].

فقد أمر الله عز وجل عباده المؤمنين أن ينفقوا من طيبات كسبهم، أي: حلاله، فهو أمرٌ بالصدقة من الحلال، ويدل على أن من تصدق من الحرام لا يقبل منه؛ لأن الواجب عليه أن يردها إلى موضعها(٣).

وقيل: إن المعنى: لا تعدلوا عن المال الحلال، وتقصدوا إلى الحرام،

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٦/ ١١١).

(٢) انظر: (ص ١٦٧).

(٣) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (١/ ١٧٨).

فتجعلوا نفقتكم منه [1].

ويشهد لهذا المعنى قول النبي الله صلّى الله عليه وسلّم : ((**أيها الناس، إن الله طيِّبٌ لا يقبل إلا طيِّبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [سورة المؤمنون: ٥١]. **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [سورة البقرة: ١٧٢]. **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث [2] أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!**)) [3].

وأما الاختلاف في العاقبة:

فالعاقبة على ضربين:

- العاقبة في الدنيا.
- والعاقبة في الآخرة.

ومن صور العاقبة في الدنيا: الثمرة العاجلة، فثمرة الطيب طيبة، وثمرة الخبيث خبيثة، فالأرض الطيبة تخرج ثمرًا طيبًا، والأرض الخبيثة تخرج ثمرًا

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ٦٩٧).

(٢) الأشعث: من تفرق شعر رأسه.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (١/ ٣٥٥)، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (٢/ ٤٧٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (١٠١٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

خبيثًا.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الأعراف: ٥٨].

فالأرض ذات التربة الخصبة المشتملة على كل ما يحتاجه النبات، يخرج نباته طيبًّا غزيرًا كثيرًا، يُشبع ويُرضي الزارع بإذن الله.

والأرض الخبيثة التي ليس فيما مقومات حياة النبات، كأن تكون حجرية، أو مالحة أو رملية لا تمسك ماء، يخرج نباتها قليلًا، لا يسمن ولا يغني من جوع، يصيب الزارع بنكد وغم وحزن، وكأنه ينبت ذلك النكد الذي لَا طيب فيه ولا نفع منه (١).

والمقصود من هذه الآية التمثيل، وليس المقصود مجرد تفصيل أحوال الأرض بعد نزول المطر؛ لأن الغرض المسوق له الكلام يجمع أمرين: العبرة بصنع الله، والموعظة بما يماثل أحواله (٢).

والمُمَثَّل له هنا القلوب، فالقلوب حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، كما أن الغيث مادة الحياة، فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، تقبله وتعلمه وتنبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها.

وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلًا

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٦/ ٢٨٧٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٨/ ١٨٤).

قابلًا، بل يجدها غافلة معرضة، أو معارضة، فيكون كالمطر الذي يمرّ على السباخ والرمال والصخور، فلا يؤثر فيها شيئًا [١].

ويشهد لهذا المعنى ما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكانت منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكَلَأَ والعُشب الكثير. وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قِيعَان [٢] لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، فذلك مَثَل من فَقُهَ في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**)) [٣].

وكما أن عاقبة الطيب تختلف عن عاقبة الخبيث في الدنيا، فكذلك في الآخرة؛ فعاقبة الطيبين الجنة، وعاقبة الخبيثين النار، والعياذ بالله.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ٣٦

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٢٩٢).

(٢) قيعان: جمع قاع، وهو المستوي من الأرض، يمسك ماء المطر.

انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٦٨٨)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤/ ١٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلّم (٧٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم (٢٢٨٢)، عن أبي مويس الأشعري رضي الله عنه.

لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الأنفال: ٣٧].

فالله عز وجل يحشر الذين كفروا بربهم، وأنفقوا أموالهم للصدّ عن سبيل الله إلى جهنم؛ ليفرق بينهم وبين المؤمنين بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم. فميَّز جلَّ ثناؤه بين مآل الطيبين فأسكنهم جناته، ومآل الخبيثين فأنزلهم ناره [1].

قال ابن عباس رضي الله عنه: ((ميّز أهل السعادة من أهل الشقاوة)) [2].

وذهب بعض المفسرين إلى أن التمييز في هذا الآية في المال المُنْفَق، وأن اللام في ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ﴾ متعلق بجملة ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾، فالمؤمنون ينفقون أموالهم في سبيل الله، والكافرون ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله، فلا يستون عند الله [3].

والمعنى الأول أقرب؛ لأن حشر الكافرين في جهنم وجمع بعضهم إلى بعضٍ فيها، تميزٌ لهم عن من المؤمنين في العاقبة [4]، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة يس: ٥٩].

وأثمرت المقابلة بين الطيب والخبيث الفوائد الآتية:

- الطيب والخبيث مختلفان في الحقيقة، والحكم، والعاقبة.

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٣/ ٥٣٤).

(٢) أخرجه الطبري في جامعه (١٣/ ٥٣٥).

(٣) انظر: البسيط، الواحدي (١٠/ ١٤٦).

(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٥٢٦).

- صفات الطيب تختلف عن صفات الخبيث .
- يغلب على الطيب القلة، وعلى الخبيث الكثرة، وإن كانت الكثرة والقلة ليست معيارًا صحيحًا للحكم بطيب الأشياء خبثها .
- الطيبات حلال في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، والخبائث حرام فيها .
- الطيب يثمر طيبًا، والخبيث يثمر خبيثًا .
- عاقبة الطيب طيبة، وعاقبة الخبيث خبيثة .

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
علاقات أخرى بين الطيب والخبيث

أشارت آيات المقابلة بين الطيب والخبيث إلى بعض معالم العلاقة بينهما. ومن ذلك:

١. الاشتباه والاختلاط.

الطيب والخبيث ضدان، إلا أنه قد يختلطان ببعض، فيصعب التمييز بينهما، ويزداد الأمر صعوبة إذا كان الوصف بالطيبة والخبث لأمر معنوي غير حسي؛ كالإيمان والكفر.

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٧٩].

كان الناس في العهد المكي إما مؤمن أو كافر، وبعدما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ظهر صنف ثالث (المنافقون)، وهم قومٌ أظهر الإسلام وأبطنوا الكفر، فالتبس حالهم بحال المؤمنين.

والمؤمن طيبٌ، والمنافق خبيثٌ، فالتبس الأمر بينهما؛ نظرًا لأن الطيبة والخبث هنا معنوية لا تظهر على الوجوه.

فاحتاج الأمر إلى التمييز بين المؤمنين والمنافقين، وهذا التمييز والتمحيص يكون من خلال الابتلاء والاختبار، تارةً يكون الابتلاء بتشريع بعض الأحكام؛ كالجهاد في سبيل الله، والإنفاق في سبيل الله، وتارةً تكون بالابتلاء ببعض المصائب كما حدث في غزوة أحد.

والحكمة من هذا الابتلاء والاختبار؛ ليعلم المؤمنون من هم المؤمنون حقًّا، ومن هم المنافقون، أما الله عز وجل فلا تخفى عليه خافية، ولا يلتبس عليه مؤمن بكافر.

وإنما لما كان أمر القلوب غيبًا مما يستأثر الله به، ولا يطلع الناس عليه، شاء الله سبحانه أن يكشف هذا الغيب بالصورة المناسبة للبشر، وبالوسيلة التي يدركها البشر، فكان هذا الابتلاء؛ ليتكشف مخبوء القلوب، ويتميز الخبيث من الطيب، ويتبين من هم المؤمنون بالله ورسله على وجه القطع واليقين [١].

فالله عز وجل ما كان ليدع هذا الالتباس بين المؤمن والمنافق مستمرًا، بحيث لا يُعرف هذا من هذا، بل لابد أن يحصل التمييز بين المؤمن المخلص الصادق في إيمانه، والمنافق المبطن للكفر، بالمحن والاختبار، كما ميَّز بينهم يوم أحد عند لقاء العدوّ عند خروجهم إليهم [٢].

وما كان الله ليؤتي أحدًا علمَ الغيب، فلا يتوهم عند إخبار الرسول عليه

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (١/ ٥٢٢).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٧/ ٤٢٤).

الصلاة والسلام بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب، فيخبر عن كفرها وإيمانها، ولكن الله يوحي إليه ويخبره بأن في الغيب كذا، وأن فلانًا في قلبه النفاق، وفلانًا في قلبه الإخلاص، فيعلم ذلك من جهة إخبار الله له، لا من جهة اطلاعه على المغيبات (1).

والتمييز بين المؤمنين والمنافقين لا يلزم منه الاطلاع على الغيب، وإنما يكفي فيه قرائن الأفعال والأقوال (2).

٢. استبدال الخبيث بالطيب.

قد يكون لأحدهم مالٌ خبيثٌ رديء، فيستبدله بمالٍ طيب جيد، لكن بوجهٍ غير مشروع، فيه الحيلة والغش والخديعة.

قال الله جل وعلا: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ [سورة النساء: ٢].

فنهى الله عز وجل أوصياء اليتامى أن يستبدلوا أموال اليتامى المحرمة عليهم بأموالهم التي هي حلال لهم (3)، كأن يأخذ الجيد من أموال اليتامى، ويعطي مكانه الرديء من ماله؛ كمن يأخذ شاة سمينة من أموال اليتيم، ويضع مكانها شاةً هزيلة.

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ٤٤٥).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٥٤٦).

(٣) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٢/ ١٢١٥).

فجعل مال اليتيم ـ وإن كان جيدًا ـ خبيثًا، وماله ـ وإن كان رديء ـ طيبًا؛ لأن مال اليتيم محرمٌ عليه فهو خبيث، وماله حلالٌ له فهو طيب[1].

فالحلال الطيب يصير خبيثًا إذا اكْتُسِبَ بوجهٍ محرّم.

فالكسب الحلال طيب، والكسب الحرام خبيث.

وقيل: الخبيث: أكل مال اليتيم، وتضييع حقوقه، وإفساد مصالحه أو تفويتها، إهمالًا وتقصيرًا، عن عمد أو غير عمد.

والطيب: رعاية مال اليتيم، وحسن القيام عليه، وتحرّى أعدل الوجوه لإنمائه وتثميره[2].

٣. تنافر الطيب والخبيث.

لما كان الطيب والخبيث ضدان، كان بينهما تنافر واختلاف، فلا يميل أحدهما إلى الآخر.

وفي المقابل يميل كل صنف إلى شبيهه؛ فالطيب ينجذب إلى الطيب، والخبيث يميل إلى الخبيث.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة النور: ٢٦].

فكل خبيث من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسبٌ للخبيث،

---

(١) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق د. عادل الشدي (٢/ ١٠٨٢).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (٢/ ٦٨٨).

وموافقٌ له، ومقترنٌ به، ومشاكلٌ له، وكل طيب من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسبٌ للطيب، وموافقٌ له، ومقترنٌ به، ومشاكلٌ له، وهذا عامٌّ في كل شيء[1].

فالأقوال والأعمال الطيبة تدل على طِيب صاحبها، فالطيب يصدر عنه الأقوال والأعمال الطيبة، والأقوال الأعمال الخبيثة تدل على خبث صاحبها، فالخبيث يصدر عنه الأقوال والأعمال الخبيثة.

والناس ينجذب كل منهم إلى شبيهه، فالطيب يتزوج الطيبة، ويصاحب الطيبين، والخبيث يتزوج الخبيثة، ويصاحب الخبيثين.

وهذه سنة إلهية اجتماعية، نشاهدها في واقع الناس، فالطيور على أشكالها تقع[2].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**الأرواح جنودٌ مجنّدة؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**))[3].

وهذا كله مما يمايز بين الطيب والخبيث، ويجعل الفرق بينهما واضحًا.

وأثمرت المقابلة بين الطيب والخبيث الفوائد الآتية:

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٥٦٥).

(٢) انظر: الوسيط، سيد طنطاوي (١٠/ ١٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة (٣٣٣٦)، ووصله في كتاب الأدب المفرد، باب الأرواح جنود مجندة (٩٠٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة.

- قد يختلط الطيب بالخبيث، فيصعب التمييز بينهما، خاصةً في المعنويات، لكن هناك قرائن وأمارات تساعد على التمييز بينهما.
- الابتلاء والاختبار من وسائل تمييز الطيب والخبيث، فالنار تميّز بين طيب المعدن وخبيثه.
- يفضل بعض الناس الكسب الخبيث، ويستدله بالطيب.
- بين الطيب والخبيث علاقة تنافر، وبين كل صنف وشبه علاقة مناسبة والمشاكلة، فالطيب ينجذب إلى الطيب، والخبيث يميل إلى الخبيث.

❁ ❁ ❁

المبحث السابع
المقابلة بين الكبر والصغر

من الأضداد الحسية التي قابل القرآن الكريم بينها: الكِبَر والصِّغَر.

فأما الكِبَر:

فأصل مادة (ك ب ر) تدل على خلاف الصغير، يقال: هو كبير، وكُبارٌ، وكُبَّار [١].

وكَبِرَ الرجل يَكْبَرُ كِبَرًا، أي: أَسَنَّ [٢].

وكَبُرَ يَكْبُرُ كِبْرًا، أي: عَظُمَ. وأَكْبَرْتُ الشَّيْءَ، إذا استعظمته. والكِبْر: العَظَمَة، وكذلك الكِبْرِيَاء. والكِبْرُ أيضًا: مُعْظَمُ الأمر [٣].

والكَبِيرَةُ: متعارفة في كلّ ذنب تعظم عقوبته، والجمع: الكَبَائِرُ. وتستعمل أيضًا فيما يشقّ ويصعب [٤].

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٥/ ١٥٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٠/ ١٢١).

(٣) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٨٠١).

(٤) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٦٩٦).

وأما الصِّغَر:

فأصل مادة (ص غ ر) تدل على قِلَّة وحقارة [1].

والصِّغَر: ضِدُّ الكِبَرِ. والصَّغِيرُ: خلاف الكَبِيرِ [2].

يُقَال: صَغُرَ يَصْغُرُ صِغَرًا [3].

والكِبَر والصِّغَر أمرٌ نسبي، فالشيء كبيرٌ إذا قورن بما هو أصغر منه، وصغير إذا قورن بما أكبر منه.

ويطلقان باعتبارات متعددة، منها: العمر، والحجم، والمقدار، والمنزلة [4].

وأصل استعمال الكِبَر والصِّغَر في الأعيان، واستعير للمعاني [5].

وقد بلغ عدد المقابلات بين الكِبَر والصِّغَر ثمان مقابلات.

وجاءت المقابلة بينهما في صورتين:

الأولى: المقابلة بين الكِبَر والصِّغَر بصيغهما المختلفة، وهو الأغلب.

نحو قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة القمر: ٥٢-٥٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٢٩٠).

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٧١٣).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٨/ ٦٠).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص ٤٨٥).

(٥) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٦٩٦).

كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [سورة التوبة: ١٢١].

فقوله: ﴿صَغِيرَ﴾ يقابله ﴿وَكَبِيرَ﴾.

وقوله: ﴿صَغِيرَةً﴾ يقابله ﴿كَبِيرَةً﴾.

الثانية: مقابلة الكِبَر بما يدل على الصِغَر.

ففي هذه الصورة يذكر الكِبَر يقابله ما يدل على الصِّغر؛ كاللمم.

نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة النجم: ٣٢].

وقال جل وعلا: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة السجدة: ٢١].

فقوله: ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ يقابله ﴿ٱللَّمَمَ﴾ فالمقابلة هنا بين كبائر الذنوب وصغارها.

ولو تأمّلنا الآيات التي ورد فيها المقابلة بين الكِبَر والصِّغَر، لوجدناها إما تبين وجه الاختلاف بينهما، أو تشير إلى محل اتفاقٍ بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف الكِبَر والصِّغَر.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه الكِبَر والصِّغَر.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف الكبر والصغر

لقد قسَّمت آيات المقابلة بين الكِبَر والصِّغَر أعمال بني آدم إلى كبير وصغير، إلا أنه غلب عليها المساواة بينهما إلا الذنوب والمعاصي، فقد أشارت آيات المقابلة إلى جانبين من جوانب الاختلاف بين كبائر الذنوب وصغائرها:

١. الفعل والترك.

ففي سياق الحديث عن صفة المحسنين أشار القرآن الكريم إلى اجتنابهم المعاصي والسيئات، فقال الله جل وعلا: ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [سورة النجم: ٣١-٣٢].

فقد وصف الله عز وجل المحسنين بأنهم جمعوا مع إحسانهم اجتناب كبائر الإثم والفواحش، فهم جمعوا بين فعل الحسنات، واجتناب السيئات، وذلك جماع التقوى [١].

وقد قسّمت الآية الكريمة الذنوب إلى صنفين:

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٧/ ١٢٠).

- **كبائر وفواحش**: وهي الآثام الكبيرة التي شدَّد الدين في التحذير منها، أو ذكر لها وعيدًا بالعذاب، أو أوجب على فاعله حدًّا، والفواحش من الكبائر، وهي أقوى إثمًا، وأشنع فعلًا [١].
- **لمم**: وهي الصغائر، ويدخل فيها مقدمات الكبائر [٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة رضي الله عنه [٣]، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه**)) [٤].

وقيل: إن صِغَر الذنوب وكِبَرها أمر نسبي، يختلف بمقارنة ذنبٍ بذنب، وبحسب الفاعل، وبحسب الأوقات والأماكن أيضًا، فأكبر الكبائر الشرك، وأصغر الصغار حديث النفس، وبينهما وسائط [٥].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٧/ ١٢١).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٨/ ١٦٢).

(٣) عبد الرحمن بن صخر الدوسي، مختلف في اسمه واسم أبيه، مشهورٌ بأبي هريرة، أكثر الصحابة روايةً للحديث، توفي سنة ٥٧ هـ.
انظر: أسد الغابة، ابن الأثير (٦/ ٣٣٦)، الإصابة، ابن حجر (٧/ ٤٢٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج (٦٢٤٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا (٢٦٥٧).

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٢/ ١٧١).

وقد نصَّت الآية الكريمة أن المحسنين ـ رغم إحسانهم ـ لم يستطيعوا أن يجتنبوا جميع الذنوب والمعاصي، فإن ذلك أمرٌ متعذر، ولم ينجُ من ذلك إلا الأنبياء عليهم السلام؛ لعصمة الله عز وجل لهم، فمقامهم مقام تشريع واقتداء.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**كل ابن آدم خطاء، فخير الخطائين التوابون**))(١).

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: ((ابن آدم خُلِق خَطَّاءً، إلا من رحم الله عز وجل))(٢).

وتقرير هذه الحقيقة ـ أن الإنسان لا يسلم من الوقوع في المعصية والخطأ ـ لا يعني أن الصغائر التي لا تبلغ حدًّا الكبائر مما يباح الإلمام به، وغشيان حماه، وأنه ذلك داخلٌ في حيز المغفور.

فهذا تأويلٌ فاسد، وحقيقته أنه من خطوات الشيطان، فإن الّلمم بالفاحشة ذريعة للوصول إليها، ومن يحوم حول الحمى يوشك أن يواقعه.

فاستثناء اللمم ليس مبيحًا لها، أو رافعًا للإثم عنها، بل هو من باب الرحمة بالإنسان، والتخفيف عن ضعفه البشريّ، فقد يغلبه ضعفه، فتندّ منه النظرة، أو

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك (٢٠/ ٣٤٤) (١٣٠٤٩)، والترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب رقم ٤٩ (٢٤٩٩)، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (٤٢٥١)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة.

وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٣١) (٤٥١٥).

(٢) أخرجه عبدالله بن المبارك في الزهد (ص ١٠١) (٢٩٩).

تفلت منه الهفوة، ثم سرعان ما تدركه رحمة ربّه، فيرجع إليه من قريب، فيجده ربّا غفورًا رحيمًا، يلقاه بالمغفرة (١).

وقد عقَّبت الآية بفتح باب الرحمة والأمل لمن أَلَـمَّ بشيء من ذلك فقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته، ويعلم أن باب التوبة والمغفرة مفتوح وواسع، لصغائر الذنوب وكبائرها (٢).

٢. التكفير.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة النساء: ٣١].

ويدلّ إضافة ﴿كَبَآئِرَ﴾ إلى ﴿مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ على أن المنهيات قسمان: كبائر، ودونها، وهي التي تسمى الصغائر، فالمقابلة بين الكبائر والسيئات تدل على أن المراد بالسيئات هنا الصغائر (٣).

فالمراد بالسيئات المكفرة باجتناب الكبائر: هي صغائر الذنوب، التي لا يسلم منها أحد، وتقع من أهل الصلاح وأهل الفسق، مثل النظرة واللمسة والقبلة، وأمثال ذلك (٤).

وهذا من فضل الله وإحسانه على عباده المؤمنين، فجعل اجتناب كبائر

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (١٤/ ٦١١).

(٢) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (٥/ ١٦٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٥/ ٢٦).

(٤) انظر: البسيط، الواحدي (٦/ ٤٧٤).

المنهيات سببًا لغفران باقي الذنوب والسيئات [1].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر**)) [2].

فأداء الفرائض مع ترك الكبائر تكفر السيئات، وأما الكبائر فلا تكفرها إلا التوبة منها [3].

وأثمرت المقابلة بين الكِبَر والصِّغَر الفوائد الآتية:

- أعمال بني آدم منها الكبير والصغير، حسنها وسيئها.
- صغائر الذنوب لا يسلم منها أحد، ويكفرها الله بأداء الواجبات وترك الكبائر.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ١٧٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة... (٢٣٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، ابن قاسم (٧/ ٤٩٠)، (١٨/ ٣٤١).

المطلب الثاني
ما يشترك فيه الكبر والصغر

الوصف الكِبَر والصِّغَر في القرآن الكريم على نوعين:

الأول: كِبَر وصِغرَ حسي: ومنه وصف الإنسان بالكِبَر أو الصِّغَر.

والثاني: كِبَر وصِغَر معنوي: ومنه وصف أعمال الإنسان بالكِبَر أو الصِّغَر.

وقد أشارت آيات المقابلة بين الكِبَر والصِّغَر إلى بعض صور الاتفاق والاشتراك بين الكِبَر والصِّغَر، سواء الحِسِّي أو المعنوي.

فمن الحسيّ:

ما ذكر الله عز وجل من كِبَر الوالدين، وصِغَر الأبناء.

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الإسراء: ٢٣-٢٤].

فقد قابلت الآية الكريمة بين حال الوالدين في الكِبَر، وحال ولدهما في الصِّغَر، فقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ يقابله ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

وقد قال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ

جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة الروم: ٥٤].

فيخرج الإنسان من بطن أمه ضعيفًا نحيفًا، واهن القوى، ثم يشب قليلًا قليلًا حتى يكون صغيرًا، ثم حَدَثًا، ثم مُرَاهِقًا، ثم شابًّا، فيقوى بعد ضعف، ثم يشرع في النقص فَيَكْتَهِل، ثم يشيخ، ثم يهرم، فيضعف بعد قوة. فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللمة، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة (١).

فأول أمر الإنسان ضعفٌ في حال الطفولة والنشء، ثم قوةٌ وقت الشباب، ثم يرد إلى الحال الأول وهو الضعف عند الشيخوخة والهرم (٢).

فوجه الشبه بين صِغَر الإنسان وكِبَره هو الضعف، فكلاهما حال ضعف.

ولعِظَم حقّ الوالدين، قرن الله عز وجل الأمر بعبادته وتوحيده بالأمر بالإحسان إلى الوالدين.

وقد تكرر هذا المعنى في ثلاثة مواضع غير هذا الموضع، هي:

قوله جل وعلا: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا ﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

وقوله سبحانه: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ [سورة النساء: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٣٢٧).

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ٤٨٦).

ومجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين في صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد، بعد الأمر المؤكد بعبادة الله (١).

وهما أولى بالإحسان من جميع الناس، فلا يكون الرجل كريمًا مفاخرًا بالعطاء بين الناس، ولا يحسن إلى أبويه (٢).

فالوالدان يبذلان الغالي والرخيص لأولادهما، ويضحيان بكل شيء لأجلهم، فيجوعان ليشبع أولادهما، ويلبسان البالي ليلبس أولاهما الجديد، ويبكيان ليضحك أولادهما، يفعلان ذلك وهما في غاية الفرح والسرور.

فحقهما أعظم حقوق البشر، والبر والإحسان بالوالدين واجبٌ لهما في كل وقت، وإنما نصَّ على حال الكبر؛ لأنهما حال شبابهما وقُوتهما ليسا مظنّة الإهانة والإهمال، ولا مجال للتأفف والتضجُّر منهما، فهما في حال القوة والقدرة على مواجهة الحياة، بل إن الأولاد في هذه الحال يتقربون للآباء، ويتمنون رضاهما، لينالوا من خيرهما.

لكن في حال الكِبَر، وبلوغ مرحلة الشيخوخة يحصل الضعف، وتظهر الحاجة إلى الإعالة، فبعد أنْ كان مُعْطيًا أصبح آخذًا، وبعد أنْ كان عائلًا أصبح معيلًا، فزمن الكِبر هو زمن الضعف والحاجة (٣).

فإذا كبر الوالدان، وتحولت قوتهما إلى ضعف، فقد حان وقت رد الجميل

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٢١).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٨/ ٤٣٦١).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٤٥٦).

إليهما، فقد أحسنا إليه في صغره، فوجب أن يحسن إليهما في كبرهما.

والإحسان يشمل كل ما يصدق عليه إحسان؛ من الأقوال والأفعال والبذل والمواساة[١].

ومن أهم صور الإحسان إليهما في هذه الحال: الإحسان بالكلمة الطيبة، إذ كان أكثر ما يؤثر فيهما إيجابًا الكلمة الطيبة، وأكثر ما يؤثر فيهما سلبًا الكلمة السيئة.

ولما كان رعاية الوالدين في كِبرهما يعتريها مشقة، وقد يصدر عنهما ما لا يرضى عنه ولدهما، مما يحدو ببعضهم للضجر وإظهار التأفف، فنهاه الله عز وجل عن ذلك[٢].

ونهاه عن زجرهما، وإسماعهما ما لا يعجبهما من القول، بل الواجب أن يكون قولًا جميلًا، مليءً بالتلطف، وبعيدًا كل البعد عن الجفاء والغلظة وسوء الأدب[٣].

وأكّد ذلك بالأمر بخفض الجناح لهما، وهو كناي عن لين الجانب، ولطف المعاشرة، ورقّة الحديث[٤].

ثم ختم بالأمر بالدعاء لهما بالرحمة، مستصحبًا مِنَّتهما عليه في التربية؛

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٦٨).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٨/ ٤٣٦٢).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٥/ ١٦٦).

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآني، عبدالكريم الخطيب (٨/ ٤٧٣).

ليكون تذكر تلك الحال مما يزيد الإنسان إشفاقًا لهما، وحنانًا عليهما [1].

ومن الحسي أيضًا: ما ذكره الله عز وجل من كِبَر الدَّين وصِغَره.

قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢].

فمن مقاصد الشريعة الإسلامية العظام حفظ المال، وحفظ حقوق الناس من الضياع.

ومن عادة بعض الناس التساهل والتسمح في الحقوق اليسيرة، فنبه القرآن الكريم إلى عدم التهاون في ذلك، وأنه لا فرق في الحقوق بين ما عظم وجلَّ في أعيننا وبين ما صغر وحقر فيها.

والتعاملات المالية من أكثر المعاملات التي تدور بين الناس، ولا يخلُ يوم في حياة الإنسان إلا وله فيه تعاملٌ مالي؛ من بيع وشراء، وإجارة، وغير ذلك.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ٤٤٩).

والتداين من أعظم أسباب رواج المعاملات؛ لأن المقتدر على تنمية المال قد يعوزه المال، فيضطر إلى أخذ الدين؛ ليظهر مواهبه في التجارة، أو الصناعة، أو الزراعة، وشرع الله تعالى للناس بقاء التداين المتعارف بينهم كيلا يظنوا أن تحريم الربا والرجوع بالمتعاملين إلى رؤوس أموالهم إبطال للتداين كله. بل شرع له تشريع آخر مكمل له، وهو التوثق له بالكتابة والإشهاد [1].

وقد خص الله عز وجل في كتابه الكريم أطولَ آيةٍ فيه للحديث عن هذه القضية، فتتناولت جميع صورها[2]، فكل حقٍّ مؤجل هو داخل تحت هذه الآية[3].

والدين المؤجل يحتاج دائمًا إلى الاستيثاق من الوفاء، فبيّن في هذه الآية طريق الاستيثاق من وفاء الدين وعدم جحوده، وهو كتابته والإشهاد عليه [4].

ونظرًا لحساسية موضوع الأموال ذكرت الآية بعض التفاصيل الدقيقة:

- فأمرت بالكتابة، وبيّنت من هو الكاتب وما هي صفته، وكيف يكتب، وأمرت بالإشهاد، وبيّنت جنس الشهود، وعددهم.
- ثم أمرت بعدم التفريق في الكتابة بين الحق الصغير والحق الكبير.
- واستثنى من ذلك التجارة الحاضرة؛ لأنها معاملة ناجزة، لا تحتاج

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣/ ٩٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣/ ٣٧٧).

(٣) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٢/ ٢٩٠).

(٤) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٢/ ١٠٦٤).

إلى كتابة أو إشهاد.

وكتابة الدين تشمل كتابة مقدار الدين، وأجله، ومحله، وصفته[1].

ومن المعنويّ:

ما ذكر الله عز وجل من تقسيم أعمال بني آدم إلى كبير وصغير، وقد أوضحت آيات المقابلة بين الكِبَر والصِّغَر أن أعمال بني آدم تشترك في بعض الأمور رغم اختلافها من حيث الكِبَر والصِّغَر، فمن ذلك:

١. علم الله عز وجل بها، وكتابتها.

فقد أخبر القرآن الكريم أن أعمال بني آدم ـ صغرت أم كبرت ـ لا تخرج عن علم الله عز وجل، ولا تغيب عنه.

قال عز وجل: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [سورة يونس: ٦١].

فيخبر تعالى عن عموم مشاهدته، وسعة اطلاعه على جميع أحوال العباد في حركاتهم، وسكناتهم، في أي حال من أحوالك الدينية والدنيوية، ومهما كان حجم العمل صغيرًا أم كبيرًا، فإن الله مطلعٌ وشاهدٌ عليه أثناء حدوثه[2].

فليس من شأنه سبحانه أن يغيب ويبعد عن علمه سبحانه شيء من أعمال

---

(١) انظر: أحكام القرآن، الكيا الهراسي (١/ ٢٥٩).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٣٦٧).

عباده، مهما بلغ الغاية في الصغر؛ كمثقال ذرة في الوجود السفلي والعلوي، ولا شيء أصغر من الذرة مما لا تبصرونه من دقائق الكون وخفاياه، ولا أكبر من ذلك، إلا وهو معلومٌ له سبحانه، ومحصى عنده في كتاب عظيم الشأن، كُتِبَ فيه مقادير الموجودات كلها [1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سورة سبأ: ٣].

فلا يغيب عنه سبحانه شيء من زنة ذرة فما فوقها فما دونها، سواء كانت في السماوات أو في الأرض، هو مثبت في كتاب، يَبِينُ للناظر فيه أن الله تعالى قد أثبته وأحصاه وعلمه، فلم يعزب عن علمه [2].

وكثيرًا ما يقرن الله عز وجل بين مرتبتين من مراتب القدر: العلم والكتابة، فبين أن علم سبحانه محيط بجميع الأشياء، وأن كتابته محيطة بجميع الحوادث، كقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

(١) انظر: تفسير المراغي (١١/ ١٢٨).
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٠/ ٣٥٠).

يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الحج: ٧٠] (١).

فأعمال بني آدم ـ كبيرها وصغيرها ـ مسجلة في صحائف الأعمال، لم يترك منها شيء.

قال الله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة القمر: ٥٢-٥٣].

فكل شيء فعله أشياع الكفار من الأمم السابقة من خير أو شرٍّ، فهو موجود في كُتُبِ الحفظة الذين يكتبون أعمال العباد، أو في اللوح المحفوظ، ولا فرق في ذلك بين صغير الأعمال ولا كبيرها، فكله مكتوبٌ محفوظٌ عليهم (٢).

فأعمال العباد صغيرها وكبيرها مكتوبة في اللوح المحفوظ على فاعليها قبل أن يفعلوها، ومكتوب لهم وعليهم جزاء ما فعلوه (٣).

ويظهر هذا جليًّا في موقف تطاير الصحف، يوم يرى كل إنسان ما قدمت يداه، ويرى جميع أعماله موجودةٌ في صحائف أعماله، خيرها وشرها.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة الكهف: ٤٩].

فيوم القيامة توضع كتب أعمال بني آدم التي كتبتها الملائكة بين يدي الله،

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٣٦٨).

(٢) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (٩/ ١٧٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٥/ ٩٢).

والخلائق شاهدون، فتظهر على وجوه المجرمين أمارات الخوف مما سوف يحصل.

فإذا رأوا كتبهم، تعجبوا من شأنها، فهي لا تترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا إلا ضبطته وحفظته، بمقاديره وأوصافه، دون التسامح في شيء منها (١).

فسبب تعجبهم هو أن هذا الكتاب لا يترك أي عمل، صغر في أعينهم أو كبر، كانوا يحتقرونه أو يعظمونه، وبدأو بذكر الصغيرة لأنها أولى بالتعجب من إحصائها، وعطفت الكبيرة عليها لإفادة التعميم في الإحصاء، والتعميم يزيد التعجب، فعجبًا من الكتاب يحيط بجميع الأعمال (٢).

فحينئذ يقرّون بأعمالهم، ويجازون عليها، ويحق عليهم العذاب، بما قدمت أيديهم، وأن الله ليس بظلام للعبيد، بل هم غير خارجين عن عدله وفضله (٣).

٢. المجازاة على الأعمال، صغيرها وكبيرها.

قال الله جلّ وعلا: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [سورة التوبة:

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (٧/ ٤١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٣٣٨).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٤٧٩).

١٢٠-١٢١].

إن الشدائد من أصدق الامتحانات التي تكشف معادن الناس، وتظهر مخبوء صدورهم، وقليلٌ من يتجاوزها بنجاح، متسلحًا بسلاح الصبر، محتسبًا كل ذلك عند الله، راجيًا ما وراءها من المثوبة والأجر.

ومن أعظم الشدائد التي تفضح ما في النفوس: منازل القتال، وساحات النزال، وقد فضحت المنافقين الذين يتظاهرون بالإسلام كما في غزوة أحد، والخندق، وتبوك.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾.

فلم يكن يحل لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله إذا خرج غازيًا في سبيل الله، كما فعل بعضهم في غزوة تبوك، ولا أن يفضلوا أنفسهم على نفسه، فيصونوها ويرغبوا بإيثار راحتها وسلامتها عن بذلها، فيما يبذل فيه نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم (١).

وأخبرهم أنهم لو خرجوا معه، فإن كل عملٍ يقومون به، وكل مشقة يصبرون عليها، أن لهم بها أجرًا عظيمًا، وثوابًا جزيلًا.

فالظمأ والجوع، والمشقة والتعب، وإغاظتهم للعدو، ونيلهم منه، وسيرهم ذاهبًا وإيابًا، ونفقتهم في رحلتهم، كل ذلك مكتوبٌ لهم باعتباره عملًا صالحًا،

(١) انظر: المنار، محمد رشيد رضا (١١/ ٦٠).

ومسجلٌ في كتاب حسناتهم، عند مَنْ لا يُضِيعُ أجر من أحسن عملًا.

فالصبر على الشدائد ـ خاصةً في الجهاد في سبيل الله ـ يؤجر عليه العبد أعظم الأجر [1].

بل إن أعمال العادات ـ من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك ـ يؤجر عليها العبد، إذا أحسن النية، واحتسب الأجر [2].

ويعطي بالحسنة الواحدة عشرة حسنات، إلى سبعمائة حسنة، إلى ما لا يدرك حسابه [3].

ومن تلك الأعمال ما ينفقه من ماله في سبيل الله وإظهار دينه [4]، فإنه مأجورٌ عليها، صغرت أو كبرت، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾.

وقدَّم الصغيرة للاهتمام بها، وإذا كتبت الصغيرة فالكبيرة أحرى [5].

وفتح بذلك مجال الإنفاق في سبيل الله بكل مستوياته، فمن أنفق نفقةً صغيرةً ـ كتمرة ونحوها ـ، فهو مأجورٌ عليها، ومن أنفق نفقةً كبيرةً ـ كتجهيز جيش بأكمله ـ فهو مأجورٌ عليه [6].

---

(١) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٩٧).

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ٣٢١).

(٣) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٩٧).

(٤) انظر: الهداية، مكي بن أبي طالب (٤/ ٣١٨٩).

(٥) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ٩٦).

(٦) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢/ ٣٢٢).

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**اتقوا النار، ولو بشق تمرة**))[1].

فكل أعمال العبد الصالحة مأجورٌ مثابٌ عليها، صغيرةً كانت أو كبيرة.

وأثمرت المقابلة بين الكِبَر والصِّغَر الفوائد الآتية:

- الضعف الذي يصل إليه الوالدين في كبرها يشبه إلى حدٍّ كبير الضعف الذي كان فيه ولدهما في صغره، ومن تذكر فضل والديه عليه في صغره، هان عليه برهما في كبرهما.
- لا فرق في الحقوق بين ما عظم وجلَّ في أعيننا، وبين ما صغر وحقر فيها، فكلها واجبة الحفظ.
- أعمال بني آدم لا تخرج عن علم الله عز وجل، ولا تغيب عنه، يستوي في ذلك صغيرها وكبيرها.
- أعمال بني آدم ـ كبيرها وصغيرها ـ مسجلة في صحائف الأعمال، لم تترك منها شيئًا.
- كل أعمال العبد ـ صالحة كانت أم فاسدة ـ يجازى عليها، صغرت في أعيننا أم كبرت.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد (١٤١٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة (١٠١٦)، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

المبحث الثامن
المقابلة بين المشرق والمغرب

المشرق والمغرب من الأضداد المكانية التي قابل القرآن الكريم بينها .

فأما المشرق:

فأصل مادة (ش ر ق) تدل على إضاءةٍ وفتح [١] .

ويقال لكل شيء طلع من قبل المَشْرِقِ : قد شَرَق [٢] .

والشَّرْقُ : المكان الذي تشرق فيه الشمس [٣] . وهو خلاف الغرب [٤] .

ويقال له : المَشْرِقُ [٥] . والمَشْرِقانِ : مَشْرِقا الصيف والشتاء [٦] .

ويقال : ما بين المشرقين ، أي : ما بين المشرق والمغرب [٧] .

---

(١) انظر : مقاييس اللغة ، ابن فارس (٣/ ٢٦٤) .

(٢) انظر : العين ، الفراهيدي (٥/ ٣٨) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ، الأزهري (٨/ ٢٥١) .

(٤) انظر : العين ، الفراهيدي (٥/ ٣٨) .

(٥) انظر : مقاييس اللغة ، ابن فارس (٣/ ٢٦٤) .

(٦) انظر : الصحاح ، الجوهري (٤/ ١٥٠٠) .

(٧) انظر : المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده (٦/ ١٦٣) .

وَأَشْرَقَتْ: أَضَاءَتْ[١].

والمُشرِق: المنير[٢].

وأَشْرَقَ وجهُهُ، أي: أضاء وتلألأ حسنًا[٣].

وأشرَقَ القوم: صاروا في وقت شُروقِ الشمس[٤].

وشَرَّقُوا: ذهبوا إلى الشرق، أَو اتوا الشرق[٥].

واشتِقاقُ أيام التَّشريقِ من تشريقهم اللحم في الشمس بمنى. ويقال: أخذ من شُروق الشمس وذلك وقت صلاته[٦].

وأما المغرب:

فأصل مادة (غ ر ب) تدل على معانٍ متنوعة متجانسة، غير منقاسة، منها: حَدّ الشيء، والبُعْد[٧].

والغرْبُ: الذَّهاب والتَّنحِّي[٨]. وخلاف الشرق[٩].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٢٦٤).

(٢) انظر: العين، الفراهيدي (٥/ ٣٨).

(٣) انظر: الصحاح، الجوهري (٤/ ١٥٠١).

(٤) انظر: العين، الفراهيدي (٥/ ٣٩).

(٥) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٦/ ١٦٢).

(٦) انظر: العين، الفراهيدي (٥/ ٣٨).

(٧) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ٤٢٠).

(٨) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٨/ ١١٧).

(٩) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٥/ ٥٠٦).

والغَرْب والمَغْرِب بمعنًى واحد (١).

يقال: غَرَبَتْ الشمس تَغْرُبُ غَرْبًا وغُرُوبًا (٢).

والغُرُوب: غَيْبُوبَةُ الشمس (٣).

وغروب الشمس مأخوذٌ من الغُربة، التي هي البعد عن الوطن؛ لأن الشمس تبعد عن وجه الأرض (٤).

وغَرَّب الْقَوْم: ذهبوا في جهة المغرب (٥).

وقد بلغ عدد المقابلات بين المشرق والمغرب إحدى عشر مقابلة.

وجاءت المقابلة بينهما في صورة واحدة، وهي المقابلة بين المشرق والمغرب باختلاف ألفاظهما إفرادًا وتثنية وجمعًا.

نحو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة البقرة: ١١٥].

وقوله سبحانه: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الرحمن: ١٧].

وقوله سبحانه: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة المعارج: ٤٠].

فقوله: ﴿ٱلْمَشْرِقُ﴾ يقابله ﴿وَٱلْمَغْرِبُ﴾.

(١) انظر: الصحاح، الجوهري (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٦٠٤).

(٣) انظر: العين، الفراهيدي (٤/ ٤١٠).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ٤٢١).

(٥) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٥/ ٥٠٦).

وقوله: ﴿ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ يقابله ﴿ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾.

وقوله: ﴿ٱلۡمَشۡرِقِ﴾ يقابله ﴿وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾.

وفي موضع واحد كانت المقابلة بين صيغتي النسبة، في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [سورة النور: ٣٥].

فقوله: ﴿شَرۡقِيَّةٖ﴾ يقابله ﴿غَرۡبِيَّةٖ﴾.

ولو تأمّلنا الآيات التي ورد فيها المقابلة بين المشرق والمغرب، لوجدناها إما تبين وجه اختلاف بينهما، أو تشير إلى محل اتفاقٍ بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف المشرق والمغرب.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه المشرق والمغرب.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف المشرق والمغرب

أشارت آيات المقابلة بين المشرق والمغرب إلى جانبٍ من الاختلاف بينهما، إلا أنه لم يحظ بتركيز على هذا الجانب، ربما لأن الاختلاف بينهما أمرٌ ظاهرٌ بيّن.

ووجه الاختلاف الذي أشارت إليه آيات المقابلة بين المشرق والمغرب هو: كون المشرق محلٌ لطلوع الشمس، والمغرب محلٌ لغياب الشمس.

قال الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨].

فوردت هذه المقابلة بين المشرق والمغرب في سياق مناظرة ومحاجة بين نبي الله إبراهيم عليه السلام ومَلِكٍ مغرورٍ بِمُلْكِه.

وقد دارت المناقشة والمجادلة حول نقطتين:

الأولى: الإحياء والإماتة.

فإبراهيم عليه السلام عند عرّف ربه جلَّ وعلا عرَّف بما هو من خصائصه

سبحانه، فقال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾.

فزعم الملك المغرور أنه يفعل ذلك؛ فإذا أمر بقتل رجلٍ فقد أماته، وإذا أمر بالعفو عمّن استحق القتل فقد أحياه.

ولم يدرك هذا الجاهل المغرور الفرق بين الإماتة والقتل.

فالإماتة والقتل يشتركان في أمر واحد وهو خروج الروح من الجسد.

ويختلفان في أن الإماتة لا يقدر عليها إلا واهب الحياة، فهو الذي نفخ الروح في هذا الجسد، وهو القادر على سلبها متى شاء بدون سبب ظاهر.

أما القتل؛ فيكون بجرحٍ أو كسرٍ وما شابه ذلك [(١)].

الثانية: شروق الشمس وغروبها.

لم يقف إبراهيم عليه السلام عند حُجّة الملك المتعلقة بالإحياء والإماتة، ولم يعترض عليها، وإنما انتقل إلى حجة داحضة، لا يستطيع الخصم انتحالها، فيعجز عن المعارضة [(٢)].

فهذا الطاغية يزعم أنه يفعل ما يفعله الله عز وجل، وأنه مساوٍ له في القدرة والسلطان.

فقال له إبراهيم عليه السلام: إن كان الأمر كما تدّعي، فإن الله سبحانه وتعالى يأتي بالشمس من جهة المشرق، فإن كان لك قدرة تساوي قدرة الله عز

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي (٢/ ١١٢٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣/ ٣٣).

وجل، فأتِ بالشمس من جهة المغرب، بدلًا من جهة المشرق.

فطلب منه ما يعجز عنه، فتحيّر واضطرب، ولم يجد جوابًا، ولم يستطع أن يتكلم قليلًا أو كثيرًا(١).

وطلوع الشمس من جهة المشرق، وغروبها في جهة المغرب، سنة كونية باقية ما بقيت الدنيا، ولا تتغير إلا عند قيام الساعة، فإن من أشراط الساعة الكبرى: طلوع الشمس من مغربها.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [سورة الأنعام: ١٥٨]))(٢).

وقد جعل الله عز وجل الشمس مصدرًا من مصادر الطاقة للأرض، فتمدها بالحرار والضياء، وهي عامل مهمٌ في حياة كثيرٍ من الكائنات الحية، والتي منها النباتات والأشجار.

وقد أشار آيات المقابلة بين المشرق والمغرب إلى هذا المعنى، في قوله تعالى وتقدس: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٢/ ٩٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٠٦)، كتاب الرقاق، باب طلوع الشمس من مغربها، ومسلم في صحيحه (٢٩٥٤)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿٣٥﴾ [سورة النور: ٣٥].

فقد ضرب الله عز وجل في هذه الآية مثلًا للإيمان في قلب المؤمن بالمصباح الدُّرِّيّ شديد الإضاءة.

فشبه فطرة المؤمن بالزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه.

وشبّه الإيمان في قلب المؤمن بالمصباح المضيء.

فالمؤمن صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، فإذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من المكدِّرات، كصفاء الزجاجة، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على نوره [1].

وجاءت المقابلة بين المشرق والمغرب في قوله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، فقد وصف شجرة الزيتون هذه بأنها لا تنسب إلى الشرق، ولا تنسب إلى الغرب.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٥٦٩).

واختلف المفسرون في معنى ذلك على أقوال:

الأول: المنفي هنا أنها شرقية فقط، أو غربية فقط، بل هي شرقية غربية، أي: تطلع على تطلع عليها الشمس بالغداة والعشي، وأن ذلك أجود لزيتها [١].

الثاني: لا شرقية ولا غربية، أي: هي في وسط الأشجار، فلا تطلع عليها الشمس، لا في شروقها، ولا في غروبها، فتبقى خضراء ندية [٢].

الثالث: أنها شجرة تنبت في مكان بين جهة الشرق وجهة الغرب، فلا هي شرقية ولا غربية، بل هي في موضع بين الشرق والغرب كبلاد الشام [٣].

الرابع: ذهب الحسن البصري إلى أن هذه الشجرة ليست من شجر الدنيا؛ لأن شجر الدنيا إما شرقي أو غربي [٤].

وعلى القولين الأَوَّلَيْنِ يكون الغرض من المقابلة الإشارة إلى استمرار الأمر ـ سواء قيل بماشرة الشمس لها أو بانحجابها عنها ـ من طلوع الشمس إلى غروبها، فمن أول النهار إلى آخر تسلط عليها الشمس، أو لا تسلط.

وعلى القول الثالث تكون المقابلة للدلالة على توسط الحال؛ فإن نفي الضدّين يعني توسط الحال بينهما.

وعلى القول الرابع تكون المقابلة للدلالة على شيء مختلف، يختلف عن

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٩/ ١٨٧).

(٢) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/ ٥١٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٨/ ٢٤١).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري (١٩/ ١٨٧).

المعهود عند الناس.

وعلى كلٍّ فإن هذه المقابلة تدلّ على اختلاف المشرق والمغرب في المكان والزمان.

ومن شدّة البعد بين المشرق والمغرب، فقد غدا البعد بينهما رمزًا لأبعد البعد.

قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة الزخرف: ٣٨].

أي: بعد المشرق والمغرب، وذكر المشرق من باب التغليب؛ كقولهم: القمران والعمران، يريدون: الشمس والقمر، وأبو بكر وعمر [1].

فتمنى هذا القرين أن كان يتباعد عن قرينه، كتباعد المشرق والمغرب [2].

فتمنى أن لم يكن قد حصل بينهما لقاء، كما لا يحصل لقاءٌ بين المشرق والمغرب، ولكن هيهات.. فقد فات الأوان..

ويظهر مما سبق أن المقابلة بين المشرق والمغرب دلت على اختلاف بينهما في المكان والزمان، وأن البعد بينهما غاية البعد، يستحيل معه التقاؤهما.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٤/ ٤١٢).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٨/ ٤٧).

وأثمرت المقابلة بين المشرق والمغرب الفوائد الآتية:

- المشرق محل طلوع الشمس، والمشرق محل غروبها، ولا تختلف هذه السنة الكونية إلا عند انقضاء الدنيا.
- المشرق والمغرب طرفا البعد، لا يلتقيان.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
ما يشترك فيه المشرق والمغرب

يشترك المشرق والمغرب في بعض الأمور، وقد أشارت آيات المقابلة إلى عددٍ منها.

ومن تلك الأمور المشتركة بينهما:

١. كلاهما مربوبٌ لله.

تكرر هذا المعنى في أربع آيات في القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الشعراء: ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [سورة المزمل: ٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الرحمن: ١٧].

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة المعارج: ٤٠].

ويلحظ في هذه الآيات عدة أمور:

أولًا: أن لفظي (المشرق) و(المغرب) جاءا بصيغة المفرد والمثنى والجمع. فأُفْرِدَا للإشارة إلى ناحيتي الشَّرْق والغرب، وثُنْيَا باعتبار اختلاف المشرق والمغري في الشتاء والصّيف، وجُمِعَا للإشارة إلى اختلاف مطلع الشمس وغروبها كل يوم، فكل يوم لها مشرق ومغرب يختلف عن الذي قبله (١).

ثانيًا: من فوائد المقابلة بينهما في ظلال الربوبية: الدلالة على عموم ربوبيته وملكه سبحانه لجميع ما بين المشرق والمغرب؛ من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب (٢)، فهو سبحانه رب كل ما أشرقت عليه الشمس، وكل ما غربت عليه، فكل ذلك تحت تدبيره وربوبيته (٣).

ثالثًا: من فوائدها أيضًا: الدلالة على عظمة الخالق سبحانه، وبديع صنعه، فالمشارق والمغارب تختلف بشكل يومي، وتتابع بصورة بديعة، لا يحسّ بها أهل الأرض (٤).

رابعًا: إذا كان الله عز وجل رب ما بين المشرق والمغرب، فهو الإله الحق، لذلك أعقبه بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ لأن تفرده بالإلهية كالنتيجة لربوبية المشرق والمغرب، وربوبيته سبحانه للعالم لا ينازع فيها المشركون، فإذا ثبتت له الربوبية

(١) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٤٥١).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (١٩/ ٣٤٤).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٨٣٠).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٣٧٠٣).

ثبتت له الألوهية (١).

وفي ذلك إبطالٌ لألوهية مدعي الألوهية؛ كفرعون مثلًا، فإن ملكه خاصٌّ بمصر، والرب الخالق ربٌّ لجميع الأرض، من شرقها إلى غربها (٢).

خامسًا: إذا كان الله عز وجل رب الأرض جميعًا من مشرقها إلى مغربها، فهو يهبها لمن يشاء، وينزعها عمن يشاء سبحانه.

ولذا قال موسى عليه السلام لقومه: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٢٨].

ولما صبر بنو إسرائيل أورثهم الله الأرض المباركة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٣٧].

والتوريث عامٌّ لجميع الأرض المباركة، وعبّر عن هذا العموم بقوله: ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ أي: جميع نواحيها (٣).

وكما مكّن الله عز وجل بني إسرائيل في الأرض المقدسة، مكّن لذي القرنين في الأرض كلها.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٢٧٦).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (١٠/ ٥٣٤٩).

(٣) انظر: تفسير المراغي (٩/ ٤٧).

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة الكهف: ٨٦-٩٠].

فقد مكّنه الله تعالى من النفوذ في أقطار الأرض، وانقياد أهلها له، حتى بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها، وأعطاه الله من الأسباب ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران (١).

ويسَّر له أسباب الحكم والفتح، وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع (٢).

فالتعبير ببلوغ مطلع الشمس ومغربها يدل على سعة مملكته، وأن سلطانه شمل أقطارًا كثيرة.

٢. كلاهما جهة عبادة.

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [سورة البقرة: ١١٥].

فالله عز وجل مالك المشرق والمغرب، ومالك كل الجهات، يصرف وجوه

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٤٨٥).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢٩٠).

عباده كيف شاء، فحيثما تَوَلَّوا فثم وجه الله [1].

وقيل: المعنى: أن الإنسان إذا منع أن يصلي في مكان، فقد جعلت له الأرض مسجدًا، فليصلِّ في أي بقعة شاء [2].

فالمراد من المشرق والمغرب في الآية تعميم جهات الأرض، وأن كلها ملك لله، ومحلٌ للعبادة [3].

وفي شأن تحويل القبلة يقول سبحانه وتعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٤٢﴾ [سورة البقرة: ١٤٢].

نزلت هذه الآية في اليهود؛ حيث عيروا المسلمين على تحوّلهم من بيت المقدس إلى الكعبة [4].

فكان الجواب: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾، فهو مالكٌ لما بين المشرق والمغرب، وله أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء [5].

فهو سبحانه وتعالى يحكم ما يريد، ويولي عباده حيث شاء؛ لأنّ الجهات

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٢/ ٥٢٧).
(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ١٨٠).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٦٨٢).
(٤) انظر: تفسير السمعاني (١/ ١٤٨).
(٥) انظر: البسيط، الواحدي (٣/ ٣٦٨).

كلها له [١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١٧٧].

والمراد بنفي البر عن استقبال الجهات؛ نفي كونها من مقاصد الدين، بل لها حكم الوسائل لا المقاصد، فلا ينبغي أن يكون الاشتغال به قصارى همة المؤمنين، ولذلك أسقط الله استقبال القبلة في بعض الأحوال؛ كحال العجز، أو النفل في السفر [٢].

فالبِرُّ المقصود هو الإيمان بالله واليوم الآخر، وباقي الصفات المذكورة في الآية، فهذه الحال المجتمعة من تلك الصفات، وهذه الأعمال المهذبة المربية لمجتمع فاضل هي البِرّ [٣].

وقيل: المراد: ليس البر الصلاة وحدها، وإنما كل هذه الأعمال من البر [٤].

وجعل بعض المفسرين المخاطبين بالآية اليهود، وليس المسلمين، ويكون

---

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي (١/ ٩٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢/ ١٢٨).

(٣) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (١/ ٥١٨).

(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٢٤٣).

المعنى: ليس البر - أيها اليهود - أن يولي بعضُكم وجهه قِبَل المشرق، وبعضُكم قِبَل المغرب، ولكن البر الإيمان بالله واليوم الآخر ... إلى آخر الصفات المذكورة في الآية[1].

وظهر مما سبق أن المقابلة بين المشرق والمغرب تفيد أحد أمرين:

١. تعميم الجهات، وأن الحكم يشمل جميع جهات الأرض.

٢. سعة المكان، وأنه يشمل أمكان كثيرة تقع بين المشرق والمغرب.

وأثمرت المقابلة بين المشرق والمغرب الفوائد الآتية:

- ملك الله عز وجل شاملٌ للأرض جميعًا، من مشرقها إلى مغربها، وكل ما فيها مربوبٌ لله عز وجل.
- الله عز وجل هو المتصرف في الأرض، يَهَبُهَا لمن يشاء بالقدر الذي يشاء، قليلًا أو كثيرًا.
- الله عز وجل مالك المشرق والمغرب، يأمر عباده بالاتجاه حيث يشاء، فلا رادّ لحكمه.
- الأرض كلها من مشرقها إلى مغربها محلٌ للعبادة، ولا تتقيد العبادة بمكان دون آخر.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (٣/ ٣٣٨).

المبحث التاسع
المقابلة بين اليمين والشمال

من الأضداد الحسية التي قابل القرآن الكريم بينها: اليمين والشمال.

فأما اليمين:

فأصل ماد (ي م ن) تدل على معنيين: يمين اليد، والقوة [1].

واليَمِين: يمين الإنسان وغيره [2]، وتجمع على أيمان وأَيْمُن [3].

واستعير اليَمِينُ للتَّيَمُّنِ والسعادة [4].

يقال: يُمِنَ الرّجلُ فهو ميمونٌ، فاليُمْنُ: البركة [5].

والمُيَمَّنُ: الذي أتى باليُمْنِ والبَرَكة [6].

واليَمِينُ: الحلف، وسمي يمينًا؛ لأن المتحالفين كأن أحدهما يصفق بيمينه

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٦/ ١٥٨).

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري (٦/ ٢٢٢١).

(٣) انظر: العين، الفراهيدي (٨/ ٣٨٧).

(٤) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٨٩٣).

(٥) انظر: العين، الفراهيدي (٨/ ٣٨٦).

(٦) انظر: العين، الفراهيدي (٨/ ٣٨٦).

على يمين صاحبه [١].

وكانوا يحلفون باليمين، فيقولون: يمين الله لا أفعل. ثم جمعوا اليمين على أيْمُنٍ، فقالوا: أيْمُنُ الله لأفعلنَّ كذا [٢].

وتَيَامن فلان: أخذ ذات اليَمِين [٣].

والمَيْمَنَةُ: ناحية اليمين [٤]، وجمعها مَيَامِن [٥].

وأما الشمال:

فأصل مادة (ش م ل) تدل على معنيين: خلاف اليمين، ودوران الشيء على الشيء، وأخذه إياه من جوانبه [٦].

فالشمال: خلاف اليمين [٧]، والجمع أَشْمُل وشَمَائِل [٨].

والشِّمَال أيضًا: الخُلُق، والجمع الشَّمَائِل [٩].

يقال: ورجلٌ كريم الشَّمَائِل، أي: في أخلاقه وعِشرته [١٠].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٦/ ١٥٨).

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري (٦/ ٢٢٢٢).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٥/ ٣٧٨).

(٤) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ٨٩٤).

(٥) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٥/ ٣٧٩).

(٦) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٢١٥).

(٧) انظر: العين، الفراهيدي (٦/ ٢٦٥).

(٨) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٢١٥).

(٩) انظر: الصحاح، الجوهري (٥/ ١٧٤٠).

(١٠) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١١/ ٢٥٦).

وقد بلغ عدد المقابلات بين اليمين والشمال عشر مقابلات.

وجاءت المقابلة بينهما في صورة واحدة، وهي المقابلة بين اليمين والشمال باختلاف ألفاظهما إفرادًا وجمعًا ومصدرًا.

نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة ق: ١٧].

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٧].

وقوله سبحانه: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾﴾ [سورة الواقعة: ٨-٩].

فقوله: ﴿الْيَمِينِ﴾ يقابله ﴿الشِّمَالِ﴾.

وقوله: ﴿أَيْمَانِهِمْ﴾ يقابله ﴿شَمَائِلِهِمْ﴾.

وقوله: ﴿الْمَيْمَنَةِ﴾ يقابله ﴿الْمَشْأَمَةِ﴾.

ولو تأمّلنا الآيات التي ورد فيها المقابلة بين اليمين والشمال، لوجدناها إما أن تتحدث عن أمر يتعلق بالاختلاف بينهما، أو تشير إلى علاقة مشتركةٍ بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف اليمين والشمال.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه اليمين والشمال.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف اليمين والشمال

اليمين والشمال جهتان مختلفتان متقابلتان، وهذا اختلافٌ بيّنٌ ظاهرٌ يعلمه كل أحد.

ولذلك لم تتحدث آيات المقابلة بينهما عن هذا الاختلاف.

ولكن العرب استعارت اليمين والشمال للدلالة على التكريم وعكسه، فيقال: فلان عندي باليمين، أي: بمنزلةٍ حسنة، ويقال: فلان عندي بالشِّمال، إذا كان بمنزلة خسيسة [1].

وكذلك آيات المقابلة بين اليمين والشمال، جعلت أهل الإيمان والإنعام أصحابًا لليمين، وأهل الكفر والشقاء أصحابًا للشمال.

قال الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الواقعة: ٧-١٠].

فقد قسَّمت الآيات الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف، وسمّتهم أزواجًا؛

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١١/ ٢٥٦).

لأن الأصناف التي بعضها مع بعض يقال لها: أزواج [1].

والأصناف الثلاثة هي:

٤ . **أصحاب الميمنة**: الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة.

٥ . **أصحاب المشأمة**: الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار.

٦ . **السابقون**: الذين سبقوا إلى الإيمان بالله ورسوله [2].

فاليمين تفيد العناية والإكرام، والشمال تشعر بالشؤم وسوء الحال.

وذكر حال الفريقين بإجمال، ومكتفيًا بما يشعر به لفظي: الميمنة والمشأمة، مستعملًا صيغة التعجب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة، لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن من الخير والشر [3].

والمقصود تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة؛ كأنه قيل: فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال، وأصحاب المشئمة في نهاية سوء الحال [4].

ثم بعد ذكر حال السابقين، شرع في تفصيل حال الفريقين: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

فقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٥/ ١٠٨).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٣/ ٩٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٧/ ٢٨٦).

(٤) انظر: روح المعاني، الألوسي (١٤/ ١٣١).

مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الواقعة: ٢٧-٥٦].

فالمقصود من هذه المقابلة بيان اختلاف حال الفريقين، وأن بينهما من البون والتباعد؛ كما بين اليمين والشمال، وبينهما من الاختلاف كما بين الخير والشر.

وعلاقة أهل الموقف يوم القيامة باليمين والشمال، ليس في الذهاب بهم ذات اليمين إلى الجنة، أو الذهاب بهم ذات الشمال إلى النار فقط.

بل إن أصحاب الميمنة (أهل الإيمان) يعطون صحائف أعمالهم بأيديهم اليمنى، ويعطى أصحاب المشأمة (أهل الكفر) صحائف أعمالهم بأيديهم الشمال.

قال الله تعالى وتقدس: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ

عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الحاقة: ١٩-٣٧].

فأهل السعادة يعطون كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم، تمييزًا لهم، وتنويها بشأنهم، ورفعًا لمقدارهم.

وأهل الشقاء يعطون كتب أعمالهم السيئة بشمالهم، تمييزًا لهم، وخزيًا وعارًا وفضيحة، حتى يتمنى أنه لم يعطه؛ لأنه يبشر بالنار والخسارة الأبدية [(١)].

فالإيتاء باليمين إشعارٌ بسعادة الآخذ وفوزه، فاليد اليمنى تتناول الأشياء الزكية، والإعطاء بالشمال إشعارٌ بالتحقير، وزيادة في التحقير يعطى كتابه بشماله وراء ظهره، إشعارًا بالغضب عليه [(٢)].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الانشقاق: ٧-١٤].

وهذا الارتباط بين اليمين والخير والإكرام، وبين الشمال والشر والإذلال، انعكس أيضًا في كتابة أعمال العباد.

فإن الله عز وجل وكَّل ملائكة حفظة، يحصون على العباد أعمالهم، ويكتبون

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٨٨٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣٠/ ٢٢٢-٢٢٣).

أعمالهم، من خيرٍ أو شر.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق: ١٦-١٨].

فلكل إنسان ملكين يحصيان أعماله؛ فأحدهما يكون من جهة اليمين، والآخر من جهة الشمال، فالذي يكون عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات [(١)].

فالمقابلة بين اليمين والشمال في قوله سبحانه: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ إشعارٌ باختلاف وظيفة الملكين كاختلاف اليمين والشمال، فصاحب اليمين يكتب الحسنات وأعمال الخير، وصاحب الشمال يكتب السيئات وأعمال الشر.

فظهر مما سبق أن المقابلة بين اليمين والشمال، جاءت للدلالة على اختلاف الحال بين الفريقين، أهل الإيمان، وأهل الكفر، واختلاف أعمالهم، واختلاف جزائهم.

وهذا الاختلاف هو على وجه التقابل؛ كتقابل اليمين والشمال.

وأثمرت المقابلة بين اليمين والشمال عن الفوائد الآتية:

- اليمين تدل على التكريم والتفضيل، والشمال تدل على التحقير

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٦/ ٣٠٢).

والازدراء.

- اليمين تدل على الخير والعمل الصالح، والشمال تدل على الشر والعمل السيء.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
ما يشترك فيه اليمين والشمال

إن من مقاصد المقابلة بين اليمين والشمال الإشارة إلى عموم الأمر لجهتي اليمين والشمال، وقد تفيد ما هو أبلغ من ذلك، وهو الإحاطة.

وقد برز هذا المقصد في عدة مقابلات، منها:

١. قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة النحل: ٤٨].

فالله عز وجل يأمرهم بالتفكر في المخلوقات التي حولهم، التي لها جسم قائم؛ كالشجر والجبال والبنيان، ولها ظلٌّ تارةً يكون عن اليمين، وتارةً يكون عن الشمال، فهذا الظلّ ساجدٌ لله، خاضعٌ له، منقادٌ لأمره، يميل بأمره، ويزيد وينقص بأمره سبحانه وتعالى(١).

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٧/ ٢١٦)، الهداية، مكي بن أبي طالب (٦/ ٤٠٠٧).

ويرى بعض المفسرين أن سجود الظلال هو هيئتها؛ فهي واقعة على الأرض وقوع الساجد، ومن أبى السجود لله، فقد أسجد الله ظِلَّه (1).

والسياق القرآني يتحدث عن خضوع المخلوقات الله عز وجل بالسجود، وهو أَجَلُّ مظاهر الخضوع والعبودية، فكلها في خشوع وخضوع وعبادة وسجود، لا يستكبر عن عبادة الله، والمستكبر من بني الإنسان هو الشاذ عن هذا المقام الشريف (2).

كما قال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (18)﴾ [سورة الحج: 18].

والسجود ولا الخضوع ليس خاصًّا بالشخوص والأجساد فحسب، بل تشاركها في ذلك ظلالها، فالسجود والخضوع للشخوص والظلال.

والمقصود من ذكر اليمين والشمال هنا الإشارة إلى تنقل الظل بين الجهتين، فتارة يكون عن اليمين، وتارة يكون عن الشمال؛ فإذا كانت الشمس يمين الشخص كان الفيء عن شماله، وإذا كانت على شماله كان الفيء عن يمينه (3).

2. قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (13/ 111).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (4/ 2173).

(3) انظر: البسيط، الواحدي (13/ 76).

كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة سبأ: ١٥].

فقد أغدق الله عز وجل النعم على سبأ، ومن تلك النعم أعطاهم جنتين عن أيمانهم وشمائلهم (١).

وقيل: إن الجنتين أحاطت بهم وبمساكنهم، يمنة ويسرة (٢).

فقد كانوا أهل جنات، أشجارها مثمرة، محيطة بمساكنهم، فأينما ذهبت يمنة أو يسرة تجدها أمامك.

والمقصود من المقابلة بين اليمين والشمال هنا إفادة الإحاطة.

٣. قال الله سبحانه وتعالى عن إبليس عليه لعنة الله: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٦-١٧].

فهذا إبليس توعد بني آدم أنه سوف يسعى في ضلالهم، ويجتهد في ذلك غاية الاجتهاد، فيأتيهم بالضلال من جميع الجهات (٣).

فيأتيهم من جميع وجوه الحقّ والباطل، فيصدّهم عن الحق الذي أمرهم الله به، ويحسِّن لهم الباطل الذي نهاهم الله عنه (٤).

فمقصد الآية الإخبار أن إبليس سيأتي لإضلال بني آدم من كل جهة، وعلى

---

(١) انظر: معاني القرآن، الفراء (٢/ ٣٥٨).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (١٨/ ٣٤١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٢/ ٣٢٤).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري (١٢/ ٣٤١).

كل طريق، يفسد عليهم ما أمكنه من معتقد، وينسيهم صالح أعمال الآخرة، ويغريهم بقبيح أعمال الدنيا، فعبر ذلك بألفاظ تقتضي الإحاطة بهم (١).

٤. قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة المعارج: ٣٦-٣٧].

يصف الله عز وجل في هاتين الآيتين حال كفار قريش مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهم يرمقونه بأبصارهم، وينظرون إليه نظر عداوة، ويجلسون حِلَقًا متفرقة ذات اليمين وذات الشمال لا يدنون منه، ولا ينتفعون به (٢).

والآيات تتعجب من حال المشركين في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وما فيه من الوقاحة (٣).

فعبّر عن إعراض المشركين عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن سماع الوحي الذي أنزل عليه، بجلوسهم جماعات متفرقة عن يمينه وشماله (٤).

والمقصود من ذكر اليمين والشمال، الإحاطة بالجهات (٥).

قال الله تعالى وتقدس: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٣٨١).

(٢) انظر: تفسير أبي الليث السمرقندي (٣/ ٤٩٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ١٧٦).

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٣/ ٦١٩).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ١٧٧).

يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الكهف: ١٧-١٨].

في هاتين الآيتين مقابلتان:

الأولى: قوله سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾.

أي: أن الشمس تميل عن كهفهم ناحية اليمين عند طلوعها، وتتركهم وتتجاوز عنهم ناحية الشِّمال عند غروبها، فلا تصيبهم الشَّمس ألبتة؛ لأنَّها تميل عنهم طالعة غاربة، فتكون صورهم محفوظة [(١)].

فالشمس لا تقربهم في مطلعها، ولا عند غروبها [(٢)].

فيبدو أن باب الكهف كان مفتوحًا إلى الشَّمَال الشرقي، فالشمس إذا طلعت تطلع على جانب الكهف ولا تخترقه أشعتها، وإذا غربت كانت أشعتها أبعد عن باب الكهف منها حين طلوعها [(٣)].

الثانية: قوله جلَّت قدرته: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾.

فهم يتقلبون بإرادة الله تعالى إلى اليمين وإلى الشمال، وتلك حال من

---

(١) انظر: الوجيز، الواحدي (ص ٦٥٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٢٧٤).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ٢٧٩).

يكونون بين اليقظة والنوم[1]، فلكثرة تقلبهم يُظَنُّ أنهم غير نيام[2].

وهذا من حفظه لأبدانهم؛ فإن الجسد إذا استمر على وضعية واحدة فترة طويلة تضرر الجزء الذي يلي الأرض، وتحدث فيه تقرحات، ولذلك المرضى الذين لا يغادرون أسرتهم، يقلبهم الأطباء على أسرتهم، حتى لا يصابوا بتقرحات في أجزاء الجسد التي من جهة السرير.

والمقصود من هاتين المقابلتين بيان استواء الجهتين في الأمر، فَمَيَلَانُ الشمس كان من الجهتين: اليمين والشمال، والتقليب كان على الجهتين أيضًا.

فظهر مما سبق أن المقابلة بين اليمين والشمال، فيما ظاهره الاشتراك بينهما، المراد منه الدلالة على تعدد الجهات، أو الإحاطة، أو شمول الحكم لكلا الجانبين. والله أعلم.

وأثمرت المقابلة بين اليمين والشمال عن الفوائد الآتية:

- نعم الله عز وجل على عباده تحيط بهم من كل الجهات يمينًا وشمالًا.
- يحاول إبليس أن يضل بني آدم، ويجتهد غاية الاجتهاد في إضلالهم، بكل السبل والوسائل من كل الجهات.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٩/ ٤٥٠٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٢٧٤).

المبحث العاشر
المقابلة بين البر والبحر

البر والبحر من الأضداد المكانية التي قابل القرآن بينهما .

فأما البَرُّ:

فأصل مادة (ب ر ر) تدل على أربعة معانٍ: الصدق، وحكاية صوت، ونبت، وخلاف البحر [1].

والبَرُّ هنا : خلاف البَحْر [2].

وَأَبَرَّ الرَّجُلُ صَارَ فِي الْبَرِّ، وَأَبْحَرَ صَارَ فِي الْبَحْرِ [3].

والبَرِّيَّةُ : الصحراء، والجمع البراري [4].

---

(١) انظر : مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ١٧٧).
والمراد بحكاية صوت، أي : صوت تنادى به الماشية.
والمراد بالنبت : البُرّ.

(٢) انظر : تهذيب اللغة، الأزهري (١٥/ ١٣٤).

(٣) انظر : مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ١٧٩).

(٤) انظر : الصحاح، الجوهري (٢/ ٥٨٨).

وأما البحر:

فأصل مادة (ب ح ر) فتدلّ على معنين: السَّعَة والانبساط، وداء يصيب البهائم[1].

والبَحْرُ: خلاف البرِّ. سمِّي بحرًا؛ لعُمقه واتساعه[2].

وقيل: سمي البَحْرُ بَحْرًا؛ لأنه شَقَّ في الأرض شَقًّا، وأن أصل البحر: الشَّق، ومنه قيل للناقة التي كان يشقّون أذنها شقًّا: بَحِيرَةٌ[3].

وإذا كان البحر صغيرًا، قيل له: بُحَيْرَةٌ[4].

ويقال: رَجُلٌ بَحْرٌ: إذا كان سخيًّا، سموه بذلك لأنه يفيض بالعطاء كالبحر[5].

ويجمع على أَبْحُر وبِحار وبُحور[6].

والأنهار كلها بحار[7]، وسميت بذلك لأنها مشقوقة في الأرض شقًّا[8].

وقيل: البحر يقال في الأصل للماء الملح دون العَذْب، إنما سمي العَذْب

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ٢٠١).

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٥٨٥).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٥/ ٢٥).

(٤) انظر: العين، الفراهيدي (٣/ ٢٢٠).

(٥) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ٢٠١).

(٦) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٥٨٥).

(٧) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ٢٠١).

(٨) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٥/ ٢٧).

بحرًا تغليبًا [1].

ومنه قيل: ماءٌ بَحْرٌ، أي: مِلْحٌ. وأَبْحَرَ الماءُ: مَلُحَ [2].

وقد بلغ عدد المقابلات بين البر والبحر ثلاث عشرة مقابلة.

وجاءت المقابلة بينهما على ثلاثة صور:

الأولى: المقابلة بين لفظي: البر والبحر.

نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الإسراء: ٧٠].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ٦٣].

فقوله: ﴿ٱلْبَرِّ﴾ في الآيتين يقابله ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾.

الثانية: المقابلة بين لفظي (البحر) و (اليبس).

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة طه: ٧٧].

فقوله: ﴿ٱلْبَحْرِ﴾ يقابله ﴿يَبَسًا﴾.

الثالثة: المقابلة بين لفظ البر، وما يدل على البحر؛ كركوب الفلك.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا

(١) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني (ص ١٠٩).

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٥٨٥).

هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٥].

فقوله: ﴿رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ يقابله ﴿نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ﴾.

ولو تأمّلنا الآيات التي ورد فيها المقابلة بين البر والبحر، لوجدناها إما تبين وجه الاختلاف بينهما، أو تشير إلى محل اتفاقٍ بينهما، سنتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اختلاف البر والبحر.

المطلب الثاني: ما يشترك فيه البر والبحر.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
اختلاف البر والبحر

لم تتعرض آيات المقابلة بين البر والبحر للحديث عن وجوه الفرق بين البر والبحر إلا في موضعٍ واحد.

قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة المائدة: ٩٦].

جاءت هذه الآية بعد آيات النهي عن الصيد حال الإحرام، وما يجب فيه من الفدية.

وقد أفادت هذه المقابلة عن اختلاف البر والبحر في وجهين:

الأول: حلُّ صيد البحر للمحرم، دون صيد البر، فلا يجوز للمحرم أن يصطاده حال إحرامه.

فلما قال سبحانه في الآية التي سبقتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ الآية [سورة المائدة: ٩٥].

استثنى مما يحرم صيده على المحرم صيد البحر، فأباح له أن يصيد ما يشاء

من حيوانات البحر التي لا تعيش فيه، وتموت إذا أخرجت منه [1].

والبحر هنا يشمل البحار والأنهار، والبحيرات والمستنقعات، مالحها وعذبها [2].

الثاني: حل ميتة البحر، دون ميتة البر.

فطعام البحر ميتته، سواء لَفَظَهُ البحر إلى الشاطئ، أو انحسر عنه الماء، أو طَفَا ميتًا [3].

وقد حرَّم الله عز وجل في أول السورة أكل الميتة فقال سبحانه وتعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ الآية [سورة المائدة: ٣].

وتحريم صيد البر مؤقت بحال الإحرام، لذلك قال سبحانه: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

فمدة التحريم مدة كونهم حُرُمًا. وفيه إشارة إلى قلة مدة التحريم [4].

فالغرض من المقابلة بين البر والبحر في هذه الآية: بيان اختلاف حكمهما فيما يتعلق بالصيد للمحرم.

وأثمرت المقابلة بين البر والبحر عن الفوائد الآتية:

- حرمة صيد البر للمحرم، وحلّ صيد البحر له.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٢٤٤).

(٢) انظر: أحكام القرآن للشافعي، جمع البيهقي (١/ ١٣٣).

(٣) انظر: البسيط، الواحدي (٧/ ٥٣١).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٧/ ٥٣).

- حل ميتة البحر، وتحريم ميتة البر .

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني
ما يشترك فيه البر والبحر

أشارت آيات المقابلة بين البر والبحر إلى عدة نقاط مما هو محل اتفاقٍ بينهما، ومن تلك النقاط:

١. شمول علم الله عز وجل لكل ما في البر والبحر.

قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

تبيّن هذه الآية الكريمة سَعَة عِلْم الله عز وجل، وجاء التعبير القرآني مفيدًا للشمول والإحصاء، فهو علمٌ تفصيلي، لا تغيب عنه غائبة، ولا يحجب عنه شيء.

لا يختلف فيه زمان عن زمان، ولا مكان عن مكان، ولا صغير عن كبير، ولا حقيرٌ عن جليل، ولا مخبوءٌ عن ظاهر، ولا مجهولٌ عن معلوم، ولا بعيدٌ عن قريب.

كل ذلك مسطور في سجل محفوظ، لا تغيب عنه غائبة، ولا تسقط منه ساقطة.

فعلمه سبحانه وتعالى علم إحاطة، وإحصاء، وحفظ، وتقدير.

وإنما نصَّ سبحانه وتعالى على البر والبحر؛ لأنهما مرئيان محسوسان، وهما من أعظم المخلوقات المجاورة للبشر (١)، ومع ذلك يغيب عنا كثيرًا مما فيهما، بل لا نعلم مما فيهما قليلًا من قليل، وفيهما من الخفايا والأسرار ما لا يعلمه إلا الله (٢).

وعلى الرغم من سعة البر والبحر، وكثرة المخلوقات الموجودة فيهما، إلا أنه لا يحدث فيهما شيء إلا بعلم الله عز وجل (٣).

فذكر البر والبحر في سياق الحديث عن علم الله عز وجل؛ للدلالة على استواء جميع الأمكنة في علم الله عز وجل، لا يختلف في ذلك سهل أو جبل، ولا مرتفع ولا منخفض، ولا ظاهر ولا باطن.

٢. السير في البر والبحر.

من نعم الله عز وجل على عباده أن نوع لهم في وسائل التنقل والأسفار، فسهل لهم وسائل للتنقل في البر، وسخر لهم وسائل للتنقل في البحر.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الإسراء: ٧٠].

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٢/ ٢٩٩).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب (٤/ ٢٠١).

(٣) انظر: البسيط، الواحدي (٨/ ١٩١).

فامتنَّ الله عز وجل على بني آدم بأن كرمهم على باقي المخلوقات، فسخر لهم ما في الأرض، وسلّطهم على غيرهم من المخلوقات.

ومن جملة ما منَّ الله به عليهم: أن سخَّر لهم الدواب والمراكب تحملهم في البر، وسخّر لهم السفن تحملهم في البحر.

فامتازوا بذلك عن سائر المخلوقات، فليس لهم ما يحملهم في البر ولا في البحر [1].

وقال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [سورة يونس: ٢٢].

فالله جلَّ جلاله أوجد لبني آدم الوسائل والأدوات التي تمكن بني آدم من السير في البر والبحر، فسخّر لهم بعض الحيوانات التي تحملهم وتحمل أمتعتهم، ويتنقلون بها من مكان إلى آخر، وعلَّمهم صنع أنواعٍ من المركبات، يتنقلون بها.

وكذلك الحال في البحر، علّمهم صناعة المراكب والسفن، وسخر لهم الرياح طاقة طبيعية تساعدهم في تحريك السفن.

فالله عز وجل هو الذي سيَّر بني آدم في البر والبحر بما سخّر لهم، وما علّمهم، لذلك نسب التسيير إلى نفسه؛ لأنه تعالى خالق الأسباب والمسببات [2].

ومن تأمل الحال ـ خاصة في هذا العصر ـ لعلم عظم أثر وسائل النقل في حياة الناس اليوم، وأنه لو لم يكن للناس وسائل يتنقلون بها إلا السير على

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٥/ ١٨٦).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (٧/ ٣٥٤٤).

الأقدام، لتعطلت كثيرٌ من مصالح العباد، وفاتهم كثيرٌ من الخير والنعم.

فاللهم لك الحمد حتى ترضى..

٣. الهداية إلى الطرق والاتجاهات في البر والبحر.

من عظيم النعم والآلاء التي وهبها الله لبني آدم، أن علّمهم بعض المعالم التي يتعرفون بها إلى الطرق والاتجاهات حال سيرهم في البر والبحر.

قال الله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ٩٧].

ذكر الله عز وجل في هاتين الآيتين الوسائل المعينة على تحديد الزمان، والوسائل المعينة على تحديد المكان.

فالليل والنهار والشمس والقمر هي وسائل تعين على تحديد الزمان، وحساب الأيام والشهور.

والنجوم ـ ومن جملتها الشمس والقمر ـ وسائل تعين على تحديد المكان، ومعرفة الاتجاهات.

وظلمات البر والبحر نوعان:

- **ظلمات حسية**؛ كظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر.
- **ظلمات معنوية**؛ كظلمة الجهل بالطرق والمسالك، وظلمة فقد

الأعلام والمنارات [1].

فالنجوم التي سخَّرها الله عز وجل لم تزل على اختلاف الأزمان والأماكن من أهم وسائل تحديد الاتجهات، والاهتداء في الظلمات الحسية والمعنوية.

وربما يدخل في حكم النجوم الأقمار الصناعية، فقد علّم الله عز وجل بني آدم صنع أجهزة توضع في مدار الأرض الخارجي، فتدور حول الأرض ومعها، ويستعينوا بها على اكتشاف الأماكن المجهولة والتي ربما يصعب الوصول إليها، وتحديد المواقع بالإحداثيات، وما البرامج والتطبيقات التي تدل الناس على الأماكن والاتجاهات إلا ثمرة من ثمار هذه الأقمار الصناعية الكثيرة جدًّا.

والله عز وجل هو الذي علّم الإنسان صنعها، وسخر له أسباب صناعتها والاستفادة منها.

قال الله عز وجل: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النمل: ٦٣].

جاءت هذه المقابلة في سياق تعداد جملة من الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله عز وجل، وأنه لا إليه غيره.

ومن تلك الآيات الكونية: الهداية في ظلمات البر والبحر؛ فالله عز وجل هو الذي يهديهم في ظلمات البرّ والبحر إذا ضلّوا فيهما الطريق، فأظلمت عليهم

---

(١) انظر: المنار، محمد رشيد رضا (٧/ ٤٠٦).

السبل فيهما [1].

يهديهم بما سخر لهم من وسائل يستدلون بها على معرفة الأماكن والطرق؛ كالنجوم التي جعلها على نظام صالح للهداية، وعلّم الناس كيف يستدلون بها وسيرها وصعودها وهبوطها [2]، وهداهم إلى غير ذلك من الوسائل الحديثة؛ كالأقمار الصناعية.

ولو أراد الله أن يضلهم فمن ذا الذي يهديهم.

ولا أدلَّ على ذلك من قصة بني إسرائيل الذين امتنعوا عن دخول مدينة الجبارين، فعاقبهم الله عز وجل بالتيه، فتاهوا في الصحراء أربعين سنة.

قال الله عز وجل: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة المائدة: ٢٤-٢٦].

فقد حكم الله عز وجل على بني إسرائيل أنهم يتيهون في الأرض أربعين عامًا، يسيرون كل يوم جادّين لكي يخرجوا منها، فإذا تعبوا نزلوا وناموا، فإذا استيقظوا وجدوا أنفسهم حيث كانوا من قبل.

وظلّوا على هذه الحال أربعين سنة، حصلت لهم فيها أحداثٌ كثيرة، ومات

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٩/ ٤٨٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٠/ ١٧).

في التيه كل الذين امتنعوا عن دخول مدينة الجبارين، وفيه أيضًا مات موسى وهارون عليهما السلام.

فلما انقضت الأربعون عامًّا بعث الله إليهم يوشع نبيًّا، وقاتل بهم، وفتح الله عز وجل عليه المدينة (١).

فهداية الطريق بأمر الله وتيسيره، ولو أضل الله عز وجل أحدًا عن الطريق، فلا يستطيع أحدٌ هدايته.

٤. النجاة من أهوال البر والبحر.

الله عز وجل يُيَسِّرُ لعباده وسائل التنقل في البر والبحر، ويهديهم لمعرفة طريقهم، وهو سبحانه ينجيهم من أهوال البر والبحر.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة الأنعام: ٦٣-٦٤].

المراد بظلمات البر والبحر هنا شدائدهما، فإن العرب تقول عن يوم الشدة: يوم مظلم (٢).

فعند حصول شدائد البر والبحر، يعظم الخوف، ويحل الفزع، وتبطل الحواس، وتطيش العقول فلا تحسن التفكير (٣).

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري (١٠/ ١٩٠-١٩٤).

(٢) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ١١٢).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود (٣/ ١٤٥).

في هذه اللحظات العصيبة تتجلى الفطرة في النفوس، فتجد الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم الفكرية، يلجأون إلى الله حين يوشكون على الهلاك، فلا يدعون إلا الله لرفعه عنهم.

فهول الشدة يكبح النفوس الجامحة، ويرقق القلوب الغليظة، فيتذكر رحمة الله، فيسأله الفرج والنجاة.

وهذه حالة مشاهدة، يعرفها كل من مرَّ بتلك الحال، سواء كان في البر أو البحر أو الجو، فيرى المكروبين في لحظة الضيق كيف يلجأون إلى الله وينسون كل شيء [(١)].

ولكنهم سرعان ما يعودون إلى ما كانوا فيه من الشرك أو الكفر أو الفسق عند الشعور بالأمان، وذهاب الخوف.

وهذا من جهل الإنسان وكفره بالنعم، فمن تفكر وعقل علم أن الذي يكشف الشدائد وينجي من الأهوال هو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، وتخلص له سائر الأعمال في الشدة والرخاء واليسر والعسر.

وأما المخذول فإنه لم يلحظ وقت الشدة إلا مصلحته الحاضرة، وإنجاءه في تلك الحال. فلما حصلت له النجاة وزالت عنه المشقة، ظَنَّ بجهله أنه قد أعجز الله، ولم يخطر بقلبه شيء من العواقب الدنيوية، فضلًا عن الأخروية [(٢)].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٢/ ١١٠٩، ١١٢٤).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص ٤٦٣).

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا الموقف في أكثر من موضع.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة يونس: ٢٢-٢٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة لقمان: ٣١-٣٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٥].

وقال جلَّ جلاله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٦٧-٦٩].

وما علم هؤلاء الجهلة أن الأمان الذي صاروا إليه ما هو إلا وهمٌ زائف، فهم

لم يخرجوا عن قدرة الله عز وجل [1]، فالبر والبحر في قدرة الله تعالى سيان، فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في البر والبحر [2].

فالنجاة من الغرق لا يعني نهاية الخطر، فالذي نجاهم من الغرق قادرٌ على أن يخسف بهم الأرض، وقادرٌ كذلك على أن يرسل عليهم ريحًا شديدة ترميهم بالحصباء التي تهلكهم.

فالأمن من عذاب الله بعد النجاة من الغرق أمنٌ زائفٌ موهوم؛ لأن قدرة الله تعالى لا يعجزها أن تهلكهم، سواء كانوا في البحر، أم في البر [3].

وفي موقفٍ مغاير: أمر الله عز وجل موسى عليه السلام أن يخرج ببني إسرائيل، فتبعهم فرعون وجنوده، فلما بلغ موسى عليه السلام البحر، كان فرعون وجنوده على وشك اللحاق بهم، فأمره الله عز وجل أن يضرب بعصاه البحر، فانشق عن طريقٍ يابسٍ يمشون فيه.

قال تعالى وتقدس: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة طه: ٧٧].

وقال في موضع آخر: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ٤٧٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٥/ ١٦٢).

(٣) انظر: الوسيط، محمد سيد طنطاوي (٨/ ٣٩٦).

[سورة الشعراء: ٦١-٦٦].

فالبحر الذي هو مظنة الهلاك والغرق، جعله الله محل النجاة والأمان.

فحين رأى بنو إسرائيل فرعون وجنوده، ظنوا أنهم هالكون، وأن فرعون سيلحق بهم، فكان جواب موسى عليه السلام بالنفي ﴿كَلَّآ﴾؛ لأن الله كان وعده بالنجاة ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾، أي: لا تخاف أن يدرككم فرعون وجنوده، ولا تخشى أن تغرقوا في البحر (١).

فالعاقل يتعلق قلبه بالله عز وجل، ويوقن أن لا أحد قادرٌ على إنجائه من الهلكة إلا الله، يستوي في ذلك البر والبحر.

٥. فساد البر والبحر.

قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [سورة الروم: ٤١].

المراد بالفساد في البر والبحر الفساد البيئي؛ كالجدب، والقحط، وقلة الزروع والثمار، وضعف التجارة، وكثرة الموت في الناس والدواب، وقلة صيد البحر، وقلة مياة الأنهار، وغور مياة الآبار، ومحق البركة من كل شيء (٢).

فهذا الفساد ناتجٌ عن ذنوب بني آدم؛ ليجازي الله بها على المعاصي، فيذيقهم

(١) انظر: التفسير البسيط، الواحدي (١٤/ ٤٧٣).

(٢) انظر: البسيط، الواحدي (١٨/ ٧٠)، الكشاف، الزمخشري (٣/ ٤٨٢).

عاقبة ذنوبهم ومعاصيهم، لعلهم يتوبون ويرجعون [(١)].

فأفسد الله عليهم أسباب دنياهم ومحقها؛ ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة، لعلهم يرجعون عمّا هم عليه [(٢)].

كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الشورى: ٣٠].

فما يصيب الناس من مصائب الدنيا في أنفسكم وأهليكم وأموالكم، فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لهم بما ارتكبوا من الآثام والمعاصي، ويعفو ربهم عن كثير من جرائمهم، فلا يعاقبهم بها [(٣)].

والغرض من المقابلة بين البر والبحر فيما يشتركان فيه؛ لدلالة على الشمول المكاني، فلا فرق بين البر والبحر فيما يشتركان فيه.

وأثمرت المقابلة بين البر والبحر الفوائد الآتية:

- البر والبحر مشمولان بعلم الله وإحاطته، فلا تخفى عليه خافية، في بر أو بحر.
- سخّر الله عز وجل لنبي آدم البر والبحر، ويسر لهم وسائل نقل، تنقلهم في البر والبحر.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٣٤٠).

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري (٣/ ٤٨٢).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٢١/ ٥٣٨).

- الله عز وجل يسّر لبني آدم وسائل تعنيهم على تحديد الاتجهات، ويهتدون بها في الظلمات البر والبحر، الحسية والمعنوية.
- عند حصول الشدائد في البر والبحر، فالله عز وجل هو القادر على إنجائهم منها، لذلك يلجأون إليه جميعًا، بَرُّهُم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.
- الفساد البيئي في البر والبحر ناتجٌ عن أعمال بني آدم وذنوبهم ومعاصيهم، عقوبةً لهم، لعلهم يتوبون.

❁ ❁ ❁

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا.

الحمد لله الذي وفقنا للتمام، وأعاننا على الإتمام.

في ختام هذا البحث أسجل بعض النتائج التي جنيتها من هذا البحث، ومنها:

١. **أصل المقابلة في اللغة**: المواجهة بين شيئين.

٢. **وفي الاصطلاح**: يدور مفهوم المقابلة حول المواجهة بين شيئين، قد يكونا شخصين، أو وصفين، أو حالين، وقد يكونا محسوسين، أو معانٍ غير محسوسة، وقد يكونان متماثلين، أو مختلفين، أو متضادين، بشرط أن يكون بينهما مناسبة.

٣. ليس من شرط المقابلة اتحاد الصيغة، فقد يقابل الاسم بالفعل، والماضي بالمضارع أو الأمر، والمفرد بالجمع؛ لأن المقصود المقابلة بين المعنيين، وليس اللفظين.

٤. قسّم العلماء المقابلة إلى عدة تقسيمات، باعتبارات مختلفة، بعضها يركز على الألفاظ والصيغ، والآخر يركز على عدد العناصر المتقابلة، والبعض الآخر يركز على أنواع المتقابلات.

٥. للمقابلة فوائد كثيرة ومهمة، منها ما ينعكس على اللفظ، ومنها ما ينعكس على المعنى، وقد وظفها القرآن الكريم لتقرير القضايا، وإقامة الحجة على المخالفين.

٦. المقابلات في القرآن الكريم يصعب حصرها؛ لكثرتها، وتنوعها، وتعدد زواياها.

٧. المقابلة بين الأضداد هي أجلى صور المقابلة وأوضحها، وقد استعملها القرآن الكريم في المقابلة بين الأضداد المعنوية، والأضداد الحسية.

٨. هناك ثلاث صور للمقابلة بين الأضداد يكثر القرآن من استعمالها:

الأولى: المقابلة بين الضدين بصيغهما المختلفة.

الثانية: مقابلة أحد الضدين بما في معنى الضد الآخر، أو أحد صوره وأشكاله.

الثالثة: المقابلة بين إثبات أحد الضدين ونفيه.

٩. المقابلة بين المعاني أكثر من المقابلة بين الألفاظ.

١٠. راعت المقابلة بين الأضداد العلاقة بين الضدين واهتمت بها، فتارة تأكد اختلافهما وتذكر بعض وجوه الاختلاف وصوره، وتارة تبني على هذا الاختلاف قضايا أخرى مرتبطة به، نحو أسباب الاختلاف ومآله وعاقبته.

١١. تشير كثيرٌ من المقابلات بين ضدين إلى وجود علاقة مشتركة بين

الضدين، فعلى الرغم من تضادّهما إلا أن بينهما موضع اتفاقٍ بينهما .

١٢. توضح المقابلات بين ضدين بعض جوانب العلاقة الأخرى غير الاختلاف أو الاتفاق؛ كعلاقة التتابع والمرحلية، أو التلازم، أو الاشتباك والتداخل، أو الصراع، أو غير ذلك من العلاقات بينهما .

١٣. تختلف أغراض ومقاصد المقابلة بين ضدين بحسب السياق، وفهم السياق يعين كثيرًا في استجلاء مضامين هذه المقابلة .

١٤. كثيرًا من الأضداد تشترك في أمورٍ تتعلق بالله عز وجل، نحو كونها بإرادة الله ومشيئته، أو كونها مخلوقة له سبحانه، أو مشمولة بعلمه وإحاطته، وغير ذلك من الأمور المتصلة بالله عز وجل .

١٥. يستعمل القرآن الكريم المقابلة في الموازنة بين فكرتين، أو فريقين، أو موقفين؛ لإثارة الانتباه إلى الاختلاف بينهما، وقد يكتفي بذكر الضدين ويدع الموازنة بينهما للقارئ والسامع .

١٦. قد يصوّر القرآن الكريم القضايا المعنوية في صور حسية؛ تحقيقًا للإقناع العقلي، أو التأثير النفسي، أو الامتاع الذهني .

١٧. القضايا العقدية أخذت النصيب الأوفى، والحظ الأعلى في المقابلات القرآنية، فلا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من مقابلة تتحدث عن قضايا العقيدة .

١٨. لم يظهر لي فرقٌ بين معالجة القرآن للمعنويات ومعالجته للحسيات .

التوصيات:

في نهاية هذه الرحلة الماتعة، أطرح بين يدي الباحثين بعض الأفكار البحثية، التي ظهرت لي أثناء كتابة البحث، والتي منها:

- دراسة بعض الموضوعات القرآنية من خلال أسلوب المقابلة؛ كالمقابلة بين الإيمان والكفر، والمقابلة بين النعيم والعذاب، والمقابلة بين الدنيا والآخرة.
- دراسة أثر المقابلة في التفسير، فإن للمقابلة أثرًا فهم معنى الآية، واستخدمها بعض المفسرين في الترجيح بين الأقوال، واستدل بها آخرون على أحكام وفوائد مستنبط من القرآن الكريم.
- دراسة أساليب قرآنية أخرى أكثر القرآن الكريم من استخدامها، دراسة موضوعية؛ كأسلوب التقسيم، والاستدراك، والاستطراد، وغير ذلك من الأساليب القرآنية.

هذا وأسأل المولى جلّ في علاه أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكسوه حلّة القبول، وما كان فيه من صواب فمن الله، وما اعتراه من سهو أو جهل أو خطل فمن نفسي ومن الشيطان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

والحمد لله في البدء والختام...

❁ ❁ ❁

الفهارس

وتشتمل على الفهارس الآتية :

- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الأبيات الشعرية .
- فهرس المراجع والمصادر .
- فهرس الموضوعات .

❁ ❁ ❁

فهرس الآيات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٢- سورة البقرة		
١	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ .. ﴾	١١-١٢	٢٨٧
٢	﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا .. ﴾	١٤	٣١٧
٣	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا .. ﴾	١٦	١٠٨
٤	﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ .. ﴾	١٧-٢٠	٤٣٧
٥	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا .. ﴾	٢٦	١٠٤
٦	﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ .. ﴾	٢٨	٣٨٠، ٣٥٤
٧	﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ	٣٠	٢٩٥، ٢٨٣

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	نُسَبِّحُ .. ﴾		
٨	﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾	٣٣	٣١١
٩	﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ .. ﴾	٣٨-٣٩	٩٧
١٠	﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ .. ﴾	٤٢	١١٧، ١٣٤
١١	﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾	٤٩	٣٥٣، ٣٥٥، ٤١٣
١٢	﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾	٥٤	١٦٨
١٣	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ .. ﴾	٥٥-٥٦	٣٩١
١٤	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾	٥٦	٣٨٤
١٥	﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰءْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾	٧٢-٧٣	٣٩٦
١٦	﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ .. ﴾	٧٦	٣١٧
١٧	﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ .. ﴾	٧٦-٧٧	٣٣٣
١٨	﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾	٧٧	٣١٠، ٣٢١
١٩	﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا	٧٩	١٣٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	مِنْ .. ﴾		
٢٠	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ .. ﴾	٨٣	٦١٢
٢١	﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾	٨٥	١٣٧
٢٢	﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾	١٠٨	١١١
٢٣	﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ .. ﴾	١١٥	٦٣٨،٦٢٦
٢٤	﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾	١٤٠	٦٢
٢٥	﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل .. ﴾	١٤٢	٦٣٩
٢٦	﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا .. ﴾	١٥٤	٤٢٠
٢٧	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا .. ﴾	١٥٩-١٦٠	٣٠١
٢٨	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ .. ﴾	١٦٤	٤٥٩،٤١٥
٢٩	﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً .. ﴾	١٧١	٥٣٣
٣٠	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ	١٧٢-١٧٣	،١٦٩،١٦٦،

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ .. ﴾		٥٩٠
٣١	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾	١٧٢	٥٩٢
٣٢	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ .. ﴾	١٧٤-١٧٥	١١٠
٣٣	﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ .. ﴾	١٧٥	١٠٨
٣٤	﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ .. ﴾	١٧٧	٦٤٠
٣٥	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ .. ﴾	١٧٨-١٧٩	٤١٢
٣٦	﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ .. ﴾	١٨٧	٤٩٧
٣٧	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا .. ﴾	٢١٦	١٨١، ١٨٣، ١٨٦، ٢٣١
٣٨	﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ .. ﴾	٢١٩	٥١، ٢٢٤، ٢٢١، ٢٢٣
٣٩	﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ .. ﴾	٢٢٠	٢٨٩
٤٠	﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ .. ﴾	٢٢٨	٥٥٣
٤١	﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾	٢٣٥	٣٣٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٢	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ .. ﴾	٢٤٣	٣٨٥، ٣٩٢
٤٣	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ .. ﴾	٢٥١	٢٨٤، ٢٩٨
٤٤	﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾	٢٥٥	٥٥، ٣٥٩
٤٥	﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ .. ﴾	٢٥٧	٤٤٨
٤٦	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ .. ﴾	٢٥٨	١٤٢، ٤١١، ٦٢٨
٤٧	﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ .. ﴾	٢٥٩	٣٨٩
٤٨	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ .. ﴾	٢٦٠	٣٨٧
٤٩	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ .. ﴾	٢٦٧	٥٩١
٥٠	﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا .. ﴾	٢٧١	٣١١، ٣٤٤
٥١	﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾	٢٧٢	١٠٢، ١٠٣
٥٢	﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا .. ﴾	٢٧٤	٣١٠، ٣٤٢، ٤٩٣

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٣	﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾	٢٧٦	٦٨
٥٤	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ..﴾	٢٨٢	٦١٥،٥٥١
٥٥	﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ ..﴾	٢٨٤	٣٣٦،٣٣٤
٥٦	﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ..﴾	٢٨٥	٣٣٧
٥٧	﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن ..﴾	٢٨٦	٣٣٦،١٦٨
	٣- سورة آل عمران		
٥٨	﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾	٢٧	،٣٧٨،٤٢٤، ٥١٤
٥٩	﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ..﴾	٢٩	٣٢٦،٣٢١
٦٠	﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ ..﴾	٣٥-٣٦	٥٤٣
٦١	﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ ﴾	٣٦	٥٤٣
٦٢	﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ ..﴾	٤٩	٣٩٤
٦٣	﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾	٥٤	٥٥،٢٧،٢٢
٦٤	﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ	٧١	١٣٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	وَأَنتُمْ .. ﴾		
٦٥	﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ .. ﴾	٨٦	٨٣
٦٦	﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ .. ﴾	٨٦-٨٩	٢٨٣، ٣٠٠
٦٧	﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ .. ﴾	٩٣	١٦٨
٦٨	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ .. ﴾	١٠٦-١٠٧	٥٤
٦٩	﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ .. ﴾	١١٠	٣٥٥
٧٠	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ .. ﴾	١١٨-١٢٠	٣١٧
٧١	﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ﴾	١٢٠	٢٥٠، ٢٧٠
٧٢	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ .. ﴾	١٣٠	٢٧٩
٧٣	﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ .. ﴾	١٣٣	٢٧٨
٧٤	﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ	١٣٤	٢٥٠، ٢٧٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	ٱلۡغَيۡظَ .. ﴾		
٧٥	﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٌ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٌ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ .. ﴾	١٤٠-١٤٢	١٨٥
٧٦	﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمۡۖ .. ﴾	١٥٤	٣١٤، ١٥٢
٧٧	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا .. ﴾	١٥٦	٣٧١
٧٨	﴿وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالًا .. ﴾	١٦٧	٣١٦
٧٩	﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ .. ﴾	١٦٩	٤٢٠
٨٠	﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ .. ﴾	١٧٩	٥٩٧، ٥٨٣
٨١	﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ .. ﴾	١٩٠	٥٠٧، ٤٥٩
٨٢	﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبۡحَٰنَكَ﴾	١٩١	٤٦١
٨٣	﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ .. ﴾	١٩٥	٥٧٣
	٤- سورة النساء		
٨٤	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا .. ﴾	١	٥٦٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٨٥	﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ .. ﴾	٢	٥٩٩
٨٦	﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا .. ﴾	٧	٥٤٠، ٥٧٠
٨٧	﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ .. ﴾	١١-١٢	٥٤٨
٨٨	﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ .. ﴾	١٢	٥٤٠
٨٩	﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ .. ﴾	١٣-١٤	٦٥
٩٠	﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا .. ﴾	١٨	٣٠٤
٩١	﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ .. ﴾	٣١	٦٤، ٦٠٩
٩٢	﴿ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ .. ﴾	٣٢	٥٤٧
٩٣	﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ .. ﴾	٣٤	٥٥٥
٩٤	﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾	٣٦	٦١٢
٩٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ	٤٣	٢٢٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	حَتَّىٰ .. ﴾		
٩٦	﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ .. ﴾	٧٢-٧٣	٢٤٩، ٢٧٣
٩٧	﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ .. ﴾	٧٥	٥٧٦
٩٨	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا .. ﴾	٧٧-٧٨	١٥١
٩٩	﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾	٧٨	٣٧٣
١٠٠	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾	٨٢	٥
١٠١	﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ .. ﴾	٨٨	١٠٢
١٠٢	﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ .. ﴾	١٢٤	٥٣٩، ٥٧٣
١٠٣	﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا .. ﴾	١٤٥-١٤٦	٣٠٢
١٠٤	﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾	١٦٠	١٦٦، ١٦٨
١٠٥	﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ .. ﴾	١٧٦	٥٤٩
	٥- سورة المائدة		
١٠٦	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ	٣	٦٦٢

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾		
١٠٧	﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ .. ﴾	٣-٥	٥٨٣، ٥٩٠
١٠٨	﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾	١٦	٤٤٩
١٠٩	﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ .. ﴾	٢٤-٢٦	٦٦٩
١١٠	﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا .. ﴾	٣٢	٤١٠
١١١	﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ .. ﴾	٣٣	٢٩٩
١١٢	﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا .. ﴾	٣٨	٥٧٠
١١٣	﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا .. ﴾	٧٦	٥١، ٢٢١، ٢٣٦، ٢٤٢
١١٤	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا .. ﴾	٨٧-٨٨	١٧٧
١١٥	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ .. ﴾	٩٠-٩١	٢٢٥
١١٦	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾	٩٥	٦٦١
١١٧	﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ	٩٦	١٧٦، ٦٦١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	عَلَيۡكُمۡ .. ﴾		
١١٨	﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾	٩٩	٣٣٠، ٣٢١
١١٩	﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ .. ﴾	١٠٠	٥٨٦، ٥٨٣
١٢٠	﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ .. ﴾	١٠٣	١٧٥
١٢١	﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ .. ﴾	١١٠	٣٩٤
	٦- سورة الأنعام		
١٢٢	﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ .. ﴾	١	٤٣٠، ٤٥٧، ٤٤٥
١٢٣	﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا .. ﴾	٣	٣٢١، ٣١٠، ٣٢٣
١٢٤	﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣ ﴾	١٣	٥٠٢
١٢٥	﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ .. ﴾	١٧	١٨١، ٧٣، ٥٢، ٢٢٢، ١٩٩، ٢٣٢
١٢٦	﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ ﴾	٢٠	١٣٦
١٢٧	﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ	٣٩	٤٣٠، ١٠١،

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	يُضۡلِلۡهُ .. ﴾		٤٣٥
١٢٨	﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ .. ﴾	٥٠	٥٢١
١٢٩	﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ .. ﴾	٥٤	٣٠٢
١٣٠	﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ .. ﴾	٥٩	٦١٨، ٦٦٤
١٣١	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ .. ﴾	٦٠	٤٧١، ٤٠٦، ٤٧٠
١٣٢	﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ .. ﴾	٦٣	٦٥٩
١٣٣	﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ .. ﴾	٦٣-٦٤	٦٧٠
١٣٤	﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾	٧١	٨٠، ١١٢، ٢٢١، ٢٣٥
١٣٥	﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي .. ﴾	٧٧	١١١
١٣٦	﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ .. ﴾	٨٨	٨٣
١٣٧	﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ	٩٥	٣٧٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	ٱلْمَيِّتِ .. ﴾		
١٣٨	﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾	٩٦	٤٦٧، ٤٧٣، ٥١٣
١٣٩	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ .. ﴾	٩٧	٨٠، ٦٦٧
١٤٠	﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا .. ﴾	١٠٠-١٠١	٥٦٥
١٤١	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾	١٠١	٢٠٣
١٤٢	﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَاۚ .. ﴾	١٠٤	٥١٩، ٥٢٦
١٤٣	﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾	١١٢	١١٣
١٤٤	﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ .. ﴾	١٢٢	٤٢٢، ٤٥١
١٤٥	﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن .. ﴾	١٢٥	٩٧
١٤٦	﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا .. ﴾	١٣٩	٥٧١
١٤٧	﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ .. ﴾	١٤٣	٥٣٩
١٤٨	﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ .. ﴾	١٤٣-١٤٤	٥٧١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٤٩	﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ .. ﴾	١٤٦	١٦٨
١٥٠	﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ .. ﴾	١٥١	٦١٢
١٥١	﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا .. ﴾	١٥٨	٦٣٠
	٧- سورة الأعراف		
١٥٢	﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلًا مَّا .. ﴾	١٠	٢٩٤
١٥٣	﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾	١٦-١٧	٦٥٣
١٥٤	﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا .. ﴾	١٧	٦٤٤
١٥٥	﴿ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾	٢٥	٣٧٦، ٣٥٤، ٧٠
١٥٦	﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ .. ﴾	٢٩-٣٠	٩١، ٨٥
١٥٧	﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ .. ﴾	٣٥	٣٠٠
١٥٨	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَقَالُواْ .. ﴾	٤٣	٨١
١٥٩	﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ	٥٤	٥١٠، ٥٠٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	أَيَّامٍ ثُمَّ .. ﴾		
١٦٠	﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ .. ﴾	٥٦	٢٨٢، ٢٩٥
١٦١	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا .. ﴾	٥٧	٤٠٥، ٤١٨
١٦٢	﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا .. ﴾	٥٨	٥٩٣
١٦٣	﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي .. ﴾	٧٤	٢٨٤، ٢٩٦
١٦٤	﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ .. ﴾	٨٥	٢٩٦
١٦٥	﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ .. ﴾	٩٥	٢٥٠
١٦٦	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ .. ﴾	١١٧-١١٩	١٤١
١٦٧	﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) ﴾	١١٨	١١٧
١٦٨	﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ .. ﴾	١٢٧	١٣٤، ٤١٥
١٦٩	﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ .. ﴾	١٢٨	٦٣٧
١٧٠	﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ	١٣١	٢٥٠، ٢٥٩،

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	يَطَّيَّرُواْ .. ﴾		٢٧٢
١٧١	﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ .. ﴾	١٣٧	٦٣٧
١٧٢	﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ .. ﴾	١٤١	٤١٣
١٧٣	﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ .. ﴾	١٤٢	٢٨٢
١٧٤	﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ .. ﴾	١٥٥	١٠٤،١٠٠
١٧٥	﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾	١٥٧	،١٦٥،٥٢ ٥٨٩،١٦٧
١٧٦	﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ .. ﴾	١٥٨	٣٦٤
١٧٧	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا .. ﴾	١٧٩	٥٣٢،٥٢٠،٧٤
١٧٨	﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا .. ﴾	١٨٧	٢٣٠
١٧٩	﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ .. ﴾	١٨٨	٢٣٠،٢٢٩
	٨- سورة الأنفال		
١٨٠	﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ	٧-٨	١٣٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	أَنَّ غَيْرَ .. ﴾		
١٨١	﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ..﴾	١٧	٤٨
١٨٢	﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا ..﴾	٣٢	٢١٢
١٨٣	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ..﴾	٣٧	٥٩٤
١٨٤	﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ ..﴾	٤٢	٤٢٥
	٩- سورة التوبة		
١٨٥	﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن ..﴾	٣٢	٤٥٢
١٨٦	﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ ..﴾	٤٣	١٤٨، ١٥٠
١٨٧	﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن ..﴾	٤٤-٤٥	١٥١
١٨٨	﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾	٥٠	٢٤٨، ٢٧١
١٨٩	﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾	٦٧	٢١، ٢٧، ٥٥
١٩٠	﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ ..﴾	٦٧-٦٨	٥٧٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩١	﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ .. ﴾	٧١-٧٢	٥٧٤
١٩٢	﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ .. ﴾	٧٤	٢٨٨
١٩٣	﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾	٨٢	٥٢، ٥٦
١٩٤	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن .. ﴾	١١٦	٤٩، ٣٦٧
١٩٥	﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن .. ﴾	١٢٠-١٢١	٦٢٠
١٩٦	﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا .. ﴾	١٢١	٦٠٤
	١٠- سورة يونس		
١٩٧	﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ .. ﴾	٦	٤٥٩
١٩٨	﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ .. ﴾	١١	٢١١
١٩٩	﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا .. ﴾	١٢	٢٠٥، ٢٦٤
٢٠٠	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ .. ﴾	١٨	٢٣٥، ٢٣٨
٢٠١	﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ	٢١	٢٦٥

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	فِي ..﴾		
٢٠٢	﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ ..﴾	٢٢-٢٣	٢٦٧
٢٠٣	﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾	٢٢	٦٦٦
٢٠٤	﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ ..﴾	٢٢-٢٣	٦٧٢
٢٠٥	﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ..﴾	٢٤	٥٨، ٤٩٢
٢٠٦	﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ ..﴾	٣١-٣٢	١٢٠
٢٠٧	﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ ..﴾	٣١	٣٧٨
٢٠٨	﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ ..﴾	٣٢	٥٦، ٨٣، ١١٨
٢٠٩	﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبًّا فَمِنۡهُ ..﴾	٣٣	٤١٧
٢١٠	﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِىٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِى لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن ..﴾	٣٥-٣٦	١٢٤
٢١١	﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِى مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ ..﴾	٣٦	١١٨
٢١٢	﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا	٤٢-٤٣	٥٣٥

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	يَعۡقِلُونَ .. ﴾		
٢١٣	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾	٤٨-٥٢	٢١٦
٢١٤	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾	٤٨-٥١	٤٨٩
٢١٥	﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا .. ﴾	٤٩	٢٢٩
٢١٦	﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارًا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ .. ﴾	٥٠	٤٥٧
٢١٧	﴿ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾	٥٥-٥٦	٤٠٧
٢١٨	﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٍ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامًا .. ﴾	٥٩	١٧٢
٢١٩	﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا .. ﴾	٦١	٦١٧
٢٢٠	﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ .. ﴾	٦٧	٤٧٢
٢٢١	﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ ﴾	٧٦	١١٨، ١٣١
٢٢٢	﴿ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾	٨٠-٨٢	١٤١
٢٢٣	﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ .. ﴾	٨١	٢٩٠
٢٢٤	﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيًا .. ﴾	٩٠-٩١	٢٨٤، ٣٠٥

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦)﴾	٩٦-٩٧	١٣١
٢٢٦	﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ..﴾	١٠٦	٢٣٥، ٢٤٣
٢٢٧	﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ ..﴾	١٠٧	١٩٩، ٢٣٢
	١١- سورة هود		
٢٢٨	﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ..﴾	٥	٣٢١
٢٢٩	﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ..﴾	١٠	٢٤٩، ٢٦٢
٢٣٠	﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ ..﴾	٢٤	٥٢١
٢٣١	﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ ..﴾	٢٧	٢١١
٢٣٢	﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾	١١٤	٣٠٣، ٤٩٦
٢٣٣	﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ ..﴾	١١٦	٢٩٧
	١٢- سورة يوسف		
٢٣٤	﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ..﴾	٢٦-٢٨	١٥٢

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٥	﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾	٣٩	٦٢
٢٣٦	﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾	٨٢	٣٩٠
٢٣٧	﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	٢٦٩
	١٣- سورة الرعد		
٢٣٨	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ..﴾	٣	٥١٠
٢٣٩	﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ..﴾	٦	٢٥١
٢٤٠	﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾	٧	١٠٣
٢٤١	﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ ..﴾	٩-١٠	٤٨٧، ٣٢٧
٢٤٢	﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ ..﴾	١٠	٤٨٦، ٣٢٢
٢٤٣	﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾	١١	٤٨٨
٢٤٤	﴿قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا﴾	١٦	٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٤٣٣، ٥٢١
٢٤٥	﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا ..﴾	١٧	١٢٧

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٦	﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ..﴾	١٩-٢٢	٣٣٩
٢٤٧	﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ ..﴾	٢٧	٩٠
٢٤٨	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾	٣٨	٥٥٣
	١٤- سورة إبراهيم		
٢٤٩	﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ..﴾	١	٤٥٠، ٤٣٠
٢٥٠	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ ..﴾	٤	١٠٠
٢٥١	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ ..﴾	٥	٤٤٩
٢٥٢	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ ..﴾	٦	٤١٣
٢٥٣	﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ ..﴾	١٧	٣٦١
٢٥٤	﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ..﴾	٢١	١١٣
٢٥٥	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ..﴾	٢٤-٢٧	٥٨٧، ٦٩

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٥٦	﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ .. ﴾	٣١	٣٤٠
٢٥٧	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ .. ﴾	٣٣	٤٨٣
٢٥٨	﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾	٣٤	٤٨٤
٢٥٩	﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي .. ﴾	٣٨	٣٢٢
	١٥- سورة الحجر		
٢٦٠	﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ .. ﴾	١٩-٢٠	٢٩٤
٢٦١	﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ (٢٣) ﴾	٢٣	٣٦٧
٢٦٢	﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ .. ﴾	٤٧	١٧
	١٦- سورة النحل		
٢٦٣	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ .. ﴾	١٢	٤٨٣
٢٦٤	﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) ﴾	١٧	٦١
٢٦٥	﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) ﴾	١٧-٢١	٣٢٤
٢٦٦	﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾	١٩	٣٢٢
٢٦٧	﴿ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ (٢١) ﴾	٢١	٤٢٣
٢٦٨	﴿ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ	٢٢-٢٣	٣٣١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	..﴾		
٢٦٩	﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ..﴾	٢٣	٣٢٢
٢٧٠	﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾	٣٥	٨٦
٢٧١	﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ..﴾	٣٦	٢٨٧ ،٨٥ ،٨٢
٢٧٢	﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾	٣٧	١٠٣
٢٧٣	﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا ..﴾	٣٨	٤٠٨ ،٣٥٦
٢٧٤	﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ ..﴾	٤٨	٦٥١
٢٧٥	﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ..﴾	٥٣	٢٥٣
٢٧٦	﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾	٥٣-٥٥	٢٥٥
٢٧٧	﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ ..﴾	٥٣	٢٦٧ ،٢٤٩
٢٧٨	﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ ..﴾	٥٧-٥٩	٥٦٤
٢٧٩	﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ ..﴾	٦٥	٤١٦
٢٨٠	﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ	٧٢	١٢٣ ،١١٩

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	.. ﴾		
٢٨١	﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ .. ﴾	٧٥	٣٤٠
٢٨٢	﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ .. ﴾	٧٨	٧٣
٢٨٣	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ .. ﴾	٩٠	٥٣
٢٨٤	﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ .. ﴾	٩٣	١٠٠
٢٨٥	﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ .. ﴾	٩٧	٩٦، ٥٧٣
٢٨٦	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا .. ﴾	١١٢	٢٥١، ٢٥٦
٢٨٧	﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ .. ﴾	١١٤-١١٥	١٦٩
٢٨٨	﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ .. ﴾	١١٤-١١٦	١٧٤
٢٨٩	﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ .. ﴾	١١٤-١١٥	٥٨٣، ٥٩٠
٢٩٠	﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا .. ﴾	١١٦	١٧٢، ١٧٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩١	﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ .. ﴾	١١٩	٣١٠، ٢٨٣، ٣٠٢
	]- سورة الأحقاف ١٦		
٢٩٢	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن .. ﴾	٣٣٥	
	١٧- سورة الإسراء		
٢٩٣	﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾		٢١٣
٢٩٤	﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾	١١	٢١٢
٢٩٥	﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ .. ﴾	١٢	٤٦٤، ٤٧٦
٢٩٦	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ .. ﴾	٢٣-٢٤	٦١١
٢٩٧	﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ .. ﴾	٤٠	٥٤٠، ٥٦٤
٢٩٨	﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾	٤٩	٣٩٨
٢٩٩	﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى .. ﴾	٦٧-٦٩	٦٧٢
٣٠٠	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ .. ﴾	٧٠	٦٥٩، ٦٦٥

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٠١	﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا .. ﴾	٧٢	٥٢٨
٣٠٢	﴿ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ .. ﴾	٧٥	٣٨٣
٣٠٣	﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ ﴾	٨١	١٤٢
٣٠٤	﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا .. ﴾	٨٣	٢٠٨، ٢٦٣، ٢٦٨
٣٠٥	﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ .. ﴾	٩٧	٥٢٩
	١٨- سورة الكهف		
٣٠٦	﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ ﴾	١٢	٣٨٤
٣٠٧	﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا .. ﴾	١٧-١٨	٦٥٤
٣٠٨	﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞ ﴾	١٨	٥٦
٣٠٩	﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ .. ﴾	٢٩	٣١، ٨٦
٣١٠	﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ .. ﴾	٤٩	١٩٢، ٦١٩
٣١١	﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ	٥٦	١٣٠

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	ٱلَّذِينَ .. ﴾		
٣١٢	﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا .. ﴾	٦٢-٦٥	١٨٨
٣١٣	﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا .. ﴾	٨٦-٩٠	٦٣٧
٣١٤	﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ﴾	١٠٣-١٠٤	٩٩، ٢٨٨
	١٩- سورة مريم		
٣١٥	﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾	١٥	٣٨٢
٣١٦	﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾	٣٣	٣٨٢
٣١٧	﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾	٤٠	٣٦٧
٣١٨	﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾	٦٦	٣٩٨
٣١٩	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ .. ﴾	٧٥-٧٦	٩٤
٣٢٠	﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾	٨٢	٣٧
	٢٠- سورة طه		
٣٢١	﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ .. ﴾	٦-٧	٣٢٥
٣٢٢	﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾	٧	٣٢٢، ٤٨٨
٣٢٣	﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴾	٢٧	١٦٣
٣٢٤	﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	٥٠	٨٠

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٢٥	﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾	٥٥	٣٧٦، ٧٠
٣٢٦	﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾	٧٠	١٤١
٣٢٧	﴿ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ .. ﴾	٧٢-٧٣	١٤١
٣٢٨	﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾	٧٤	٣٦٠
٣٢٩	﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي .. ﴾	٧٧	٦٧٣، ٦٥٩
٣٣٠	﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا .. ﴾	٨٩	٢٤١، ٢٣٦
٣٣١	﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ .. ﴾	١٢٤-١٢٦	٥٢٨
٣٣٢	﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ .. ﴾	١٣٠	٤٩٤
	٢١- سورة الأنبياء		
٣٣٣	﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ ﴾	١٨	١٤٠
٣٣٤	﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾	١٩-٢٠	٤٩٨
٣٣٥	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ .. ﴾	٣٣	٤٨٣

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٣٦	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا .. ﴾	٣٥	٢٠٣، ٤٠٧
٣٣٧	﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾	٣٧	٢٠٧
٣٣٨	﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾	٤٢	٧٢
٣٣٩	﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن .. ﴾	٤٢-٤٣	٤٩١
٣٤٠	﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن .. ﴾	٤٧	١٩٢
٣٤١	﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾	٦٥	٢٤٢
٣٤٢	﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا .. ﴾	٦٦	٢٣٦، ٢٣٨
٣٤٣	﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا .. ﴾	٦٦-٦٧	٦١، ٢٤٢
٣٤٤	﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	٦٧	٢٤١
٣٤٥	﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾	٦٨	١٣٣
٣٤٦	﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾	١١٠	٣١١، ٣٢٢
	٢٢- سورة الحج		
٣٤٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم	٥	٤٠٢

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	مِّن .. ﴾		
٣٤٨	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ .. ﴾	٦-٧	٣٦٨
٣٤٩	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ .. ﴾	١١	٢١٠
٣٥٠	﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ .. ﴾	١٢	٢٣٦، ٢٤٠
٣٥١	﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ .. ﴾	١٣	٢٤٣
٣٥٢	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ .. ﴾	١٨	٦٥٢
٣٥٣	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ .. ﴾	٤٦	٥٣٤
٣٥٤	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ .. ﴾	٦١-٦٢	١٢٠
٣٥٥	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ .. ﴾	٦١	٥١٤
٣٥٦	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ .. ﴾	٦٦	٣٨١
٣٥٧	﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى .. ﴾	٧٠	٦١٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٢٣- سورة المؤمنون		
٣٥٨	﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	١٥-١٦	٤٠٧
٣٥٩	﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾	٣٥-٣٦	٣٩٩
٣٦٠	﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ .. ﴾	٥١	٥٩٢
٣٦١	﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾	٥٥-٥٦	٩٦
٣٦٢	﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ .. ﴾	٧٥	٢٦٤
٣٦٣	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ .. ﴾	٨٠	٣٦٩، ٤٦٣
٣٦٤	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ .. ﴾	٩٩-١٠٠	٣٨٦، ٣٠٤، ٣٥٦
	٢٤- سورة النور		
٣٦٥	﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي .. ﴾	٢	٥٧٠
٣٦٦	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾	٦	١٥٦
٣٦٧	﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ .. ﴾	٦-٩	١٥٥، ٥٥٨
٣٦٨	﴿إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾	٩	١٥٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٦٩	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ ..﴾	١١	١٨٩
٣٧٠	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ ..﴾	١١-١٢	٥٦٩
٣٧١	﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ ..﴾	٢٦	٦٠٠
٣٧٢	﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ..﴾	٣٥	٦٢٧، ٦٣٠
٣٧٣	﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ ..﴾	٣٩	١٩٣
٣٧٤	﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ ..﴾	٤٠	٤٣٦
٣٧٥	﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾	٤٤	٤٨٥، ٥٠٧
	٢٥- سورة الفرقان		
٣٧٦	﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا ..﴾	٣	٢٣٧، ٢٣٩، ٣٦٦
٣٧٧	﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾	٢٣	١٩٣
٣٧٨	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ	٤٧	٤٦٩

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	ٱلنَّهَارَ .. ﴾		
٣٧٩	﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ .. ﴾	٤٨-٤٩	٤١٧
٣٨٠	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ .. ﴾	٥٥	٢٤٠، ٢٣٦
٣٨١	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ .. ﴾	٥٨	٣٥٧
٣٨٢	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ .. ﴾	٦٢	٥٠٦، ٤٨١
	٢٦- سورة الشعراء		
٣٨٣	﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٨	٦٣٥
٣٨٤	﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾	٣٤	١٤٠
٣٨٥	﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾	٦١-٦٦	٦٧٣
٣٨٦	﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾	٧٢-٧٣	٢٤٢، ٢٣٦
٣٨٧	﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾	٧٧-٨١	٣٦٩
٣٨٨	﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾	١٥١-١٥٢	٢٨٦
٣٨٩	﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ ﴾	١٦٥-١٦٦	٥٤٠
	٢٧- سورة النمل		
٣٩٠	﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ .. ﴾	٢١-٢٨	١٥٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٩١	﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا .. ﴾	٢٥	٣٢٩،٣٢٢
٣٩٢	﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) ﴾	٢٧	١٤٨
٣٩٣	﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا .. ﴾	٤٨	٢٨٦
٣٩٤	﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾	٤٩	٢٥٠
٣٩٥	﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ .. ﴾	٦٣	٦٦٨
٣٩٦	﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾	٧٤	٣٢٢،٣١١
٣٩٧	﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي .. ﴾	٨٦	٤٧٢
	٢٨- سورة القصص		
٣٩٨	﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا .. ﴾	٣٤	١٥٨
٣٩٩	﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ .. ﴾	٤٩-٥٠	٩٢
٤٠٠	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ .. ﴾	٥٦	١٠٢،٨٠
٤٠١	﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾	٦٩	٣٢٢
٤٠٢	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ .. ﴾	٧١-٧٢	٤٦٠

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٠٣	﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ ..﴾	٧١-٧٣	٧٢، ٤٧٨
٤٠٤	﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن ..﴾	٧٣	٥٤، ٤٦٧، ٥٠٢
٤٠٥	﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ..﴾	٧٤-٧٥	١٤٣
٤٠٦	﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ ..﴾	٧٦-٨٢	٢٥٨
٤٠٧	﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾	٨٧	٢٦٠
٤٠٨	﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾	٨٨	٣٥٨
	٢٩- سورة العنكبوت		
٤٠٩	﴿الٓمٓ ①﴾	١-٣	١٤٩
٤١٠	﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ②﴾	١-٢	١٨٥
٤١١	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ..﴾	١٩-٢٠	٤٠٣
٤١٢	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ..﴾	١٩	٤٠٩
٤١٣	﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ..﴾	٥٢	١١٨، ١٢٤
٤١٤	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٥٧﴾	٥٧	٤٠٧

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤١٥	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ .. ﴾	٦٣	٤١٨
٤١٦	﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ .. ﴾	٦٥	٦٥٩، ٦٧٢
٤١٧	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ .. ﴾	٦٧	٥٦، ١٢٣
	٣٠- سورة الروم		
٤١٨	﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾	١٩	٣٥٤، ٤٢٤، ٣٧٨، ٤٠٤، ٤١٨
٤١٩	﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ .. ﴾	٢٠	٤٠٢
٤٢٠	﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا .. ﴾	٢١	٥٥٣
٤٢١	﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ .. ﴾	٢٣	٤٠٦، ٤٧٠
٤٢٢	﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ .. ﴾	٢٤	٤١٧
٤٢٣	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾	٢٧	٦٢، ٤٠١، ٤٠٩
٤٢٤	﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى	٢٩	٩٣

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	مَنۡ .. ﴾		
٤٢٥	﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ .. ﴾	٣٣	٢٥١، ٢٥٣، ٢٦٦
٤٢٦	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ .. ﴾	٤٠	٣٦٦
٤٢٧	﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم .. ﴾	٤١	٦٧٤
٤٢٨	﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ .. ﴾	٥٠	٤١٩
٤٢٩	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ .. ﴾	٥٤	٦١١
	٣١- سورة لقمان		
٤٣٠	﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ .. ﴾	٢٨	٤١٠
٤٣١	﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ .. ﴾	٢٩-٣٠	١٢٠
٤٣٢	﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ .. ﴾	٢٩	٥١٤
٤٣٣	﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ .. ﴾	٣١-٣٢	٦٧٢

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٣٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا .. ﴾	٣٣	٦٤
	٣٢- سورة السجدة		
٤٣٥	﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن .. ﴾	٣	١٣١
٤٣٦	﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ .. ﴾	١١	٤٠٧
٤٣٧	﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ .. ﴾	٢١	٦٠٥
	٣٣- سورة الأحزاب		
٤٣٨	﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ ﴾	١٦	٣٩٣
٤٣٩	﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾	٢٣	١٤٧
٤٤٠	﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ .. ﴾	٣٥	٥٦٧، ٥٤١
٤٤١	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ .. ﴾	٣٦	٥٦٩، ١٨٤
٤٤٢	﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ .. ﴾	٤٣	٤٤٩
٤٤٣	﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾	٥٤	٣٢٢، ٦٤، ٥٥
٤٤٤	﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا .. ﴾	٥٨	٥٧٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٤٥	﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ .. ﴾	٧٣	٥٤١، ٥٧٥
	٣٤- سورة سبأ		
٤٤٦	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ .. ﴾	٣	٦١٨
٤٤٧	﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾	١٣	٢٠٥
٤٤٨	﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ .. ﴾	١٥	٦٥٢
٤٤٩	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ .. ﴾	٣٣	٥٠٠
٤٥٠	﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ .. ﴾	٤٢	٢٤٤
٤٥١	﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾	٤٨-٤٩	١٤٣
٤٥٢	﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾	٤٩-٥٤	٨٧
٤٥٣	﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ .. ﴾	٥٠	٨٧
	٣٥- سورة فاطر		
٤٥٤	﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ .. ﴾	٨	١٠٠، ١٠٧
٤٥٥	﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ .. ﴾	٩	٤١٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٥٦	﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ .. ﴾	١٣	٥١٤
٤٥٧	﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ .. ﴾	١٩-٢٣	٦٠
٤٥٨	﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ .. ﴾	١٩-٢٢	٤٢٤، ٤٣٤
٤٥٩	﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾	١٩	٥١٩، ٥٢١
٤٦٠	﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُ﴾	٢٢	٤٢٣
٤٦١	﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ .. ﴾	٣٢	٢٠٦
	٣٦- سورة يس		
٤٦٢	﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ .. ﴾	١٢	٤٠٨
٤٦٣	﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾	١٥	١٣١
٤٦٤	﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾	٣٧	٤٣٠، ٤٤٧، ٥١٣
٤٦٥	﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي .. ﴾	٤٠	٥٠٨
٤٦٦	﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾	٥٩	٥٩٥
٤٦٧	﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ .. ﴾	٦٩-٧٠	٤٢٣

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٦٨	﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾	٧٦	٣٢٣، ٣٣٠
٤٦٩	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ .. ﴾	٧٨-٧٩	٣٥٥
٤٧٠	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ .. ﴾	٧٨	٣٩٨
٤٧١	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ .. ﴾	٧٩	٤٠٤
	٣٧- سورة الصافات		
٤٧٢	﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ .. ﴾	١٦-١٧	٣٩٩
٤٧٣	﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ (١٨) ﴾	١٨-١٩	٤٠٠
٤٧٤	﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٤٣) ﴾	٤٣-٤٤	١٧
٤٧٥	﴿ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ (٥٢) ﴾	٥٣	٤٠٠
٤٧٦	﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) ﴾	٥٨-٦٠	٣٥٩
٤٧٧	﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) ﴾	١٣٧-١٣٨	٥٠١
	٣٨- سورة ص		
٤٧٨	﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ .. ﴾	٢٨	٢٩١
	٣٩- سورة الزمر		
٤٧٩	﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ .. ﴾	٥	٥١١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٨٠	﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ ..﴾	٨	٢٥٣، ٢٦٦
٤٨١	﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ ..﴾	٢٣	١٠٢، ٨٣، ٨٩
٤٨٢	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠-٣١	٤٠٨
٤٨٣	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ..﴾	٣٢-٣٤	١٦٠
٤٨٤	﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾	٣٧	١٠٢
٤٨٥	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ ..﴾	٣٨	٢٣٣
٤٨٦	﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾	٤١	٨٨
٤٨٧	﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ ..﴾	٤٢	٣٧٣
٤٨٨	﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ ..﴾	٤٩-٥٠	٢٦٠
٤٨٩	﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ ..﴾	٤٩	٢٦٦
	٤٠- سورة غافر		
٤٩٠	﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ	٤-٥	١٣١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	في .. ﴾		
٤٩١	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ .. ﴾	٥	١٣٢، ١٣٣
٤٩٢	﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ .. ﴾	١١	٣٨١
٤٩٣	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ .. ﴾	٢٥	١٣٣، ٤١٥
٤٩٤	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ .. ﴾	٢٨	١٥٧
٤٩٥	﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾	٣٣	١٠٢
٤٩٦	﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ .. ﴾	٤٠	٥٧٣
٤٩٧	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا .. ﴾	٥٨	٥٢١
٤٩٨	﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا .. ﴾	٦١	٤٧٢
٤٩٩	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ .. ﴾	٦٧-٦٨	٣٧١
٥٠٠	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ .. ﴾	٧٨	١٤٣
٥٠١	﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ	٨٥	٣٠٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	خَلَتْ فِي .. ﴾		
	٤١- سورة فصلت		
٥٠٢	﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾	١٧	١٠٣، ٧٤، ١٠٩
٥٠٣	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا .. ﴾	٣٧	٤٧٧
٥٠٤	﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ .. ﴾	٣٨	٤٩٨
٥٠٥	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ .. ﴾	٣٩	٤٠٥، ٤١٩
٥٠٦	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾	٤٦	٨٨
٥٠٧	﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا .. ﴾	٥٠	٢٥٨
٥٠٨	﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو .. ﴾	٥١	٢٠٩، ٢٦٣
	٤٢- سورة الشورى		
٥٠٩	﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ .. ﴾	٩	٣٦٨
٥١٠	﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ .. ﴾	١٦	١٣٢
٥١١	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ .. ﴾	٢٤	١٣٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥١٢	﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾	٣٠	٢٤٨، ٦٧٥
٥١٣	﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا .. ﴾	٤٠	٥٩
٥١٤	﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ .. ﴾	٤٩-٥٠	٥٦٣
٥١٥	﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٥٢) ﴾	٥٢-٥٣	٨٠
	٤٣- سورة الزخرف		
٥١٦	﴿ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ .. ﴾	١١	٤١٩
٥١٧	﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ .. ﴾	١٥-١٩	٥٦٥
٥١٨	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ .. ﴾	٣٨	٦٣٣
	٤٤- سورة الدخان		
٥١٩	﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٧) ﴾	٧-٨	٣٦٨
٥٢٠	﴿ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ (٥٣) ﴾	٥٣	١٧
٥٢١	﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ .. ﴾	٥٦	٣٦٠
	٤٥- سورة الجاثية		
٥٢٢	﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ (٣) وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ ﴾	٤-٥	٤٦٠

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	مِن دَآبَّةٍ .. ﴾		
٥٢٣	﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ .. ﴾	٥	٤١٧
٥٢٤	﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ .. ﴾	٢١	٢٩١، ٤٢٥
٥٢٥	﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ .. ﴾	٢٣	١٠٥
٥٢٦	﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ .. ﴾	٢٦	٣٨٢
	٤٦- سورة الأحقاف		
٥٢٧	﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ .. ﴾	٢٦	٥٣٣
٥٢٨	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ .. ﴾	٣٣	٦٣، ٤٠٢
	٤٧- سورة محمد		
٥٢٩	﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ ﴾	١-٣	١٢٥
٥٣٠	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾	١٧	٨٠
٥٣١	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى .. ﴾	٢٥	٩٢
	٤٨- سورة الفتح		

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٣٢	﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا .. ﴾	٥-٦	٥٧٤
٥٣٣	﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا .. ﴾	١١	٣١٦،٢٣٤
٥٣٤	﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ .. ﴾	٢٥	٥٧٨
	٤٩- سورة الحجرات		
٥٣٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ .. ﴾	١١	٥٦٩
٥٣٦	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ .. ﴾	١٣	٥٦٦
	٥٠- سورة ق		
٥٣٧	﴿ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ ﴾	٣	٤٠٠
٥٣٨	﴿ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾	١١	٤١٩
٥٣٩	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ .. ﴾	١٦-١٨	٦٤٩
٥٤٠	﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧	٦٤٤
٥٤١	﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ .. ﴾	٣٩-٤٠	٤٩٥
٥٤٢	﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾	٤٢-٤٤	٤٠٩

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٥١- سورة الذاريات		
٥٤٣	﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾	٤٩	٥٤٢
	٥٣- سورة النجم		
٥٤٤	﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾	٢١-٢٢	٥٦٤
٥٤٥	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ ﴾	٢٧-٢٨	١٢٤
٥٤٦	﴿ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾	٣١-٣٢	٦٠٦
٥٤٧	﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ .. ﴾	٣٢	٦٠٥
٥٤٨	﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣-٤٤	٤٩
٥٤٩	﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣-٤٨	٥٨
٥٥٠	﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾	٤٤	٣٧٠
٥٥١	﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾	٤٥-٤٧	٤٠٤
٥٥٢	﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾	٤٥-٤٦	٥٠، ٥٦١
	٥٤- سورة القمر		
٥٥٣	﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ .. ﴾	٥٢-٥٣	٦٠٤، ٦١٩
	٥٥- سورة الرحمن		
٥٥٤	﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧	٦٢٦، ٦٣٥
	٥٦- سورة الواقعة		

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٥٥	﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ ﴾	٧-١٠	٦٧، ٦٤٥
٥٥٦	﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ .. ﴾	٨-٩	٦٤٤
٥٥٧	﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾	١٥-١٦	١٧
٥٥٨	﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾	٢٥-٢٦	٣٠
٥٥٩	﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٧-٥٦	٦٤٦
٥٦٠	﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا .. ﴾	٤٧	٣٩٩
٥٦١	﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾	٤٩-٥٠	٣٩٩
٥٦٢	﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾	٥٧-٦٢	٤٠٤
	٥٧- سورة الحديد		
٥٦٣	﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ .. ﴾	٢	٣٦٧
٥٦٤	﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ .. ﴾	٦	٥١٤
٥٦٥	﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى .. ﴾	٩	٤٥١
٥٦٦	﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ .. ﴾	١٢-١٤	٤٤٠
٥٦٧	﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم	١٢-١٣	٥٧٥

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	بُشۡرَىٰكُمُ ..﴾		
٥٦٨	﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ..﴾	١٢	٤٥٢، ٥٣٠
٥٦٩	﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ..﴾	١٣	٤٣١
٥٧٠	﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ ..﴾	١٧	٤١٧
	٥٨- سورة المجادلة		
٥٧١	﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ..﴾	١	٣٢٨، ٤٨٧
٥٧٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ..﴾	٩	٣٠
	٦٠- سورة الممتحنة		
٥٧٣	﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾	١	٣١١، ٣٢٣، ٣٣٢
٥٧٤	﴿لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾	١٠	١٦٤
	٦١- سورة الصف		
٥٧٥	﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾	٥	٩٥
٥٧٦	﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ..﴾	٨-٩	١٣٩
٥٧٧	﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ	٨	١٣٢، ٤٣١،

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	ٱلْكَٰفِرُونَ .. ﴾		٤٥٢
	٦٢- سورة الجمعة		
٥٧٨	﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ .. ﴾	٨	٤٠٨
	٦٣- سورة المنافقون		
٥٧٩	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾	٣	١٠٩
٥٨٠	﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ .. ﴾	١٠-١١	٣٨٦
٥٨١	﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ .. ﴾	١١	٣٠٥
	٦٤- سورة التغابن		
٥٨٢	﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ .. ﴾	٤	٣٢٣
٥٨٣	﴿ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾	٦	١٠٣
٥٨٤	﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ .. ﴾	٧	٤٠٩
	٦٥- سورة الطلاق		
٥٨٥	﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ .. ﴾	١١	٤٥٠
	]- سورة الضحي ٦٥		

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٨٦	﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ ﴾	١٤١	
	٦٦- سورة التحريم		
٥٨٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ.. ﴾	١	١٧٦
	٦٧- سورة الملك		
٥٨٨	﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ.. ﴾	٢	٣٧٤
٥٨٩	﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	١٣	٣٣٣، ٣٢٣
٥٩٠	﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ.. ﴾	٢٢	٦٢
	٦٩- سورة الحاقة		
٥٩١	﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ.. ﴾	١٨-٣٢	٦٧
٥٩٢	﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ.. ﴾	١٩-٣٧	٦٤٧
	٧٠- سورة المعارج		
٥٩٣	﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ.. ﴾	١٩-٢٢	٢٠٧
٥٩٤	﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣-٣٤	٢٠٨
٥٩٥	﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ	٣٦-٣٧	٦٥٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿٣٧﴾		
٥٩٦	﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠﴾	٤٠	٦٢٧، ٦٣٥
	٧١- سورة نوح		
٥٩٧	﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦﴾	٥-٦	٧١
٥٩٨	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥﴾	٥-٩	٣٤٦
٥٩٩	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥﴾	٥	٤٥٧
٦٠٠	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ..﴾	٥-٦	٤٩٩
	٧٢- سورة الجن		
٦٠١	﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾	١٠	٥٥، ١٨١، ٢٠٢
٦٠٢	﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١﴾	٢١	٢٢٢
	٧٣- سورة المزمل		
٦٠٣	﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦﴾	٦-٧	٤٩٦
٦٠٤	﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾	٩	٦٣٥
٦٠٥	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ ..﴾	٢٠	٤٨٥
	٧٤- سورة المدثر		
٦٠٦	﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾	٣١	٩٥، ١٠٠، ١٠٥
٦٠٧	﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣﴾	٣٣-٣٤	٤٥٧، ٥٠٧

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٧٥- سورة القيامة		
٦٠٨	﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١)﴾	٣١-٣٢	١٤٨، ١٥٨
٦٠٩	﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧)﴾	٣٧-٤٠	٤٠٣، ٥٦٢
	٧٦- سورة الإنسان		
٦١٠	﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا..﴾	١-٢	٣٨١
٦١١	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	٣	٨٦
٦١٢	﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥)﴾	٢٥-٢٦	٤٥٧، ٤٩٥
	٧٧- سورة المرسلات		
٦١٣	﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥)﴾	٢٥-٢٦	٣٧٦
٦١٤	﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾	٣٢	١٨٠
	٧٨- سورة النبأ		
٦١٥	﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠)﴾	٩-١١	٤٦٩
٦١٦	﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠)﴾	١٠-١١	٥٤
	٧٩- سورة النازعات		
٦١٧	﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩)﴾	٢٩	٤٥٧، ٤٦٦
٦١٨	﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١)..﴾	٣٠-٣٣	٢٩٤
	٨١- سورة التكوير		
٦١٩	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧)﴾	١٧-١٨	٥٠٧

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٢٠	﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾	١٨	٤٧١
	٨٢- سورة الإنفطار		
٦٢١	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ..﴾	١٠-١٢	٤٨٩
	٨٤- سورة الانشقاق		
٦٢٢	﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ..﴾	٧-١٤	٦٤٨
	٨٥- سورة البروج		
٦٢٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ..﴾	١٠	٥٧٧
	٨٦- سورة الطارق		
٦٢٤	﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ ..﴾	٥-٩	٤٠٣
	٨٧- سورة الأعلى		
٦٢٥	﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾	٧	٣١١، ٣٢٣
٦٢٦	﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾﴾	١٢-١٣	٣٦١
	٨٩- سورة الفجر		
٦٢٧	﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ..﴾	١٥-١٦	٢٤٩، ٢٦١
	٩١- سورة الشمس		

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٢٨	﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾﴾	٣-٤	٤٦٦
	٩٢- سورة الليل		
٦٢٩	﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾﴾	١-٢	٤٦٦
٦٣٠	﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾﴾	١-٣	٥٦٠
٦٣١	﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا ..﴾	٥-١٠	٢٥، ٥٣، ١٤٨، ١٥٩
	٩٣- سورة الضحى		
٦٣٢	﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾﴾	١-٢	٤٧٣
	٩٦- سورة العلق		
٦٣٣	﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾	٦-٧	٢٦٥
	٩٨- سورة البينة		
٦٣٤	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ ..﴾	٦-٧	١٩٥
	٩٩- سورة الزلزلة		
٦٣٥	﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾	٧	٦٣
٦٣٦	﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾	٧-٨	١٩١
٦٣٧	﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾	٨	٦٣

❁ ❁ ❁

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
١	((اتقوا النار، ولو بشق تمرة))	٦٢٣
٢	((احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت ..))	٢٣٣
٣	((إذا هَمَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها ..))	٣٣٩
٤	((الأرواح جنودٌ مجنّدة؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر ..))	٦٠١
٥	((أرواحهم في جوف طيرٍ خُضْرٍ، لها قناديل معلقة بالعرش، ..))	٤٢١
٦	((اعملوا، فكلّ ميسر لما خلق له))	١٦٠
٧	((أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون..))	٣٦٢
٨	((أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، ..))	٥٥٢
٩	((إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم يتكلموا، ..))	٣٣٨

م	طرف الحديث	الصفحة
١٠	((إن الله عز وجل يقول ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ ..))	٥٦٨
١١	((إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة..))	٦٠٧
١٢	((إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، فيقولون لبيك ..))	١٩٧
١٣	((إنك لعريض القفا، إن أبصرت الخيطين))	٤٩٨
١٤	((إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم ..))	١٠٩
١٥	((أيها الناس، إن الله طيِّبٌ لا يقبل إلا طيِّبًا، وإن الله أمر ..))	٥٩٢
١٦	((الجامعة الفاذة))	١٩١
١٧	((حجبت الجنة بالمكاره، وحجبت النار بالشهوات))	١٨٥
١٨	((الخبر ليس كالمعاينة))	٣٨٨
١٩	((الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان..))	٦١٠
٢٠	((عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد ..))	٢٠٦
٢١	((عليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته ..))	٣٤٥
٢٢	((كل ابن آدم خطاء، فخير الخطائين التوابون))	٦٠٨
٢٣	((لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يُؤَمِّنُون على ..))	٢١٤
٢٤	((لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا ..))	٢١٥

م	طرف الحديث	الصفحة
٢٥	((لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا ..))	٦٣٠
٢٦	((لا، بل هو سواد الليل، وبياض النهار))	٤٩٨
٢٧	((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث ..))	٥٩٤
٢٨	((نسمة المؤمن طائرٌ تعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله ..))	٤٢١
٢٩	((والخير بيديك، والشرُّ ليس إليك))	٢٠٢
٣٠	((ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما ..))	٣٤٤
٣١	((يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل، وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعون ..))	٤٨٩
٣٢	((يخرج فيكم قومٌ تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم ..))	٢٨٩
٣٣	((اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى))	٥٥٧
٣٤	((يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي مناد يا أهل الجنة..))	٣٦٣

❁ ❁ ❁

فهرس الآثار

م	طرف الأثر	الصفحة
١	((ابتلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضراء فصبرنا، ..))	٢٠٦
٢	((ابن آدم خُلِق خَطَّاءً، إلا من رحم الله عز وجل))	٦٠٨
٣	((أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء..))	٣٧٥
٤	((بينما الناس في ظلمة، إذ بعث الله نورًا، فلما رأى المؤمنون ..))	٤٤٢
٥	((تخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر))	٤٢٤
٦	((تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وَعَدَ إبراهيم ..))	٤١٤
٧	((جعل الله صدقة السرّ في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفًا..))	٣٤٥
٨	((الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت خولة ..))	٣٢٨
٩	((الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت خولة ..))	٤٨٧

م	طرف الأثر	الصفحة
١٠	((غشينا النعاس ونحن في مصافّنا يوم أحد، فجعل سيفي ..))	٣١٥
١١	((كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلامًا، ..))	٢١٠
١٢	((كلّ تسبيح في القرآن فهو صلاة))	٤٩٤
١٣	((لما نزل تحريم الخمر قال اللهم بَيِّنْ لنا في الخمر بيانًا شافيًا ..))	٢٢٥
١٤	((ليس مؤمن ولا كافر عَمِل خيرًا ولا شرًّا في الدنيا، إلا آتاه ..))	١٩٣
١٥	((مرَّ إبراهيم على دابةٍ مَيْتٍ، قد بَلي وتقسَّمته الرياح والسباعُ ..))	٣٨٨
١٦	((من يعمل مثقال ذرَّة من خير من كافر، يرى ثوابها في ..))	١٩٤
١٧	((المؤمنَ من الكافر، والكافرَ من المؤمن، والمؤمن عبدٌ حيُّ الفؤاد..))	٤٢٤
١٨	((ميّز أهل السعادة من أهل الشقاوة))	٥٩٥
١٩	((يا رسول الله، يغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث، ..))	٥٤٧
٢٠	((يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة..))	٤٤٢

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
١	إبراهيم عليه السلام	٦١، ١١١، ١١٢، ١٣٣، ١٤٢، ٢٣٨، ٢٤١، ٣٦٩، ٣٨٥، ٣٨٧، ٤١١، ٤١٢، ٦٢٨، ٦٢٩
٢	ابن أبي الإصبع	٢٨، ٣٠
٣	ابن الأثير	٤، ٢٨، ٣٠، ٣٤
٤	ابن الأنباري	٣٨٣
٥	ابن تيمية	٥١٢
٦	ابن حزم الأندلسي	٣٨
٧	ابن رشيق القيرواني	٢٢، ٢٩، ٣٠
٨	ابن سنان الخفاجي	٢٣، ٢٤
٩	ابن عباس	١٥٦، ١٩٣، ٢٠٣، ٢١٠، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٤٥، ٤١٤، ٤٢٤،

م	العلم	الصفحة
		٤٤٢، ٤٩٤، ٥٩٥، ٦٠٧
١٠	ابن كيسان	٢٠٧
١١	أبو بكر الباقلاني	٣٢
١٢	أبو حيان	٤٤١
١٣	أبو سلمة	٢١٤
١٤	أبو طلحة	٣١٥
١٥	أبو عدي القرشي	٢٤
١٦	أبو قيس بن الأسلت	٢٣
١٧	أبو نواس	٢٢، ٢٣
١٨	أبو هريرة	٣٣٦، ٣٣٨
١٩	أبو هلال العسكري	٢١، ٣٠، ٤٩
٢٠	أبو يعقوب السكاكي	٢٥، ٢٩
٢١	آدم عليه السلام	١٣٠، ٢٩٥، ٤٠٢، ٥٦٦
٢٢	بدر الدين الزركشي	٣٣
٢٣	بكري محمد بخيت	٨
٢٤	بن عيسى عبدالقادر بطاهر	٧
٢٥	التفتازاني	٣٩، ٤٠
٢٦	الحسن البصري	٤٢٤
٢٧	خالد بن الوليد	٣٧٢

م	العلم	الصفحة
٢٨	الخطيب القزويني	٢٨، ٣٠
٢٩	الراغب الأصبهاني	٣٢، ٤١، ٤٢
٣٠	رباب صالح جمال	٦
٣١	الربيع بن أنس	٣٨٥
٣٢	الزمخشري	٨٨
٣٣	سعد بن أبي وقاص	٢٢٣
٣٤	سليمان عليه السلام	١٥٤، ١٥٥
٣٥	السيوطي	٣٣
٣٦	شعيب عليه السلام	٢٩٦
٣٧	صالح عليه السلام	٢٨٦، ٢٩٦
٣٨	الضحاك	٣٨٨
٣٩	ضياء الدين ابن الأثير	٢٥
٤٠	عائشة	١٩٠، ١٩٤، ٣٢٨، ٤٨٧
٤١	عبدالرحمن بن عوف	٢٠٦
٤٢	عبدالله بن مسعود	٤٤١
٤٣	عدي بن حاتم	٤٩٨
٤٤	عمر بن الخطاب	٢٢٣، ٢٢٥، ٤٢٤
٤٥	عيسى عليه السلام	١٧٧، ٢٤٢، ٢٩٥
٤٦	فايز عارف القرعان	٦
٤٧	الفخر الرازي	٣٤٢

م	العلم	الصفحة
٤٨	فرعون	١٣٤، ١٤٠، ١٤١، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ٢٠٥، ٢٥٩، ٢٧٢، ٣٠٥، ٣٠٦، ٤١٣، ٤١٤، ٦٣٧، ٦٧٣، ٦٧٤
٤٩	قتادة بن دعامة السدوسي	٣٧٥، ٣٨١، ٣٩٣، ٥٢٢
٥٠	قدامة بن جعفر	١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٣٠، ٤١
٥١	القرطبي	١٨٦، ١٩١
٥٢	الكلبي	٣٩٥
٥٣	كمال عبدالعزيز إبراهيم	٥
٥٤	لوط عليه السلام	٥٠١
٥٥	مبارك العلمي	٨
٥٦	المتنبي	٦٠
٥٧	مجاهد بن جبر	٤١٠
٥٨	محمد بن كعب القرظي	١٩٣
٥٩	محمد صلى الله عليه وسلم	١٠٦، ١٣٦، ١٣٧، ١٦٧، ١٩٦، ٣٣٠، ٣٩٧، ٤٥٠، ٥٨٩،

م	العلم	الصفحة
		٥٩٦
٦٠	معاذ بن جبل	٢٢٣
٦١	مقاتل بن سليمان	٥٤٢
٦٢	منال صلاح الدين الصفار	٦
٦٣	موسى عليه السلام	١٠٤، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٨٨، ٢٧٢، ٣٩١، ٣٩٧، ٤٤٩، ٤٥٠، ٦٣٧، ٦٧٣، ٦٧٤
٦٤	نصير الدين الطوسي	٣٨
٦٥	نوح عليه السلام	٧١، ١٣٣، ٢١١، ٣٤٥، ٣٤٦، ٤٩٩
٦٦	هارون عليه السلام	١٥٩
٦٧	ياسين جاسم المحيمد	١٣
٦٨	يحيى بن زكريا عليهما السلام	٣٨٢
٦٩	يعقوب عليه السلام	١٦٩
٧٠	يوسف عليه السلام	١٥٢، ١٥٣

❁ ❁ ❁

فهرس الأبيات الشعرية

الشطر الأول	الصفحة
أَرَى الْفَضْلَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ جَامِعًا	٢٣
أَسَرْنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ	١٩
أَسَرْنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ	٢٠
بِوَاطِئٍ فَوْقَ خَدِّ الصُّبْحِ مُشْتَهِرُ	٥٣
تَقَاصَرْنَ وَاحْلَوْلَيْنَ لِي ثُمَّ إِنَّهُ	١٩
جَزَى اللهُ عَنَّا ذَاتَ بَعْلٍ تَصَدَّقَتْ	٢٠
الحَزْمُ وَالْقُوَّةُ خَيْرٌ مِنْ الْـ	٢٣
ضِدّانِ لِمِا اسْتُجْمِعا حَسُنَا	٦٠
عَلَى رَأْسِ عَبْدٍ تَاجُ عِزٍّ يُزَيِّنُهُ	٥٣
فَالوَجهُ مِثْلُ الصُّبْحِ مِبْيَضٌ	٦٠

الشطر الأول	الصفحة
فَإِنَّا سَنَجْزِيهَا بِمِثْلِ فِعَالِهَا	٢٠
فَمَا صَبَرُوا لِبَأْسٍ عِنْدَ حَرْبٍ	١٩
فَمَا صَبَرُوا لِبَأْسٍ عِنْدَ حَرْبٍ	٢٠
لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا	٢٧
يَا ابْنَ خَيْرِ الأَخْيَارِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ	٢٤

❁ ❁ ❁

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السّيوطي ، تحقيق : سعيد المندوب، ط١ ، دار الفكر – لبنان – ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م .

٢. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت٩١١)، تعليق: د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٣. أحكـام القرآن، أبو بكر أحـمد بن علي الرازي الجصّاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤. أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ طبع .

٥. أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي الطبري (الشّهير بالكيا الهراسي)، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ .

٦. أحكام القرآن، لإمام الشّافعي، جمعـه أبو بكر أحمد بن الـحسيـن البيهقي النيسابـوري، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق ، ومحمد شريف سكّر ، دار إحياء العلوم ، ١٤٠٠هـ .

٧. إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السّعود مـحمد ابن محمد العِمَادي الحنفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٨. أسباب نـزول القرآن ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ط٣، ١٤٠٧هـ .

٩. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق : على البجاوي ، دار الجيل، بيروت، ط١ ، ١٤١٢هـ .
١٠. أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، أبو حسن على بن محمد بن الأثير الجزري ، اعتنى به : عادل أحمد الرّفاعي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ .
١١. أسس الصحة النفسية، د. عبدالعزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.
١٢. أسلوب المقابلة في القرآن الكريم، كمال عبدالعزيز إبراهيم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
١٣. الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ .
١٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشّنقيطي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ .
١٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشّنقيطي، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة ، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٦. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد الصقر، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م.
١٧. إعراب القرآن ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، تحقيق: زهير غازي زاهد ، عالم الكتب، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ .
١٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية ، تحقيق : عبد الرحمن الوكيل ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ .

١٩. أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢٠. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٣، ١٤٢٨هـ.

٢١. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢.

٢٢. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية الحرّاني، تحقيق الدكتور: ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، وشركة الرياض للنشر والتوزيع، ط٥، ١٤١٧هـ.

٢٣. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي الشيرازي، دار الفكر، بيروت.

٢٥. أوضح التفاسير، محمد محمد عبداللطيف الخطيب، المطبعة المصرية، القاهرة، ط٦، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

٢٦. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق الدكتور: عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٧. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٢٨. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدّمشقي، مكتبة المعارف، بيروت.

٢٩. البديع في البديع، أبو العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله العباسي، دار الجيل، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٠. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبدالله الزّركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩١هـ .

٣١. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى أبو جعفر الضبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٣٢. بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السّيوطي ، دار الفكر، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ .

٣٣. بيان تلبيس الجهمية، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق مجموعة محققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ.

٣٤. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذّهبي، تحقيق: عمر التدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٠هـ .

٣٥. تاريخ بغداد ، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ودار الفكر ، بيروت .

٣٦. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٣٧. التأويل التقابلي، محمد بازي، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٨. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، شرحه ونشره الشّيخ: أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت .

٣٩. تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق مجدي باسلوم، دار الكتب العربية، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٠. تجريد المنطق، نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة الأعلمي،

بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤١. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، عبدالعظيم بن عبدالواحد ابن أبي الإصبع، تحقيق حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٤٢. التحرير والتنوير، محمد الطّاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.

٤٣. تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، وضع حواشيه: زكريا عميرات، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٤٤. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، اعتنى به: محمد سالم هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٣هـ.

٤٥. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ.

٤٦. تفسير ابن المنذر القرآن العظيم، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، حققه: د. سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤٧. تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي، تحقيق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

٤٨. تفسير أبي الليث السّمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

٤٩. تفسير أبي المظفّر منصور بن محمد السّمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم عباس غنيم، نشر: دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

٥٠. تفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق مجموعة باحثين، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٣٠هـ.

٥١. تفسير الراغب الأصفهاني، تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، تحقيق د.محمد

بسيوني، رسالة جامعية، جامعة طنطا، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥٢. تفسير الراغب الأصفهاني، من الآية ١١٤ من سورة النساء إلى آخر سورة المائدة، تحقيق د.هند سردار، رسالة جامعية، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٥٣. تفسير الراغب الأصفهاني، من أول آل عمران إلى الآية ١١٣ من سورة النساء، تحقيق د.عادل الشدي، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥٤. تفسير الشعراوي (خواطر الشعراوي)، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.

٥٥. تفسير العز بن عبدالسلام، أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام الدمشقي، تحقيق عبدالله الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٥٦. تفسير القرآن العزيز ، أبو عبد الله محمد بن أبي زَمَنين ، تحقيق : حسين بن عكاشة، ومحمد مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

٥٧. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ .

٥٨. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ـ ﷺ ـ والصحابة والتابعين، عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط٢ ، ١٤١٩هـ .

٥٩. التفسير القرآني للقرآني، عبدالكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.

٦٠. تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، اعتنى بـه : باسل عيون السّود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

٦١. تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٤هـ .

٦٢. التفسير المنير، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكرا لمعاصر، دمشق، ط٢،

١٤١٨هـ.

٦٣. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١.

٦٤. التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦٥. تفسير عبد الرزاق ، عبد الرزاق بن همام الصّنعاني، دراسة وتحقيق: د.مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٠هـ.

٦٦. تفسير مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي، تحقيق : أحمد فريد ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .

٦٧. التقابل الجمالي في النص القرآني، د.حسين جمعة، دار النمير، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.

٦٨. التقابل الدلالي في القرآن الكريم، منال صلاح الدين، وزارة الثقافة العراقية، ط١، ٢٠١٣م.

٦٩. تقريب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، اعتنى به : محمد عوامة، دار الرشيد ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

٧٠. التقريب لحد المنطق، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، ط١، ١٩٠٠م.

٧١. تهذيب التهذيب ، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الفكر، بيروت، ط١ ، ١٤٠٤هـ .

٧٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: بشار عواد معروف ، نشر مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

٧٣. تهذيب اللُّغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : عبد السّلام هارون ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، ١٣٨٤هـ .

٧٤. التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف بن علي المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٧٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٧٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : أحمد شاكر ومحمود شاكر ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ .

٧٧. الجامع الصّحيح (سنن الترمذي)، اعتنى به : أحمد محمد شاكر وآخرون ، تخريج الشيخ : محمد ناصر الدين الألباني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٧٨. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمد الشيباني ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ.

٧٩. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله القرطبي، تحقيق عبدالله التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة.

٨٠. جمهرة اللغة، محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٨١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، مجموعة محققين، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٨٢. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق محمد معوض وعادل عبدالموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٨٣. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار صادر، بيروت.

٨٤. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٨٥. الحسنة والسيئة، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٦. خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، الدار السعودية، جدة، ط٤، ١٤٠٣هـ.

٨٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف (المعروف بالسّمين الحلبي) ، تحقيق : علي معوض وعادل عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

٨٨. الدرّ المنثور في التفسير المأثور ، جلال الدين السّيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

٨٩. درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٩٠. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

٩١. درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي الحريري، تحقيق عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٨م.

٩٢ . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، اعتنى به : عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

٩٣ . الردّ على البكري (تلخيص كتاب الاستغاثة)، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق محمد علي عجال، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ.

٩٤ . الرد على المنطقيين، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، دار المعرفة، بيروت.

٩٥ . روح البيان، إسماعيل حقي الاستابو لي، دار الفكر، بيروت.

٩٦ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل محمود الألوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩٧ . زاد المسير في التفسير، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، اعتنى به : أحمد شمس الدين، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ .

٩٨ . زاد المعاد في هدي خير العباد ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية ، تحقيق : عرفان عبد القادر العشا ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٩هـ .

٩٩ . الزهد، عبدالله بن المبارك المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٠ . زهرة التفاسير، محمد بن أحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٠١ . سر الفصاحة، أبو محمد عبدالله بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٠٢ . سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت .

١٠٣ . سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .

١٠٤ . السّنن الكبرى ، أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ .

١٠٥ . سنن النسائي الصغرى (المجتبى) ، أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدّة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ .

١٠٦ . سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١١ ، ١٤١٩هـ .

١٠٧ . السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الملك بن هشام المعافري ، تحقيق : مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، بدون تاريخ طبع .

١٠٨ . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن العماد الحنبلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ طبع .

١٠٩ . شرح المعلقات السبع ، حسين بن أحمد أبو عبدالله الزوزني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

١١٠ . شرح ديوان الحماسة ، يحيى بن علي التبريزي ، درا لقلم ، بيروت .

١١١ . شرح ديوان المتنبي ، أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ، مجموعة محققين ، دار المعرفة ، بيروت .

١١٢ . شرح صحيح مسلم ، أبو زكريا يحي بن شرف النووي الشافعي ، وراجعة الشيخ : خليل الميس ، دار القلم ، بيروت ، ط١ .

١١٣. شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ .
١١٤. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، مجموعة محققين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
١١٥. الصبغ البديعي في اللغة العربية، د: أحمد إبراهيم موسى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ.
١١٦. الصحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطّار ، دار العلم للملايين ، ط١ ، ١٣٧٦هـ .
١١٧. صحيح ابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
١١٨. صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ .
١١٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٢٠. الصناعتين: الكتابة والشعر، الحسن بن عبدالله أبو هلال العسكري، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
١٢١. طبقات الحفاظ ، جلال الدين عبد الرحمن السّيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، ١٤١٧هـ .
١٢٢. طبقات الشعراء، عبدالله بن محمد المعتز بالله العباسي، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

١٢٣. الطبقات الكبرى ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ طبع .

١٢٤. طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنه وي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٧هـ .

١٢٥. طبقات المفسّرين ، شمس الدين محمد بن علي الداودي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ .

١٢٦. طبقات المفسرين ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٦هـ .

١٢٧. طبقات النحويين واللّغويين ، أبو بكر محمد بن الحسن الزّبيدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٣٩٢هـ .

١٢٨. طبقات فحول الشّعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق: محمود شاكر ، مكتبة القاهرة ، ١٩٧٤م .

١٢٩. الطراز لأسرار البلاغة، المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسني العلوي، المكتبة العنصرية، بيروت، ط١ ، ١٤٢٣هـ.

١٣٠. الطرق الحكمية، محمد بن أبي بكر الزرعي، ابن قيم الجوزية، تحقيق نايف الحمد، مجمع الفقه الإسلامي، ط١ ، ١٤٢٨هـ.

١٣١. العبر في خبر من غبر، أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٢. علم البديع ، عبدالعزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت .

١٣٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، ط٥ ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٣٤. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، وإبراهيم السّامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية، بدون تاريخ طبع .

١٣٥. غاية النهاية في طبقات القراء ، محمد بن محمد بن الجزري ، عني بنشره : ج . برجستراسر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٢هـ .

١٣٦. غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي- بيروت - ١٣٩٦، الطبعة: الأولى

١٣٧. غريب الحديث، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق عبدالله الجبوري، دار العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ، ط١ .

١٣٨. الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٣٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن حجر العسقلاني ، اعتنى به : محمد فؤاد عبد الباقي ، ومحبّ الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ.

١٤٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر، بيروت.

١٤١. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.

١٤٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٤٣. فقه اللغة وسر العربية، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٤٤. فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكُتْبي ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤م .
١٤٥. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة.
١٤٦. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مجموعة محققين، دار الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١٤٧. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، د. صلاح الخالدي، دار القلم دمشق.
١٤٨. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ـ عزّ وجلّ ـ ، عبد الرحمن حبنّكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ .
١٤٩. القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق خالد السبت، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢١هـ.
١٥٠. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
١٥١. الكشّاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٥٢. الكشف والبيان، أبي إسحاق الثعلبي، تحقيق محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
١٥٣. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللُّغوية) ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، اعتنى به الدكتور: عدنان درويش، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٩هـ .
١٥٤. اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهور، بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر

الزركشي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٥٥. لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، الشهير بالخازن ، ضبطه وصححه : عبد السّلام محمد شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

١٥٦. لباب النقول في أسباب النزول ، جلال الدين السّيوطي ، اعتنى به : عبد المجيد طعمة حلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

١٥٧. اللُّباب في علوم الكتاب ، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، و علي محمد معوّض ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٩هـ

١٥٨. لسان العرب ، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ .

١٥٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.

١٦٠. مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، تحقيق الدكتور : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون تاريخ طبع .

١٦١. المجروحين، أبو حاتم محمد بن حبان البستي ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، حلب ، بدون تاريخ طبع .

١٦٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريان للتراث، القاهرة ، ودار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

١٦٣. مجمل اللّغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس الرّازي ، تحقيق : شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، ١٤١٤هـ .

١٦٤. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم ، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤١٦هـ.

١٦٥. محاسن التأويل ، جمال الدّين القاسمي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

١٦٦. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ .

١٦٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤١٣هـ .

١٦٨. المحرر في أسباب نزول القرآن، خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، ط١ ، ١٤٢٧هـ.

١٦٩. المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن ابن سِيْدَه ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

١٧٠. مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، اعتنى به : يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٨هـ .

١٧١. مختصر المعاني ، سعد الدين التفتازاني ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤١١هـ.

١٧٢. المخصّص ، أبو الحسين علي بن إسماعيل النحوي اللّغوي الشهير بابن سيده ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ طبع .

١٧٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي ، تحقيق يوسف علي بديوي ، نشر : دار الكلم الطيب ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ .

١٧٤ . المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ، سيد أحمد خليل ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٨م .
١٧٥ . مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ، محمد بن عمر الجاوي ، تحقيق محمد أمين الصناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ .
١٧٦ . المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي ، تحقيق : طيّار آلتي قولاج ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٥هـ .
١٧٧ . المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .
١٧٨ . المستدرك على الصّحيحين ، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ .
١٧٩ . مسند إسحاق بن راهويه ، إسحاق بن إبراهيم بن راهويه ، تحقيق عبدالغفور البلوشي ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .
١٨٠ . مسند الإمام أحمد ، الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق مجموعة محققين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦هـ .
١٨١ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت .
١٨٢ . المصنّف ، أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصّنعاني ، تحقيق : حبيب الله الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ .
١٨٣ . المصنّف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي ، تحقيق : يوسف كمال الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩هـ .

١٨٤. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، أحمد بن حجر العسقلاني ، المكتبة العصرية، ط١ ، ١٣٩٠هـ .
١٨٥. معارج التفكر ودقائق التدبر، عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ط١ ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
١٨٦. معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ، تحقيق: محمد عبد الله النمر وصاحبيه، دار طيبة، الرياض، ط٢ ، ١٤١٤هـ.
١٨٧. معاني القرآن ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البَلْخِي (الأخفش الأوسط) ، تحقيق الدكتور : فائز فارس ، ط٢ ، ١٤٠١هـ .
١٨٨. معاني القرآن ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، تحقيق : محمد عليّ الصّابوني ، طبعة مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أُمّ القرى ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .
١٨٩. معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الشهير بالزجاج ، تحقيق الدكتور : عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٤هـ .
١٩٠. معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
١٩١. المعجزة الكبرى: القرآن، محمد بن أحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
١٩٢. معجم الأدباء أو (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، ياقوت عبد الله الرومي الحموي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ .
١٩٣. المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : طارق عوض ، وعبد المحسن الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ .
١٩٤. معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٥م .

١٩٥ . المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : حمدي السّلَفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ .

١٩٦ . معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عبدالحميد وآخرون، عالم الكتب، ط١ ، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

١٩٧ . المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، القاهرة.

١٩٨ . معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٣م.

١٩٩ . معرفة الصّحابة ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٩هـ .

٢٠٠ . معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الذّهبي، تحقيق محمد حسن إبراهيم الشّافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ .

٢٠١ . المغرب في حلى المغرب، أبو الحسن علي بن موسى المغربي، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٥٥م.

٢٠٢ . مفاتيح الغيب، فخر الدّين محمد بن عمر الرّازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

٢٠٣ . مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، تحقيق نعيم زرزور، در الكتب العلمية، بروت، ط٢ ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٠٤ . مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر الزرعي، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت .

٢٠٥ . مفردات ألفاظ القرآن ، الرّاغب الأصبهاني ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٨هـ .

٢٠٦ . المفضليات ، المفضل بن محمد الضبي ، تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦ .

٢٠٧ . المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٢٠٨ . مقاييس اللُّغة ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السّلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٢٠هـ .

٢٠٩ . المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، جنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٥هـ .

٢١٠ . من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد البدوي ، نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .

٢١١ . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٣٥٨م .

٢١٢ . الموافقات في أصول الأحكام ، أبو إسحاق إبراهيم اللّخمي الشّهير بالشّاطبي ، اعتنى به : محمد الخضر حسين التونسي ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ طبع .

٢١٣ . الموطأ ، الإمام مالك بن أنس الأصبحي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، بدون تاريخ طبع .

٢١٤ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي الأتابكي ، نشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مصر ، مصورة عن طبعة درا الكتب .

٢١٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين البقاعي ، دار الأندلس ، بالتعاون مع دائرة المعارف الإسلامية ، ط١ ، ١٣٩٦هـ .

٢١٦. نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م .

٢١٧. نقد الشعر، قدامة بن جعفر البغدادي، مطبعة الجوائب، قسطنطينة، ط١، ١٣٠٢هـ.

٢١٨. النكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، راجعه وعلق عليه : عبد المقصود بن عبد الرحيم ، نشر : مؤسسة الكتب الثقافية ، ودار الكتب العلمية ، بيروت .

٢١٩. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، مجموعة محققين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٢٠. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، أحمد بن علي بن أحمد القَلْقَشَنْدِي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٢١. النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدّين أبو السّعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .

٢٢٢. الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القيرواني، مجموعة محققين، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٢٢٣. الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، بعناية : س . ديدر ينغ ، دار النشر : فرانز شتايز ، جمعية المستشرقين الألمانية ، ط٢ ، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م .

٢٢٤. الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق محمد عثمان،

مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٢٥. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن الواحدي، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، نشر : دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

٢٢٦. الوساطة بين المتنبي وخصومي، أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل وعلي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٢٢٧. الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن الواحدي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

٢٢٨. وَفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمَان، أبو العباس أحمد بن محمد بن خِلكان ، تحقيق : يوسف علي طويل ، ومريم قاسم طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٩هـ .

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

المقدمة ٢

أهمية الموضوع : ٣

سبب اختيار الموضوع : ٤

الدراسات السابقة : ٥

خطة البحث : ٩

منهج البحث : ١١

التمهيد ١٥

المبحث الأول : مفهوم المقابلة ١٦

المبحث الثاني : مفهوم الأضداد ٣٦

المبحث الثالث : مفهوم المقابلة بين الأضداد ٤٥

المبحث الرابع : أنواع المقابلة ٥١

المبحث الخامس : فوائد المقابلة ٥٧

الفصل الأول: المقابلة بين الأضداد المعنوية ٧٥

المبحث الأول: المقابلة بين الهدى والضلال ٧٩

المطلب الأول: اختلاف الهدى والضلال ٨٥

المطلب الثاني: ما يشترك فيه الهدى والضلال ١٠٠

المطلب الثالث: لاقات أخرى بين الهدى والضلال ١٠٨

المبحث الثاني: المقابلة بين الحق والباطل ١١٥

المطلب الأول: اختلاف الحق والباطل ١٢٠

المطلب الثاني: علاقات أخرى بين الحق والباطل ١٣٠

المبحث الثالث: المقابلة بين الصدق والكذب ١٤٦

المبحث الرابع: المقابلة بين الحل والحرمة ١٦٣

المطلب الأول: اختلاف الحل والحرمة ١٦٧

المطلب الثاني: ما يشترك فيه الحل والحرمة ١٧٢

المبحث الخامس: المقابلة بين الخير والشر ١٧٩

المطلب الأول: اختلاف الخير والشر ١٨٣

المطلب الثاني: ما يشترك فيه الخير والشر ١٩٩

المبحث السادس: المقابلة بين النفع والضر ٢١٩

المطلب الأول: اختلاف النفع والضر ٢٢٣

المطلب الثاني: ما يشترك فيه النفع والضر ٢٢٩

المبحث السابع: المقابلة بين النعمة والمصيبة ٢٤٦

المطلب الأول: اختلاف النعمة والمصيبة ٢٥٢

المطلب الثاني: ما يشترك فيه النعمة والمصيبة ٢٧٨

المبحث الثامن: المقابلة بين الإصلاح والإفساد ٢٨١

المطلب الأول: اختلاف الإصلاح والإفساد ٢٨٦

المطلب الثاني: علاقات أخرى بين الإفساد والإصلاح ٢٩٤

المبحث التاسع: المقابلة بين السر والعلن ٣٠٨

المطلب الأول: اختلاف السر والعلن ٣١٤

المطلب الثاني: ما يشترك فيه السر والعلن ٣٢١

الفصل الثاني: المقابلة بين الأضداد الحسية ٣٤٩

المبحث الأول: المقابلة بين الحياة والموت ٣٥٢

المطلب الأول: اختلاف الموت والحياة ٣٥٧

المطلب الثاني : ما يشترك فيه الحياة والموت ٣٦٤

المطلب الثالث : علاقات أخرى بين الحياة والموت ٣٧٨

المبحث الثاني: المقابلة بين النور والظلمة ٤٢٨

المطلب الأول : اختلاف النور والظلمة ٤٣٣

المطلب الثاني : ما يشترك فيه النور والظلمة ٤٤٥

المطلب الثالث : علاقات أخرى بين النور والظلمة ٤٤٧

المبحث الثالث: المقابلة بين الليل والنهار ٤٥٥

المطلب الأول : اختلاف الليل والنهار ٤٥٩

المطلب الثاني : ما يشترك فيه الليل والنهار ٤٧٦

المطلب الثالث : علاقات أخرى بين الليل والنهار ٥٠٦

المبحث الرابع: المقابلة بين العمى والبصر ٥١٧

المطلب الأول : اختلاف العمى والبصر ٥٢١

المطلب الثاني : ما يشترك فيه العمى والبصر ٥٢٦

المطلب الثالث : علاقات أخرى بين العمى والبصر ٥٣٢

المبحث الخامس: المقابلة بين الذكر والأنثى ٥٣٧

المطلب الأول: اختلاف الذكر والأنثى ٥٤٢

المطلب الثاني: ما يشترك فيه الذكر والأنثى ٥٦٠

المبحث السادس: المقابلة بين الطيب والخبيث ٥٨١

المطلب الأول: الاختلاف بين الطيب والخبيث ٥٨٥

المطلب الثاني: علاقات أخرى بين الطيب والخبيث ٥٩٧

المبحث السابع: المقابلة بين الكبر والصغر ٦٠٣

المطلب الأول: اختلاف الكبر والصغر ٦٠٦

المطلب الثاني: ما يشترك فيه الكبر والصغر ٦١١

المبحث الثامن: المقابلة بين المشرق والمغرب ٦٢٤

المطلب الأول: اختلاف المشرق والمغرب ٦٢٨

المطلب الثاني: ما يشترك فيه المشرق والمغرب ٦٣٥

المبحث التاسع: المقابلة بين اليمين والشمال ٦٤٢

المطلب الأول: اختلاف اليمين والشمال ٦٤٥

المطلب الثاني: ما يشترك فيه اليمين والشمال ٦٥١

المبحث العاشر: المقابلة بين البر والبحر ٦٥٧

المطلب الأول: ختلاف البر والبحر ٦٦١

المطلب الثاني: ما يشترك فيه البر والبحر ٦٦٤

الخاتمة ٦٧٧

الفهارس ٦٨٢

فهرس الآيات ٦٨٣

فهرس الأحاديث ٧٤٢

فهرس الآثار ٧٤٥

فهرس الأعلام ٧٤٧

فهرس الأبيات الشعرية ٧٥٢

فهرس المصادر والمراجع ٧٥٤

فهرس الموضوعات ٧٧٧